INTERNATIONAL ISLAMIC
UNIVESITY- ISLAMABAD
FACULTY OF ARABIC

الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد
كلية اللغة العربية

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه

رثاءالمدن العربية وشبه القارة الهندية ـ الباكستانية في الشعرالعربي والأردي

(قرطبة وبغدادودمشق ـ لاهور ودلهي وداكا)

دراسة تحليلية مقارنة

الإشرا ف: سعادة الأستاذ الدكتورإنعام الحق غازي حفظه الله

إعداد: حافظ محمد أسلم

رقم التسجيل:75-FA-PHD-04

العام الجامعي: 2014-2015م

International Islamic University
Islamabad

TH-17548

Ph D
٨٩٢ ، ٧١
ح ا ر
أدب عربي - شعر
أدب عربي - [illegible]
أدب عربي - [illegible]
أدب عربي - [illegible]

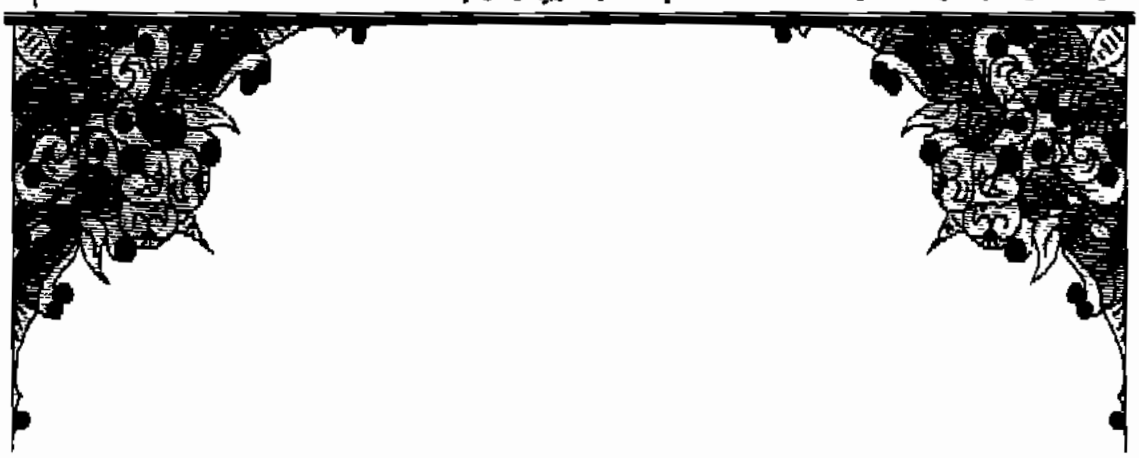

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله سبحانه وتعالى:

وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ

(آل عمران)

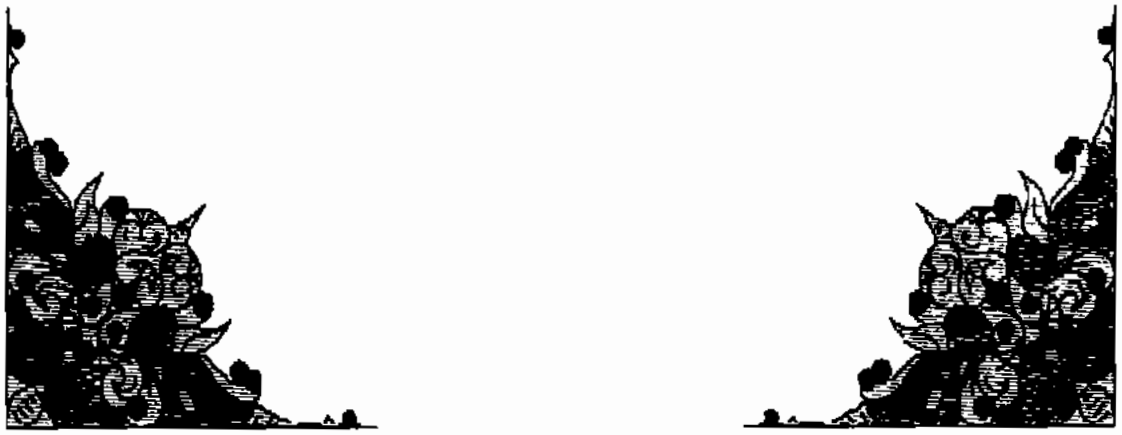

قال النبي صلى الله عليه وسلم

عن عبد الله بن عدي الحمراء قال: رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واقفا على الحَزْوَرَة فقال: (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرجتُ منك ما خَرَجتُ)

(أخرجه الترمذي وأحمد)

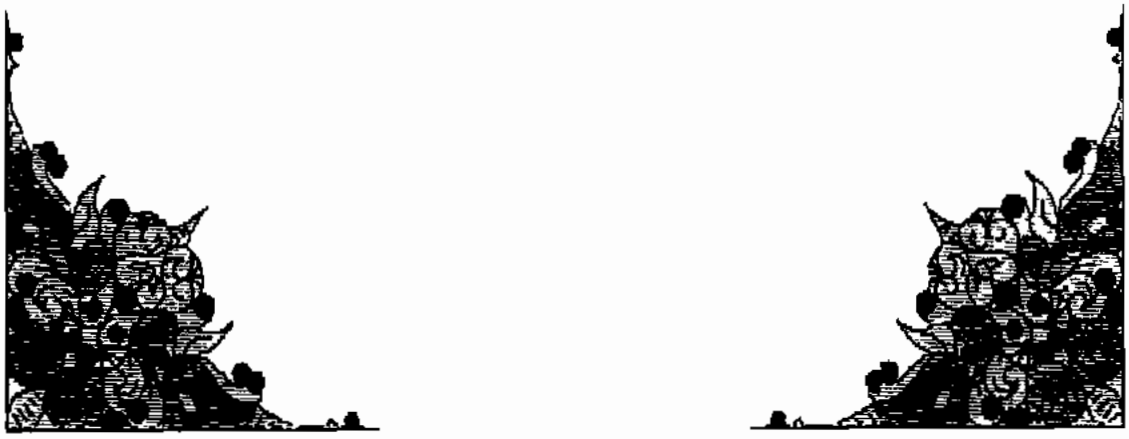

لجنة المناقشة للبحث المقدم لنيل شهادة الدكتوراه

بكلية اللغة العربية

الجامعة الإسلامية العالمية ـ إسلام آباد

تمت مناقشة البحث الذي قدمه الطالب:

حافظ محمد أسلم

رقم التسجيل: 75-FA-PHD-04

بموضوع: رثاءالمدن العربية وشبه القارة الهندية ـ الباكستانية في الشعرالعربي والأردي(قرطبة وبغدادودمشق ـ لاهور وداهي وداكا)دراسة تحليلية مقارنة

بتاريخ: 23-12-2015

أسماء أعضاء لجنة المناقشة وتوقيعاتهم

رقم	لجنة المناقشة	الاسم:	التوقيع
1	المشرف على البحث	الأستاذ الدكتورإنعام الحق غازى	
2	المناقش الداخلي	الأستاذ الدكتورمحمد على غورى	
3	المناقش الخارجي	الأستاذ الدكتورعبد الكبير محسن	
4	المناقش الخارجي	الأستاذ الدكتور نبيل الفولى	

الإهداء

إلى سيدناونبينامحمدـــ صلى الله عليه وسلم ـــ الذى هاجرمن مولده مكة المشرفة بالقلب الحزين قائلا: " والله إنك لخيرأرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ماخرجت".

وإلى أصحابه الذين ابتلوا بالأمراض الشديدة للوعتهم على وطنهم مكة المكرمة

وإلى المتشردين الذين اضطروااإلى ترك أوطانهم بسبب تلك النكبات التى تناول هذاالبحثُ دراسة شعرها

وإلى الذين بادوا في النكبات المذكورة وهلكوا فيها

وإلى الشيخ الجليل السيد محمد مظهر قيوم المشهدي ـــ نور الله مرقده ـــ الذى شجعنى على الدرسات العليا وصاحبتنى دعواته الصالحة حتى رحل إلى جوار الله تعالى

وإلى أمى التى غادرت الدنيا وهي تدعو لى بالدعوات الصالحة التى لاتأتينى من غيرها،وليتنى أكملت هذه المرحلة العلمية في حياتها.

وإلى شريكة حياتى وأولادى الذين تحملوامعى مشاق هذه المرحلة العلمية الطويلة صابرين عليها.

وإلى كل من ساعدني في طريق العلم والعرفان ماديا أو معنوياأهدى هذا الجهد المتواضع إليهم جميعا، وأسأل الله أن يتقبله مني ويجعله في ميزان حسناتي يوم الدين اللّهم آمين.

الباحث

كلمة الشكر والتقدير

أشكرالله سبحانه وتعالى الذى هدانى للإسلام ومَنَّ عَلَىَّ بالتوفيق والإحسان لكتابة هذه الأطروحة حتى خرجت في صورتها النهائية.

وأشكر الجامعة الإسلامية العالمية التى أتاحت لى فرصة الدراسة في مرحلة الدكتوراه مثلما أتاحت لى فرصة الدراسة في مرحلة الماجستير، وأسأل الله لها التقدم والازدهار ليلاً ونهاراًتحت رئاسة فخرالأماثل والأفاضل الأستاذالدكتورأحمد يوسف الدريويش معالى رئيس الجامعة، وهي فريدة في جمع أبناءالأمة الإسلامية من مشارق الأرض ومغاربها تحت راية الأخوة والمحبة.

ثم أقدم خالص شكرى وامتنانى إلى فضيلة المشرف على هذه الرسالة، سعادة الأستاذ الدكتور إنعام الحق غازى الذى تقبل الإشراف على هذاالبحث، وفتح لي أبوابه صباحاًومساءً للاسترشاد فى جميع مراحل البحث فكلما قابلتُه وجدتُه طليق الوجه، وأرشدنى خيرإرشاد وعاملنى بأحسن ما يعامل الأستاذ تلميذه خلال كتابة هذه رسالة حتى خرجتْ فى صورتهاالحالية فجزاه الله عنى خير الجزاء على ما بذل، ونصح، وأرشد لى.

ولا يفوتنى أن أقدم جزيل الشكر إلى حضرة عميد الكلية فضيلة الأستاذ الدكتور الحافظ محمد بشير عميد كلية اللغة العربية وآدابها، وأسجل جليل

الشكرلمسئول البحث والدراسات العليا بالكلية الأستاذ الفاضل الدكتور حبيب الرحمن عاصم، وأتوجه بعظيم الامتنان إلى رئيس قسم الأدبيات الأستاذ الجليل الدكتور مؤيد فاضل ورؤساءأقسام الكلية وجميع أساتذها وأعضائها.

وأتوجه بفائق الشكر إلى الشيخ السيد محمد نويد الحسن المشهدى، والأخ الفاضل الأستاذ الدكتورمحمد ظفر إقبال وجميع من له مساهمة ومساعدة في تحقيق هذا العمل المتواضع والجهد الصغير.فجزاهم الله عنى أحسن الجزاء في الدارين.

الباحث

المقدمة

وفيه:

تعريف الموضوع وتحديده

أهمية الموضوع

أسباب اختيار الموضوع

أسئلة البحث

أهداف البحث

الدراسات السابقة

منهج البحث

خطة البحث

المقدمة

الحمد لله الذي يرث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، وأبدع الخلق بمقتضي جوده، ويفنيه بإرادة حكمه، وقدر للمخلوقات الفناء، واستأثر لنفسه بالبقاء، ويداول الأيام بين الناس، ووضع حب الوطن والحنين إليه في قلوب الناس، وأصلي وأسلم على سيد الإنس والجان الذي نطق بحب الوطن من الإيمان"[1] وجاهد حق جهاده لإحقاق الحق، وإنهاء الطغيان، وعلى آله وأصحابه الذين هاجروا الأوطان طمعا في الجنان، وحصولا على رضي الرحمن.

وبعد!

فإن الأدبالمقارن يتناول المقارنات بين اللغات والآداب من ناحية أوعدة نواح، وهذه المقارنة لها فوائد كثيرة ومن أهمها المساعدة في تأكيد التقارب بين اللغتين أو الأدبين و توثيقه الذى يتسبب فى التقارب بين أصحابهما،وهويهدف إلى كشف المعانى

---

[1] - قال الصغانى : موضوع . وقال السخاوى فى المقاصد : لم أقف عيه ومعناه صحيح . نظراً إلى قوله تعالى حكاية عن المؤمنين (ومَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا سورة البقرة آية 246) انظر الموقع www.ahlalhdeeth.com
http://www.islamweb.netDec.24, 2002،›

والأساليب المشتركة بين اللغتين أوالأدبين كما يظهر الفروق بينهما،لذلك اخترت موضوع رسالتى فى هذا النوع من الأدب حيث كان الموضوع:

رثاء المدن العربية وشبه القارة الهندية-الباكستانية في الشعر العربي والأردي

(قرطبة وبغداد ودمشق-لاهور ودلهي و داكا)

دراسة تحليلية مقارنة

فأرجوأن تكون هذه الدراسة من المباحث المفيدة في مجال دراسات الأدب المقارن عامة، وفي المقارنة بين الأدبين العربي والأردي خاصة.

وأقوم فيما يلى بتعريف بالموضوع وتحديد جوانبه، وأهم الدواعى التي دفعتنى إلى اختياره، وأهميته، وأهدافه مع بيان إشكالية البحث وخطته.

تعريف الموضوع وتحديد الدراسة:

تتناول هذه الدراسةُ المقارنةُ والتحليليةُ المادةَ الشعريةَ التي تتوافرفي موضوع رثاء المدن في اللغتين العربية والأردية وبالتالي تأخذ الصياغة التالية :

المدن الستة المختارة :

اخترت للدراسة ست مدن: ثلاثا من المدن العربية وهي قرطبة، وبغداد، ودمشق، وثلاثا من مدنشبه القارة الهندية الباكستانية وهي دهلي، ولاهور، وداكا.وهذه المدن لها أهمية كبيرة وقد مرت بالأزمات والنكبات العظيمة فى العصور المختلفة، وكانت مركز الحضارة ومعهد الثقافة وبيت العلوم والفنون.

ويركزهذا البحث على دراسة المادة الشعرية التى قيلت عن الحوادث التى سيطرت على المدن المذكورة من قِبَل أعداءالإسلام والمسلمين(اليهود والنصارى والهنود وغيرهم) بسبب هجماتهم المباشرة أومؤامراتهم مثل الحوادث التي حصلت خلال سقوط قرطبة فى القرن الخامس الهجري بأيدى البربرالذين تم بها القضاء الكامل على خلافة بنى أمية بمساعدة النصارى.

ويتعرض البحث لهجمات التتار والمغول على بغدادو دمشق التى اهتزت بها أسس الدول الإسلامية.

وأما بالنسبة للمدن غير العربية فمنها "لاهور" وهي ابتليت بغارات السيخ وتمرداتهم عليها وعلى أهلها.

وأذكربصدد ذلك الفساد الذى حدث فى مدينة دلهى عند الاحتلال البريطانى سنة 1857م حيث صارت هذه المدينة مذبحة لسكانها. ويليها ما جرى فى مدينة داكا

من القتل والفساد عند سقوطها سنة 1971م بمؤامرات القُوَى المعادية للإسلام بالإضافة إلى بعض الأسباب المادية والجغرافية وعدم الاعتناء بأمور البنغال من ناحية الحكام وولاة الأمر.

ويدورالبحث حول شعرالشعراء الذين عاصروا هذه الأزمات وشاهدوهاكى يمكن تحديد الموضوع بالسهولة.

الشعراء الذين تمت دراسة شعرهم فى هذا البحث

قد تم اختيارالشعراء بالمعايير التالية :

1. المعاصرة
2. الكثرة
3. الجودة

وقداخترت شاعراً واحداً لكل مدينة من المدن المختارة إلا مدينة دمشق لأني ماوجدتُ لـــعلى بن عبدالله الغزولى البهائى الدمشقى المعاصر للنكبة المختارة وهى نكبة تيمور لنك التى حدثت 803هـــ غير قصيدته النونية فضممتُ إليه أباالحسن علاءالدين على الأوتارى الدمشقى لقرب عصره من

هذه النكبة، وكذلك اخترت قصيدين فقط من بين القصائد التي قيلت في تلك النكبات وفيما يلي عرض لهؤلاء الشعراء:

أولاً: شعراء رثاء المدن العربية

فى رثاء قرطبة[1]

اخترت للدراسة نكبة قرطبة بسبب هجوم البربرعليها 422هـ وبغيهم ضدالخلافة الأموية. ومن أجود الشعراء الذين أبدعوا القصائد فى هذه الحادثة الأليمة أبوعامرأحمد بن مروان عبدالملك بن شُهيد (ت426هـ)، فقمتُ بدراسة شعره فى هذه النكبة الذى يتمثل في قصيدة وقطعة فى رثاء مدينته الجميلة وعددأبياتهما 33 بيتاً.

1- قرطبة: هى مدينة عظيمة بالأندلس تقع على نهر الوادى الكبير، وهى وسط بلادها، ومعدن الفضلاء ومنبع النبلاء وكانت سريراً لملكها، وبها كانت ملوك بنى أمية وأسسها القرطاجيون فيما يُعتقد، وخضعت لحكم الرومان والقوط الغربيين، وقام بفتحها القائد الإسلامي الشهير طارق بن زياد وذلك سنة 93 هـ 711م ومنذ ذلك العهد بدأت مدينة قرطبة تخط لنفسها خطاًجديداً فى تاريخ الحضارة فبدأ نجمها فى الصعود كمدينة حضارية عالمية خاصة فى عام 138هـ عندما أسس عبد الرحمن الداخل صقر قريش الدولة الأموية فى الأندلس، وفى عهد عبد الرحمن الناصر - أول خليفة أموى فى الأندلس ومن بعده ابنه الحكم المستنصر، بلغت قرطبة أوج ازدهارها وقمة حضارتها، لاسيما أنه اتخذها عاصمة لدولته الفتية حتى أطلق عليها الأوربيون: "جوهرة العالم". انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموى،1397هـ 1977م، دار صادر، بيروت، ص: 4/ 324- 325.

ذيرثاء بغداد[1]

اخترت للدراسة نكبة سقوط بغداد على يد التتر سنة (656 هـ، 1258م) لكونها أشد النكبات وأحزنها فى تاريخ الإسلام. ومن أشهر الشعراء الذين قالوا الشعر فى هذه الحادثة الكارثة وعاصروها وشاهدوها هو الشيخ شمس الدين محمودبن أحمدبن عبد الله الكوفى(623 ـ 675هـ)، وله قصيدتان فى رثاء بغداد، أولاهما الميمية وهى تتضمن 24 بيتاًوثانيتهما النونية وهي تحتوى على 27 بيتاً من الشعر ومجموعهما 51 بيتاً من الشعر.

1- بغداد:هى مدينةحضارية ذات مكانة مرموقة فى تاريخ الإسلام وهناك آراء متنوعة فى تركيب اسمها ومعناه ومن أشهرها: أنها مركب من باغ أى بستان وداد اسم رجل فمعناها بستان ذلك الرجل، وقيل بغ اسم للصنم، وداد صيغة الماضى من الكلمة الفارسية دادن أى أعطى. وأول من مصّرها وجعلها مدينة هو المنصور بالله أبو جعفر عبد الله بن محمدبن على بن عبد الله بن عباس ثانى الخلفاء العباسيين، وشرع فى عمارتها سنة 145هـ ونزل بها سنة 149 هـ. وظلت عاصمة الدولة العباسية. وقيلهى جنة الأرض، ومدينة السلام، وقبة الإسلام، مجمع الرافدين وغرة البلاد ومعدن الظرائف واللطائف وما إلى ذلك. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموى، ص: 1/ 456-467.

في رثاء دمشق[1]

واخترت هنا نكبة دمار دمشق (803هـ) بسبب الهجمات التيمورية.

ومن الشعراء الذين أبدعوا القصائد فى رثائها :

1. على بن عبد الله الغزولى البهائى الدمشقى (ت/815هـ-1412م)،وله قصيدة فى رثاء دمشق وأهلها وتحتوى على 20 بيتاً من الشعر.
2. أبو الحسن علاء الدين علىالأوتارى الدمشقى (ت/987م) وله قصيدة طويلة تشتمل على48 بيتاً من الشعر.

ثانياً: شعراء رثاء مدن شبه القارة الهندية ـــ الباكستانية.

---

1 -دمشق: هي مدينة قديمة جداً، وقيل أول من بناها بيوراسف، وقيل بُنِيَتْ على رأس ثلاثة آلاف ومائة وخمس وأربعين سنة من جملة الدهر، وولد إبراهيم الخليل - عليه السلام - بعد بنائها بخمس سنين، وقيل بناها جيرون بن سعد بن عاد بن إرم بن سام بن نوح - عليه السلام - وسماها إرم ذات العماد. وهى جنة الأرض بلا خلاف لحسن عمارتها، ونضارة بقعتها، وكثرة فاكهتها، ونزاهة رقعتها وكثرة مياهها ووجودة مآربها. وحكمت عليها الأسرالمختلفة الكثيرة إلى أن فتحها المسلمون على يد سيدناخالد بن الوليد وسيدنا أبى عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما سنة 15 هـ/636 م فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان الأمير الأول من المسلمين يزيد بن أبى سفيان الذى استولاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وهى منذ الفتح إلى الآن تحت حكم المسلمين، ولهاتاريخ كبير من حيث الحوادث والوقائع ومنها الحادثة التيمورية التي تناول هذاالبحث دراسة شعرها. انظر: دائرة المعارف الإسلاميةالأردية الطبعة الأولى1405 هـ 1985م، ص: 397/9 - 427. ومعجم البلدان، لياقوت الحموى، ص: 463/2-470.

فی رثاء دلهی[1]

اخترت الاحتلال البريطانی علی شبه القارة الهندية سنة 1857م. ومن أجود الشعراء الذين عاصروا هذه النكبة : مرزا نواب خان المعروف بداغ الدهلوی (ت/ 1905م) وله قصيدتان فی رثاء دلهی علی دمارها بسبب الاحتلال البريطانی سنة 1857 م، وإحداهما فی شكل "المسمط"[2] وثانيهما فی شكل" المثنوی"[3] ومجموعها 120بيتاً من الشعر.

1- دلهی مدينة الهند قديمة، وهی من اكبر مدن الهند ومشهورة تقع علی الجانب الغربی من بحر" جَمْنَا" وظلت عاصمة الدولة الإسلامية الهندية منذ الفتح سنة 608هـ 1211م إلی أن عزل بهادر شاه ظفر عن الملك سنة 1858م باستثناء بعض العصورالقصيرة، وهی مليئة بآثارالحضارة الإسلامية من المساجد والمآذن والقلاع ومماإلی ذلك، ولها تاريخ ذهبی فی نشرالعلوم والفنون حتی الآن. انظر دائرة المعارف الإسلاميةالأردية، ص: 9/492- 508.

2- المسمط: نوع من النظم المسمط يشتمل كل مقطوعة منه علی ستة أشطر، وتتحد فيه القافية فی الأشطر الستة الأولی ، أما فی المقطوعات المتلاحقة فيكون للأ شطر الخمسة الأولی من كل مسمط منها قافية خاصة وتتفق قافية الشطر السادس مع الأشطر المقطوعة الأولی.موسوعة العروض والقافية إعداد الأستاذ " سعد بن عبد الله الواصل،انظر الموقع:www.elibrary4arab.com/ebooks/arabic/arood.../hur.ht، 2015/02/09

3 – المثنوی : منسوب إلی المثنی ، نوع من القصيدة الذی يستقل كل بيت منه بقافية مختصة مع اتحادها فی كل من شطريه . فن الشعر وأصل البلاغة الأستاذ حميد الله شاه، مكتبه دانيال السكة الغزنية سوق اردو لاهور ص: 199.

في رثاء لاهور[1]

وفيما يتعلق بلاهور اخترت هجمات السيخ عليها وإفسادها فى العقد الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي ومن أشهرالشعراء الذين قالوا الشعرفيها: سيد مراد حسين شاه (1184ـــ1215هـ، 1770م ـــ 1800م) وله قصيدتان اشتهرت إحداهما بـ " مگس نامہ" أي رسالة الذباب وهي تتضمن 67 بيتا، وثانيتهمابـ " موش نامه " أى رسالة الفئران وهي تتضمن 62 بيتا، ومجموعهما 129 بيتا.

فى رثاءداكا:[2]

واخترت للدراسة الشاعر البنغالي ظهور الحق أديب سهيل، لكونه من سكان دهاكه ولأنه مشاهد ومصاب بهذه الحادثة الأليمة مباشرة وهو حي يرزق حتى الآن في كراتشي.وقد تناول هذالبحث قصيدتيه: "میراشہر" (مدينتى) و "طوفان نوح" (سيل نوح

1- لاهور: هى مدينة كبيرة من اكبر المدن الباكستانية، وعاصمة إقليم بنجاب، وهى مدينة الثقافة والحضارة تقع على يسار بحر الراوي، وفيها مدارس وجامعات وبهاتوجد متذنة باكستان والمسجد والقلعة الملكيين وهما من آثارعهد ملوك المغول. وانظردائرة المعارف الإسلاميةالأردية،ص: 1/18- 62.

2- داكا هى عاصمة الدولة البنغالية وهى من مدن شبه القارة الهندية الكبيرة ، وازدهرت فيهاالعلوم والفنون ولها مكانة مرموقة فى التاريخ،وبهاآثارقديمة متوفرة من القلاع والمساجد وغيرها. واشتهرت بصناعة الحرير الخاص المسمى بـــالململ، وظلت العاصمة في كثير من العصور وخاصة بعد تقسيم الهند وقيام الدولة الباكستانية فى14أغسطس 1947م كانت وعاصمة باكستان الشرقى.انظر دائرة المعارف الإسلاميةالأردية ص: 5/10-7.

عليه السلام) من ديوانه "بکھراؤکاحرف آخر"(غاية التشتت الذي تضمن عشرات من قصائد الرثاء حول نكبة سقوط دهاكه.

أهمية الموضوع:

ألخص أهمية هذاالموضوع في النقاط التالية :

1. سوف تؤدي هذه الدراسة إلى تعرف القارئ على النظريات والأساليب الأدبية الخاصة بالأدبين العربي و الأردي لاسيما في الموضوع المذكور.
2. سيكشف هذا العمل مواطن التشابه والاختلاف في الأساليب والفنون المتصلة بشعر رثاء المدن العربي والأردي.
3. يرى غالبية الباحثين الذين تناولواهذه الناحيةمن الأدب بالدراسة والتحليل أن هذاالشعريمثل الجانب السلبي فقط في حياة الأمة عبرالقرون وهذا البحث سيوضح، بإذن اللهبأن له جوانب إيجابية أكثرمن جوانبه السلبية.
4. يتحدث هذا البحث عن أسباب وقوع المدن الإسلامية في أيدي أعداء الإسلام والمسلمين . وأهم الأسباب هوالافتراق والخلافات الداخلية

والتقلبات السياسية حتى وصلت إلى تقسيمها وهجرة سكانها منها وما إلى ذلك.

5. سيكشف هذا البحث،بإذن الله،بعض الأحداث التاريخية المهمة وبعض الألوان الثقافية التي لاتتحدث عنها أمهات الكتب التاريخية والأدبية.

أسباب اختيار الموضوع:

- قلة الدراسات المقارنة في هذا الموضوع.
- الكشف عن الأساليب الفنية التي تبنّاها الشعراء العرب وشعراء اللغة الأردية في التعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم حول ضياع المدن الإسلامية.
- يوفرهذا الموضوع فرص الاعتبار بحال الأمة فيحقبة من الزمن الماضي كمأأنه يوفر فرص الاعتبار لما تمرّ به الأمة في العصرالحاضر من أزمات.

أسئلة البحث:

- هل عبر الشعراء عواطفهم وأحاسيسهم بالصور الملائمة مع الموقف والمكان؟

- كيف عبر الشعراء عن عواطفهم تجاه المدن المدمرة وأصحابها؟
- ما الجوانب الإنسانية والاجتماعية التى تناولها شعر الرثاء الذى قيل للمدن المنكوبة المختارة؟
- ما أهداف الشعراء في رثاء المدن؟
- ماالأسباب التي أدت إلي التشابه أوالاختلاف بين الشعراء في الأدبين؟
- ما مدي التأثروالتأثير بين شعراء هذين الأدبين العربي والأردي في الموضوع المذكور؟
- ماصورة العدوالغازي في شعر رثاء المدن العربي والأردي؟
- هل بحث شعر رثاء المدن عن النماذج المقدمة في أسباب سقوط هذه المدن؟

أهداف البحث:

سأركز في دراستي على الأهداف التالية بإذن الله تعالى:

(1) البحث التحليلي عن الأغراض وراء القصائد التي قيلت في رثاء المدن.

(2) دراسة الجوانب الإيجابية والسلبية لشعر رثاء المدن في الأدبين.

(3) استخراج الدروس والعبرخلالدراسة وتحقيق هذاالشعرفي ضوءازدهار الأمة الإسلامية وسقوطها.

(4) الدراسة العلمية لظواهرالتشابهوالاختلاف في شتى الجوانب لهذا النوع من الشعر في اللغتين.

الدراسات السابقة:

الدراسات السابقة التي عثرت عليهامنهامايتعلق بالموضوع بصفة مباشرة، ومنها ما يتعلق بالموضوع بصفة غير مباشرة،وهي كالآتى:

- " رثاء المدن والممالك فى الشعر العربى والأردى – دراسة أدبية مقارنة"

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه لطالب هندى مسلم ألطاف أحمد قدمها فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ونوقشت هذه الرسالة على 25/6/ 2013.[1]

[1] وقد حاولت أن أعثر على محتويات هذه الرساة العلمية ولكن لم أتمكن من الحصول عليها إلا ما ذكرته. الباحث

- " رثاء المدن والممالك بين بغداد والأندلس – دراسة مقارنة " كتاب لـــ مريم عبدالله إبراهيم الهاشمي ، واهتمت بطبعها كلية الدراسات الإسلامية والعربية بـــ: دبئى 1433هـــ / 2012م .[1]
- " رثاء المدن بين سقوط الأندلس، وأحداث الثلاثاء الأسود"(دراسة جمالية) (بحث وجيز) دراسة مقارنة في رثاء المدن الأندلسية ورثاءالبرجين الشهيرين للتجارة العالمية في نيويورك ودمرا فيحادثة الحادي عشر من ستمبر من عام 2001م للأستاذة جغام ليلي بقسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ــ جامعة محمد خيضرــ بسكرة (الجزائر) وطبع هذا البحث في العدد الرابع من مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ــ جامعة محمد خيضرــ بسكرة (الجزائر) 2009م.[2]
- " شعر التعازي والقبورفي الأندلس" (المحاور والسمات الفنية) رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا ــ جامعة أم القرى.

---

[1] وهو دراسة قاصرة على المقارنة بين قصيدة الشيخ سعدى الشيرازى المتوفى سنة 700هـــ وقصيدة أبى البقاء الرندى المتوفى سنة 684هـــ. انظر www.iacollege.ae

[2] وقد تناول هذا البحث المقارنة بين قصيدة أبى البقاء الرندى و بعض القصائد التى قيلت فى لرثاء أحداث الثلثاء الأسود أى حادثة الحادى عئر من ستمبر سنة 2001م.
انظر univ_biskra.dz/fll1

قدّمها أنور يعقوب زمان بإشراف أ.د. مصطفي حسين عناية سنة 1431/1431هـ[1]

- رثاء المدن باللغة الأردية "اردو میں شہرآشوب"بحث مكتوبلمستوى ماجستير الفلسفة، في مدينة ناجبور(ناگپور) في الهند والباحث هو سعدالله خان.
- رثاء المدن باللغة الأردية "اردو میں شہرآشوب" سجلت هذه الأطروحة، لمستوى الدكتوراه في عام 1975في جامعة كراتشي والباحث هوسيد قمقامحسينالجفرى. ويمكنالعثورعلي تفاصيل الرسالتين الأخيرتين في التقرير المطبوع من قبل هيئة التعليم العالى (HEC).[2]

منهج البحث:

تقتضي طبيعة هذه الدراسة الجمع بين المنهجين التاليين:

1- قد تناول الباحث فى رسالته هذه الشعر الذى يقوله الشاعر تعزية لآخر ملك أو أمير أو زوج أو أية شخصية أخرى وكذلك الشعر الذى أنشده الشعراء أمام القبور أو تمثلوا به وقت مرورهم أمامها أو الشعر الذى نظموه وأوصوا أن يكتب على قبورهم بعد وفاتهم . انظر موقع www.pdffactory.com. 03/11/ 2013م .

2-وهاتان الدراستان وصفيتان فحسب ليس هناك أى مقارنة بين النصوص الشعرية ، أما النصوص الشعرية التى اخترناها لم يتناولها أى دراسة أخرى بهذا التحليل والإحاطة، فهرس الرسائل العلمية المقدمة لشهادات الماجستير والدكتوراه في شتى الجامعات، رفيع الدين الهاشمي، الطبعة الأولى 2008م،هيئة التعليم العالي (HEC)، ص: 93.

أولاً: المنهج التحليلي القائم على تحليل الأسلوب، وشكل القصيدة والمضمون مع بيان أسباب النكبات وتوضيح الاقتباس والتضمين والتكرار، وإظهار أهم الخصائص الفنية للقصائد.

ثانياً: المنهج المقارن الذي يقوم على استخراج مواطن التشابه بين الأدبين ومواطن الاختلاف بينهما كذلك مع رؤيتهما في ميزان النقد.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن ينقسم إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب:

المقدمة : أما المقدمة ففيها:

- أهمية الموضوع
- أسباب اختيار الموضوع
- أسئلة البحث
- أهداف البحث
- الدراسات السابقة
- منهج البحث
- خطة البحث

التمهيد:

- منزلة الوطن في الشعرين العربي والأردي
- فن رثاء المدن في الشعرين العربي والأردي (نظرة تاريخية عابرة)
- نبذة عن حياة الشعراء المختارين في الأدبين مع التركيز على البيئة الاجتماعية التي عاشوافيها.

الباب الأول: رثاء المدن العربية

وفيه مدخل وثلاثة فصول:

المدخل: نكبات المدن العربية وأسبابها.

الفصل الأول: عرض تحليلي لقصائد رثاء المدن العربية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في رثاء قرطبة

المبحث الثاني: في رثاء بغداد

المبحث الثالث: في رثاء دمشق

الفصل الثاني: البناء الفني لقصائد رثاء المدن العربية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: دراسة شكل قصائد الرثاء:

- مطالع القصائد
- الأسلوب
- الخواتيم

المبحث الثاني: دراسة موسيقى القصائد:

- الأوزان
- القوافي
- الروي

الفصل الثالث: الخصائص الفنية لقصائد رثاء المدن العربية وفيه مبحثان :

المبحث الأول: الفنون البلاغية وفيه مطلبان

المطلب الأول: الفنون التي تتعلق بعلم المعاني

المطلب الثاني: الفنون التي تتعلق بعلم البديع

المبحث الثاني: الصور الفنية وفيه مدخل ومطلبان

المدخل: مفهوم الصورة،وأهميتها،ومصادرها وماإلى ذلك

المطلب الأول:الصورة الجزئية

المطلب الثاني: الصورة الكلية

الباب الثاني: رثاء مدن شبه القارة الهندية ـ الباكستانية

وفيه مدخل وثلاثة فصول:

المدخل: نكبات مدن شبه القارة الهندية ـــــ الباكستانية،وأسبابها

الفصل الأول: عرض تحليلي لقصائد رثاء مدن شبه القارة الهندية ـ الباكستانية

وفيهثلاثة مباحث

المبحث الأول: في رثاء لاهور

المبحث الثاني: في رثاء دهلي

المبحث الثالث:في رثاء دهاكه

الفصل الثاني: البناء الفني لقصائد رثاء مدن شبه القارة الهندية ـ الباكستانية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: دراسة شكل قصائد الرثاء

- مطالع القصائد
- الأسلوب
- الخواتيم

المبحث الثاني: دراسة موسيقى القصائد:

- الأوزان
- القوافي
- الروي

الفصل الثالث: الخصائص الفنية لقصائد رثاء مدن شبه القارة الهندية الباكستانية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الفنون البلاغية وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الفنون التي تتعلق بالمعاني

المطلب الثاني: الفنون التي تتعلق بالبديع

المبحث الثاني: الصور الفنية من حيث الكلية والجزئية

وفيه مدخل ومطلبان:

المدخل: مصادر الصورة الفنية في شعر رثاء المدن الأردية

المطلب الأول: الصور ة الجزئية

المطلب الثاني: الصورة الكلية

الباب الثالث: دراسة مقارنة بين الشعرين العربي والأردي

وفيه مدخل وفصلان:

المدخل: الشعرالعربي والأردي في رثاء المدن بين التأثروالتأثير

الفصل الأول: مواطن التشابه بين الشعرين

المبحث الأول: أسباب التشابه بين الشعرين

المحبث الثاني: تشابه المعاني

المبحث الثالث: تشابه الصور

الفصل الثاني: مواطن الاختلاف بين الشعرين، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: أسباب الاختلاف بين الشعرين

المبحث الثاني: المعاني التي ركزعليها شعراء اللغة العربية

المبحث الثالث: المعاني التي ركزعليها شعراء اللغة الأردية

المبحث الرابع: الصور التي ركزعليها شعراء اللغة العربية

المبحث الخامس:الصور التي ركزعليها شعراء اللغة الأردية

الخاتمة : أهم نتائج البحث والتوصيات

التمهيد

وفيه

أ- منزلة الوطن في الشعرين العربي والأردي

ب- فن رثاء المدن في الأدبين العربي والأردي

ج - نبذة عن شعراء الأدبين المختارين للدراسة

أ ـ منزلة الوطن في الشعرين العربي والأردي

لا شك في أن الله سبحانه وتعالى قد وضع في قلب البشر مجموعة من العواطف تؤثرفى تعامله مع الأشياء المحيطة به، وتأتي على رأس هذه العواطف البشرية عاطفتان مهمتان هما: عاطفة الحب وعاطفة الكره، فإذا كانت علاقة الإنسان الانفعالية الناتجة عن الميل إلى شيء ما تكون لديه عاطفة الحب، وإن لم يكن كذلك، فتوجد عنده عاطفة الكره فإذا كان الأمر كذلك فلاشيء أقرب وأحب إلى نفس الإنسان من وطنه الذي تربى فيه وشرب ماءه وتنفس في هواه حتى أصبح جزأ منه فلايمكن أن يستغني عنه أويفارقه بسهولة.

وأذكرفيما يلىبعض المظاهرلعاطفة حب الوطن من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأقوال الصحابة.

وقد بيّن الله سبحانه وتعالى قدر حب البشر لوطنهم والحنين إليه بأحسن أسلوب:

1. **قرن مغادرة الإنسان لوطنهبمفارقة الروح للجسد:** كما في قوله:"وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ..."(1)فقد

1– سورة النساء، 66.

جمع الله سبحانه وتعالى بين الخروج من الديار ومفارقتها وقتل النفس ومفارقة الروح للجسد،فلا شيء هناك أشد ألماً للإنسان من قتل نفسه.فثبت من سياق النص القرآني أن مفارقة الديارو الأوطان تشبه مفارقة الروح للجسد في المشقة والتأذي.[1]

2. **قرن المساكن بأحب الأشياء الدنيوية إلى الإنسان:** وعندما ذكر الله سبحانه وتعالى كل ما يحبه الإنسان وما يتعلق به في هذه الحياة الدنيوية من الآباء والأبناءو الأقارب والعشيرة والأموال والتجارة عطف عليها المساكن التي هي جزء من الوطن الكبير وذلكفي قوله تعالى:"قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا..."[2]

فيفهم من قران الله سبحانه وتعالى في الآية المذكورة أن حب المساكن ليس بأقل من حب الآباء والأبناء وغيرهم.

1- وقدأيّد بعض المفسرين هذا المعنى حيث يقول: يسوّي الحق تعالى بين الأمر بقتل النفس والأمر بالإخراج من الديار، فالقتل خروج الروح من الجسد بقوة قسرية غير الموت الطبيعي، والإخراج من الديار هو الترحيل القسري بقوة قسرية خارج الأرض التى يعيش فيها الإنسان، إذن فعملية القتل قرينة لعملية الإخراج من الديار فساعة يُقتل الإنسان فهو يتألم، وساعة يخرج من وطنه فهو يتألم، وكلاهما شاق على الإنسان، ويأتي الحق بهذين الحكمين اللذين سبقا فى قوم موسى عليه السلام. انظر خواطري حول القرآن الكريم، لـمحمد المتولي الشعراوي،1991م، أخبار اليوم،ص: 345/2.

2- التوبة، 24.

3. جمع بين مفارقة الديار والأبناء: كما في قصة الملأ من بني إسرائيل إذ قالوا لنبي لهم أشمويل من بني هارون واسمه بالعربية إسماعيل على قول الأكثرين[1] حينما غلب عليهم عدولهم: ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله فأجابهم نبيهم: هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لاتقاتلوا فأجابه القوم: "وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا"[2].وقد جمع في قولهم المحكي عنهم في القرآن الكريم بين الإخراج من الديارو المفارقة عن الأبناء حتى قدّموا الديار على الأبناء فيتضح منه أن حب الديارعندهم كحبهمللأبناء بل أشد منه.

ويذكرالقرآن الكريم لوعة النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لمكة مولده ومنشيءه في قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ"[3] وقال سيدناعبدالله بن عباس رضي الله عنهما في شرح معنى:"لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ" أي لرادك إلى مكة، كماأخرجك منها.[4] فيلاحظ منه شدة حنينه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ

1- مفاتيح الغيب لـــفخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي، الطبعة السادسة 1401هـــ/1981 م دار الفكرالعربي بيروت، في تفسير الآية :246، سورة البقرة ص: 402/2.

2- سورة البقرة، 246.

3- القصص 85.

4- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لعبد الرحمن السخاوي، الطبعة الخامسة 1965م، دار الكتاب العربي، 298/1، جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي

إلي وطنه الأول وهومكة المكرمة وتسلية الله له حتى حقق الله وعده ورده إليهابعد ثماني سنوات فاتحاً لها ولأهلها. فهذه النصوص وأمثالها تدل على حب الديار والوطن ومكانتها.

وكذلك نجد كثيراً من الأحاديث التي تصرح بحب النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لوطنه والشوق إليه، ومنها ما روى:

1: عن عبد الله بن عدي بن الحمراء قال: رأيت رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ واقفا على الحزورة فقال: "والله! إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخْرِجْتُ منك مَا خَرَجْتُ".[1]

2: عن ابن عباس قال رسول الله ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــ لمكة : ما أطيبك من بلد أحبك إليّ ولولا إن قومى أخرجونى منك ما سكنت غيرك.[2]

2: وعن عائشة أم المؤمنين قالت دعا رسول الله ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ بقوله: " اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد منه" وكذلك

جعفر محمد بن جرير الطبرى، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى 1420هـ/2000م، مؤسسة الرسالة، ص: 641/19.

1- جامع ترمذى ، محمد بن عيسى الترمذى ، مكتبة رحمانية لاهور ، باب فضل مكة ،رقم الحديث 3892، ص711.

2ـــ المرجع السابق ، رقم الحديث 3893

دعا على الذين تسببوا في مفارقته وطنه بإيذائهم له ولمتبعيه حتى هاجر منه وتركه بقوله: " اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء ".[1]

3: وعن عائشة قدم أُصيل الغفاري على رسول الله ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ من مكة قبل أن يضرب الحجاب، فقالت له عائشة : كيف تركت مكة ؟ قال اخضرت جناتها، وابيضت بطحاؤها، وأغدق إِذْخَرها، وانتشر سلمها، فقال عليه السلام: حسبك يا أصيل! لا تحزني، وفي رواية : وَيْهأياأصيل! تدع القلوب تقر.[2] وفي رواية : فَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللّهِ ـــــ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ـــــ وَقَالَ: " حسبك يَا أُصَيْلُ لاتُحزِنَّا!"[3]

ولماهاجر المسلمون من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة أصابت كثيرا منهم الحمى الشديدة لمفارقتهم الوطن فكانوا يرددون على ألسنتهم الأبيات والأشعار التي

1- الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، الطبعة الثالثة1407هـ/ 1987م، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، رقم الحديث: 1790، ص: 667/2.

2- مسند أحمد بن حنبل، الطبعة الثانية: 1420هـ/1999م، مؤسسة الرسالة، رقم الحديث 24405، ص: 432/4.

3- الإصابة في تمييز الصحابة،أحمد بن على بن حجر العسقلانى، تحقيق :علي بن محمد البجاوي، الطبعة الأولى 1412هـ دار الجبل – بيروت، ص:92/1.

تتضمن أسماء الأماكن والجبال والأسواق حتى أنواع العلوف والحشيش الموجودة في مكة المشرفة التي تدل على ذكرياتهم فى مكة وحنينهم إليها كما روي عن عائشة أم المؤمنين ـــــ رضي الله عنهاـــــ قالت: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اشتكى أصحابه واشتكى أبوبكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكروبلال فاستأذنت عائشة النبي ـــــ صلى الله عليه و سلم ـــــ في عيادتهم فأذن لها فقالت لأبي بكر: كيف تجدك؟ فقال:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَن لَيْلَة بِوَادِي الْخُزَامَي حَيْثُ رَبَتْنِي أَهْلِي

لِكُلِّ امْـرِئٍ مُصَبَّحٌ فِيْ أَهْلِه وَالْمَـوْتُ أَدْنى مِنْ شِـرَاكِ نَعْلِه

وسألت عامراعن حاله فأجابني بقوله:

إِنِّيْ وَجَدتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوقِـه إِنَّ الْجَبَانَ حَتْفُه مِنْ فَـوقِـه

كُلُّ امْرِئٍ مُجَاهِدٌ بِطَـوقِـــهِ كَالثَّوْرِ يَحْمِي جِلْـدَهُ بِـرَوقِـــهِ

وسألت بلالاً فأجابني بالشعر:

ألا لَيْتَ شِعْرِيْ هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَـةً بِفَجٍّ وَحَوْلِـيْ إِذْخَـرٌ وَجَلِـــيْلُ[1]

وهَل أَرِدَنْ يوماً مِيَاهَ مِجَـنَّـةٍ وَهَلْ تَبْدُوَنْ لِـيْ شَامَـةٌ وَطَفِيْـلُ[1]

1- المرجع السابق، ص: 92/1.

فأجابوهابالأرجاز التي تدل على شوقهم وحنينهم إلى وطنهم وذلك الحنين والحزن كان سبب مرضهم.

منزلة الوطن في الشعر العربي:

العرب القدماء أمة فصيحة سمت نفسها بالعرب لطلاقة لسانهم وقدرة كلامهم وملكتهم على تبيان ما في صدورهم بأحسن أسلوب وشتى الطرق، لذلك يسمون غيرهم بالعجم كأن كلامهم ليس كلاما بل هو أصوات محضة مثل أصوات الحيوانات،وهم قوم تميزوا برهافة الحس ودقة العقل وتدفق العاطفة، فَنُقِلَ عنهم الحب الشديد للوطن والحنين إليه في أحوال البعد والفراقعنه.

والشاعر أشدهم حبا للوطن وأكبرهم تدفقا للعاطفة وأكثرهم شوقا وحنينا إليه سواء كان بدويا أوحضريا فكيف لا يبكي على ترك وطنه والنزوح عن داره وكيف لا تزدحم في نفسه أمواج الشوق والحنين والحزن. ولذلك نلاحظ أن هناك فرقاً كبيراً بين بكاء الشاعر وغيره؛فعندما يبكى غير الشاعر على وطنه ويسكب الدموع عليه يجد الراحة بالبكاءعلى مصائبه ويلتئم ما أصابته الجروح فينسي كل ما أصابه بعد

1- الأزمنة والأمكنة، أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ص: 189/1، وزهر الأكم في الأمثال والحكم،الحسن بن مسعود بن محمد اليوسى، الطبعة الأولى 1401هـ/1981م، دارالثقافة، الدار البيضاء المغرب، ص: 153/1.

حين من الدهر. وأما الشاعر فهو لا يسكب الدموع كغيره بل ينقل به إلى عمل فني صادق ينبع من أعماق وجدانه فتحس حرارته حين تسمعه أو حين تقرأه وإن مضت عليه مئات من السنين.

وقد مرت العصور الطويلة فى القدم التى لم يكن فيها للقبائل العربية ما يمكن أن نطلق عليه وطنا بمعنى السكن الدائم أو الإقامة المستقلة، لأن العرب البدو ـــــ كما هو معلوم ـــــ كانوا رحالين ينتقلون هنا وهناك في مواطن عديدة سعياً وراء الماء والكلأ ولكن لما كانوا يمضون في بعض الأماكن حقبة من الزمن يكون ذلك المكان وطنهم ثم إذا اضطروا إلى الرحيل عنه وقد خلفوا فيه ذكريات خالدة وأياما جميلة.أثارهذا الرحيل في نفوسهم الشوق والحنين إليه إذامامروا به ثانية وخاصة عند ما تطمس آثار ذكرياتهم وتصبح رسوما وأطلالا.فمن هنا بدأت سنة الوقوف بالأطلال والبكاء على الرسوم، والدعاء لها بالسقيا واستمرت هذه السنة منهجا للشعر العربي إلى قرون طويلة.

فإذا كان الشاعر البدوي يحن إلى أطلاله ورسومه، فالشاعر الحضري يكون أشد حنينا إلى وطنه لكونه أعرف لقيمة الوطن، فعندنا شعراء من أهل البدو وكذلك شعراء من أهل الحضر لهم شعر رقيق في الحنين لأوطانهم التي أجبروا على مغادرتها لسبب من الأسباب .وقد أجاد الشعراء وأكثروا في هذا المجال، فهناك قصائد طويلة

ومتعددة، وقطع كثيرة لا يسمح المقام لاستيعابها،ولكن نذكر هنا نماذج منها تبين الأفكار التي تحتويهاوقد قسمتُ هذه النماذج إلى مايلى:

- **البكاء على فراق الوطن والبُعدعنه.**
- **وصف طبيعة الوطن ومدح مظاهرجماله.**
- **إثبات أوصاف الجنة للوطن وتفضيله على كل ما سواه.**
- **إرسال التحايا الروحية من البعيد إلى الوطن بالصبا أوغيره لإطفاء نار الفراق.**

وإليكم بعض النماذج لبعض من الألوان المذكورة للشوق إلى الوطن والبكاء عليه.

البكاء على فراق الوطن والبُعد عنه:

هذا اللون أكثر وأغلب في شعر رثاء المدن. روى أنه لما خرج عَمرو بن الحارِث بنِ مُضَاض الْجُرْهُمِيّ[1] بِغَزَالِيّ الْكَعْبَة وَبِحَجَرِ الرُّكْنِ فَدَفَنَهَا فِي زَمْزَمَ، وَانْطَلَقَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ جُرْهُمٍ إِلَى الْيَمَنِ، فَحَزِنُوا عَلَى مَا فَارَقُوا مِنْ أَمْرِ مَكَّة

1- عمرو بن الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكة، وأخرجهم بنو خزاعة وأجلوهم إلى اليمن. انظر تفسير القرآن العظيم، لابن كثير أبوالفداء إسماعيل بن عمر، تحقيق: سامي بن محمد سلام، الطبعة الثانية 1420هـ/1999م، دار طيبة للنشر والتوزيع، و الكامل في التاريخ،لابن كثير، الطبعة الأولى 1407هـ/1987 م، ص: 251/1.

وَمُلْكِهَا حُزْنًا شَدِيدًا. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ (بْنِ عَمْرٍو) بْنِ مُضَاضٍ فِي ذَلِك شعراً،وقال ابن هشام[1] إنه أول شعر قاله العرب، وقال:

وَقَائِلَــةٍ وَالــــدَّمْعُ سَكْبٌ مُبَادِرُ وَقَدْ شَرِقَتْ بِالدَّمْعِ مِنْهَا الْمَحَاجِــرُ[2]

كَأَن لَّمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُوْنِ إِلَى الصَّفَا أَنِيْــسٌ وَلَمْ يَسْمُرْبِمَكَّــةَ سَامِــرُ

وَكُنَّا وُلَاةَ الْبَــيْتِ مِنْ بَعْــدِ نَابِتٍ بِعِزٍ فَمَا يُحْظَى لَدَيْنَا الْمُكَاثِرُ

فَأَخْــرَجَنَا مِنْهَا الْمَلِــيْكُ بِقُــدْرَةٍ كَذَلِكَ يَا لَلنَّاس تَجْــرِيْ الْمَقَــادِرُ

وَصِــرْنَا أَحَادِيثًا وَكُنَّا بِغِبْطَــةٍ بِذَلِكَ عَضَّتْنَا السِّنُونَ الْغَــوَابِــرُ

فَسَحَّتْ دُمُــوْعُالْعَيْنِ تَبْكِي لِبَــلْــدَةٍ بِهَاحَرَمٌ أَمْنٌ وَفِيْهَا الْمَشَاعِــرُ

وَتَبْكِي لِبَيْتٍ لَيْسَيُؤْذَى حَمَامُــه يَظَلُّ بِه أَمْنًاوَفِيْهِ الْعَصَــافِــرُ[3]

1- هو الإمام أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت 213 أو 218 هـ)، نشأ بالبصرة، ونزل مصر واجتمع فيها بالإمام الشافعي وله المؤلف الشهير في السيرة النبوية. انظر مقدمة السيرة النبوية لا بن هشام، تحقيق: د/عمر عبد السلام التدمرى، الطبعة الثالثة 1410 هـ/ 1990م دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. ص: 7/1

2- المَحَاجِرُ: الحَدَايقُ، ومَوَاضِعٌ يَحْتَبِسُ فيها الماءُ. انظرالمحيط في اللغة، الصاحب إسماعيل بن عباد، تحقيق:محمد حسن آل ياسين،2009م، عالم الكتب،بيروت، ص: 178/1.

3- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام الحميري المعافري، تحقيق: طه عبد الرؤف سعد،1411هـ، دارالجيل، بيروت، ص: 14/1، ومعجم الشعراء، أبوعبيد الله محمد بن عمران المرزباني، الطبعة الثانية1402هـ/1982م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص:3/1، وتاريخ ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، الطبعة الرابعة، دار الفكر، بيروت، ص: 332/2.

ونلاحظ من الأبيات المذكورة لوعة الشاعر وحنينه إلى أيامه السالفة التي قضاها في حضن وطنه من خلال تذكر حياته الماضية،ومقارنتها بما أصابه الآن من الغربة والتشرد والجوع والتهدد من قبل الأعداء مع كونه من السادة المجاورين لبيت الله الحرام بمكة المشرفة، فحق له أن يبكي وتسح دموعه ليخفف آلام قلبه عند الذكرى.

ونجدمقدمات المعلقات السبعة طللية تحتوي البكاء على الرسوم الدارسة التي تدل على سنة البكاء علي الأطلال وهو ما يمثل رثاء المدن في ذلك العصر مثل معلقة امرئ القيس، وطرفة بن العبد البكري،وزهير بن أبي سلمى، ولبيد بن ربيعة العامري،وعنترة بن شداد وغيرهم. وأذكرهنا بعض الأبيات للاستشهاد من معلقة امرئ القيس حيث تبدأ معلقته:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

وُقُوْفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُوْلُوْنَ لَا تَهْـــلِكْ أسىً وَتَحَمَّلِ[1]

1- معلقة إمرىء القيس، ضمن السبع المعلقات، قديمي كتب خانه آرام باغ كراچي، پاكستان، ص: 2/1.

ويكثرأبو قطيفة[1]القول في الحنين إلى وطنه بالمدينة المنورة لما أخرجه ابن الزبير عنها مع من أخرج من بني أمية ونفاهم إلى الشام فمن ذلك قوله:

اَلْقَصْرُ فَالنَّخْلُ فَالْجَمَّاءُ بَيْنَهُمَا أَشْهَى إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَبْوَابِ جَيْرُوْنِ[2]

إِلَى البِلَادِ فَمَا حَازَتْ قَرَائِنُــه دُوْرُبُعِدْنَ عَنِ الْفَحْشَــاءِ وَالــهَــوْنِ[3]

وقد أحسن القول ابن الرُّومي[4] في كشف المعنى وبيانصورة جميلة لعلاقة الشاعر لوطنه وهوينظر إليه على أنه جسد يحتضن روحه، فالعلاقة علاقة حب شديد وامتزاج

1- أبو الوليد عمرو بن الوليد بن أبي معيط (أبان) بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس القرشي الشاعر، لقب بأبي قطيفة لأنه كان كثير شعر الوجه واللحية والصدر. أسر جده عقبة يوم بدر وقتله رسول الله-صلى الله عليه وسلم - وكان شديد الأذى للنبي في مكة قبل الهجرة. وأبوه الوليد أخ لعثمان بن عفان -رضى الله عنه -لأمه.انظر موقع www.arab-ency.com/index. 2015/01/20.

2- القصر والنخل مواضع بالمدينة، والجَمّاء جبل بالمدينة سمي بذلك لأن هناك جبلين هو أقصرهما فكأنه جماء وهو من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق الى الجُرُف. انظر الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري، تحقيقأ.د إبراهيم السامرائى، الطبعة الأولى1857م، النجف، إيران، باب ما في أوله الجيم، ص: 6/1.

3- معجم الشعراء، أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى، الطبعة الثانية 1402هـ/1982م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 21/1.

4- هو علي بن العباس بن جريج أو جورجيس الرومي (221 - 283 هـ / 836 - 896 م) شاعر كبير من طبقة بشار والمتنبي، رومي الأصل، كان جده من موالي بني العباس.ولد ونشأ ببغداد، ومات فيها مسموماً قيل دس له السمّ القاسم بن عبيد الله -وزير المعتضد- وكان ابن الرومي قد هجاه.قال المرزباني: لا أعلم أنه مدح أحداً من رئيس أو مرؤوس إلا وعاد إليه فهجاه، ولذلك قلّت فائدته من قول الشعر وتحاماه الرؤساء وكان سبباً لوفاته. انظر سير أعلام النبلاءلمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيقشعيب الأرنؤوط، الطبعة التاسعة 1413 هـ/ 1993 م مؤسسة الرسالة بيروت، ص: 495/13.

جميل لايمكن معه الانفكاك وكيف لايكون كذلك، فالوطن سجل لحياة الشاعر منذ بدايتها وهو ينظر في مغانيه فيذكر أوقات الصبا وساعات الشباب التي قضاها فيه:

وَلِيْ وَطَـــنٌ آلَيْتُ أَلَّا أَبِيْـعَــهُ وَأَلَّا أَرَى غَيْرِيْ لَهُ الدَّهْــرَمَالِكا

عَهَدتُ بِهَا شَرْخَ الشَّبَابِ وَنَعْمَةٍ كَنَعْمَةِ قَوْمٍ أَصْبَحُوْا فِيْ ظِلَالِــكَا

وَقَدْ أَلِفَتْهُ الــنَّفْسُ حَتَّــى كَأَنَّــهُ لَهَا جَسَدٌ إِنْ غَابَ غُوْدِرْتُ هَالِكا

إِذَا ذَكَــرُوْاأَوْطَانَــهُمْ ذَكَرْتُهُــمْ عُهُوْدَ الصِّبَا فِيْهَا فَحَــنُّوْا لِذَالِكا[1]

وصف طبيعة الوطن ومدح جماله:

وهذا اللون كثيرأيضاً في شعر رثاء المدن،وأذكر بعض الأبيات من وصف جمال الأند لس:

فالمعروف بأن حنين الأندلسين جاء قوياً وصادقاً ومتميزاً، لعل سبب إحساسهم الدافق بالحنين والشوق هو كثرة رحيلهم وتجولهم داخل الأندلس نفسها أوهجرتهم إلى بلاد بعيدة واستقرارهم هناك للحياة الفاضلة أومجردة الرحلة والاستجمام. فهم في حنين دائم إلى حياة طيبة فارقوها ولذات متنوعة عاشوها، وأظن

1- المصون في الأدب،أبوأحمد العسكري، تحقيقعبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية 1960م، دائرة المطبوعات والنشر بالكويت، ص: 34/1.

أن أهم من ذلك كله هو طبيعة الأندلس التي تأسر القلوب وتجذبها إليها كما يظهر من الأبيات الآتية والتي يقول فيهاابن سفر المريني[1]

فِيْ أَرْضِ أَنْدُلُــس تَلْتَذُّ نَــعْمَاءُ وَلَا يُفَارِقُ فِيْهَا الْقَلْبُ سَــرَّاءُ

وَلَيْسَ فِيْ غَيْرِهَا بِالْعَيْشِ مُنْتَفَعٌ وَلَا تَقُوْمُ بِحَقِّ الأُنسِ صَهْبَاءُ

أَنْهَارُهَا فِضَّةٌ وَالْمِسْكُ تُرْبَتُــهَا وَالْخَزُّرَوْضَتُهَا وَالدُّرُّحَصْبَاءُ[2]

وحكى الإمام ابن بشكوال[3] عن الشيخ أبي بكر بن سعادة أنه دخل مدينة طليطلة مع أخيه على الشيخ الأستاذ أبي بكر المخزومي فسألنا من أين؟ فقلنا: من قرطبة. فقال: متى عهدكما بها؟ فقال: الآن وصلنا منها. فقال:اقربا إلي أشم نسيم قرطبة. فقربنا منه فشم رأسي وقبله وقال لي: اكتب

1- هو أبو الحسن محمد بن سفر، من شعراء عصر الموحدين في المأة السادسة، وهو شاعر المرية "بشرقي الأندلس" حيث نشأ وترعرع وأكثر شعره في وصف الطبيعة، قال عنه المقرى التلمساني: أحد الشعراء المتأخرين عصراً المتقدمين قدراً والإحسان. انظرنفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،لأحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق د/إحسان عباس، طبعة 1388هـ، دار صادر بيروت، ص: 209/1.

2- المرجع السابق ، ص: 209/1.

3 - هو أبو القاسم، خلف بن عبد الملك بن بَشْكُوال الخزرجى الأنصارى القرطبى(1101م-1183م) من أئمة محدثى الأندلس ومؤرخيها وعاش فى قرطبة وتوفى فيها. وله أكثر من خمسين مؤلفاً من أشهرها كتاب الصلة الذي جمع فيه تراجم لأعيان الأندلس مرتباً أسمائهم ترتيباً أبجدياً.انظروفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبى العباس أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس الطبعة الأولى 1994م، دار صادر – بيروت. ص: 240/2.

أَ قُــرْطُــبَةُ الْغَــرَّاءُ هَــلْ لِيْ أَوْبَةٌ إِلَــيْــكِ وَهَلْ يَدْنُوْ لَنَا ذَلِكَ العَهْدُ

سَقَى الْجَانِبَ الْغَرْبِيَّ مِنْكِ غَمَامَةٌ وَقَعْقَعَ فِيْ سَاحَاتِ دَوْحَاتِكَ الرَّعْدُ

لَيَالِيكِ أَسْحَارٌ وَأَرْضُكِ رَوْضَــــــةٌ وتُرْبُكِ فِيْ إِسْتِنْشَاقِهَا عَنْبَرُوَرْدِ[1]

إثبات أوصاف الجنة للوطن وتفضيله على كل ما سواه:

قال علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد[2] في تفضيل الأندلس على مصر لما قدمت مصر والقاهرة أدركتني فيهما وحشة وأثار لي تذكر ما كنت أعهد بجزيرة الأندلس من المواضع المبهجة التي قطعت بها العيش غضاخصيبا وصحبت بها الزمان غلاما ولبست الشباب قشيبا فقلت:

هَذِهِ مِصْــــرٌ فَأَيْنَ الْمَــغْــــرِبُ مُذْ نَأَى عَنِّــي دُمُوْعِيْ تَسْكُبُ

فَارَقَتْهُ النَّفْــسُ جَهْــــلاً إِنَّــمَــا يُــعْرَفُ الشَّيْءُإِذَا مَا يَذْهَــبُ

وَجَنَّتَهُ جَنَّاتُ عَدْنٍ وَفِيْ لُظى فُؤَادِيْ وَمَالِيْ مِنْ ذُنُوْبٍ تُعْذَبُ

1- المصدر السابق، ص: 155/1.

2- العنسي، الأندلسي، الغرناطي، المغربي (610-673ه) هوأديب، شاعر، لغوي، رحالة، مؤرخ. ولد بغرناطة، ورحل إلى المشرق، فدخل دمشق والموصل وبغداد ومصر، وسكن تونس، ومن تصانيفه الكثيرة: لذة الأحلام في تاريخ أمم الأعجام في نحو مجلدينوريحانة الأدبونتائج القرائح في مختار المراثي والمدائحوالمغرب في حلي المغرب.انظر معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، لعمررضا كحالة، الطبعة الأولى1993م/1414ه، مؤسسة الرسالة. ص: 249/7.

فَيَا لَيْتَ مَا وُلِيْ مَعَادٌ نَعِيْمُـــــهُ وَأَيَّ نَعِيْمٍ عِنْـدَمَـنْ يَتَغَرَّبُ[1]

ولله در ابن خفاجة حين يقول في وصف طبيعة الأندلس ويبالغ فيه ويمحص من مناقبها التي فاقت كل حصرووصف حتى لايملك إلا أن يفضلها على جميع بقاع الأرض،ولايرضى بديلا عنها أبدًا بل اشتد شوقه إلى أن رجح الأندلس وحسنها على جنة المأوى حيث قال:

إِنَّ لِلْجَـــنَّـــةِ بِالْأَنْدَلُـــسِ مُجْـتَـلَى حُسْـنٍ وَرَيَّانَفْـسِ

وَإِذَا مَا هَبَّتِ الرِيحُ صبأ صحتُ وَاشُوْقِيْ إِلَى الْأَنْدَلُـسِ[2]

وهناك صورة بديعة جدا لعاطفة حب الوطن في قول أمير الشعراء أحمد شوقي حيث يقول:

وَطَنِيْ لَوْ شُغِلْتُ بِالْخُلْدِ عَنْهُ نَازَعَتْنِيْ إِلَيْهِ فِيْ الْخُلْدِ نَفْسِي[3]

فهذه هي العاطفة الصادقة والحب الشديد للوطن الذي يصدر من قلب شاعر بعيد عن وطنه في المنفى.فالشاعر لاينسى وطنه لسبب البعد عنه بل يزداد اشتعالا

1- نفح الطيب للمقرى التلمسانىص: 271/2.

2- ديوان ابن خفاجة، أبو إسحاق بن خفاجة الجعوارى الأندلسى، تحقيق السيد غازي، الطبعة الثانية 1960م، منشأة المعارف، ص:62/1.

3- ديوان شوقى ، أحمد شوقى ، مكتبة دار المعارف العربية ، بيروت مصر، ص135.

وحبا له حتى أنه لو كان في جنان الخلد التي هي أعظم مقصود للمسلم، لاشتاقت نفسه إلى تراب وطنه.

إرسال التحيات من البعيد إلى الوطن بالصبا أوغيره لإطفاء نار الفراق عنه:

ونرى هذا اللون من العاطفة في شعر أبي عبد الله التلمساني[1] الذي فارق وطنه تلمسان في بلاد المغرب إلى غرناطة في الأندلس، قد غلب عليه حب الوطن والشوق إليه وهو قد يئس من رؤية بلده مرة ثانية فانتقل إلى طريقة أخرى وهي استجلاب النوم أو التناؤم ولو في ذلك المضجع الذي كأن مهاده الشوك كي يمر ببلده في ذلك النوم، وهو يرسل السلام والهدايا إلى وطنه لعله يرد تحيته بأحسن منهافيخفف مرارة ما أصابه من جوى الشوق وشدة الوجد حيث يقول:

سَلِ الرِّيْحَ إِنْ لَّمْ تُسْعِدِ السُّفُنَ أَنْوَاءُ فَعِنْدَ صَبَا هَا مِنْ تِلْمِسَانِ أَنْبَاءُ

1- أبوعبد الله محمد بنعمر بن محمد التلمساني الحجري الرعيني، المعروف بابن خميس شاعر(650- 708هـ=1254- 1309م)، من أعيان تلمسان،عالم بالعربية، وكان يكتب عن ملوكها ثم فر منه، ومر بسبتة وغيره، واستقر بغرناطة سنة 703هـ وتوفي بها قتيلا، وطبقته في الشعر عالية، وله ديوان سمي بـ " المنتخب النفيس في شعر ابن خميس" انظر الأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة الخامسة عشر2002م، دارالعلم للملايين،438/1، والإحاطة في أخبارغرناطة، للسان الدين ابن الخطيب، الطبعة الثانية 1393هـ-1973م، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ص:332/1.

وَأُهْدِيْ إِلَيْـــهَا كُلَّ حِـــيْنٍ تَحِيَّـــةً وَ فِيْ رَدِّ إِهْدَاء التَّحِيـــَّةِ إِهْدَاءُ[1]

مكانة الوطن في شعر اللغة الأردية

لايقل شعراللغة الأردية قيمة ولايتخلف عن شعرأي لغة من لغات العالم في أغلب الألوان والموضوعات الأدبية ونرى فيمايأتي بعض النماذج للحنين إلى الوطن والشوق له والبكاءعلى الفراق عنه على منوال ما مضى من شعراللغة العربية.

البكاء على فراق الوطن:

قال مرزا محمد رفيع سودا[2]في البكاء على الوطن ناظراً إلى البلبل المضطرب والمتململ البعيد عن الوطن ومقارناً حاله بحال ذلك البلبل في حالة الغربة وهو يقول:

1- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص: 376/5، والإحاطة في أخبارغرناطة ص:332/1.

2-ولد (1125-1195هـ/1713-1781م)في دلهي وتربى هنالك إلى أن برع في الشعرالأردي والفارسي، وصاحب الملوك والأمراء، وقال الشعرفي معظم الأنواع الشعرية من القصيدة والمثنوي والمخمس وغيرها، وكذلك تناول أغلب الموضوعات الشعرية من الغزل والمرثية وما إلى ذلك، وله ديوان مطبوع باسم " كليات سودا".اردو ادب کی تاریخ ابتدا سے ۱۸۵۷ تک ڈاکٹر تبسم کاشمیری سنگ میل پبلی کیشنز لاهور،۲۰۰۹م ص (۲۹۲،۲۹۰)

بلبل کو تڑپتے میں نے دیکھا چمن سے دور یارب نہ کیجیو تو کسی کو وطن سے دور[1]

ترجمة: رأيت بلبلاً يتململ لبعده عن البستان، قلتُ: يارب لاتبعد أحداً عن وطنه.

كأن الشاعر يريد أن يبين شدة ألم الفراق عن الوطن ببيان تململ البلبل لبعده عن البستان الذى يحل محل وطنه.

يروى محمد حسين آزاد بأن مير تقى مير[2]قد أنشد الأبيات الآتية في المطارحة الشعرية التي أقامهاأهلمدينة لكنو وهو يذكر فراقه عن وطنه "دلهى":[3]

دہلی جو ایک شہر تھا عالم میں انتخاب رہتے تھے منتخب ہی جہاں روزگار کے

اس کو فلک نے لوٹ کے ویران کر دیا ہم رہنے والے ہیں اسی طرح اجڑے دیار کے[4]

1- کلیات سودا، مرزا محمد رفیع سودا، ط۲۰۰۶، سنگ میل پبلی کیشنز لاہور، ص۲۳۰۔

2- (1722- 1810م) ولد في مدينة من مدن الهند " أكبر آباد " وتربى فيها إلى أن توفي أبوه ، ثم هاجر إلى دلهي وعاش هناومارس في الشعر إلى أن أصبح شاعرا كبيرا وزاع صيته فى آفاق الهند، وورث المجتمع مجموعات شعره التي طبعت باسم" كليات مير" .

اردو ادب کی تاریخ ابتدا سے ۱۸۵۷ تک ڈاکٹر تبسم کاشمیری سنگ میل پبلی کیشنز لاهور،2009م، ص310- 313

3- لكهنومدينة كبيرة من المدن الهندية وهي منطقة زراعية على بعد 260 ميلاً من دهلي عاصمة الهند،وهى مركز الثقافة الأردية والحضارة المتقدمة ويوجد بهاجميع الأشياء التي لابدمنها للحياة الإنسانية خاصة مراكز العلم من المدارس والكليات والجامعات وغيرها. انظر دائرة المعارف الإسلاميةالأردية ، ص: 134/18 – 138.

4- کلیات میر تقی میر، ط۳، مجلس ترقی اردو، لاہور، ص۱۷۶۔

ترجمة:كانت دلهى مدينة مختارة في العالم كان يسكنهاخيرة الناسالنخباء في العالم؛ وقد غارتها السماءودمرتها. ونحنسكان تلك الديار المدمرة.

و قد رثى الشاعر على دمار مدينته ، وبَيَّن مكانتها المرموقة بين مدن العالم الأخرى ،وأسند دمارها إلى السماء بصراحة . وصف طبيعة الوطن ومدح جماله في الشعر الأردي:

قال ظهور الدين شاه حاتم [1](1699 – 1791م)في وصف "دلهي":

نہیں ہے شہر دہلی ہے گلستان چمن سے جس کا خوشتر ہے بیاباں

جدھر دیکھو تدہر ہر کوچہ بازار ہوا ہے گل رخاں سے صحن گلزار

سوادِ ہند کا جس کو مزہ ہے وہ لذت سے جہاں کی آشناں ہے

وہ بے شک وقت کا شاہ جہاں ہے جو کوئی متوطن ہندوستاں ہے [2]

ترجمة:دلهي ليست مدينة بل هي حديقة ، فلاتها أحسن من الحديقة .

1- ولد (1197،1111هـ) هوشاعرمن شعراء دلهي وقد انقرض الشعر باللغتين الأردية والفارسية، وقال في معظم الأصناف الشعرية، وله ديواناً قام بتدوينه بنفسه الذي يتناول أكثرمن أربعة آلاف شعر، وهو أقدم الدواوين الشعرية في شمال الهند.انظر:انتخاب كلام حاتم ،دكتور عبدالحق أردو أكادمي دلهي 1991م ص8 – 11.

2-تاريخ أدب الأردى ، رام بابوسكسينة2000م، مطبع جامعه نگرنئى دهلى، ہند 87، حركة حرية الهند وأثره في الشعر الأردى، ص: 250

حيثما تنظر تجد كل شارع وسوق مثلا لحديقةامتلأت ساحتها بالناس الحسان النضرة كالزهرة.الذي يعرف لذة العيش في "دهلي" هو يعرف لذة العيش في مدن العالم كلها.الذى استوطن الهند هو (شاه جهاں)ملك العالم فى عصره.

يمدح الشاعر مدينته الجميلة "دهلي" ويقول دهلي ليست مدينة من المدن بل هي حديقة من الحدائق التي فلاتها أحسن من حدائق غيرها.

حيثما تنظر تجد أسواقامزينة ومتاجر جميلة، وطرقاً واسعة،والمدينة كلها مثل بيت العرس الذي امتلأت ساحته بالناس الذين تكون وجوههم كالزهرة في النضرة والبهجة.

وهناك بهجة في كل شيء، وكل شيء من أشياء مدينتي جذاب ومحبوب، وكل رجل من رجالها جميل،وسيم المنظر ومتطيب الشعر.

والذي يعرف لذة العيش في "دهلي" فهو كأنه يعرف لذة العيش في مدن العالم كلها، كأن الشاعر يدعي بأن كل ثقافة من ثقافات العالم وكل لون من ألوان العيش موجود في مدينته "دهلي".

ولذلك يقول: لاشك أن الذي استوطن "دهلي" خاصة أو الهند عامة هوكمن ملك العَالَم في عصره.

❖ **تفضيل الوطن على غيره:**

قال مصحفي(1)موازناً بين دهلي ولكهنو:

کیونکر دہلی سے لکھنو ہے خوب نہ وہ کوچے یہاں نہ وہ گلیاں

یارب شہر اپنا چھڑایا تو نے ویرانے میں مجھے لا بٹھایا تو نے[2]

ترجمة: كيف يمكن أن تكون لكنو أجمل من دهلي لايوجد فيها عمارات وشوارع متشابهة لدلهى.

يا رب! لماذا عزلتنى عن مدينتى وجئتنى بالقفروأبقيتنى فيه.

يُفَضِّل الشاعرمدينته دلهى على مدينة لكنوويقول كيف يمكن أن تكون لكنو أجمل من دهلي مع أن هناك لاتوجد مناسبة بينهما في أي شيء حتى السكك والشوارع يعني عندما كانت سكك "دهلي" أجمل من سكك " لكنو" فما المشابهة بينهما في الرجال والنساء، والحدائق والقصور؟

1- هوغلام همدانى مصحفى(1161هـ 1240هـ) ولد فى " أكبر بور" قرية من قرى الهند وهو شاعر مطبوع كبير باللغة الأردية والفارسية، وله أحد عشر ديواناًمن شعره الأردي والفارسي باسم " كليات مصحفي" بالإضافة إلى مؤلفات أخرى كثيرة قيمة.كليات مصحفي ،مجلس ترقى أدب أردو لاهور، ص 38، 58.

2- حركة حرية الهند والشعر الأردى، ڈاكٹر گوپي چند نارنگ، ص 256 دتاريخ إردو أدب، ص:178.

ويناجي الشاعر ربه فيقول: وقلت يارب! لماذا أبعدتني عن وطني "دهلي" كأنك جئت بي من المدينة العامرة إلى الخرابة والقفر، وبعبارة أخرى لماذاأخرجتنى من وطني وأبقيتنى فى خرابة .

إرسال الأحوال والتحيات إلى الوطن عن طريق الصبا

أرسل مير تقى مير التحية والسلام إلى دلهى وسكانه عن طريق الصبا (الريح) قائلاً:

اے صبا گر شہر کے لوگوں میں ہو تیرا گزر کہیو ہم صحرا نوردوں کا تمامی حال زار

خاک دہلی سے کیا ہم کو جدا یک بارگی آسماں کو تھی کدورت سو نکالا یوں غبار[1]

ترجمة:أيها الصبا إن مررت بسكان مدينتي، بَيِّنِيلهم أحوالناالغرباء السيئة.

فقد غضبت علينا السماء وبسبب غضبها وعداوتهارفضتنامن تراب دلهى فجأة.

وإذا نظرنا إلى النماذج المذكورة من الشعرين نجد فيها أنّ الموضوعات والأساليب متجانسة ومتشابهة وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على أن الأفكار والمعانى والعواطف الأساسية مشتركة بين الناس، وكذلك والمشاكل والمعاناة التي تواجه البشرخلال البعد عن الوطن متشابهة أيضاً وإن كانت أسباب تلك المشاكل والنكبات مختلفة.

1- کلیات میر تقی میر سنگ میل پبلی کیشنز لاہور ط 2005م ص 33 .

فالنماذج المتقدمة ما هي إلا قطرة من بحر شعرالوطن والحنين إليه، وهي تكفي للدلالة على عظم الحب في نفوس أبنائه خصوصاً الذين يضطرون إلى البعد عنه ، وعاطفة حب الوطن فطرية،ويتميز الشاعر بالتعبير عنها لأنه هواللسان الناطق المعبر عن العاطفة الجياشة بالحب والحنين إلى تراب الوطن وهو قد يتغنى بوصف طبيعة بلده الجميلة، وقد يذكر أنهاره الجارية وحدائقه الخضرة،وقد يسلّي قلبه في المنفي برؤية الطيوروالتحدث إليها ظناًأنها جاءت من بساتين وطنه الرائعة.وأحيانا يطمئن بتفضيل بلده على البلاد الأخرى ولاسيما الأماكن التي يعيش فيها أيام الغربة،وقد يشكو أحواله السيئة في المنفى إلى وطنه كالطفل الذي يشكو حزنه وألمه إلى أبيه المشفق الذي يدرأ عنه حزنه. وقد يخفف خفقاته بإرسال التحايا والسلام إلى سكان وطنه وأماكنه الجميلة،وقد يبكي بكاءاً شديداً على الفراق عنه كالطفل الذي فقد أبويه.

وهذاهو الشاعرالبعيد عن وطنه. فما بال الشاعر ذي العاطفة الرقيقة الذي يكون شاهدا على نكبة بلده واحتلاله من قبل الأعداء وتدمير حضارته،وآمال أهله. لاشك أن النكبة تؤثرعليه فينطلق بقصائد في رثاء وطنه تكون أشد عاطفة وتأثيراً فى السامعين . وهذا ماسنراه في الأبواب والفصول الآتية بإذن الله سبحانه وتعالى وعونه.

ب – رثاء المدن في الأدبين العربي والأردي

وهو ينقسم إلى قسمين:

أ– رثاء المدن في الأدب العربي

ب–رثاء المدن في الأدب الأردي

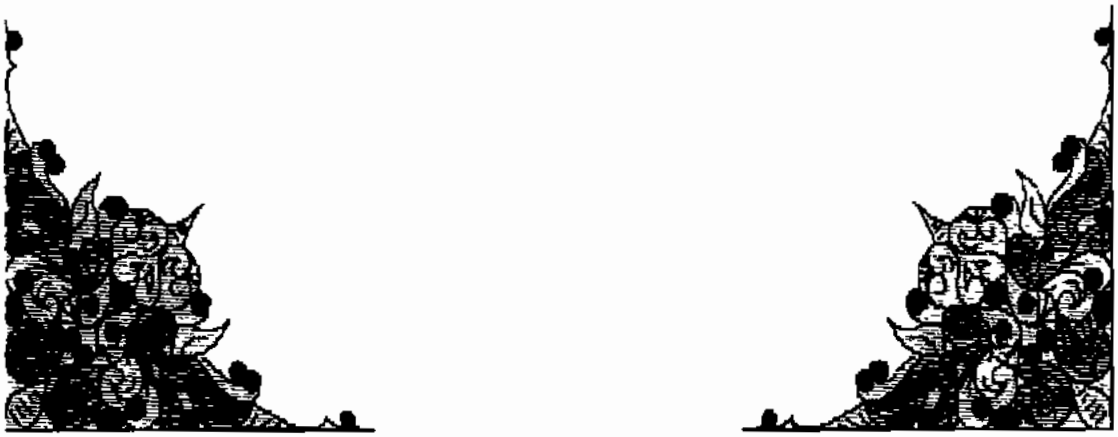

رثاء المدن فى الأدب العربي

أتحدث هنا عن معنى الرثاء لغة واصطلاحاً، ثم أبين اختلاف النقاد في هذا النوع الأدبى، بحيث اختلفوا فيه هل هوغرض شعري شرقى أم مغربى أندلسى؟ مع إبداء رأيى فيه، وبعد ذلكأتناول على قدر الكفاية الحوادثالمهمة التى نتجت عن دمارأكبرالمدن العربية في البلاد الشرقية، والبلاد المغربية الأندلسية وأبرز شعراء الرثاء فيها.

الرثاء لغة : الرثاء في اللغة من (ر ث ى)رثى يقال رثى الميت رثياً ورثاء ورثاية ومرثاة ومرثية بمعنى بكاه بعد موته وعدد محاسنه،ورثى له بمعنى رحمه ورق له، والرثاية :النوّاحة [1].

وقال ابن منظور : رثى فلان فلاناً يرثيه رَثْياً وَمَرْثِيَةً إذا بكاه بعد موته . ورَثَيْتُ الميت رَثْياً ورِثَاءً ومَرْثَاةً ومَرْثِيَةً: مدحته بعد الموت وبكيته ،ورَثَوْتُ الْمَيت أيضاً إذابكيته وعددت محاسنه .[2]

1- المعجم الوسيط،إبراهيم مصطفىآخرين، 2010م دار النشر، باب الرا ء،ص: 329/1.

2- لسان العرب، ابن منظور الإفريقى ، كتاب الراء ، فصل " رثى " ص 1/ 149، تاج العروس من جواهر القاموس ، مرتضى الزبيدى بيان " رثى " ص 5/ 165

الرثاء اصطلاحاً:والرثاء فى الاصطلاح: هو تأبين الميت وذكر محاسنه وفضائل أخلاقه وتصوير ما يترك فقده من أثر في القلوب من أسى وحسرة وفزع. الرثاء يمثل الآلام الباطنية فى صورة ألفاظ وعبارات محرقة بحيث تؤثر فى سامعها تأثيراً مؤلماً.[1]

رثاء المدن: رثاء المدن قد عرفه الأدب العربى غرضا أدبيا في شعره ونثره، قديمه وحديثه. وهو لون من التعبيريعكس طبيعة التقلبات السياسية التى تحدث في الحكم في المراحل المختلفة.[2]

نشأة هذا النوع الأدبي: قبل أن أدخل في تفاصيل رثاء المدن في الشعر العربى أرى مناسباً أن أتناول البحث عن نشأة هذا النوع فى الشعرالعربي،لأن هناك خلافاً كبيراً بين الباحثين أهو نوع مشرقى أم مغربى أندلسى؟ وما هو المهد الأول الذى ولد فيه شعراء رثاء المدن؟

فهناك طائفتان من الباحثين والنقاد في هذه القضية؛وقد ذهبت الطائفة الأولى من الباحثين إلى أن الأدب الأندلسى بالجملة لم يأت بجديد ولم تكن له الشخصية المميزة بل هوتقليد لأدباء المشرق ودوران ضمن آفاقهم. ومن حملة هذا الرأى

---

[1]- تاريخ الأدب العربى ، جرجى زيدان : منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص 1/ 84.
فنون الأدب العربي الرثاء ، شوقى ضيف ، دار المعارف القاهرة ، ط 9 ص 111.

[2]- فنون الأدب العربي الرثاء ، شوقى ضيف ، دار المعارف القاهرة ، ط 4 ص162 بتصرف.

الدكتور شوقي ضيف الذي يقول:"ونحن لا نبالغ إذا قلنا بأن شخصية الأندلس في الأدب العربي ليست من القوة كما ينبغي...فقد كانت الكتلة الأندلسية تتساق نحوالتقليد المشرقي بكل ما فيه، وحتى شعر الطبيعة عندهم لم يأتوا فيه بجديد سوى الكثرة أما بعد ذلك فصورته كله بما فيها من أفكار وأخيلة وأساليب هي الصورة المشرقية... وما أراني أبعد إذا قلت إن الأندلس كانت تستمد نهضتها و حياتها من بغداد، شأنها في ذلك شأن الأقاليم الأخرى".[1]

وأرى أن هذا القول لا يخلو من المبالغة فبالرغم أن الأدب المشرقي ظل نموذجا يحتذى عبر عصور الأندلس الأدبية على تفاوت في الاحتذاء ولكن للأدب الأندلسي شخصية متميزة وطابعا خاصا.

ولا أرى الإنكار لدى النقادعن ابتكارهم لفن الموشحات وافتنانهم في إبداع الصور الجذابة من شعر وصف الطبيعة حتى أوشك أن يكون هذا اللون مقتصرا عليهم لجودته وكثرة شعراءه.فالشعراء الأندلسيون امتزجوا بطبيعة بلادهم الساحرة حتى نراهم لا ينفكون عن ذكرها واستخدام صفات أجزائها في أغراض لا تتعلق بالطبيعة كالمدح والرثاء مثل قول ابن خفاجة في الرثاء البعيد كل البعد عن وصف الطبيعة :

1- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، الطبعة الحادية عشر2009م، دار المعارف ص:412/1

فِيْ كُلِّ نَادٍ مِنْـكَ رَوْضُ ثَنَاءٍ وَبِكُلِّ خَـــدٍّ فِيْكَ جَدْوَلُ مَاءِ

وَلِكُلِ شَخْصٍ هِزَّةُ الْغُصْنِ النَدي غَبَّ البُكَاءِ وَرِنَّـــةُ المُكَاءِ

يَا مَطْلَعَ الْأَنْوَارِإِنْ بِمُـقْـلَـتِيْ أَسَفًا عَلَيْكَ كَمَنْشَاءِ الأَنْوَاءِ[1]

وأيضا لا يمكن غض البصر عن بروز الأندلسيين إلى حد كبير في مجال رثاء المدن والممالك وتفردهم في اختراع شعرالاستصراخ والاستغاثة حتى صار فنا مستقلا قائما بذاته.

وذهبت الطائفة الثانية من الباحثين إلى القول بأن رثاء المدن و الممالك فن أندلسي لم ينشأ في المشرق إلا في فترات متأخرة، وما وجد منه لا يخلو من الضعف والتكلف.

ورائد هذه الطائفة أحمد أمين وهو يقول: "لقد رأينا مدنا في المشرق تتساقط تساقط أوراق الشجر، تستوجب الرثاء والبكاء كما سقطت بغداد في يد التتار، وأزالوا كل ما فيها من مظاهر مدنية وحضارية،وفعل التتار فيها ما لا يقل عما فعله الإسبانيون في الأندلس، وخرب هولاكو وتيمورلنك ونحوهما الشام وأسقطوها بلداً بلداً، فما رأينا عاطفة قوية، ولا رثاء صارخا ولا أدبا رقيقا، ولا تاريخا مسجلا،

1- ديوان ابن خفاجة، ص: 185/1.

كالذى رأيناه في الأندلس،فإن قلنا إن هذه الناحية في التاريخ الأندلسى أقوى وأشد لم نبعد عن الصواب".[1]

ويقول بطرس البستانى: "إن العاطفة الوطنية ضعيفة في شعر رثاء المدن في المشرق حتى لا نكاد نلمح لها خيالا إلا في النادر،والفرق واسع بين شعراءالأندلس وشعراء العباسيين من حيث حب الوطن والتعلق به".[2]

ويقول الدكتور محمد مجيد السعيد مؤيداً رأى هذه الطائفة : "إن رثاء الدول والمدن الزائلة ظهربالأندلس بفعل الكوارث التى عاشتها، والمحن التى قاستها، فقيلت القصائد لتخليد مآثرها، وبرزت المشاعر الوطنية التى تدعو إلى الجهاد، والوقوف في وجه الأطماع والتوسع في حين تأخر ظهور مثل هذا الفن في المشرق حتى سقوط بغداد.وأما قبل ذلك فالشعر المشرقى يكاد يخلو تماما من أمثال هذا اللون سوى ما قيل في الاستعبار والاستنكار وإيوان كسرى".[3]

1- ظهر الإسلام لأحمد أ مين، الطبعة الأولى 1430هـ/2009م، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ص:3/287.

2- أدباءالعرب في الأندلس وعصرالانبعاث، لبطرس البستاني، الطبعة الاولى 1985م، دارعواد، بيروت، ص: 1\79.

3- الشعر فى عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، للدكتور محمد مجيد السعيد، 2008م، المؤسسة العربية العامة للتأليف والنشر، ص: 1/308.

ويفهم من آراء أصحاب الطائفة الثانية بأنها تكاد تجمع على سبق الأندلس في وضع اللبنة الأولى لهذا النوع من الشعر العربى، وتكاد تنكر ظهور الشعرمن النوع المذكور قبل سقوط بغداد سنة ست وخمسين وستمائة على يد التتار. ولكن الواقع لا يتفق مع هذا، وأيضا فيه إغماض شديد في حق شعراء المشرق، لأننا نجد قصائد رائعة في رثاء بغداد في فتنة الأمين[1] والمأمون في العشرة الأخيرة من القرن الثانى الهجرى197هـ مثل قصيدة أبى يعقوب إسحاق بن حسان الخريمى[2]التي تتضمن 138 بيتاً من الشعر[3] التى صورت تلك المأساة أصدق تصوير بعيدا عن التكلف والصخب، فقدأنشدها شاعر مطبوع أحس بهزة شديدة حينما رأى مدينته الجميلة العامرة تصبح أطلالا وخرابات فأفاض عليها الدموع فى صورة الشعر الذى يبكى قارءها وسامعها حتى الآن.

1- الأمين هو محمد ابن رشيد (الملقب بالأمين) من زوجته زبيدة المحبوبة، قتل سنة 198هـ، واجتز رأسه وبعث إلى المأمون، ودخل طاهر بن الحسين بغداد وأخذ البيعة للمأمون. انظر الطبري 8/ 478.

2- أبو يعقوب إسحاق الخريمي (166هـ، 782م /212هـ، 827م) شاعر من شعراء الدولة العباسية وأصله من خراسان من أبناء الصغد،ونزل بغداد واتصل بخريم بن عامر المرى وآله فنسب إليه. انظر الوافي بالوفيات،8/ 409 وتاريخ بغداد، أبوبكر الخطيب 6/ 326.

3- أنظر ديوان الخريمى، جمع وتحقيق الدكتور على جوادالطاهر ومحمد جبارالمعيبد، الطبعة الأولى 1971 م، دارالكتاب الجديد، بيروت، 27 -37.

وكذلك قصيدة ابن الرومى في رثاء البصرة عند ما دمرها الزنج في منتصف القرن الثالث الهجرى، فبكى عليها بحرارة وصدق، وصور دمارها بصورة لم يسبق إليها أحد، كأنه صور مشهد الحشرالمفزع يوم القيامة - وبالإضافة إلى هاتين القصيدتين للخريمي والرومي هناك قصيدة لأبي المظفر الأبيوردي[1] في رثاء بيت المقدس عند سقوطه بيد الصليبين في أواخرالقرن الخامس الهجرى. فهذه القصائد ومثلها تمثل العاطفة الصادقة والمشبوبة بما يضاهي رثاء الأندلسيين، وهى صور بديعة مؤثرة تذهب بسامعها إلى العمل الإيجابى أى الميل إلى الجهاد في سبيل الله والدفاع عن حرماته،والمحافظة على الشخصية الدينية، والبعد عن هتك حدود الله واجتناب الكبائر وما إلى ذلك.

ويمكن أن نذهب إلى أبعد من هذا كله إلى العصر الجاهلى،فنجد هناك قصائد شتى في رثاء الدولة الحميرية ورثاء المنازل والقصورعامة وقصائد في رثاء

1- أبو المظفر،هوالإمام محمد بن العباس أحمد بن محمد بن أبي العباس أحمد بن إسحاق بن أبي العباس، شاعر عباسى ولد في كوفة، وكان إمامًافي اللغة والنحو والنسب والأخبار ويده باسطة في البلاغة والإنشاء، وله كتب كثيرة منها: تاريخ أبيورنسا، المختلف والمؤتلف وقبسة العجلان في نسب آل أبي سفيان وغيرها. انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان،تحقيق: إحسان عباس الطبعة الأولى 1994م، دار صادر – بيروت. ص313/2.

الممالك، والحديث عن عصف الدهر وتقلبه، وكذلك في العصور التالية لذلك نجد كثيرا من رثاء المدن والممالك في الشعر العربى بصورة ناضجة سيأتي ذكرها.

وأنا أتفق برأى الباحثين من الطائفة الثانية القائل بأن العاطفة الوطنية عند الشعراء المشارقة ضعيفة بعيدعن الحق وغاية في الضعف، وذلك لأن الأدب الأندلسى ليس متميزا بأغراضه وأساليبه تميزا كاملا عن الأدب المشرقى بحيث يبدو أدبا آخر له مقوماته ومجالاته الخاصة.

ولايمكن إنكاراستسقاء الشعراء الأندلسيين من منبع مشرقى في ضوء عدة حقائق لامفرمنها وهي كالتالى:

1- إن الأندلس كانت جزأ من الدولة الإسلامية في كثير من الفترات وكان غالبية سكان تلك الجزيرة،ولاسيما أهل الشعر والأدب، من القبائل العربية التى دخلت أيام الفتح أو في عهد الأمويين.

2- توافق الأندلسيون بأهل المشرق في وحدة الأصل ووحدة العقيدة واللغة.

3- ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن الشعراء والأدباء الذين اشتهروا في أدب الأندلس،تتلمذوا دون شك على مؤلفات المشارقة وتثقفوا بها، فلا يمكن أن تبعد سيطرة الطابع المشرقى على آثارهم ومؤلفاتهم الأدبية وغيرها؛ لأنهم كانوا يستسقون من منهلين أحدهما مشرقى والآخر من داخل

جزيرة الأندلس. والحقيقة الجغرافية أيضاً تصدق ذلك بأن ماحولهم من بلاد أوربا كانت مغطاة في أستارالجهل والتخلف ولم يكن فيها من العلم والأدب ما يدفع الأندلسيين إلى أخذه والاستغناء به عن أدب المشرق فلا بد من أنهم وجدوا أنفسهم مدفوعين إلى ورود مناهل الأدب المشرقى.

ورغم ذلك وصف بعض الباحثين الشعرالمشرقي في رثاء المدن بالضعف وبالخلوعن العاطفة الصادقة وربما كان ذلك لأسباب أذكرأهمها فيما يأتي:

1- الحرص على استخدام الصنائع البلاغية في الشعر:

هناك بعض القصائد التى شحنت بالصنعة البلاغية على حساب المعنى والعاطفة، فجاءت متكلفة ضعيفة فى عاطفتها، ولعل السبب فى هذا يرجع إلى أن هذا الأسلوب كان هو السائد فى هذا العصر أى العصر العباسي المتأخر، حيث كان معيارالجودة هواحتواء القصيدة على قدر كثير من المحسنات اللفظية والبديعية وإظهار قدرة قائلها على الزخرفة وإبرازثقافته فى شعره .

يضاف إلى هذا أن الذين برزوا في رثاء المدن والممالك من الشعراء المشارقة لم يكونوا شعراء منقطعين للشعر والأدب وإنما هم بين واعظ ومؤرخ كابن العديم وطبيب مثل بهاءالدين العزولى وغيرهما.

2- إعجاب النقاد بعواطف الشعراء الأندلسيين:

لعل الذى حمل النقاد على وصف مراثى المشارقة لمدنهم بضعف العاطفة هو نظرهم بالإعجاب إلى عواطف الشعراءالأندلسيين نحوبلادهم،والأندلسيون بحق من شعرهم يتعلم منه حب الوطن، فهو ممتزج بدمائهم وأرواحهم والأندلس تظل قبلة شاعرها أنى ذهب، ومهما اغترب.

3- تتابع الأحداث المأساوية :

وقد استمرت الحروب بالأندلس على مدى خمسة قرون تقريبا يتخللها فترات سلام مؤقت، وكانت الحروب تصطبغ بالصبغة الدينية الخالصة فهي تشتعل من أجل البقاء،فلذلك نجد المعانى الإسلامية هي أهم ما يركز عليها الشاعر ويتأسف للمساجد التى تحولت إلى كنائس، تنصب على محاريبها الصلبان المعدة لهذه الغاية فور السقوط والمدارس و معاهد العلم التى تهدمت وما إلى ذلك.

وهذا لأحداث لم يقع مثلها فى المشرق،ولذلك لم يوجد اللون الدينى في الشعر المشرقى بهذه الصورة أو بهذا القدر إلا حين سقط بيت المقدس وفعل الصلبيون به تلك الأفاعيل المعهودة عنهم.

وأما التتار فهم جيش ظلمة ووحوش تدمير ليس لديهم عقيدة ينشرونها لذلك تعرض شعراء المشرق لذكر التدمير فقط من غيرذكر للتغيير.

4- هناك سبب آخر وهو أن معظم المؤرخين الأندلسيين الذين أوردوا لنا شعر رثاء المدن الأندلسية هم أدباء وشعراء في الوقت نفسه فكانوا متمكنين من مزج الحوادث التاريخية بالأدب بحيث يشعر القارى بتفاعلهم مع الأحداث التى أوفوها حقها من التحليل الدقيق مثل ابن بسام صاحب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " وابن سعيد صاحب "المغرب في حلى المغرب" ولسان الدين بن الخطيب صاحب "الإحاطة في أخبار غرناطة " وغيرهم ممن انتهج هذا النهج. وأما شعر رثاء المدن في المشرق فقد ورد في كتب التاريخ مثل تاريخ الطبرى، وتاريخ المسعودى،ومروج الذهب، والكامل في التاريخ لابن الأثير وغيرهم، فطريقة الشعر الأندلسى أحسن إبراءً وأشد اهتماما به.

وبعد هذا المدخل الموجز أتوجه إلى المقصود الأصلي وهو بيان رثاء المدن في الأدب العربي على مرالعصور، والعصورالمشهورة فى الأدب العربي هى العصر الجاهلى،العصرالإسلامى، والعصرالأموى،والعصرالعباسى، وعصر المماليك، وعصر العثمانى والعصر الحديث وأنا أتحدث عن شعر رثاء المدن قدر المستطاع حسب الترتيب المذكور.

رثاء المدن في البلاد المشرقية

رثاء المدن في العصر الجاهلى:

لاشك أن المصائب والكوارث التي تحل بالشعوب تهز عواطف جياشة، ينتج عنها شعر ملئ بالأسف والحزن الذى يعبر عن مشاعر الشعب المصابة،وينطق بلسانها.وهنا يرد سؤال هل كان هذا الشعرفي العصر الجاهلى الذى ما كان يعرف العرب فيه العيش في الحواضر أم لا؟

والإجابة نعم، والدليل عليه القصائد الرثائية الوافرة في رثاءالدولة الحميرية في اليمن التى دمرت على أيدى الأحباش، حيث هدمت قصورها وحصونها التى لم تكن لها مثيلاتها في ذلك الوقت مثل غمدان وسلحين وغيرهما. ورثاها الشاعر الحميرى الملقب بذى جدن وهو أول نص وجد في العصر الجاهلى. وقد بدأ الشاعر قصيدته على أسلوب الشعر القديم حيث يزجر صاحبته التى أفرطت في لومه بسبب تهالكه على شرب الخمر وسماع القيان تمهيدا لذكر الفناء الذى لحق كل شيء على هذه الأرض وذكر فرار الملك ذى نواس تاركاً رعيته للقتل والأسر وألقى نفسه في البحر، يقول الشاعر:

فَإِنَّ الْمَـــوْتَ لَا يَنْـــهَاهُ نَاهٍ وَلَوْ شَرِبَ الشِفَاءَ مَعَ النُشُوْقِ

وَغِمْدَانُ الَّـذِيْ حَدَّثْتُ عَنْـهُ بَنُـوْهُ مُمْسِكًا فِيْ رَأْسِ نِـيْقِ

فَأَصْبَحَ بَعْدَ جِدَّتِهِ رِمَـــادًا وَغُيِّرَحُسْنُـهُ لِحُبِّ الْحَـرِيْقِ[1]

فقد صور أولا حسن قصر "غمدان" قبل الهدم والدمار الذى أصابه ثم أعقبه بتغير حسنه وتحوله إلى الرماد بعد الهدم والحريق ثم ذكر فرار ملكه ذى نواس عن قومه.والقصيدة لا تخلو من نغمة الحزن والأسى لاستشعار الفناء الكامل وإن كانت لا يتضح فيها إحساس أو تأثر بالحدث الذى أحاط الدولة كلها.

والنص الثانى في رثاء الدولة الحميرية للشاعر الشهيربابن الذئبة.وهذه القصيدة تكثرمن التفاصيل للحادثة، كما أنها أشد عاطفة. والشاعر يؤكد على النهاية الحتمية بتكرار ذكر الموت وأسلوب القسم، ثم يصف لناجيش الأحباش الذى غار على الحميريين، ويرسم لهم صورة رهيبة كأنهم سعالى يزحفون على البر والبحر ولهم ضجيج وعجيج صم آذان الحيوانات وفرق الفرسان الشجعان، يقول:

لَعَـمْرُكَ مَـا لِـلْفَتَى مِنْ مَفَرٍّ مَعَ الْمَـوْتِ يَلْحَقُـهُ وَالْكِبَـرِ

أَبَعْـدَ قَـبَائِـلَ مِـنْ حِمْـيَرٍ أَتَوْاذَاصَـبَاحٍ بِـذَاتِ الْعِبَـرِ

بِـأَلْفِ أُلُـوْفٍ وَجِـرَابَـه كَمَـثَلِ السَمَاءِ قُبَيْلَ الْمَطَـرِ

سَعَالِى كَمَثَـلِ عَدِيْـدِالتُّرَابِ يَبِيْسُ مِنْهُمْ رِطَابُ الشَّجَرِ[1]

1- المواعظ والاعتبارفي ذكرالخطط والآثار،أحمد بن علي المقريزى، الطبعة الأولى1935م، دار صادر، بيروت ص: 1/ 134.

والنص الثالث للشاعر الجاهلي الشهير الأعشى، وقصيدته تدور حول قصر "ريمان"[2]بينما يدور النصان السابقان حول الدولة الحميرية. وقصر رَيْمان قصرعظيم بناه تبع اليمن وزخرفه، وقد دمرعلى أيدى الأحباش والفرس الذين تعاقبوا على اليمن قبل الإسلام. والأعشى يرثى هذا القصر مع أنه لم يسكن في فنائه،حيث قال فى رثائه أبياتا تشتمل على الحكمة والدعوة إلى التدبر في تقلبات الأيام أكثر من العاطفة المشبوبة بالحزن. وقد بين فيها الأعشى تحول هذا القصر الشامخ إلى أطلال تسكنها الثعالب، وغدا مهدوم الأعالى والأسافل، وأشار في آخرها إلى السنة الثابتة المسلمة في التغيير الدائم في هذه الحياة كل حين وآن ومن قصيدته:

يَا مَنْ يَرَى رَيْمَانَ أَمْسَى خَاوِياً خَرِباً كِعَابُهُ

أَمْسَى الثَعَالَبُ أَهْلَهُ بَعْدَالَّذِيْنَ هُمْ مَآبُهُ[3]

وهناك قصائد كثيرة في رثاء القصور والمنازل والممالك الزائلة والأقوام البائدة وتقلب الأحوال السياسية وعصف الدهر بصفة عامة مثل قصيدة لشاعر من

1- السمط اللآلى لعبدالله بن عبد العزيز الأندلسى البكرى، 193م، دار الكتب، القاهره،ص: 792/2

2- ريمان : قصر عظيم الذي بناه تبع اليمن وزينه، ودمر على يدالأحباش والفرس الذين تعاقبوا على اليمن قبل الاسلام . انظر: الروض المعطار (ريمان) ص 352/1.

3- معجم البلدان، للحموى، 1995م دارالفكر- بيروت، ص: 114/3

كندة، والقصيدة بتمامها موجودة في الحماسة للبحتري.[1]

والقصيدة لعدى بن زيدالعبادى[2] وهي تتضمن اثنى عشر بيتا والقصيدة بأكملها في الأغاني واللباب.[3]

وأسلوب هاتين القصيدتين واحد وهوأسلوب الوعظ والعبرة. فقد بين الشاعران فيهما هلاك الأقوام البائدة من قوم نوح وعاد وثمود والأسر القديمة والممالك الغابرة من الأحباش والفرس والروم الذين أصبحواأحاديث وعبر وضربوا مثلا لهوان الدنيا حيث لادوام لشيء فيها إلا التغير والحدوث. ولا تأتى سعادة إلا ويعقبها نكد وشقاء.

ولاحظت خلال قراءتى فى شعر رثاءالمدن والممالك في العصرالجاهلى:

❖ أن كثرة القصائد وغالبيتها تدور حول الفرس والروم ولا نجد ذكر القبائل العربية إلا بقلة شديدة،ولعل السبب في ذلك هو الفرق الشاسع في الحضارة والعمران بين العرب والأمم المذكورة، والدليل على

1- الحماسة للبحتري (ت/248هـ)، تحقيق الدكتور محمدإبراهيم حور – أحمد محمد عبيد، 2007م المجمع الثقافي أبو ظهبي، ص: 116- 115.

2- عدي بن يزيد بن حماد التميمي العبادى من أهل الحيرة، شاعر مجيد، وكان يحسن العربية والفارسية، وهو أول من كتب بالعربية في إيوان كسرى أنوشروان، وتوفي مقتولاً سنة 35 قبل الهجرة على يد النعمان بن المنذر. انظر الأغانى ص: 97/2.

3- اللباب في تهذيب الأنساب، ابن الأثير، تحقيق محمد الرجب، الطبعة الثانية، مكتبة المثنى، بغداد، ص: 311/1، والأغاني، أبو الفرج الأصفهانى تحقيق سميرجابر، الطبعة الثانية، 1980م دارالفكر، بيروت،ص: 92/2.

ذلك ذكر الشعراء إيوان كسرى واتخاذه مثلا أعلى لعزة الملك والسلطان حتى في العصور الإسلامية الزاهرة.

- ❖ أن اللون الغالب على تلك القصائد هو لون الحكمة والدعوة إلى الاتعاظ والاعتبار بما أصاب الأقوام المدمرة وقل لون البكاء والحزن فيها. ولعل السبب فى هذا راجع إلى أن الشاعر يرثى أطلالا لغيره وليست لبنى عشيرته أولكون الغرض من ذلك إظهار الحكمة والحنكة من خلال مرور الحوادث على نفس الشاعر.

رثاء المدن في عصر صدر الإسلام:

لا يوجد شعر في رثاء المدن في بداية هذا العصر أى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وهو خير القرون ولعل السبب فى هذا أنه لم توجد مدن قد خربت أو بيوت قد هدمت، فالحروب كانت تشتعل خلاج الحواضر فى قلب الصحراء. واستمرعهد الخلافة الراشدة على نفس النهج رغم حصول كثير من الفتن في هذه الفترة ولاسيما فترة خلافة سيدنا على رضى الله عنه خلال الحروب التى جرت بينه وبين سيدنا معاوية رضى الله عنه.

ولاحظت أن شعرالرثاء في هذه الفترة يدور حول الأشخاص وتمجيد بطولاتهم وشجاعتهم خلال الغزوات والحروب إلا أن هناك قصيدة في رثاء

الحيرة لابن بقيلة التى قالها صاحبها عندما غزا أهل الحيرة خالد بن الوليد (سيف من سيوف الله)رضى الله عنه وقت عودته من حروب المرتدين في اليمامة وبعد القضاء على رائدهم مسيلمة الكذاب، فلما وصل إليها خالد بن الوليد (رضى الله عنه) طلب واحداً من عقلاء أهلها ليتحاور معه حسب دأب المسلمين في الحروب مع الكفرة وهوعرض الإسلام أولا وطلب الجزية ثانيا، وفي الأخير الحرب، فخرج إليه ابن بقيلة الشاعرالمذكوروكان في ذلك الوقت كبير السن ذا تجربة واسعة وحكمة بالغة فلما تكلم أعجب خالد بحكمته وحسن جوابه وتم الاتفاق على الصلح بدفع الجزية وحينما دخل المسلمون الحيرة بدأ الشاعر يحزن وأنشد الأبيات الآتية :

أ بعْـد الْمُنْذَرَيْنِ أَرَى سُـوَاما تَرُوحُ بِالْخَوَرْنَـق وَالسَّدِيـرِ

تَحَامَاهُ فَوَارِسُ كُلِّ حَـــيٍّ مَخَافَةَ ضَيْغَمٍ عَالِي الـــزَّئِيرِ

فَـصِـرْنَا، بَعْدَهَلْكِ أَبِي قُبَيْسٍ كَمِـثْلِ الشَّاءِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ

تَقَـسَّـمُنَا الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَـدٍّ كَـأَنَّا بَعْضُ أَجْزَاءِ الْجَـزُورِ[1]

تحدث الشاعر في هذه الأبيات عن تجربة واقعية مر بها وهوواحد من سكان هذه المدينة ومن أهلها. فالأبيات تعج بألوان من الحزن والأسى وصدق

1- الْمَعَالِمِ الْجُغرافِية الْواردة في السيرة النبوية لابن هشام، لعاتق بن غيث البلادي، الطبعة الأولى 1402هـ، دارمكة، ص: 99/1 ومعجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي، ص: 99/1،402/2.

الشعور لما أصاب القوم من الذل والخزى فى زعم الشاعر بدفع الجزية بدل الدفاع بالسيف ؛ فهم كانوا قوما ذوى قوة ومنعة في الأيام السالفة القريبة، وذكر ملوك دولة الحيرة الكبار مثل المنذر والنعمان ونحوهما أصحاب الخورنق والسدير الذين ماتوا فأصبح الناس بعدهم محطمين مقهورين من قبل القبائل والأقوام الواردة على دولتهم ولا يجدون ملجأ فهم "كجرب المعز في اليوم المطير" ويتضح من هذه الأبيات العصبية القبلية والحمية القومية لأن الشاعر قد أحس بالذل والخزى لدفع الجزية فحسب مع أن المدينة لم تدمر و لم تخرب وما قتل أهلها وما نهبوا.

رثاء المدن في العصر الأموى

ولم نجد رثاء المدن في هذا العهد مباشرة لأنه لم تسقط هناك أى مدينة من المدن الإسلامية في أيدى الأعداء غير المسلمين بل كان الأمر يدور بين أشخاص بيت واحد من أسرة حاكمة فهذه التقلبات السياسية التى كانت تسبب اضطراب المجتمع أحيانا صورها بعض الشعراء الذين عاصروها، ثم نجد بعد ذلك بعض الشعراء الذين رثوا دولة الأمويين بعد انقراضها،وأنا أذكربعض النماذج من أشهر شعراء هذا العهد:

الشاعر الأول: عبد الله بن عمر بن على بن عدى العبلى وهو شاعر أموى، وله قصيدتان في رثاء دولة الأمويين ويتضمن كل منهما واحدا وعشرين بيتاً.

يقول في إحداهما:

تَـقُـولُ أُمَامَـةُ لَـمَّـا رَأَتْ نُشُوزِيْ عَنِ المَـضْجَعِ الأَنْفَسِ

وقِلَّةُ نَوْمِيْ عَلَى مَضْجَعِـي لَدَى هَجْعَةِ الأَعْيُـنِ النُّعَّـسِ

عَـرَوْنَ أَبَـاكِ فَحَـبَّـبْـتُـهُ مِنْ الـذُّلِّ فِيْ شَـرِّ مَا مَحْبِسِ

لِفَقْدِ الْعَشِـيْرَةَ إِذْ نَالَـهَا سِـهَامٌ مِنَ الْحَـدَثِ المُـبْئِـسِ[1]

وقد جمع في القصيدة الثانية بين التحذير والتعنيف والرثاء، وذكر فيها عدم رضاه عن تصرفات بنى أمية كسَبٍّ على رضى الله عنه وأهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ومع ميله إلى سيدنا على – رضى الله عنه– وأهل بيت النبى – صلى الله عليه وسلم– وهو يحزن على بنى أمية ويجنبه الرحم والرأفة فيقف باكيا وراثيا وداعيا لهم بالرشاد والسداد.

والشاعر الثانى:أبو العباس الأعمى[2] وهو من موالى بنى أمية، اشتهرفي رثاء دولة الأمويين، وكان يحبهم حبا جما، ولا يشرك معهم أحدا في هذا الحب حتى كان يعادى أهل بيت النبى– صلى الله عليه وسلم – وله قصيدة في رثاء بنى

1 الأغانى ص: 11\307– 308.

2– أبو العباس الأعمى هو السائب بن فروخ المكي، مولى لبني جذيمة بن عدي، كان فاسقاً هجاءلآ ل الرسول مائلاً إلى بني أمية. انظر الأعلام، خيرالدين الزركلي،ص: 110/3.

أمية مليئة بالمدح والثناء للأمويين. والقصيدة تعصر حزنا وألما لفقد دولة بنى قومه، حينما فارقهم السعد وقدر لهم الشقاوة.[1]

والشاعر الثالث: عثمان بن الوليد بن عمارة القرشي، وهذا الشاعر يختلف عن سابقيه من حيث العاطفة والأسلوب فهو يركز على الاعتبار بالموت المؤكد لكل فرد من أفراد الحيوان مهما بلغ شأنه في هذه الحياة،وعباراته واضحة وصريحة في هذا المعنى. والقصيدة تشتمل على أحد عشر بيتا من الشعر.[2]

رثاء المدن في العصر العباسي

بعد نهاية الدولة الأموية وضياع ملوكها وُكِلَ الأمر إلى العباسيين،فلما تمكنوامن الدولة اتجهوا إلى تثبيت أركانها والعناية بشؤنها السياسية والإدارية والاقتصادية والعلمية. وجمعوا الجنود العظيمة للحفاظ على البلاد الإسلامية من غارات الروم وغيرها وبعثوا العساكر الكثيرة للجهاد في سبيل الله وفتح البلدان، فحصلوا على الأموال والغنائم حتى بدأ الناس يعيشون في رخاء ونعيم، ثم توجهوا إلى العمران،وبناء القصور والبنيان، وكان كثير من خلفاء العباسيين علماء وأدباء مثل المنصور والرشيد والمأمون فقدروا العلم والعلماء حق قدرهم. وظهرت الترجمة ونقل علوم الحضارات الأخرى إلى اللغة العربية بسبب امتزاج الشعوب

---

1 – المرجع السابق، ص: 299/16، 300.

2 – حماسة البحترى، ص:126.

بعضها ببعض، وتطورت بغداد عاصمة الخلافة تطوراً عظيماً وذاع صيتها في الآفاق، وأصبحت قبلة الأدباء والشعراء والعلماء واستمرت هذه الحال إلى أن توفي الرشيد سنة ثلاث وتسعين ومائة وهي مدة قرن من الزمان تقريباً. وبعدوفاة هارون الرشيد ظهرت الفتن المختلفة وألخصها فيما يأتي:

الحادثة الأولى: الفتنة المظلمة التى وقعت بين ابنى الرشيد الأمين والمأمون واهتزت بها عاصمة الدولة،وكان من أعظم أسبابها ترجيح الرشيد ابنه الأصغر"الأمين" على ابنه الأكبر"المأمون" وجعله الأمين ولياً لعهده دون المأمون رغم أنه كان أكبر سناً وأرجح عقلًا من الأمين، وإنما قدَّمه ليُرضى أمه زبيدة بنت عمه وزوجته المحبوبة.[1]

ونتج عن هذا الأمر حرب عظيمة بين الأخوين، الأمين والمأمون التى دمرت بغداد، فرثاها كثيرمن الشعراء وأشهرهم:

1-الشاعر الكبيرأبو يعقوب إسحاق بن حسان الخريمى، وله قصيدة من أطول القصائد الرثائية في اللغة العربية وهي تتضمن ثمانية وثلاثين ومأة بيت شعر وتعتبر هذه القصيدة من أوائل النصوص الشعرية المتكاملة التى قيلت في رثاء المدن ومنها:

1- تاريخ الأمم والملوك لمحمد بن جريرالطبرى، الطبعة الأولى 1407هـ دار الكتب العلمية – بيروت، تلخيص من ص: 277/8 وما بعدها، والأنباء فى تاريخ الخلفاء لابن العمرانى، الطبعة الأولى 1419 هـ/1999م، دارالآفاق العربيةص:276.

قَالُوْا وَلَمْ يَلْـعَبِ الـــزَّمَانُ بِبَغْدَادَ وَتَعْتُرْبِهَا عَوَاثِرُهَـا

إِذْهِيَ مِثْلَ الْعُـرُوْسِ بَاطِنُهَا مُشَوَّقٌ لِلْفَتَى ظَاهِـــرُهَا

جَنَّةُ خُلْدٍ وَدَارُ مُغْـبَطَـــةٍ وَقَلَّ مِـنَ النَّائِبَاتِ وَاتِرُهَا[1]

2- الشاعر الثانىالذى ثار على دمار بغداد وبكىعلى سكانها خلال فتنة الأمين والمأمون هو على ابن أبى طالب الملقب بالأعمى وتشتمل قصيدته على سبعة وثلاثين بيتا من الشعر بالإضافة إلى بعض المقطوعات الشعرية للشعراءالآخرين.[2]

الحادثة الثانية : الثورة على المتوكل وقتله وكان سبب قتله فتنة كالتى حدثت بين الأمين والمأمون وهوولاية العهد، فقد عقد المتوكل على الله سنة 235هـ البيعة لبنيه الثلاثة "محمد" وسماه "المنتصر"، "وزبير" ولقبه "المعتز"،و "إبراهيم" ولقبه "المؤيد"، وجعل ولاية العهد على الترتيب ذاته ولكن بعض وزرائه مثل الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى وغيرهما كانوا يحبون "المعتز" أكثر من "المنتصر" فما زالوا بالمتوكل حتى أقنعوه بتقديم "المعتز" على "المنتصر" في بعض الأمور مثل إمامة الناس في صلاة الجمعة وكانت هذه بدايات لتقديم المعتزعلى المنتصربولاية العهد فأغضب هذا الأمرُ المنتصرَ حتى بدأ يفكر في الأمر الذى

1- ديوان الخريمى، جمع وتحقيق:على جوادالطاهر ومحمد جبارالمعيبد، الطبعة الأولى سنة 1971هـ، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان،ص: 27،35.

2 - تاريخ الطبرى، ص: 154/9، ومروج الذهب ومعادن الجوهر،أبو الحسن علي بن الحسين للمسعودى، 1409هـ، دارالهجرة، قم، إيران، ص: 410/3.

يخلصه من أبيه فاتفق مع القوادالأتراك مثل باغر التركى وغيره فقتلوه مع وزيره الفتح بن خاقان.وتمكن المنتصر من الخلافة وعزل أخويه من ولاية العهد وأمر بهدم المدينة "الجعفرية " التى بناه أبوه المتوكل وقصره "القصر الجعفرى".[1]

وقد رثاء الشاعرالعباسى الشهير البحترى حول "القصر الجعفرى" وله قصيدة رائعة فيها التي مطلعها:

تَغَيَّرَ حُسْنُ الْجَعْـفَرِيِّ وَأَنْسُهُ وَفُوِّضَ بَادِى الْجَعْفَرِيْ وَحَاضِرُهُ

تَحَمَّلْ عَنْهُ سَاكِنُوْهُ فُجَـــاءَةً فَأَضْحَتْ سَوَاءً دُوْرُهُ وَمَقَــابِـرُهُ[2]

وله قصيدة أخرى الشهيرة ب "سينيةالبحـــتـــرى في إيوان كسرى"[3]

الحادثة الثالثة :تدمير البصرة على أيدى الزنج وهي تسمى بثورة الزنج لكون معظم جيشها من الزنج والعبيد والغلمان وظهرت هذه الثورة على يد رجل ظهر في فرات البصرة وادّعى أنه علوى واسمه على بن محمد بن أحمد بن زيد حتى وصل إلى على بن أبى طالب ودعا الناس إلى بيعته واتباعه بإدعائه أنه أحق بالخلافة من بنى العباس. فتبعه خلق كثير من أهل البحرين ولقى هناك من التعظيم والإجلال ما يفوق الوصف وغاروا على البصرة مرارا حتى استمرت غاراتهم

1- الأعلاق النفيسة،لأبى علي أحمد بن عمرابن رستة، الطبعة الأولى 1998م، دار الكتب العلمية ملخص ص: 7/ 366-367.

2 - ديوان البحترى،للوليد بن عبيد الطائى، 1960م القاهرة،ص: 1045/2.

3- المرجع السابق،ص: 1152/2ـــــ1162.

إلى أربع عشرة سنة من 256هـ،869 م إلى 270هـ،883م[1]وأصاب الناس بلاء عظيم حتى اضطروا إلى أكل الكلاب والسنانير والفئران ووصلوا إلى غاية الضيق حتى إذا مات منهم واحد أكلوه[2] وبلغ عدد القتلى من أهل البصرة إلى ثلاث مائة ألف ما بين ذكر وأنثى وطفل وشيخ، ولحق البصرة الدمار والخراب ما يفوق الوصف.[3]

ومن أشهر شعراء هذه الحادثة شاعران وهما:

1-ابن الرومى وله قصيدة طويلة بديعة ومنها:

ذَادَ عَنْ مُقْلَتِيْ لَذِيْذَ الْمَنَامِ شُغْلُهَا عَنْهُ بِالدُّمُوْعِ السِّجَامِ

أَيُّ نَوْمٍ مِنْ بَعْدِ مَا حَلَّ بِالْبَصْرَةِ مَاحَلَّ مِنْ تَلَكُّمِ الهنَاتِ عِظَامِ

أَيُّ نَوْمٍ مِنْ مَّا انْتَهَاكَ الزَّنْجُ جِهَادًا مَحَا رِمَ الْإِسْلَامِ[4]

2- أبو ناظرة السدوسى وهو أحد أبناء البصرة وشهد خرابها ودمارها على أيدى الزنج وقال في رثائها قصيدة رائعة، وهي تشمل ثمانية وثلاثين بيتا من الشعر.[5]

---

1 - تاريخ الطبرى،ص: 487/9.

2 - مروج الذهب للمسعودى،ص: 119/4.

3 - تاريخ الطبرى،ص: 487/9.

4- ديوان ابن الرومى، على بن العباس بن جريج ابن الرومي، تحقيق أحمد حسن بسج، 1423هـ 2002م، دارالكتب العلمية، والقصيدة ثمانون بيتا من الشعر، ص:419 ـــ427.

5 - والقصيدة بتمامها فى تاريخ الطبرى،ص: 607/9.

الحادثة الرابعة :سقوط بيت المقدس على أيدى الصليبيين (النصارى). وقد كان في قلوب النصارى حقد شديد ضد المسلمين منذ ظهور الإسلام الذي تضاعف بفتح القدس في عهد الخليفة الراشد الثانى سيدنا عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- وكانوا يعدون العدة وينتظرون الفرص لإرجاعه إلى العناية النصرانية ولإطفاء غيظهم بالانتقام من المسلمين، فوافقوا الظروف في النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى، وكان العالم الإسلامى في تلك الأيام موزعا بين مراكز وقوى متعددة يعادى بعضهم بعضا فاغتنم النصارى هذه الفرصة وجمعوا شملهم وبدأوا بالغارات على المدن الإسلامية التي استمرت إلى أن خضعت سائر المدن التى مروا عليها حتى وصلوا إلى أسوار بيت المقدس سنة 492هـ وواجهوا ردا عنيفا من قبل المسلمين ولكن استمر زحفهم حتى ألصقوا بالسور ورموا من عليه بالمجانيق إلى أن انهزم المقاتلون من المسلمين ودخل الصليبيون القدس دخولا مرعبا وأبردوا حقدهم على الإسلام والمسلمين ولم يفرقوا بين ذكر وأنثىأو صغير وكبيرأو شاب وشيخأو عالم وجاهل، وقتل الناس بدون حساب،وهتكوا المواضع المباركة.[1]

وممن رثى بيت المقدس بعد سقوطها في أيدى الصليبين في الحادثة المذكورة :

---

1 - الكامل فى التاريخلابن الأثيرص: 474/10 ـــــــــــ477 بتلخيص .

1-أبو المظفر محمد بن أبى العباس الأبيوردى وله قصيدة تتضمن 22 بيتا من الشعر مليئة بالمعانى الحزينة مطلعها:

مَزَجْنَا دِمَاءً بِالدُّمُوْعِ السَوَاجِمِ فَلَـمْ يَبْقَ مِنَّـا عَرْصَةً لِلْمَرَاحِمِ

وَشَرُّسِلَاحِ الْمَرْءِ دَمْعٌ يُفِيْضُهُ إِذَاالْحَرْبُ شُبَّتْ نَارُهَابِالصَّوَارِمِ[1]

2- شهاب الدين يعقوب بن المجاور وله قصيدة تشمل 46 بيتا.

وهناك كثيرمن القصائد في بطون الكتب التاريخية التى لم يعثر على قائليهاوهى ترسم أروع صور لهذه الحادثة العظيمة.

الحادثة الخامسة : هجوم التتار على المدن الإسلامية والرثاء حولها:

ويعد هجومهم من أعظم المصائب، وعمت هذه الحادثة الخلائق، وخصت المسلمين كما قال المؤرخ العظيم ابن الأثير:" فلو قال قائل إن العالم منذ خلق الله آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثل هذه الحادثة الكبرى لكان صادقاً".[2]

وخرج هؤلاء الوحوش في سنة 616 من الهجرة من أطراف الصين وهم كانوا يعبدون الروح، وكان ظاهر سبب هجومهم وخروجهم اعتداء أحد ولاة خوارزمشاه على تجار التتار الذين كانوا يمرون بأرضه آمنين وقتلهم ونهب ما معهم من المتاع بزعم أنهم جواسيس. وكان هذا الوالى خالا لخوارزم فأنكر

1- موسوعة الحروب الصليبية، عصر الدولة الزنكية، للدكتور علي محمد محمد الصَّلَّابي، الطبعة الأولى، 1428 هـ /2007 م، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – مصر، ص: 391/3.

2- الكامل فى التاريخ،لابن الأثير، ص: 358/12.

تسليمه للتتار، فوقع الخلاف بينهم فبدأوا بغارات عنيفة على الدولة الخوارزمية تقدموا نحو بخارى، وسمرقند، ونيسابور، وجرجانية عاصمة إقليم خوارزم ومراغة واستمروا فى مسيرهم حتى وصلوا بغداد عاصمة الخلافة العباسية سنة 656هـــ وقتلوا أغلب السكان فى المدن المذكورة.

وتوجه هولاكو بعد فراغه من تدمير بغداد وقتل أهلها مع خليفتهم المعتصم نحو بلاد الشام سنة 657هـــ ودمر"حلب" وقتل خلقا كثيرا حتى امتلأت الطرق بجثث القتلى، وسبى النساء والأطفال.ونهب الأموال ما استطاع وعمل أعمالاً تقشعر منها الجلود.[1]

وبعدالقضاء على "حلب" توجه جيشه قِبَل دمشق فوجدأهلها بحيث لا طاقة لهم بالمقاومة فأطاعوه وسلموه مفاتيح المدينة فدخلها فاتحا من غيرزحم إلا من كان في قلعة دمشق فاستعصوا عليه فحاصرها جيشه ودكوها بالمجانيق حتى استسلموا فقتل جميع من كان فيها فقضى على حكم المسلمين وأقام نائبا هناك ثم وجه أخيرا إلى السلطان المملوكى قطز خطاب التهديد والوعيد ولكن صمم السلطان الشجاع على الجهاد ومنع التتار بعد استشارة بقُوَادِه فقتل رسل هولاكو وخرج بجيشه بقيادة الظاهر بيبرس والتقى بالجند التتارى بقيادة كتبغا ووقعت

1 – تاريخ مختصرالدول، لأبى الفرج غريغوريوس الشهيربابن العبرى، الطبعة الثانية 1415 هـــ 1994م، دارالرائد اللبنانى، ص:277.

حرب شديدة بين الفئتين فى معركة "عين جالوت" فانهزم جيشهم هزيمة فظيعة لأول مرة في تاريخهم وذلك في سنة ثمان وخمسين وستمائة.[1]

وقال الشعراء القصائد البديعة في رثاء المدن التى دمرت أثناء هذه الفتنة الفاجعة ومن أشهرهم:

1- أبو الحسن المراغى هو من أبناء المراغة وقد رثى مدينته وما لحق لها من دمار وله قصيدة جميلة تشمل 22 بيتا من الشعر.[2]

2- وقصائد الرثاء في اندثار بغداد على أيدى التتاركثيرة،منها قصيدتا الشيخ شمس الدين الكوفى، وهما من بين القصائد التى وقع عليها الاختيار لتكون محل دراسة فى هذا البحث وسيأتى الكلام فى ذلك مفصلا عند الحديث عن رثاء بغداد .

3: وقال ابن العديم كمال الدين عمربن عبد العزيز الحلبى قصيدة رائعة في رثاء مدينته "حلب" [3]

والحادثة السادسة : الهجمات التيمورية على البلاد الإسلامية عامة والبلاد الشامية خاصة بعد هجمات جنكيزخان وهولاكو قرابة قرن ونصف، وذلك في

---

1 – المغول فى التاريخلفوادعبد المعطى الصياد، الطبعة الأولى 1956م دارالمعرفة لبنان، ص:294.

2- عقود الجمان فى شعراء كل زمان، لمبارك بن أبي بكرابن الشعارالموصلى، الطبعة الثانية 1987م، دارالكتب العلمية، بيروت،ص: 40/4 ــ41

3 – تاريخ أبى الفداء،الملك المؤيد إسماعيل بن أبي الفداء، 1965م، دار الكتاب، ص: 215/3.

بداية القرن التاسع الهجرى أى سنة 802هـ حيث شن تيمور لنك غارات على البلاد الإسلامية فاهتزت أركانها وتم إحراق دمشق كلها،وسيأتى الكلام فى ذلك مفصلا عند الحديث عن رثاء دمشق.وإن ما ذكرنا في رثاء المدن في البلاد المشرقية سيُقنع ا لقارى للرد على ما ذهب إليه بعض المحققين بأن رثاء المدن فن من الفنون الشعرية الأندلسية المحدثة.

رثاء المدن في البلاد الأندلسية المغربية

والآن نتحدث عن نبذة لرثاءأهم المدن الأندلسية وأشهرشعرائها التى دمرت على أيدى أعداء الإسلام والمسلمين من النصارى وغيرهم مباشرة أوبسبب مؤامراتهم. ونتعرض للمدن التى كانت لها أهمية بارزة في المجتمع ولسقوطها أثر بالغ في قلوب الجماهير، مثل "قرطبة" و "بربشتر" و"طليطلة" و"بلنسية"و"إشبيلية"و"القيروان". ثمنتحدث عن "قرطبة" في فصل كامل كصلب الموضوع في موضعه من الرسالة بإذن الله تعالى ــ

رثاء بربشتر:

وكانت' هذه المدينة تحت حكم سليمان بن هود الملقب بالمستعين بالله ملك سرقسطة[1]والثغر الأعلى، وقسّم ملكه قبل موته بين بنيه الخمسة، فظهر بينهم التنافس

1 – سرقسطة: بفتح أوله وثانيه ثم قاف مضمومة وسين مهملة ساكنة وطاء مهملة، دويلة مستقلة تكونت أثناء فترة فتنة الأندلس عام 403 هـ/1013 م على أنقاض ولاية الثغر الأعلى إحدى ولايات الدولة الأموية في الأندلس، وظلت على استقلاليتها حتى ضمها المرابطون عام 503هـ، 1110م. كان لسرقسطة دورها السياسي والثقافي البارز في تلك المنطقة في عهد حكامها المقتدروالمؤتمن والمستعين، ولا يزال قصر الجعفرية يشهد على التقدم العمراني الذي

والتوسع فيما تحت أيديهم فوقعت الحروب بينهم وضعف بطشهم فاستغل النورمان الصليبيون هذه الفرصة، وزحفوا إلى بربشتر سنة ست وخمسين وأربعمائة، فقتلوا ونهبوا وأسروا من أهلها ما استطاعوا لا سيما الفتيات المسلمات الأبكار.

ومن أشهر شعراء الرثاء لهذه المدينة :

أبو محمد عبد الله بن فرج اليحصبى الشهيربابن العسال (ت/487هـ) شاعرمؤلف عالم باللغة والأدب [1]وقد وصف الشاعر هذه الحادثة المروعة التى أثارت مشاعره وأحزانه، ورسم صورة دمار مدينته بقسوة شنيعة من قبل النصارى.

وذكربعض أسباب ضعف المسلمين وهوانهم من جبن الحكام،ومجاهرة الجماهير بالكبائر وما إلى ذلك.ومن قصيدته:

وَلَقَدْ رَمَانَا الْمُشْرِكُوْنَ بِأَسْهُـمٍ ... لَمْ تُخْطِ لَكِنْ شَأْنُهَا الإِصْمَاءُ

وَلَـرُبَّ مَوْلُـوْدٍ أَبُوْهُ مُجَدَّلٌ ... فَوْقَ التُّرَابِ وَفَرْشُهُ الْبَيْـدَاءُ

مَاتَتْ قُلُوْبُ الْمُسْلِمِيْنَ بِرُعْبِهِمْ ... فَحُمَا تُنَا فِيْ حَرْبِهِمْ جُبَنَـاءُ

لَوْلَا ذُنُوْبُ الْمُسْلِمِيْنَ وَأَنَّـهُمْ ... رَكِبُوْا الْكَبَائِرَمَا لَهُنَّ خَـفَاءُ

وصلت إليه تلك الدويلة.انظرمعجم البلدان، ياقوت الحموي، ص: 456/3،وموقع ar.wikipedia.org/wiki/ 2014/7/16.

1 – الصلة في تاريخ أئمة الأندلس،أبوالقاسم خلف بن عبد الملك الشهير بابن بشكوال، 1989م، دارالكتاب المصرى، القاهرة، ص: 285/1، و وفيات الأعيان ، ص: 27/5–28.

مَا كَانَ يُنْصَرُ لِلنَّصَارَى فَارِسٌ أَبَداً عَلَيْهِمْ فَالذُّنُوْبُ الـــدَّاءُ[1]

رثاء طليطلة :

وكانت طليطلة مدينة من المدن الأندلسية ذات أهمية كبيرة فى شتى النواحى الحربية والاقتصادية وغيرها. وحصل عليها البربر غنماً من بني ذي النون بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس.[2]

وكان من أكبر حكامها يحي بن إسماعيل بن ذي النون الملقب بالمأمون، وفسدت أحوال " طليطلة " بعد موت المأمون، وتَدَخّل النصارى في أمور الحكومة، وتربصوا الوقت المناسب للهجوم عليها حتى وافقهم شهر صفر سنة 478 هـ فدخلوا المدينة بعد الاتفاق على كثير من المواثيق والعهود المبرمة، ولكن بعد الدخول نبذوا جميع المواثيق وراء ظهرهم وبدأوا يأسرون ويقتلون،ويستبيحون الحريم ويستأصلون الراحل والمقيم، وحولوا المساجد إلى الكنائس. وكان سقوطها ممهدا للسقوط النهائى لجزيرة الأندلس.[3]

---

1 – صفة جزيرة الأندلس لمحمد بن عبدالمنعم، تحقيق: لاقي بروفنصال، الطبعة الثانية 1988م – 1408 هـ، دارالجيل، بيروت، لبنان، ص: 54/1.

2- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،ص: 161 – 163.

3 – المرجعالسابق،ص: 161- 163.

وظهرت أصوات الشعراء محذرة من بطش النصارى ونقل أغلب القصائد الرثائية بإخفاء أسماء الشعراء.[1] ونقل المقرى بعض الأبيات لابن العسال في رثاء طليطلة وقصيدة طويلة تتضمن 65 بيتا من الشعربدون اسم الشاعر، وهي من أروع القصائد الرثائية.[2]

رثاء بلنسية :

وقد واجهت هذه المدينة نكبتين كبيرتين:

النكبة الأولى: إحراقها على يد زوجة السيد القنبيطور حاكم شرقى الأندلس كله والتى تولتها بعد موت زوجها، ولم تستطع الوقوف أمام جيش المرابطين، فأحرقت المدينة كلها سنة 495هـــ فصارمعظمها أطلالا دارسة عند دخول المرابطين.[3]

ومن أشهر الشعراء الذين رثوا طليطلة على هذا الإحراق الكامل:

1- ابن خفاجة وله قصيدة طويلة ورائعة ووقف هناك وقفة حزينة بساحة مدينته التى ذهبت محاسنهانتيجة التدميروالإحراق حتى تغيرت

1 – نفح الطيب، ص: 352/4.

2 – المرجع السابق، ص: 483/4.

3 – الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،لا بن بسام، ص: 99/1.

كلهاوأصبحت عينه تنكرها مع أنهاهي هي.[1]

2- ورثى أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن خلصة الشذونى، إحراق بلنسية، وذكر في قصيدته تغير الأحوال للمدينة وأحس الوحشة بذكر السادة الهالكين، وأصابه الحزن الشديد لإحراق مدينته.[2]

النكبة الثانية : هي التى أصبحت بعدها مدينة بلنسية مدينة نصرانية، وهي هزيمة الموحدين في معركة حامية قادها الخليفة الناصر لدين الله حاكم بلنسية ضد النصارى، والتقى الجيشان في موضع يعرف بـــــ "العقاب" وتمزق جيش الموحدين في آخرها شر ممزق بعد ما رجحت كفتهم في البداية، وكانوا واثقين من النصر والفتح، وفرّ الخليفة بمن بقى معه، وأخذ النصارى يطاردون الفارين ويوقعون فيهم أكره ضروب السفك والقتل حتى قتل أكثرهم، وظلت هذه الهزيمة أشنع الهزائم وأشدها شؤما ووبالا في تاريخ الأندلس كله.[3] واهتزت بهذه الهزيمة الأندلس كلها وبدأت أحوال الأندلس تتخلف بعدها وتشملها الفوضى المدمرة إلى أن دمرت بلنسية

---

1 – والقصيدة فى ديوان ابن خفاجة، ص: 354.

2 – جذوة المقتبس في ذكرولاة الأندلس، لحافظ أبى عبدالله محمد بن فتوح الحميدي، الأندلسي،الطبعة الثانية، دارالكتب العربي بيروت، 1952م، ص: 54.

3 – المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، شرحه واعتنى به الدكتور صلاح الدين الهواري، الطبعةالأولى 1426 هـ – 2006 م، المكتبة العصرية، ص: 183،185.

وسقطت في يد النصارى بعد ما استنارت بنورالإسلام أكثر من خمسة قرون وذلك في سنة 635هـــ.[1]

ومن أشهرمن رثى هذهالحادثة الكارثة أبوالمطرف أحمدبن عبدالله بن عميرة المخزومى(582-656هـــ) وله ثلاث قصائد في رثاء مدينته الجميلة "بلنسية " والقصائد مفعمة بالحزن والشوق إلى الوطن بكل أجزائه والبكاء على فراقه، ونراه اشتد ألمه على أنها سقطت بيد الكفار، وذهبت صبغتها الإسلامية . منها ما قاله بقلب محرق:

أَمَّا بَلَنْسِيَّة فَمَثْوَى كَـــافِـــرٍ حُفَّتْ بِهِ فِيْ عُقْرِهَا كُفَّـــارُه

فِيْ كُلِّ قَلْبٍ مِنْهُ وَجْدٌ عِنْدَه أَسَفٌ طَوِيلٌ لَيْسَ تَخْبُو نَارُه[2]

رثاء إشبيلية :

هي من مدن الأندلس الجليلة تقع على نهر الوادى الكبير، وكانت محاطة بالقلاع والحصون المشحونة بالمقاتلين بالإضافة إلى خصبها وكثرة منافعها.وفى سنة 644هـــ جمع فرناندو الملك القشتالي جمعاً كبيراً وسار به إلى إشبيلية، فاصطدم

1 - تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ليوسف إشباخ تحيقالدكتور محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية 1967 م مكتبة الخانجى للطباعة والنشروالتوزيع، ص: 444/2.

2 - صفة جزيرة الأندلس منتخبة من " روض المعطار،أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، الطبعة الثانية 1408هـــ 1988م دار الجيل، بيروت، لبنان، ص: 51، 52.

بحصن "قرمونة" فحاصره وأهلك كل ما حوله،واستمرت الجيوش في السيرواحتلال القلاع حتى وصلت إلى إشبيلية وحاصرتها براً وبحراً.

وضرب أهل إشبيلية أروع الأمثلة في الدفاع عن بلدهم ولكن كثرة الجيوش،وضخامة النجدات النصرانية أفقدت المحاصرين كل أمل، وغلب الجوع والضيق والإرهاق على أهل المدينة، فاضطروا إلى تسليمها بعد خمسة عشر شهراً من الحصار الشديد وهاجر منهم ما يزيد على أربعمائة ألف نسمة ودخل فرناندو المدينة وجعل فيها مركزا نصرانيا، ورفعت الصلبان والأجراس الضخمة على منارة جامع إشبيلية واستقر فيها واتخذها عاصمة له بدلا من طليطلة وذلك سنة 646هـ[1] ومن أشهر الشعراء الذين تناولوا هذه الحادثة بالرثاء:أبوموسى هارون بن هارون، وله قصيدة رائعة صوّر فيها محنة هذه المدينة بعواطف صادقة ملتهبة تتزاوح بين الحزن والبكاء، وبدأ متأملا ومتعجبا من تغير حالة مدينته على خلاف المرجو بسبب الحوادث التى أصابتها ويتضح ذلك من الأبيات التالية :

جَـرَتْ عَلَيْكَ يَدٌ لِلدَّهْرِ ظَالِمَةٌ لَا يَعْدِلُ الدَّهْرُ فِيْ شيء إِذَا حكَمَا

مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ الْحَادِثَاتِ إِذَا هَمَّتْ بِكَ السُّوْءَا تَلْقَى لَكَ السَّلْمَا[2]

1 - المعجب في تلخيص أخبار المغرب،ص: 482/2.

2 - المرجع السابق، ص: 482/2.

رثاء القيروان

وقد بنى هذه المدينة عقبة بن نافع- رضى الله عنه - عند ما فتح أفريقيا في عهد معاوية بن أبى سفيان للحاجة إلى اتخاذها مركزا للرباط والجهاد في سبيل الله، وأنشئت فيها دار لبناء السفن. وكانت أيام ولاية المعز بالله في أوج عزها العلمي والأدبي حيث كان هو شاعراً كبيراً وكان يحب أهل الشعر والأدب.وكان يعادي الدولة الفاطمية، وجاهربخلع ولائه لهم، وصرح بعدائهم، ودعا للخليفة العباسي الذي اعترف باستقلاله في أفريقيا سنة 440هـ فما استطاع الفاطميون على بعث قوة عسكرية لمحاربته مباشرة بل لجأوا إلى الانتقام بواسطة الأعراب الذين كانوا يعيشون فى صعيد مصر، فساعدوهم بالأموال وجعلوا لهم جميع ما يستولون عليه من الغنائم فانتشرت فئاتهم في البلاد مثل الجراد تسلب وتنهب كل ما تقدر عليه ووقعت الحرب بين الأعراب وبين جيش المعز سنة 444هـ فانكسر جيش المعز في هذه الحرب كسرة شنيعة وهاجم جموع الأعراب على القيروان فخربوها تخريباً ودكوا حصونها وطمسوا معالمها.ورسم الشعراء صورة هذه النكبة بأروع أسلوب ومن أشهرهم:

1- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، وله قصيدة تتضمن 49 بيتاً من الشعر،ووصف تفاصيل خرابها، ورثى على معالمها الإسلامية وأبرزها المسجد الجامع يقول:

وَالْمَسْجِدُ الْمَعْمُوْرُ جَامِعُ عَقْبَة خَرِبَ الْمَعَاطِنُ مُظْلِمَ الْأَرْكَانِ[1]

2- أبو عبد الله محمد بن أبى سعيد بن شرف الجذامى القيروانى (390ـ461هـ)[2] وله أربع قصائد[3] في رثاء القيروان ولقد رسم فيها صورة القيروان في نكبتها بمهارة وبعاطفة جياشة تلون شعره بالحزن والأسى.

3- على بن عبد الغنى الفهرى، الضرير المعروف بالحصرى توفي سنة (488هـ)[4] وله قصيدة بديعة في رثاء القيروان[5]، وذكر فيها ما ناله من المشاكل والمصائب، وكان واحدا من الذين هاجروا من القيروان عند خرابها، واعتبر الموت الكريم في الوطن خيرا من الغربة التى تضيع فيها الهوية وما إلى ذلك.

---

1 - القصيدة بتمامها فى ديوان ابن رشيق القيرواني، جمع وتحقيق الدكتور عبدالرحمن ياغي 1989م، دار الثقافة، بيروت،ص: 212ـــــ 204.

2 - خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصبهاني،انظر الموقع http://www.alwarraq.com ص: 111/2ـــــــــ110، وفوات الوفيات، ص: 304/2.

3 - الذخيرة،ص: 227/1- 236.

4 - فوات الوفيات،ص: 331/3، وجذوة المقبس، ص:314.

5 - والقصيدة فى الذخيرة، ص: 277/1.

رثاء الأندلس عامة.

وهناك قصيدة شهيرة جداً بل هي تعد واسطة العقد في رثاء المدن وهي نونية أبي البقاء الرندي،فهي ترثي الأندلس كلها، وأكثر نصوصه شهرة وأشدها تعبيراً عن الواقع، وتصور ما حلّ بالأندلس من خطوب جليلة، وهي تتضن ستين بيتاً من الشعر وهي تبدأ بما يلي:

لِكُـلِّشيء إِذَا مَـا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يَـغُرُّ بِطِيْبِ الْـعَيْشِ إِنْسَانُ

هِيَ الْأُمُوْرُ كِمِا شَاهَدْتُهَا دُوَلٌ مَـنْ سرَّه زَمَنٌ سَاءَتْه أَزْمَانُ[1]

1 - ريحانة الألبّاوزهرة الحياة الدنيا، شهاب الخفاجي، دارالمعارف العربية ط 1995م ص: 101/1.

فن رثاء المدن " شهر آشوب" في الأدب الأردى

قد اشتمل الشعرالأردى مع حداثة سنه وقلة عمره بالنسبة إلى الشعرالعربى على جميع الموضوعات والأصناف الشعرية حتى الرثاء على دمارالمدن والممالك وفسادها بسبب الاختلافات الداخلية أوغارات القوى الاستعمارية والسيطرة على المدن الهندية في العصور المختلفة. فأذكر هنا بعض النواحى لهذا النوع الأدبى من الشعرالأردى على قدرالكفاية:

وقبل الدخول في تفاصيل الرثاء الأردىللمدن الذى يسمى بـــــ"شهرآشوب" لا بد من إلقاء الضوء على مصطلح "شهر آشوب" ليكون القارئ على بصيرة منه فأذكرأولا تعريف هذا القسم من الأدب الأردى لغة واصطلاحاً، ثم أتحدث عن تطوره عبرالعصورالمختلفة وتقلبه إلى المعاني المتنوعة إلى أن استقر في معناه المرادهنا. وبعدذلك أحدد المكانة الأدبية لهذا النوع الأدبى من بين الأنواع الأدبية الأخرى، وأخيراً أذكرأشهرشعراء هذاالغرض الشعرى.

"شهر آشوب" لغة :

" شهر آشوب " مركب من كلمتين وهما:"شهر" أى مدينة،و"آشوب" أى الرمد الذي أخذ من رمد العين.

وهناك رأيان في أصل هذا المركب أماالرأي الأول فإنه صيغة اسم الفاعل التركيبى أى "آشوبنده شهر" أى مثيرالفتنة في المدينة والمفسد فيها والرأي الثاني أنها مركب إضافي بإضافة مقلوبة تقديره " آشوب شهر" أى فساد المدينة وخرابها، وإثارة الفتنة فيها التي تؤدي إلى سكب الدموع من العيون ورمدها.[1]ونجد هناك كثيراً من الأشعارالتى تدل على معناه اللغوى و على تسميته بالمعنى الأول، ومنها:

من نہ تنہا خواہم ایں خوبانِ شہر آشوب را

کیست در شہر آنکہ خواہاں نیست روئے خوب را[2]

ترجمة:أنا لست متفردا في حب هؤلاء الحسان المثيرين الفتنة في المدينة، فمن الذى لا يحب الوجوه الحسنة المقمرة فى المدينة.

توضيح:يقول الشاعر أنا لست متفردا في حب هؤلاء الغلمان ذوي الجمال الذين يثيرون الفتنة في المدينة بسبب الجدال والقتال بين العاشقين لهم. فمن الذى لا يحب هؤلاء الحسان الذين وجوههم الحسنة مثل القمر ليلة البدر من سكان المدينة.

1- سالنامہنگار پاکستان، الدكتور فرمان فتحبورى، 1967م، خاصة بأصناف الشعر،مقالة: شهر آشوب کا فن اور موضوع، سيد مسعود حسن رضوى اديب، ص: 305.

2 - ديوان جامي، نورالدين عبد الرحمن الجامي، 1995 م مؤسسة انتشارات نكاه، تهران، إيران، ص: 45.

"شهرآشوب" اصطلاحاً:

وقد حدث تغير كبيرفي مفهوم هذا النوع من الشعر الأردى فلذلك لابد أن نحدد أولاً تلك المفاهيم المختلفة حتى يمكن تعريفه اصطلاحاً.

وقد وقع التطورفي مفهوم هذا النوع من الأدب الأردى عبرالعصورالمختلفة إلى أن استقرفي مفهومه الأخير،ويمكن تحديد تلك المراحل لمفهوم هذا النوع الأدبى في ثلاث كما يلى.

1ـ ظهر هذا النوع من الشعر الأردي لبيان الأساليب الشائقة للغلمان المحترفين بالحرف المتنوعة وكان الشعراء يذكرون حركاتهم المعجبة، ويأوون إليه لوصف محامدهم الجليلة، ولتعديد مناقبهم الفاضلة،ولإظهار محاسنهم المولعة وما إلى ذلك، و هذا المعنى الاصطلاحي يوافق الرأي الأول في المعنى اللغوي.

وقد بدأ الشعر فى تصوير هذه المعانى فى هيئة مقطوعات، ورباعيات، ومثنويات مختصرة، أو مجموعات أشعارمنفردة.

2ـثم تغير مفهومه بعد المرحلة الابتدائية إلى معنى آخر مغاير للمعنى الأول حيث كان الشاعر يصف فيه أفراد الطبقات المختلفة وذوى الحرف المتنوعة ويصور بؤسهم وعطالتهم وتغيرأحوالهم الاقتصادية بسبب آفة

من الآفات السماوية أوبسب التحولات السياسية معبراًعن التعاطف معهم أوالمواساة لهم أوالسخريةمنهم أوالهجاء أو الرثاء. ووجد هذا الشعر في هيئة القصيدة والمثنوى والمخمس والمسمط وغيرها من الأنواع الأدبية.

3 ــ واستقرفي المرحلة الأخيرة في أن هذا النوع من الشعرالأردي هوالذى قيل في دمار أى مدينة من المدن والتقلبات السياسية فيها والمشاكل التى كانتتواجه سكان تلك المدن خلال الاحتلال أوالاجتياح من قبل الأعداء فيطابق المعنى الثاني والثالث الرأي الثاني من المعنى اللغوي.[1]

ويمكن أن نقول "إن هذا النوع الشعري هو الذي يذكرفيه تقلب الأحوال السياسية أوالاقتصادية لمدينة من المدن أو دولة من الدول، أو يتحدث عن ناحية من نواحى حياة سكان بلد من البلاد الذين يتعلقون بالحرف والمهن المختلفة في أسلوب الهجاء، أوالسخريةمنهم. ونجد هذاالون في قصائد الرثاء " شهر آشوب " التي كتبت في غارات نادر شاه على المدن الهندية ولاسيما على " دهلي " ومؤامرات الفئات الطاغية من قبائل الهندوس المعروفة بـــ(مرہٹے) وغيرهم.

1 – سالنامہ نگار پاکستان، الدکتور فرمان فتح پوری، ص:306، وکشاف تنقید اصطلاحات، إبو الإعجاز حفیظ صدیقی، الطبعة الأولى2005م مقتدرة قومی زبان، اسلام آباد، ص:113.

ونجد لون رثاء المدن الخالص في حادثة سقوط "دهلي" على يد الإنجليز سنة 1957 م.

بداية " شهر آشوب "

ظهر هذا النوع الأدبي باللغة الفارسية ثم انتقل منها إلى اللغة الأردية. ولا يمكن إنكار تأثر اللغة الأردية بالفارسية،فجذورها ضاربة فيهاحتى في المعايير الأدبية، من أساليب التشبيه والاستعارة، وفي استخدام الصنائع اللفظية والبدائع المعنوية ؛ فتأثرت اللغة الأردية باللغة الفارسية في هذا الموضوع الذى نحن بصدده أيضا كغيره من الموضوعات الشعرية الأخرى.[1]

وظهرت اللغة الأردية كلغة أدبية في زمن متأخر جداً، فأخذ هذا اللون الشعري من اللغة الفارسية. وأقدم النصوص الشعرية التى سميت بهذا الاسم تنسب إلى الشيخ مسعود سعد سلمان المتوفى(515هـ) باللغة الفارسية فهوالذى تقرره كتب فنون الأدب الأردي كموجد لهذا النوع الشعرى في الأدب الفارسى. وله مجموعة المقطوعات الشعرية التى تتضمن اثنتين وتسعين مقطوعة في الغلمان الحسان الذين

1- دہلی کا دبستان شاعری، الدکتور نورالحسن الہاشمی 2006م، بک ٹاک لاهور، ص: 44

ارتبطوا بحرف مختلفة. وأذكر هنا قطعة واحدةتعبر لون " شهر آشوب "في صورته البدائية وقد قيلت في مدح الغلام الجميل الذى يُسمى بـــ : " الغزل بالمذكر".

آنکہ اِو بر دکان زبس خوبی ہمچوں خورشید بر شہر آمد

شد فراز تنور چوں دل من بادو مہ و بادو مہر آمد[1]

ترجمة: الغلام الذى يكون على الدكان هو حسن جداً وجاء في المدينة مثل الشمس،وقد لهب قلبي بنارعشقه مثل التنورعندمايأتي بالشمسين والقمرين.

توضيح:يعنى الغلام الذى يعمل على الدكان هو حسن جداً وجاء في المدينة مثل الشمس وقت طلوعها من الليل المظلم،وقد لهب قلبي بنارعشقه مثل التنورعندمايأتي بالشمسين والقمرين،ربما أراد الشاعر بالشمسين والقمرين خديه وعينيه المشرقة .

وقد قطع هذا النوع الأدبي الشعري مسافة طويلة خلال القرون إلى أن استقلت اللغة الأردية وتوجه الشعراء إلى عرض أفكارهم وعواطفهم بهذه اللغة الجديدة التى ظهرت نتيجة اجتماع الناس في العسكرالناطقين باللغات المختلفة من اللغة العربية

1–إصناف شاعرى نمبر، سالنامہ نگار باكستان، الدكتور فرمان فتحپورى 1967م، خاصة بأصناف الشعر، ص: 306.

والفارسية والهندية وغيرها ولذلك سميت بـــ اسم" أردو": العسكرأى مجموعة اللغات المختلفة [1]

" شهر آشوب " باللغة الأردية :

أما شهر آشوب باللغة الأردية فقد استقل في القرن الثامن عشر الميلادى في عهد ملك من ملوك أسرة المغول وهوالملك محمد شاه رنكيلا الذي ولي الخلافة سنة (1719- 1729م)

وهذا العهد كان عهد الضعف لشتى الأسباب مما أدي إلى ظهور الثورات الداخلية والغارات الخارجية مثل هجمات نادر شاه على مدن الهند ولاسيما على " دلهى " والدسائس الداخلية من قبل الفئات الهندوسية و الأسر الباغية.وظهر في هذه البيئة هذا اللون الشعري فى الأدب الأردي و كتب كثير من الشعراء المصابين بتلك الثورات والهجمات مباشرة أوغير مباشرة، وصوروا تلك التقلباتالسياسية والشئون الاجتماعية أحسن تصوير منهم محمد شاكر ناجى، پير خان كمترين، شاه حاتم، و مرزا محمد رفيع سودا و مير تقى مير، ونظير أكبر آبادى. وهناك قائمة طويلة لأسماء الشعراء الذين كتبوا حول مأساة " دلهى " هذه، و بينوا تعطل الشعب وبطالة

1- جہانگیر اردو لغت، جہانگیر بکس غزنی سٹریٹ اردو بازار لاہور تحت کلمہ " اردو" ص: 105۔

الشباب من سكان "دلهى" والفساد في الأحوال الاقتصادية وإذلال الشرفاء، وتعزز اللئام وطمس المبانى والقصورواحتراق البساتين والمسارح وما إلى ذلك.ورغم ذلك كله غلب على "شهرآشوب" فى العهد المذكور، لون الهجاء والسخريةمن الأمراء والشرفاء وأصحاب المهن المختلفة. وحدث التغيرالملموس في "شهر آشوب" أي رثاء المدن باللغة الأردية بعد حرب أو انقلاب "دهلي" سنة 1857م وغلب عليه لون المرثية. وهناك عدد كبير من الشعراء الذين كتبوا حول هذه الحادثة الحزينة، ومعظم قصائد الرثاء أى "شهر آشوب" التي كتبت في هذ ا العهد هي كتبت بشكل المسمط.

الشكل الفنى لـــ " شهر آشوب ": ليس هناك أي شكل فني خاص به،فقد وجد هذا النوع الأدبى في كلتا الصورتين للأدب من نثر و نظم، وأنا أتعرض هنا للنظم فقط لارتباط موضوعي به.

فقد كتب هذا الشعر من الأدب الأردى في جميع أنواع النظم تقريبا وليس هناك أى شكل مختص به فقد كتب فى جميع الأشكال مثل المقطوعات الشعرية، والرباعيات والمثنوى والقصيدة والمخمس[1]والمسمط وما إلى ذلك .

---

[1]- المخمس نوع من النظم المسمط تتحد فيه القافية في الأشطر الخمسة الأولى، أما في باقي مخمسات القصيدة، فيكون للأشطر الأربعة الأولى من كل مخمس منها قافية خاصة، وتتحد قافية الشطر الخامس مع أشطر المخمس الأول. فن شعر و شاعرى لور روح بلاغت، پروفىسر حميد

وقد وجد فيهمعان مختلفة من السخرية، والهجاء، والرثاء والنياحة، ولكن رغم هذه الفساحة والحرية من ناحية الشكل والأسلوب فقد التزم شعراء هذا الفن باستخدام الصنائع اللفظية والبدائع المعنوية في شعرهم .[1]

موضوع "شهر آشوب "

وينقسم هذا النوع الشعري فى اللغة الأردية من حيث الموضوع إلى ثلاثة أقسام كالآتي:

1- "شهر آشوب" أي رثاء المدينة وهو يتحدث عن مأساة مدينة واحدة فقط وهذا النوع هو الأكثر لدى الشعراء مثل ناجي،وكمترين وسودا،و قائم ونظير وجرأت وحسرت وغيرهم.

2- هناك بعض القصائد التى تسمى بـــــ"دهرِ آشوب" أى رثاء الزمان أوالعصركله. وهذه القصائد تتحدث عن مأساة العصرأوالزمان كله مثل"دهرِآشوب" سيد على نقى صفي لكنوى وهي تتضمن واحدا وأربعين بيتاً منها:[2]

اگلوں نے لکھے تھے شہر آشوب مجھ کو لکھنا ہے دہر آشوب

الله شاه، ص: 205، موسوعة العروض والقافية الإعداد: سعد بن عبد اللهالواصل.انظر الموقع: www.elibrary4arab.com/ebooks/arabic/arood.../hur ht ، 2015/02/09

1- إصناف ادب، رفیع الدین الہاشمی، 1995م، سنگ میل پبلیکیشنز لاہور ص.58

2 - اردو شاعری کا فنی ارتقاء، الدکتور فرمان فتح پوری، 2007م گنج شکر پریس لاهور، ص: 464.

ترجمة : كتب السابقون " شهر آشوب " وأناأكتب دهر آشوب

إن الشاعر يقول: قد كتب الشعراء السابقون قصائدهم باسم " شهرآشوب " أى رثاء مدينة واحدة وأنا أكتب "دهر آشوب"أى رثاء الزمن كله.

3- وهناك بعض القصائد التى تسمى بـــــ"عالم آشوب" أى رثاء العالم كله مثل "عالم آشوب" لـــــ: برج موهن وتاترية الملقب بـــ " كيفي " الدهلوى الذي كتب قصيدته بهذا الاسم وصورفيها فقر أهل الهند عامة، وعرض أهم أسباب الفقر والبؤس في العالم كله. وهذه القصيدة طويلة جداً مطلعها:

چھائے ہیں ملک پر افلاس کے منحوس آثار تنگ دستی کا ہے جن سر پہ خلائق کے سوار

"شہر آشوب" لکھا کرتے تھے پہلے مگراب " عالم آشوب " کے لکھنے کا ہے مضمون تیار[1]

ترجمة: إن آثارالبؤس المنحوسة سائدة على البلد، وقد سيطر الفقرعلى أذهان الخلائق كلها مثل العفريت . وكان الشعراءالسابقون يكتبون " شهر آشوب " والآن، الموضوع جاهز، لكتابة "عالم آشوب ".

1 - المرجع السابق ص: 463، 464.

يعني أن آثارالبؤس المنحوسة سائدة على الدولة الهندية، وقد سيطر الفقرعلى أذهان الخلائق كلهاكالغول. وكان الشعراءالسابقون يكتبون " شهر آشوب " والآن، والمواد جاهزة،والأحوال مناسبة لكتابة "عالم آشوب ".

أشهر شعراء (شهر آشوب) رثاء المدن الهندية

يدور أغلب قصائد " شهر آشوب "فى الأدب الأردي قديماً و حديثاً حول مدينة " دهلي " لأنها حصلت على مكانة رفيعة في المجتمع في العصور المختلفة وارتفع شأنها من بين مدن شبه القارة الهندية الأخرى. وهي ظلت عاصمة الهند في أغلب العهود في تاريخها، ولعلهااتجهت إليها يد الحدثان الكارثة والنكبات الشديدة، وهي دمرت مراراً حتى جعل عاليها سافلها.

أقسم شعراء " شهر آشوب " إلى ثلاث مجموعات طبق النكبات الكبرى حسب الترتيب التالي:

المجموعة الأولى: وهي تتضمن الشعراء الذين استخدموا هذا النوع الشعرى كوسيلة للتعبيرعن أحزانهم في دمار" دهلي " وانهيارها نتيجة لهجومات نادرشاه الدراني الأفغاني وغارات الهندوس والفئات الطاغية في القرن الثامن عشر الميلادي. وهي بداية هذا النوع الشعري في الأدب الأردي، ومعظم قصائد هؤلاء الشعراء

الرثائية "شهر آشوب " مصبوغة بصبغ الهجاء والاستهزاء و السخريةمن الجنود لضعفهم في القوى الحربية واستغراقهم في اللذات، ومن الأمراء والأغنياء وأصحاب المهن المختلفة لتغيرأحوالهم الاقتصادية، وأشهرهم:

محمد شاكر ناجي (ت/1168 هـ 1754 م)

وكان مشاركا في جيش محمد شاه خلا ل هجومات نادر شاه على "دهلي". وله قصيدة طويلة في رثاء "دهلي" وفصل فيها غارات نادر شاه تفصيلا، وهجا فيها الجيش الدهلوي الجبان،يقول:

لڑے ہوئے تو برس بیس ان کو بیتے تھے دعا کے زور سے دائی دوا کی جیتے تھے

شرابیں گھر کی نکالی مزے سے پیتے تھے نگار و نقش میں ظاہر گویا کہ چیتے تھے

گلے میں ہنسلیاں بازو اُپر طلا کے نال[1]

ترجمة:كان قد مضى عشرون سنة على قتالهم الأعداء، بدأ يتكئون على الأدعية والمسبحات فقط، وكانوا يتلذذون بشرب الخمور الجاهزة في البيوت ويرون في الظاهر الفهود، وكانوا يستخدمون السلاسل والقلائد في الرقاب والأعضاد.

1-ديوان شاكر ناجي، تحقيق افتخار بيگم، 1989م،انجمن ترقي اردو، نئي دہلي، الهند، ص. 257.

يقول الشاعرمامضى عشرون سنة على قتالهم الأعداء، حتى نسوا الجروح والنكبات كلها، وتركوا السيوف والرماح والبطولة وبدأوا يتكئون على الأدعية والمسبحات فقط، وكانوا يتلذذون بشرب الخمور الجاهزة في البيوت ويرون في الظاهر النمور والفهود، وكانوا يستخدمون السلاسل والقلائد في الرقاب والأعضاد للتزيين والتحسين مثل النساء والمخنثين، ولكن ليس لهم رعب ولا هيبة ولا شجاعة التي تعد من زينة الرجال.

ويبين الشاعر في هذه القطعة من قصيدته (المخمس) بعض أسباب هزيمة الجيش وزوال المدن، مثل نفاق الأمراء والحكام وجبن الأفواج والجيوش وميلهم إلى الراحة وتحقيق الأمانى بدون الجهد والإجهاد واستغراقهم في اللعب واللهو وارتكابهم الكبائر من الذنوب جهراً.

بير خان كمترين:

وهوكان معاصرًاللناجي شاكر وعاش إلى عهد سودا وميرتقي مير،واشتهر في الهجاء ولاسيما في هجاء أصحاب المهن والحرف المختلفة، وقد ذكر بعض النقاد مثل علي إبراهيم خان صاحب فى كتاب " تذكرة گلزار إبراهيم " بأن له قصيدة في ذم أهل الحرف المختلفة وهي تتضمن سبعمائة بيت ؛ فإن صح هذا القول تكون قصيدته هذه أطول قصائد " شهر آشوب " فى اللغة الأردية وحتى فى الفارسية.

مرزامحمد رفيع سودا:(1119- 1195هـ/ 1713- 1781م)

له قصيدة طويلة تشتمل على ستة و تسعين بيتاً في رثاء "دلهى" وفيها هجا أهل الحرف والمهن المختلفة، و قصيدة باسم " تضحيك روزگار " متضمنة 82 بيتاً وقصيدة أيضاً باسم " درهجو شيدي فولاد خان" التي تتضمن 71 بيتاً،و مجموعها 189 بيتا،وكمايوجد له مخمس يشتمل على36 قطعة.[1]

مير تقي مير(1137هـ، 1725 م -1225هـ،1809 م)

لم يكتب ميرتقى مير أي قصيدة باسم "شهر آشوب"، ولكن له بعض القصائد بشكل المخمس التي غلب عليها لون "شهر آشوب" مثل قصيدتيه في هجاء الجيوش العسكرية[2]، والثالثة في ذم الكذب[3] والرابعة في هجاء الشيخ الذي ما قام بقضاء حاجته، والخامسة في أحوال نفسه، وبعض المقطوعات في شكل الرباعي التى هجا فيها أصحاب الحرف المختلفة وصور فيها تصويراًجميلا للبؤس ومأساة مدينة "دهلي" والأحوال السيئة للملوك والتقلبات السياسية فيها.

1- كليات سودا مرزا رفيع الدين سودا، الطبعة الأولى 1987م، مجلس ترقي ادب لاهور، ص: 344/2، 349، 76/4، 94.

2 - كليات مير تقي مير، ب-ت، سنگ ميل پبليكيشنز، لاهور، ص: 806.

3- المرجع السابق، ص : 835.

غلام همداني مصحفي امروهي: (ت/1240هـ 1825ء) [1]

ولد في دهلي، ولما فسد العيش فيها انتقل إلى لكنو،ولذلك اجتمع في شعره لون الأدب الدهلوي والأدب اللكنوي. وله قصيدة متضمنة خمسة وعشرين بيتاً وبعض المقطوعات الشعرية في حبه لدهلي والحنين إليها بعد ما ارتحل منها[2]

شيخ قيام الدين بن محمد هاشم الملقب قائم جاند بوري(1138هـ -1725م -1208هـ،1793 م)[3]

وقد حاز في حياته الاجتماعية على المناصب العليا،وله مخمس طويل تشتمل خمسة وثلاثين قطعة من المخمس وذ كر فيها تفاصيل دمار المدن الهندية وصرح بأن مسؤلية ذلك كله ترجع إلى أصحاب الأمر من الملوك وأعيان الوزارة والرجال الكبار.[4]

---

1 – آب حیات، محمد حسن آزاد، ص: 123.

2- دیوان مصحفی، غلام ہمدانی مصحفی، ترتیب وانتخاب إسیر لکھنوی، وامیر مینائی، 1990م، خدا بخش اورینٹل پبلک لائبریری، پٹنہ، الہند ص: 35، 37.

3- اردو شاعروں کا انسائکلوپیڈیا، عبدالرشید عصیم، بیکن بکس، ملتان 2002م، ص: 357

4– إضاف شاعری نمبر، سالنامہ نگار پاکستان رقم ۱۹۶۷م ص: 322.

غلام علي راسخ عظيم آبادي(ت/ 1162-1238هـ):

وهومن تلاميذ مير تقي مير، وله قصيدة طويلة جداً في صورة المثنوى باسم "مثنوى در بيان انقلاب زمانه وشكايت فلك وأحوال مقيمان بلده عظيم آباد"

وقد وازن الشاعر فيه بين أحوال بلده عظيم آباد الماضية أى أحوال الترف واليسر وبين أحواله الموجودة في عهده من الإفلاس والجدب والحروب والقتال في كل وقت من الأوقات وتتضمن هذه القصيدة 120 مأئة وعشرين قطعة.[1]

جعفر على حسرت عظيم آبادى (ت/1210هـ 1795ء)

له مخمس طويل ويتضمن أربعين مقطوعة باسم "در أحوال دلهى" يصور البؤس وتقلبات الأحوال في دلهى ويهجو فيه الناس الذين كانوا يتعلقون بالحرف والمهن المختلفة.[2]

1- إردو شاعرى كا فنى ارتقاء، ص: 457، واردو شاعرى پر ايك نظر، محمد جميل إحمد، الطبعة الأولى 1985م غضنفر اكيڈمى كراچى پاكستان، ص: 99.

2- إصناف شاعرى نمبر، سالنامه نگار پاكستان رقم ١٩٦٧م، ص: 324.

الشيخ ظهور الدين الملقب بـ "حاتم "(ت/ 1196هـ 1783 م)[1]

وله قصيدتان طويلتان فيشكل المخمس باسم: " باره صدي "من القصائد التي كتبت على رأس القرن الثاني عشروقد ذكرفيهما تفاصيل تقلبات الأحوال في " دلهي " بسبب هجمات نادر شاه على الهند وأحصى أعمال الناس وأخلاقهم السيئة.[2]

1-اردو شاعری پر ایک نظر، محمد جمیل احمد، ص: 66.

2-اردو شاعری کا فنی ارتقاء، ڈاکٹر فرمان فتحپوری، ص: 446.

رثاء دكن[1]

شفيق اورنگ آبادی(1745- 1808م)

له قصيدة طويلة باسم "حسب حال" يعنى القول بمقتضى الأحوال في رثاء مدينة "دكن". يصور فيها ماضيها المجيد وحاضرها المهين ويبين فيها أسباب فساد المدينة وخرابها فيذكر مرة شح الأغنياء وجبن الأمراء هذا الفساد، ويذكرتنافس الحكام في توسعة ممالكهم وسيطرتهم عليها مرة أخرى.[2]

1- دكن: أصلها" دَكْشَن " من اللغة السنسكريتية أى الجهة الجنوبية وهي منطقة فسيحة للهند تقع على الجهة الجنوبية ولذلك سميت بهذا الاسم، ولها أهمية تاريخية بالغة، وتشتمل على المدن الكبيرة والكثيرة مثل ناكفور،بيجافور،أحمد نكر، أورنك آباد وغيرها- دائرة المعارف الإسلامية الأردية ص: 379/9 – 380.

2 -مقدمہ چمنستان شعراء، مجمی نرائن شفیق،1988م،کاک آفسیٹ پرنٹنگ پریس دہلی، ص: 24،23.

رثاء آكره[1]

نظير أكبر آبادى(1148- 1246هـ، 1735 - 1830م)[2]

له قصيدة طويلة فى شكل المخمس تتضمن 45 مقطوعة رسم فيها صورة الذل والبؤس التي أصيب الناس بها بأسلوب رائع، وهجا فيه أهل المهن والحرف المختلفة من سكان مدينته آكره.[3]

الشيخ قلندر بخش الملقب بـــ جرأت(1225هـــ 1810 م)وهو من تلاميذ جعفر علي حسرت و كان مولعا بالتغزل.[4] وله قصيدة فى شكل المخمس تتضمن اثنين وعشرين مقطوعة في شكاوي الزمن الذي جعل الأغنياء فقراء والأذلاء والمفلسين والمعدومين أغنياء أعزاء.[5]

1- آكره (آگره):هي مدينة كبيرة من مدن الهند تقع فى منطقة "أتربردیش" وأسست قبل مجيئ المسلمين في الهند. تقع المدينة على طرف نهر "جمنا" وكانت مستقرا لمدة طويلة لملوك المغول، وظلت عاصمة شبه القارة الهندية في عهد سكندر اللودهي خلال 1489 – 1517م. انظردائرة المعارف الإسلاميةالأردية، ص: 1/189- 195.

2- اِردوادب کی مختصرترین تاریخ،د- سلیم اختر،2000م،سنگ میل پبلی کیشنز لاہور، ص: 363.

3- کلیات نظیر، نظیراکبرآبادی مکتبہ شعروادب سمن آباد لاہور ص:443- 447

4- اِردوشاعری پرایک نظر، محمد جمیل احمد، ص:356.

5- اصناف شاعری نمبر، سالنامہ نگار پاکستان رقم ۱۹۶۷م ص: 324.

رثاء لكنو

شرير بن باسى:وله قصيدة طويلة فى شكل المخمس تحتوي على أربعين مقطوعة باسم: "شهر آشوب". ويأسف فيهاعلى فساد مدينته، ويرثى على مبانيها الرفيعة، وحدائقها الجميلة وسكانها الأوفياء. وقد هجا فيها المتحرفين بالحرف المختلفة من الشعراء،والأطباء، والعلماء،والأساتذة، والمهندسين، والبنائين وغيرهم بأفظع أسلوب من الهجاء[1].

1-اردو شاعری کا فنی ارتقاء، ڈاکٹر فرمان فتحپوری، ص: 466

رثاء لاهور

مراد شاه (ت/1215هـ)وهو شاعرنا في رثاء لاهور وسندرس شعره بالتفصيل في موطنه إن شاء الله.وله قصد تان طويلتان فى تقلبات أحوال لاهور بسب استبداد السيخ عليها وعلى أهلها باسم " *مگس نامہ*". وهي تتصمن 67 بيتاً و "*موش نامہ*" المتضمنة 62 بيتاً.

المجموعة الثانية:الشعراء الذين كتبوا القصائد الرثائية " شهر آشوب " حول حادثة 1857 م التي اشتهرت بـ " حرب الحرية " عند الموافقين وبـ " الغدر " عند المخالفين حتى الآن. وقُتل فيها كثير من الناس حتى بلغ عددهم إلى الملايين، وهدمت القصور والبيوتوأصيب المعارضون للبريطان بمشاكل عظيمة. وقضي على حكم المسلمين على الهند بعد ما تولوه مئات من السنين. ولما كانت هذه المأساة من قبل الأعداء غير المسلمين تضاعفت الأحزان والآلام للمسلمين أضعافاً كثيرة رغم أن هذا البلاء أحاط بجميع سكان الهند المنتمين إلى ديانات مختلفة. وأفزعت شدائد هذه الحادثة الجماهير والشعراء على السواء، والشعراء بحكم حسهم المرهف كتبوا القصائدفي شتى الألوان الأدبية. وظهرت هذه القصائد في الصورة الناضجة لرثاء المدن فى الأردية وللمعنى المقصود من "شهر آشوب" أي البكاء والرثاء والنياحة

حول المدن المفقودة بدلاًمن الهجاء والاستهزاء، ووجد هذا اللون عند معظم شعراء هذا الزمان، وأغلب قصائد هؤلاء الشعراء في شكل المسمط.

ومن أشهر شعراء هذا العهد:

1. **علامة محمد صدر الدين الشهير بـــ " آزرده"** (1789- 1861م)، وله قصيدة في شكل المسمط تتضمن 11 مقطوعة.
2. **مرزا أسد الله خان الملقب بـــ "غالب"** (ت/ 1245هـــ 1797م ـــــ1285هـــ 1869م). وله قصيدة متضمنة تسعة أبيات، وقطعة.
3. **مرزا نواب خان الملقب بـــ " داغ "**(ت/1831م -1905 م)وهو شاعرنا الذي سندرس شعره في صلب الموضوع بإذن الله، وله مسمط طويل يشتمل على اثنين وعشرين بنداً وقصيدة تشتمل على خمس عشرة مقطوعة من الشعر.
4. **مرزا قاضي فضل حسين الملقب بـــ " أفسرده "**وله مسمط يشتمل ست عشرةمقطوعة من الشعر.
5. **محمد علي الملقب بـــ " تشنه "** وله مسمط يتضمن ثمانية عشر بيتاً.

6. **مرزا قربان علي بيگ خان الملقب بـــ " سالك "**(ت/ 1893) من تلاميذ غالب.[1]وله مسمط يتضمن تسع عشرة مقطوعة وقصيدة متضمنة أربعة عشر بيتاً من الشعر، وقصيدة أخرى متضمنة أحد عشر بيتاً من الشعر وقصيدة آخرتتضمن تسعة أبيات.

7. **حكيم محمد تقي الملقب بـــ " سوزان "** وله قصيدة طويلة تتضمن تسعة وأربعين بيتاً وقطعة واحدة.

8. **ألطاف حسين الملقب بـــ " حالي "** (1837 ـــــــ 1914م) وله قصيدة طويلة في شكل المسمط الشهير بـــ "مسمط حالي" التي تعرف بـــ "مد وجز إسلام". وقد عرض فيها صورة متكاملة لماضي الإسلام المجيد وحاضره المهين. وله قصيدة في رثاء "دهلي" تتضمن ثلاثين بيتا.

9. **حكيم آغا جان الملقب بـــ " عيش "**وله قصيدتان في صورة المسمط تتضمن أولاهما ثلاثاً وعشرين مقطوعة وثانيتهما أربع عشرمقطوعة وأربع قصائد أخرى بمجموع أبياتها تسعة وأربعين بيتاً.

1- تاریخ ادب اردو، رام بابو سکسینہ مقدمہ مرزا محمد عسکری، 2004م سنگ میل پبلی کیشنز لاہور، ص: 253۔

10. **مرزا باقر علي خان الملقب بـــ "كامل"**(ت/1876م)وهو من تلاميذ مرزا غالب[1] وله مسمط يحتوى ثلاثة عشر بنداً وقصيدة متضمنة تسعة أبيات من الشعر، وقطعة.

11. **حافظ غلام دستگیرالملقب بـــ " مبين "** وله ثلاث قصائد في هيئة المسمط تتضمن أولاها ثلاثين مقطوعة وثانيتها عشرة بنود وثالثتها ثمانية بنود.

12. **نواب محمد مصطفي خان بهادر الملقب بـــ"شيفتة "** (1231 هـــ 1816 م – 1286 هـــ 1871 م)وهو من تلاميذ مؤمن خان مؤمن. وكان من الشعراء الكبار والأساتذة الأفاضل في عصره وكان شاعرا مطبوعا دقيق النظر في النقد. ونجد في كلامه صدق الفكروروعة الخيال وحسن البيان وبلاغة الاستعارة والتشبية.[2] وله قصيدة تتضمن ثلاثة عشر بيتاً.

13. **سيد ظهير الدين الملقب بـــ " ظهير "** (ت/1911م)[3] وله مسمط متضمن 32 مقطوعة وقصيدة تتضمن ستة عشر بيتاً.

1- مرزا غالب کے شاگرد، آفاق احمد آفاق، 1949م، ادارہ نادرات غالب، کراچی، ص: 135

2- اردو شاعری پر ایک نظر، محمد جمیل احمد، الطبعۃ الأولی 1985م، غضنفر اکیڈمی کراچی، پاکستان، ص: 207،208.

3- تاریخ ادب اردو رام بابو سکسینہ، ص: 239، ولی کا دبستان شاعری ڈاکٹر نورالحسن ہاشمی ص: 234۔

14. **مرزا قادر بخش الملقب بـــ " صابر "** وله قصيدة تتضمن ستة عشر بيتاً.

15. **مير مهدي الملقب بـــ " مجروح "**(1833 – 1911م)[1]وهو من تلاميذ مرزا غالب وله قصيدة تتضمن سبعة أبيات من الشعر.

المجموعة الثالثة:

وهم الشعراء الذين شاهدوا سقوط " دهاكه "في عام 1971م؛ بعين رأسهم وأصيبوا بهذه الحادثة الكارثة مباشرة فتركت في نفوسهم آثاراً مرهبة. وكان أكثرهم قد هاجر من الهند خلال التقسيم بين الهند وباكستان فى 1947م وكانو قد تركوا مولدهم ومسكنهم، وقبل التئام جروحهم التي أصابتهم خلال الهجرة دخلوا في عهد الابتلاء الجديد، من القتل والنهب وهجرة الوطن وما إلى ذلك. ولما كانت أسباب سقوط دهاكه غامضة ومعقدة فقد لجأ معظمهم إلى الغزل في التعبير عن أحزانهم وآلامهم ليخففواعن خفقات قلوبهم بالرمز والإشارة حتى لايتهموا أحدا من الناس مندون علم.[2]

1- مرزاغالب کے شاگرد، آفاق احمد آفاق، ص: 179.

2-جدیداردوغزل،ایکمطالعہ، نظیر صدیقی، 1984م،گلوب پبلیشرز،اردو بازارلاہور، ص: 195.

ومن أشهر شعراء هذا العصر:

1. **محمود الحسن اختر لكنوى** (1935 – 1995م)ولد في مدينة "لكنو" وهاجرمنها إلى دهاكه بعد تقسيم الهند سنة 1948م واختارمهنة الصحافة في تلك الأحوال الصعبة وأيام الحرب التى أدت إلى سقوط باكستان الشرقية وكان أكبرمدنها "داكا " فتسمى هذه الحادثة بـــسقوط داكا نسبة إلى أعظم مدنها تسمية الكل باسم الجزء. وهو من المشاهدين والمصابين فى هذه النكبة. وقد أفاض الدموع على هذه الحادثة كثيراً. وصور أحوال هذه المأساة في ديوانه المطبوع باسم "دى ده تر" أي العين الرطب بالدموع، وصور فيها صورة رهيبة لأحوال تلك الأيام.[1] ويتحسر الشاعر على الدمار الذي حل بمدينته وعلى إزالة معالمها الثقافية، وإنهاء عهدها الذهبي في وضع الأسس للدولة الإسلامية الجديدة الباكستانية. وفي غمرة هذا المصاب الجلل، يشعر الشاعر الحزن الجماعي وينسي ألمه الذاتي الشخصي وتتضح هذه العاطفة في البيت الآتي.

1- ديده تر، اختر لكهنوى 1986م، بزم إرباب سخن پاكستان، كراچى، ص 32.

ایک تہذیب بھی اک عہد بھی غرقاب ہوا اک تمدن کے نشان مٹ گئے ہم کیاڈوبے[1]

ترجمة:قد طمست ثقافة ، واندثر عهد ذهبي ومحيت آثار الحضارة العريقة ، ماغرقنا نحن فحسب.

يعتقد الشاعر أن سقوط داكالايمثل سقوط مدينة واحدة من المدن بل هواندثار عهد ذهبي للمسلمين وطمس ثقافة عريقةوهذه الحادثة مأساة عامة شاملة وليست فردية.

ثم يقدم الشاعرأفظع مشهد للفتن التي حصلت في تلك الأيام ويستجلب الدمع والأسى لما حل بمدينته ويقف وقفة قصيرة في الألم والحزن ولايذرف الدموع على بيت نفسه فحسب بل على بيوت شعبه المدمرة جميعا:

اب دن کے اجالے میں بھی رات کی صورت یوں ہے میری بستی کے مکانات کی صورت[2]

اس طرح بھی چھلکے تھے جام رنگوں کے مانند جھنگ شہر کی ہر اک گلی تھی[3]

ترجمة:الآن أضواء النهار كظلمات الليل، وتلك صورة أمكنة قريتي .

طفحت العروق بدمائها بحيث أصبح كلسكة المدينة مثل الحديقة

1-دیدہ تر،اختر لکھنوی، ص: 50

2- المرجع السابق، ص: 27.

3 - المرجع السابق، ص: 49.

يعنى تغيرت بيوت مدينتي ودورها إلى حالة حتى استوى نهارها وليلها في الخوف والظلمةوطفحت العروق بدمائها بحيث اصطبغت الجدران وملئت السكك والشوارع بدماء سكان المدن إلى أن تحولت جدران البيوت وشوارع المدن إلى مثل الحديقة في الفصل الربيع التي تملأ بالورود والأزهار الحمر بسبب الدماء العفيفة.

2. **ظهور عالم صديقي المعروف بـ أفسر ماه بوري**وله مجموعة قصائد الرثاء حول سقوط داكا. وقصائده هذه في شكل الغزل.وقد طبعت هذه القصائد باسم "غبار ماه" من أيجوكيشنل بريس كراتشي 1994م.

3. **مظفر حسين رزمي** (1933م)وهو كان من سكان داكا ويشتغل بالتدريس وبعد فساد الأحوال هناك هاجر إلى باكستان الغربي سنة 1974م ورشح للمناصب العالية في التعليم وقال كثيرا من القصائد في الرثاء على سقوط داكا التي طبعت باسم " خواب كي ريت "واهتم بطبعها زاهد ببلي كيشنز إسلام آباد سنة 1983 م.

4. **سيد إقبال عظيم** (و/1913 م) وقد ولد في "ميرت" (*ميرٹھ*) وهاجرمن هناك إلى داكا خلال تقسيم الهند واشتغل بالتدريس ثم من داكا إلى

كراتشي[1] أي باكستان الغربيةفى1970م. وله ثلاث مجموعات شعرية في رثاء داكا أولاها باسم "ما حاصل"، اهتم بطبعها بزم خدام الأدب أوكهلا نئي دهلي، الهند، سنة 1987 م والثانية طبعت باسم "چراغ آخر شب "والثالثة باسم" لب كشا ناديدة"منقبل أيجوكيشنل بريس كراتشي 1993م.

5. **منظر علي خان منظر (1937 – 1996 م)** وهو ناقد أديب وشاعر مطبوع في الوقت نفسه ولد في مدينة بهاكبور (الهند) وعاش هناك حتى سافرإلى داكا سنة 1960 م ثم غادرها واستوطن كراتشي سنة 1972 م وطبعت مجموعتان من شعره حول رثاء " داكا " إحداهما باسم "یہ بات چلی مجھ سے " وأخراهما باسم " کرب آگہی " من قبل افسر ببلي كيشنز كراتشيسنة 1996م.[2]

6. **شمس الضحى** وهو شاعر كبير كان من سكان مدينة " باربتي بور " من باكستان الشرقية ثم هاجر إلى باكستان الغربية واستوطن كراتشي

1- كراچي: هي أكبر مدينة من مدن باكستان، وهي مركز التجارة والصناعة الدولية وبها المطار والميناء،وهي عاصمة إقليم السندھ ولها أهمية كبيرة في التجارة والرابطة العالمية. انظر دائرة المعارف الإسلاميةالأردية ص: 17/ 133- 138.

2- وفيات ناموران پاكستان، ڈاكٹر محمد منير احمد سلیچ، بغير سن اشاعت، اردو سائنس بورڈ، لاہور، ص:832.

سنة 1973 م وله مجموعة شعرية طبعت باسم " ذوق ضحى " بمطبع ظهور ببلي كيشنز كراتشي 1987م.

7. **محمد نظيرالدين بن الشيخ محمد ظهيرالدين المعروف بنظير صديقي** (1930م 2001م) ولد بقرية (شبّرا) بالهند[1]وبعد ما أكمل دراسته ارتبط بالتدريس بباكستان الشرقية ثم سافر إلى باكستان الغربية بعد ما فسد العيش في باكستان الشرقية ورشح أستاذاً مساعداً بجامعة العلامة إقبال المفتوحة بإسلام آباد. وبعد التقاعد منها سافر إلى الصين واستقر هناك في قسم اللغة الأردية كرئيس للقسم، وطبعت مجموعة قصائده الرثائية باسم " حسرت إظهار " بمطبعة أيجوكيشنل بريس كراتشي 1994م.

8. **ذكي أحمد صديقي** وهو الأخالأصغر للأديب نظير صديقي، عاش في مدينة "بهار" وهاجر منها إلى "داكا" سنة 1948 م لسبب تقسيم الهند وعُيّن أستاذاً في الكلية الحكومية هناك،فلما انقطع هذا التدريس خلال حرب سنة 1971 م، سافر إلى باكستان الغربية سنة 1974م ودرّس

1- المرجع السابق ص: 895 .

في الكليات المختلفة.توفي في كراتشي،سنة 1990م.[1]وله مجموعة شعرية باسم "حاصل سفر" طبعتها أيجوكيشننل بريس كراتشي سنة 1994 م.

9. **أحمد نديم قاسمي** (و/1916م)وشخصيته متكاملة الأبعاد، وهو في الوقت نفسه شاعر وناثر وروائي وناقد وله مجموعة شعرية طبعت باسم "ندیم کی غزلیں" بمطبعة سنك ميل ببلي كيشنز لاهور 1991م.

10. **ظهور الحق أديب سهيل**،وهو شاعرنا الذي ستتم دراسة شعره في صلب الموضوع في فصل مستقل بإذن الله تعالى وتوفيقه وهو مصاب مباشرة بهذه الحادثة الأليمة ومشاهد لها. وهو حي يرزق حتى الآن ويسكن في كراتشي، وله قصائد متعددة في ديوانه باسم "بکھراؤ کا حرف آخر" مطبوعة سعد ببلى كيشنز ناظم آباد كراتشي 1996م.

1- المرجع السابق ص:307.

تراجم الشعراء المختارين للدراسة

تراجم شعراء اللغة العربية

ب- تراجم شعراء اللغة الأردية

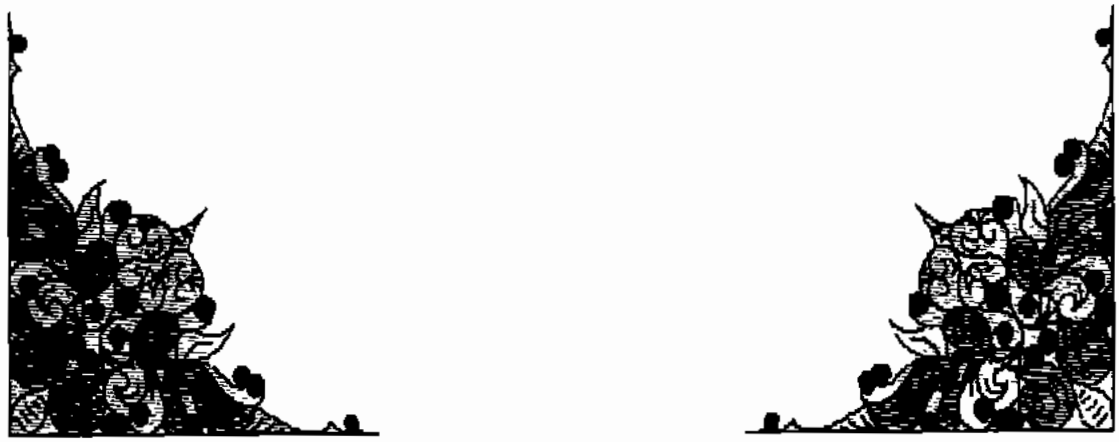

تراجم شعراء اللغة العربية

ابن شُهيد الأندلسي

شمس الدين محمد بن أحمد الكوفي

علاء الدين علي بن عبد الله الغزولي الدمشقي

علاء الدين علي الأوتاري الدمشقي.

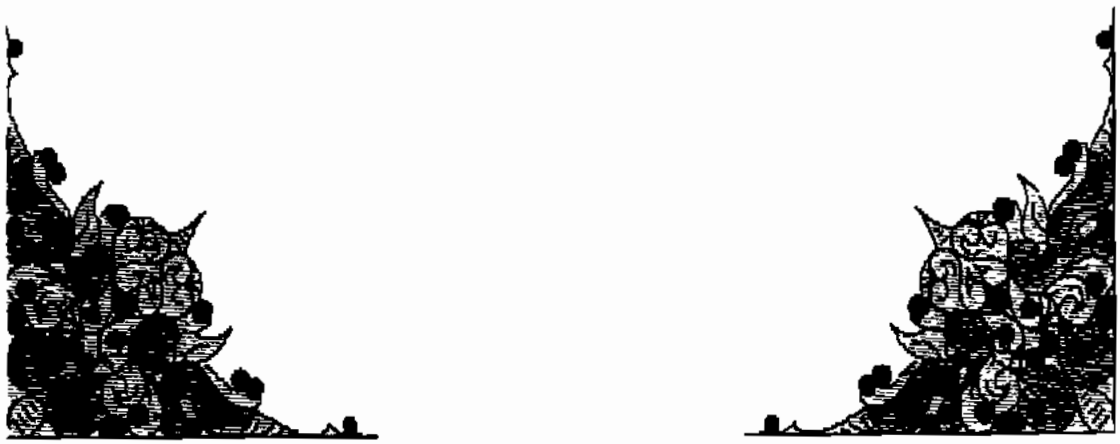

ابن شهيد الأندلسي

حياته وبيئته والأدبي

اسمه ونسبه: هوأبوعامر أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن مروان بن ذي الوزارتين أحمد بن عبد الملك بن عمر ابن شهيد، الأشجعي القرطبي،وكان الأشجعيون من ولد الوضاح بن رزاح الذي كان مع الضحاك بن قيس يوم مرج راهط.[1] ولقب بـــ "جاحظ وقته" و "حامل لواء النظم والبلاغة بالأندلس".[2]

ولادته ونشاته: ولد شاعرنا سنة 382هـــ[3]وتربى في بيت الثراء والترف، والشعر والأدب،وكان والده أبو مروان عبد الملك من أعيان الوزراء في الدولة العامرية، ومقربا عند المنصور بن أبي عامر وقد استعمله المنصور والياً على الجهات الشرقية،جهات بلنسية،فبقي هناك تسعة أعوام،ثم سئم العمل فكتب إلى

1- مرج يقع بغوطة دمشق، فيه جرت الموقعة بين الضحاك بن قيس ،ومروان الحكم سنة 64هـــ، وانتهت بمقتل الضحاك ومبايعة مروان بالخلافة.تعريف بالأعلام الواردة فى البداية والنهاية لابن كثير ، موقع الإسلام .321/2

2- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،ص: 329/1، والمغرب في حلى المغرب،ابن سعيد الأندلسى، ص: 203/1.

3- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص: 49/1.

المنصور يقول: "إن كبير حق المولى لايذهب بصغير حق العبد، ولي حرمة أدل بها، وذمة أنبسط لها، وقد طالت علي الغربة، وسئمت الخدمة،ومللت من النعمة.

وقد أعفاه المنصور من الخدمة حسب رغبته،فعاد إلى قرطبة وقد أثرى،وكان معه وقت عودته أربعمائة ألف دينار ومائة ألف آنية من الذهب،بالإضافة إلى الرقيق والخيل وما إلى ذلك. ولم يحاسبه المنصور على هذا الثراء،بل أنه وهبه فوق ذلك ألفي مد من قمح وشعير مناصفة، وكتب له نفقته الشهرية من القمح سبعين مداً ومن الشعير علف ثمانين دابة. وفي قرطبة أصبح أبو مروان من ندامى المنصور ومستشاريه. وكان كثير الاهتمام بالتاريخ والخبر واللغة والأشعار مع سعة روايته للحديث والآثار.[1]

ولكنه تنسك في أخريات أيامه ونزع عن الدنيا واتجه إلى الآخرة.[2]

تربي شاعرنا في مثل هذا الجو،وشهد عز أبيه في ظل العامريين وثرائهم وقصورهم.وكان شاعرنا شديد الحاسة منذ الطفولة،وانطبعت في ذاكرته أيام صغره بعض الذكريات لم تنطمس مدة حياته. وكان يميل إلى الثراء وحب الظهور استشعاراً للسيادة، وله حكايات فيه وأنا أذكر حكايتين منها:

1- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، لابن بشكوال، ص: 338/1.

2- المرجع السابق، ص: 339/1.

1- لما كان أبو عامر في الخامسة من عمره حضر مجلس المنصور، فظل يذكر كيف يدخل عليه، فرأى بين يديه تفاحة كبيرة، فأخذ يتأملها تأمل الحصول عليها، فأمره المنصور أن يأخذها ويأكلها، فلما أطبق على بعضها فمه لم يستطع أن يقطع منها شيءا، فتناولها المنصور منه، وأخذ يقطع له بفمه ويطعمه، وكان هذا العطف يذكره بأنه حرم شيءا كثيراً من عطف أبيه الذي كان مشغولًا بأمور الدولة أكثر من النظر إلى أبنائه. ثم سلمه المنصور إلى من حمله إلى بيته،حيث السيدة زوجة المنصور أعطته ألف دينارعن نفسها وثلاثة آلاف عن زوجها.وظن أنه حرالتصرف فيما أهدي إليه لأنه يملكه،ولكنه لم يكد يعودإلى البيت حتى استولى أبوه على كل شيء، فوزع منه ما وزع، واستبقى منه ما شاء.وتلك الحادثة أثرت في نفسية شاعرنا تأثيرا عميقا يشبه الحقد، وذلك لأنه كان يرجو أن يشبع رغبته من تلك الألوف، لا بشراء اللعب فحسب، بل ليقسم مايريد تقسيمه من ذلك المال على الخدم والجواري والأصدقاء من أطفال الحي. فلما نقل إلى المنصور أن هذا الطفل

غضب مما فعله أبوه، أو بكى لديه، منحه خمسمائة دينار وأقسم على أن يبيح له التصرف التام بها، فرضي وأنفق على لعبته كثيرا منها.[1]

2- لما كان شاعرنا في الثامنة من عمره لحقته حادثة أخرى وهي كانت أعمق أثراً من الأولى، وذلك أنه حين تَنَسَّك أبوه ونسي حق الطفولة في اللهو، وطرح ذيل نسكه وتقشفه على أبنائه، عمد إلى ابنه أحمد أبي عامر، فحلق لمته، وانتزع ما عليه من ثياب الخز والوشي، وألبسه ثيابا بسيطة بدلا منها،فتلقى الطفل هذا بألم شديد، ومر به الوزير ابن مسلمة ذات مرة، فسأله عن حاله، فشكاه عن فعل أبيه وحكى الوزيرهذا الأمر إلى المظفر بن المنصور- وكان المنصورغائبا- فطلب المظفرالطفل (أبا عامر) إليه وألبسه ثياب الحريروحمله على فرس بسرجه ولجامه، وأعطاه ألف دينار،فأرضى نفسه الصغيرة بحضورها إلى القصورالعالية الكبيرة، وتطلعها إلى الجديد من الثياب والوافر من الأموال.[2]

ومرّأكثرأيام ابن شهيد في قرطبة في مناقضات، ومماحكات بينه وبين معاصريه من الأدباء والشعراء. وكان أبوعامر عند نكبة قرطبة في ريعان الشباب

1- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،ابن بسام، ص: 165/1 (بتصرف)

2- المرجع السابق،ص: 165/1.

وفورة الهوى تجاوز العشرين،وتعود حياة اللهو التي هيأتها المدينة الكبيرة. وغيرت النكبة المقاييس، وبدلت القيم فرفعت وخفضت دون معيار صحيح، يقول ابن بسام "إن الفتنة نسخ للأشياء من العلوم والأهواء، ترى الفهم فيها بائر السلعة،خاسر الصفقة يلمح بأعين الشنآن ويستقل بكل مكان" [1]

لذلك كانت نكبة قرطبة حادثا جللا بالنسبة للشاعر "لأنها هوت بالمجد العامري، وقضت على الأيام السعيدة في ظل العامريين. وكانت نشأته لاتقويه على الكفاح والمغامرة من جديد لنعومتها أولا ولفرقه الشديد من تقلبات الأيام في المهاجرة، فبقي في قرطبة ينظر إلى معاهدها في أسى، ويبكي قصورها، ويعلل عجزه عن مفارقتها بحبه للوطن وبحبه لقرطبة[2]وإن ظلت مثل عجوزة متغيرة الريح ساقطة الأسنان، زانية الرجال طاب له الموت على هواها كما تدل عليه الأبيات التالية :

عَجُوْزٌ لَعَمْرُ الصبّا فَانِيَـــةٌ لَهَا فِي الْحَشَا صُورة الْغَانِيَهْ

زَنَتْ بالرِّجَالِ عَلَى سِنِّـــها فَيا حبَّـذَا هِي مِن زانِيَـــهْ

تُرِيكَ العُقُولُ عَلَى ضَعفِهَا تُدَارُ كَـمَا دَارَتِ السّانِيَـــهْ

فَقَدْ عَنِيَتْ بِهَوَاهَا الْحُـــلُومُ فَهِي بِرَاحَتِهَا عَانِيـــه [3]

1- المرجع السابق، ص: 192/1.

2- تاريخ الأدب الأندلسي، ص:215/1.

3- ديوان ابن شهيد الأندلسي، تحقيق: يعقوب زكي، بت، دار الكتاب العربي، القاهرة، ص: 42.

فما كان يتحمل مفارقة مدينته قرطبة،ولذلك قوى في نفسه حب السلامة والبقاء فيها في تلك الفترة المنقلبة، فنراه مادحا هذا أو ذاك ممن تعاقبوا على حكم المدينة مع شعور عميق بأن العامريين وحدهم هم الذين كانوا يستطيعون أن يفردوه ويميزوه بمكانة عظيمة بين ذوي الفهوم[1]

جوده وكرمه:

وكان شاعرنا سمحاً جواداً ولايقاربه فيه أحد من بلده ولايدانيه وكان يغيث كلا من السائلين والمحرومين وله حكايات كثيرة فى ذلك، ومنها ما نقله ابن دحية الكلبي بأنه "كان رجل من أهل طليطلة ذا محل شريف، ومكان عال منيف، فنبا به الوطن، وخانه على معهوده الزمن، فأتى إلى قرطبة رث الحال، منبت الحبال،لا يملك فتيلا، ولا يدرك كثيرا ولا قليلا،فأنزل عياله في أحد الفنادق وخرج يلتمس أحداً يستجديه، وفاضلا يستهديه. فأرشد إلى أبيعامر ابن شهيد، فكتب إليه كتابا يعرب عن فضل أدب، وكريم نسب فقال للرافع له: ما زي هذا الرجل ولبسه؟ وكيف همته ونفسه؟. فأعلمه بما بدا من حاله، وظهر من اختلاله، فأمر بدخوله. فلما أدناه أبو عامر وقربه، ورتب له من البر والإكرام ما رتبه،... وآثرمكانه، ويدعو إلى بره إخوانه. فلما كان

1- تاريخ الأدب الأندلسي، ص: 216/1 (بتصرف) .

عشي اليوم الثاني خرج الرجل وقد قدم مركب سار عليه، وغلام بشمعة بين يديه، إلى أن أدى به إلى هذه الدار،. فقال: انزل يا مولاي. قال الرجل: ليست هذه داري، وإنما نزلت في الفندق الفلاني. فقال الغلام: بل هي دارك، أعطاكها سيدي، وأنا والدابة لك فأخرس الرجل ودخل الدار،فوجدها قد ملئت نعماً كثيرة، وفرشا وثيرة، وعياله في منضد تلك المجالس، قد أفرغت عليهن أفخر الملابس، وقد ملئت خزائنها بما يملأ العيون قرة، والقلوب مسرة."[1]

ومن شعره الدال على كرمه وفخره:

أُلِمْتُ بِالْحُبِّ حَتَّى لَوْدَنَا أَجَلِيْ لَمَا وَجَدْتُ لِطَعْمِ الْمَوْتِ مِنِ أَلَم

وَزَادَنِـــيْ كَرَمِيْ عَمَّنْ وَلِهْتُ بِهِ وَيْلِيْ مِنَ الْحُبِّ أَوْ وَيْلِيْ مِنَ الْكَرَمِ[2]

مكانته العلمية بين معاصريه: تفرد ابن شهيد في النظم والنثر والبلاغة في عصره ولم يخلف له نظيراً فيها وقد ذكره الأدباء والنقاد بالخير وأنا أكتفي هنا بذكر بعض الأقوال منها:

1- المطرب من أشعار أهل المغرب، أبو الخطاب عمر بن الحسن ابن دحية الكلبي (544-633هـــ = 1150-1236م) تحقيق إبراهيم الأبيارى وصاحبيه، 1954 م، دارالعلم للجميع، بيروت، ص:45/1.

2- المرجع السابق، ص:46/1.

يقول أبو محمد علي بن أحمد مفتخراً به: "ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد، وله من التصرف في وجوده البلاغة وشعابها مقدار ينطق فيه بلسان مركب من لساني عمرو وسهل".[1]

وقال فيه ابن بسام: "نادرة الفلك الدوار، وأعجوبة الليل والنهار،إن هزل فسجع الحمام، أوجد فزئير الأسد الضرغام، نظم كما اتسق الدر على النحور، ونثر كما خلط المسك بالكافور".[2]

وقال الوزير أبو الحسين بن سراج في شاعرنا بأنه "كان من البلاغة في مدى غاية البيان ومن الفصاحة في أعلى مراتب التبيان وكنا نحضر مجلس شرابه ولا نغيب عن بابه وكان له بباب الصومعة من الجامع موضع لا يفارقه أكثر نهاره، ولايخليه من نثر دره وأزهاره فقعد فيه ليلة سبع وعشرين من رمضان في لمة من إخوانه وأئمة سلوانه وقد حفوا به ليقطفوا نخب أدبه وهو يخلط لهم الجد بهزل ولا يفرط في انبساط مشتهر ولا انقباض جزل".[3]

1- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص:48/1.

2- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص:192/1.

3- مطمع الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس،لأبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بنخاقان، تحقيق: محمد علي شوابكة، الطبعة الأولى 1983م.، دار النشر، مؤسسة الرسالة،بيروت، ص: 44/1، 45.

حياته السياسية :وكان يعد ابن شهيد من ندماء الساسة والحكام.وتنفس في ظل العامريين ثم لما تم الأمر للمستعين وصل أسبابه به وبدأ يمدحه بقصائده. وإذا انتقل أمر قرطبة إلى يد بني حمود سنة 407هـــ ارتبط بهم شاعرنا غير أنه "دبت إليه عقارب، برئت منها أباعد وأقارب، واجهه بها صرف قطوب وانبرت إليه منه خطوب؟ وأقام مرتهنها ولقي وهنا"[1]. وفقد ماله في تلك الأيام فكتب إلى ابن حمود رسالة في صفة السجن والمسجون، وألحق بها قصيدة يمكن أن يستنتج منها أنه كان يعني الضيق الشديد من الفقر والانحباس في السجن، إذ يقول:

فِـرَاقٌ وَسِجْنٌ وَاشْتِيَاقٌ وَذِلَّةٌ وَجَبَّارُ حِفَاظٍ عَـلَى عَتِـيْدُ

فَمَنْ مُبْلِغٌ الْفِتْيَانِ أَنِّيْ بَعْدَهُـمْ مُقِيْمٌ بِدَارِ الظَّالِمِيْنَ وَحِـيْدُ

مُقِيْمٌ بِدَارٍ سَاكِنُوْهَا مِنَ الْأَذَى قِيَامٌ عَلَى جَمْرِ الْحَمَامِ قُعُوْدُ[2]

حتى استعطف يحيى بن حمود الملقب بـــ المعتلي بالصراحة بحيث يقول:

إِلَى الْمُعْتَلِيْ عَالَيْتُ هَمِّيْ طَالِبًا لِكَرَّتِهِ إِنَّ الْكَرِيْـمَ يَعُـوْدُ

هَمَامٌ أَرَاهُ جُـوْدُهُ سُبُلَ الْعَـلَا وَعَلَّمَهُ الْإِحْسَانُ كَيْفَ يَسُوْدُ[3]

1 – المرجع السابق، ص: 20/1.

2– ديوان ابن شهيد، ص: 72.

3–المرجع السابق، ص: 74.

فاستجاب المعتلي لرجائه وأطلقه، فحسنت العلاقة بينه وبين المعتلي، وكان ابن شهيد يمدحه ويبعث إليه بالمدائح من قرطبة[1]وخرج المعتلي من قرطبة، وأراد أهلها أن يبايعوا واحداً من بني أمية فقدموا عليهم عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار الملقب بالمستظهر سنة 414هـ.

فوزر ابن شهيد للمستظهر مع صديقه ابن حزم.[2]وهكذا عاش شاعرنا في ظل الأمراء والحكام طول حياته.

أهم موضوعات شعره

تجول شاعرنا في معظم الميادين الشعرية ولكن أهم موضوعات شعره:

1- **المدح:** فأغلب قصائد شاعرنا في مدح الأمراء والحكام خاصة في مدح الأمراء العامريين والمستعين بالله والمعتلي. و من مدحه للمعتلي:

1- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ص: 215/1.

2- ابن حزم الظاهري،هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، وجده خلف أول من دخل الأندلس من آبائه، ومولده بقرطبة من بلاد الأندلس أربع وثمانين وثلثمائة في الجانب الشرقي منهاوكان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة بعد أن كان شافعي المذهب، فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر، وجمع من الكتب في علوم الحديث والمصنفات المسندات شيءاً كثيراً، وسمع سماعاً جماً، وألف في فقه الحديث كتاباً سماه " الإيصال إلى فهم كتاب الخصال.انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ص: 325/3

غَنَاكَ سَعْدُكَ فِيْ ظِلِّ الظُّبَا وَسَقَى فَاشْرَبْ هَنِيْئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقًا

قَامَتْ بِنَصْرِكَ لَمَّا قَامَ مُرْتَجِلًا خَطِيْبٌ جُوْدِكَ فِيْهَا يَنْثُرُ الْوَرَقَا[1]

2- **الرثاء:** وله شعر في كلا القسمينمن الرثاءأي رثاء المدن، ورثاءالشخصيات وله قصيدتان في رثاء قرطبة سندرسهما في الباب الأول ومن رثائه للشخصيات رثاؤه لصديقه الحميم أبي العباس أحمد بن عبد الله بن ذكوان، قاضي القضاة بالأندلس،وذكر فيه محامده والأسى على فقده حيث يقول:

إِذَا لَمْ تَجِدْ إِلَّا الْأَسَى لَكَ صَاحِبًا فَلَا تَمْنَعَنَّ الدَّمْعَ يَنْهَلُّ سَاكِبَا

هَوَتْ بِأَبِي الْعَبَّاسِ شَمْسٌ مِنَ التُّقَى وَأَمْسَى شِهَابُ الْحَقِّ فِيْ الْغَرْبِ غَارِبَا

وَمَا ذَهَبَتْ إِذْ حَلَّ فِي الْقَبْرِ نَفْسُه وَلَكِنَّمَا الْإِسْلَامُ أَدْبَرَ ذَاهِبَا[2]

3- **الفخر:** وله قصائدمتنوعة في الفخر،فيمدح نفسه بالمفاخر المختلفة كما يتضح من الأبيات التالية :

هُنَاكَ لَا تَبْتَغِيْ غَيْرَ السَّنَاءِ يَدَي وَلَا تَخِفُّ إِلَى غَيْرِ الْعُلَا قَدَمِيْ

حَتَّى تَرَانِيْ فِيْ أُنْسَى مَوَاكِبِهِمْ عَلَى النُّعَامَةِ شِلَالًا مِنَ النَّعَمِ

رَيَّانَ مِنْ زَفَرَاتِ الْخَيْلِ أَوْرَدَهَا أَمْوَاهُ نِيْطَةِ تَهْوِيْ فِيْهِ بِاللُّجَمِ

---

1 – ديوان ابن شهيد، ص: 116.

2 – ديوان ابن شهيد، ص: 19.

قُدَّامَ مِنْ قَـــــــــوْمٍ وَجَـدتُّهُمْ أَرْعَى لِحَقِّ الْعُلَى مِنْ سَالِفِ الْأُمَمِ[1]

ويعتقد الشاعر بأنه فريد في عصره جمع الفضائل والمحاسن حيث يقول:

وَلَمْ أَرَ مِثْلِيْ مَا لَهُ مِنْ مَعَاصِرٍ وَلَا كَمُضَائِيْ مَا لَهُ مِنْ مُضَافِرِ[2]

مؤلفاته: ورّث شاعرنا المجتمع الأدبي التواليف الأنيقة التي تتملك منزلة المصدربين مصادر الأدب، والتاريخ، والتراجم. وسائر رسائله وكتبه نافعة وممتعة. وقال الكلبي "وله كتب كثيرة الهزل والجد، بعيدة عن الحصر والعد. منها ديوان شعره، وكتاب التوابع والزوابع، وكتاب حانوت العطار، وكتاب كشف الدك وإيضاح الشك.[3]

وكان شعره مبثوثاً في بطون كتب التراجم والتاريخ والأدب واستخرجه من الكتب وجمعه شارل بلا ولكن أخل بكثير من شعره الموجود في المصادر.

مرضه ووفاته: لزمته في آخر عمره علة دامت به سنين ولم تفارقه حتى تركت أعضاءه العمل، فقد حملها على أن الله تعالى أراد بها تمحيصه وإطلاقه من ذنب كان قنصه فطهره تطهيرا وجعل ذلك على العفو له ظهيرا فإنها أقعدته ولكن مع

---

1 - المرجع السابق، ص:19.

2 - المرجع السابق، ص: 45/1.

3- سير أعلام النبلاء للذهبي، الطبعةالتاسعة 1413هـــ1993م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص:501/17.

ذلك لم يعطل لسانه ولم يبطل إحسانه وما زال يستريح إلى القول ويزيح ما كان يجده من القول قال ابن بسام بلغني أن آخر شعر يودع إخوانه قصيدة موجزة تحتوي عشرة أبيات منها:

أَسْتَوْدِعُ اللهَ إِخْوَانِيْ وَعِشْرَتَهُمْ وَكُلُّ خَرْقٍ إِلَى الْعُلْيَاءِ سَبَّاقٌ

اَللهُ يَعْلَمُ أَنِّيْ مَا أُفَارِقُهُ إِلَّا وَفِي الصَّدْرِمِنِّيْ حُرُّمُشْتَاقِ[1]

ثم أوصى أن يدفن بجنب صديقه أبي الوليد الزجالي، ويكتب على قبره في لوح رخام هذا النثر والنظم: بسم الله الرحمن الرحيم" قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون"،هذا قبر أحمد بن عبد الملك بن شهيد المذنب، مات وهو يشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن البعث حق، وأن الساعة آتية لاريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. مات في شهر كذا من عام كذا، ويكتب تحت هذا النثر هذا النظم:

يَا صَاحِبِيْ قُمْ فَقَدْ أَطَلْنَا أَنَحْنُ طُوْلَ الْمَدَى هُجُوْدُ

فَقَالَ لِيْ: لَنْ نَقُوْمَ مِنْهَا مَا دَامَ مِنْفَوْقِنَا الصَّعِيْدُ

1- ديوان ابن شهيد، ص:123، و الذخيرة، ص: 333/1.

يَا وَيْلَنَا إِنْ تَـــنَكَّـــبَتْـــــنَا رَحْمَةٌ مِنْ بَطْشِهِ شَدِيْـــدُ

يَا رَبِّ عَفْوًا فَأَنْتَ مَوْلَى قَصَرَ فِيْ أَمْرِكَ الْعَبِيْـــدُ[1]

توفي شاعرنا ضحى يوم الجمعة آخر يوم من جمادى الأولى سنة ست وعشرين وأربع مائة بعلة ضيق النفس والنفخ.[2]

1- الذخيرة، ص: 334/1.

2 - الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت/764هـــ ،1987م)، دار العلم للجميع، بيروت، ص: 425/2.

الشيخ شمس الدين الكوفي

اسمه ونسبه: هو شمس الدين محمد بن أحمد بن عبيد الله بن داؤد الزاهد بن محمد بن علي الأبزاري الهاشمي الكوفي الخطيب الواعظ.

ولادته: ولد شاعرنا سنة 623هـ [1]

وكان شاعرنا شمس الدين الكوفي خطيباً بجامع السلطان ببغداد، ومدرساً بالمدرسة التشيشية وكان يعظ الناس في باب بدر.[2]

ولم أعثر على أحواله المفصلة من نشأته وبيئته ومكانته الأدبية، وديوان شعره وما إلى ذلك.

مؤلفاته: لاتوجد مؤلفاته كاملة تخضه، وقد عثرت على قصائده في كتب الأدب، والتاريخ، والتراجم.

أهم موضوعات شعره:قد أبدع شمس الدين الكوفى النظم في شتى الأنواع الشعرية من القصيدة والغزل ورثاء المدن والموشحات وغيرها كما قال الذهبي "وله

1- الوافي بالوفيات للصفدى، ص: 191/1.

2-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهيروالأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق د/عمر عبد السلام تدمري الطبعة الأولى 1407هـ -1987م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص:200/5.

نظم كثير جيد منه مرثية بغداد"[1] وسوف ندرس مرثيته في بغداد في هذاالبحث بالتفصيل عند تناول الموضوع الرئيسي . وأناأذكر بعض النماذج من شعره من الأنواع الأخرى كالغزل، والوصف فيما يأتي:

فمن غـــزله:

قُـلْ لِّمَنْ نَالَ حَظَّهُ مِـنْ رُقَـــادِ جَاعِـلاً حُجَّةَ لَطِيْفِ الْخِيَالِ

لَوْ تَيَقَّـظْـتُ جِـئْـتُ نَحْوَكَ لَكِ نِّيْ أَرْسَلْتُ حِيْنَ نِمْتُ مِثَالِيْ

لَوْ صَدَّقْتَ الْهَوَى صَدَقْتَ وَلَكِـنْ مَا جَزَاءُ الْمُحَالُ غَيْرَ الْمُحَالِ [2]

ومن وصفه:له قصيدة رائية طويلة شهيرة في وصف النهر التي قال المقري مقارنا بينها وبين رائية ابن مرج الكحل: قلت وما رأيت رائية تقرب من التي لابن مرج الكحل التي أولها:

عَرَجَ بِمُنْعَرَجِ الْكَثِيْبِ الْأَعْقَرِ بَيْنَ الْفُرَاتِ وَبَيْنَ شَطِّ الْكَوْثَرِ

إلا رائية شمس الدين الكوفي الواعظ وهي قوله:

1- المرجع السابق، ص: 200/5.

2- التذكرة الفخرية ورسالة الطيف، بهاؤالدين الأربلي،1984م ، دارالجمهورية بغداد، ص: 342.

رُوْحُ الزَّمَانِ هُوَ الرَّبِيْعَ فَبَكِّرْ وَانْهَضْ إِلَى اللَّذَّاتِ غَيْرَ مُنْكِرِ

وَالْكَوْنُ مُبْتَهِجٌ وَخَفَّاقُ الصَّبَا يُحْيِيْ الْقُلُوْبَ بِنَشْرِهِ الْمُتَعَطِّرِ

وَكَأَنَّمَا الْمَنْثُــوْرُ فِيْ أَثْوَابِهِ أَلْوَانُ يَاقُوْتٍ أَنِيْقِ الْمَنْظَــرِ[1]

ووفاته: توفي شاعرنا شمس الدين محمد بن أحمد الكوفي في الكهولة خلال سنة خمس وسبعين وستمائة 675 هـ[2]

1- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق:د/إحسان عباس،1968م، دارصادر- بيروت، ص4: 5/56،55.

2- فوات الوفيات،محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى 1974م، دار صادر- بيروت، ص: 2/ 232 .

البهائي الغزولي الدمشقي

اسمه ونسبه: علاء الدين علي بن عبد الله البهائي الغزولي الدمشقي، وكان تركي الأصل من المماليك ونسب إلى مولى له اسمه أوكنيته بهاء الدين[1]

فنشأ شاعرنا الغزولي ذكياًجيد الذوق محب الأدبوالأدباء حتى أصبح أديباً أريباً[2]. وعاش بدمشق طول حياته إلى أن توفي بها، وزار القاهرة مراراً.[3]وعدّه محمد بن عبد الرزاق كرد علي في زمرة فقهاء دمشق[4]

أساتذته: وتتلمذ شاعرناعلى أساتذة كبار في عصره منهم:

1- عزالدين الموصلي (ت/789) على بن الحسين بن على بن أبى بكر بن محمد بن أبى الخيرالعلامة الشاعر المشهور نزيل دمشق، مهر في النظم وجلس مع الشهود بدمشق تحت الساعات وأقام بحلب مدة وجمع

1- الأعلام، خير الدين الزركلى، الطبعة الخامسة عشر،2002م، دارالعلم للملايين ص: 306/4.
2- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبوالخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى، الطبعة الرابعة 1980م، دارالكتب العلمية بيروت، ص: 254/5.
3- الأعلام للزركلى، ص: 306/4.
4- خطط الشام، محمد بن عبد الرزاق بن محمّد، كُرْد علي، الطبعة الثالثة، 1403 هـ - 1983م،مكتبة النوري دمشق، ص: 49/4.

ديوان شعره في مجلد وله البديعية المشهورة قصيدة نبوية عارض بها بديعية الصفي الحلى، وله أخرى لامية على وزن بانت سعاد.[1]

2- الدماميني (763 - 827 هـ = 1362 - 1424 م) محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي القرشي، بدر الدين المعروف بابن الدماميني: عالم بالشريعة وفنون الأدب.[2]

3- ابن مكانس (745 - 794 هـ = 1345 - 1392 م)أبو الفرج فخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم، أبو الفرج، فخر الدين، المعروف بابن مكانس، وزير، شاعر، مصري حنفي المذهب.

وكان قبطي الأصل، وولد بالقاهرة، وولي نظارة الدولة بمصر، ثم تولى في آخر عمره وزارة دمشق.[3]

وتعانى الغزولي النظم فلم يزل يقوم ويقعد حتى أجاد شعره.[4]

ومن مآثره العلمية : وترك شاعرنا بعض المآثر القيمة منها:

1- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، شهاب الدين أحمد بن على بن محمد العسقلانى، تحقيق محمد عبد المعيد ضان،1392هـ/ 1972م مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد بالهند ص: 50/4.

2-الأعلام للزركلى،ص: 57/6.

3- الأعلام للزركلى، ص: 310/3، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحى بن أحمد العكرى الدمشقى،1975م، دار الكتب العلمية، ص: 29/7.

4- المرجع السابق، ص: 30/7.

1- "مطالع البدور ومنازل السرور" وقد صنفهفى تحسين المجالس والمنازل وآلاتها وأسبابهاوماقيل فيها من المعنى البليغ ومالى ذلك، ورتبه على خمسين باباً[1]

وكتابه هذا أفضل مصدر في رسم ملامح عصره وثقافته. وقدم لنا في تضاعيفه أسماء شيوخه وزملائه من كبار أهل العلم والأدب. وانفرد كتابه هذا بنصوص ورسائل نثرية لمجموعة الأدباء معظمهم من القرنين السابع والثامن الهجريين.

وقد قدم اختيارات شعرية لا تخلو من الأصالة والجدة لا يشوبها إلاّ بعض المجون الذي كان سائداً في عصر المؤلف.

وأثبت منه الغزولي لنفسه قصائد ومقطوعات شعرية كثيرة وذكرها باستحياء بين ثنايا كتابه الذىيستحق الدراسة ضمن تقويم ديوان الشعر العربي في القرن التاسع الهجري.[2]

2- وله كتاب آخر باسم "تذكرة الأوراق" الذي ذكره فى ثنايا كتابه "مطالع البدور في منازل السرور" ولم يطبع ولم يصل إلى أيدى الناس.[3]

1- كشف الظنون،حاجى خليفة، الطبعة الثانية 1398هـ، مطبع الآستانة، ص: 171/2.

2- كشف الظنون للخليفة،ص: 171/2.

3- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، 1957م، مكتبة المثنى - بيروت، ص: 132/7.

ولم يُعَثِّرْه لهذا الكتاب إلاعلى إشارات سريعة خلال كتابه " المطالع " رغم البحث الكثيرعنه بالطرق المختلفة.

وفاته: وكان شاعرنا موجوداً في دمشق خلال الحملة التيمورية عليها وشاهد دمارها وفسادها بعينه وواجهها بنفسه إلى أن توفي فيها سنة 815هـ 1412م.[1]

1- المرجع السابق،ص: 132/7.

الأوتاري

اسمه: الشيخ أبوالحسن علاء الدين علي الأوتاري الدمشقي.

كان يشتغل بصناعة الطب وألف فيه كتبا قيمة [1]،وإن لم يحترف الشعر والأدب و الفن ولكن مع ذلك لما شاهد أطلال مدينته جاشت قريحته وأبدعت قصيدة رائعة في رثاء دمشق ندرسها فى صلب الرسالة بإذن الله.والقصيدة بتمامها موجودة في نهاية الأرب في فنون العربلشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري.[2]

وفاته: ولم أعثرعلى تاريخ وفاته بالتحديد إلا أنه توفي في آخر القرن العاشر الهجري[3]ولمأتمكن من العثور على أحوال الأوتارى أكثر مما ذكرته هنا.

1- تاريخ سوريا الحضارى القديم،أحمدالمزيد،انظر الموقع : http://www.ta5atub.com/t421-topic#ixzz2gPHxkaNm، ص: 327/2. (2014/5/13)

2- انظر طبعة 1424 هـ - 2004 م، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ص: 225/5، 226.

3- أدب الدول المتتابعة، عمرموسى باشا، عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك،1967م. دار الفكر الحديث، دمشق، ص: 531.

تراجم شعراء اللغة الأردية

مرزا داغ الدهلوي

مراد شاه لاهوري

ظهور الحق أديب سهيل

مرزا داغ الدهلوي

اسمه ونسبه: وسماه أبواه "إبراهيم"[1]، و اشتهر بـــ "نواب مرزا خان الدهلوي" ولقب بـــ "داغ "وكان من ألقابه: بلبل الهند، وفصيح الملك وأمير الدولة [2]، واسم أبيه نواب شمس الدين و كان أبوه رئيس دولة " لوهارو" وهو إقليم من أقاليم الهند.

ولادته: ولد شاعرنا يوم الخميس 12 من ذي الحجة سنة 1346هـــ، و25 مايو سنة 1831م في حي "چاندنى چوك"بـــ "دلهي" وقتل أبوه نواب شمس الدين وهو ابن أربع سنوات ونصف فقط فقامت أمه بتربيته بعد موت زوجها.

دراسته:بدأ دراسته كطفل مسلم في أسرة مسلمة بتعلم كلام الله تعالى وأكمله وهوابن ست سنوات،ثم توجه إلى تعلم اللغة الفارسية التي كانت لغة العمل في المكاتب الحكومية في ذلك العهد مثل اللغة الإنجليزية في العهد الحاضر، وتتلمذ على

1- تقديم انتخاب كلام داغ، ڈاكٹر محمود الرحمٰن، بغير سن طباعت، دوست پبليكيشنز اسلام آباد، ص: 3.

2- نقوش لاهور، ملیسانی، شخصیات نمبر 2، مجلة 1956 م، ص: 709.

الشيخ غياث الدين صاحب المعجم الفارسي الشهير بـ "غياث اللغات"، وغيره من كبار العلماء في عصره.[1]

أساتذته: خلق"داغ" على جبلة شعرية فأصقلها بمصاحبة بعض الشعراءالكبار والتلمذة عليهم وأهمهم:

1 _ نواب يوسف علي خان رئيس دولة رامفور. ومن حسن حظه كانت خالة الشاعر تحته، وتربى في بيته بعد موت أبيه، وكان يحسن التعامل معه ويحبه حباً جماً فتعلم الشعر في بداية أمره.[2]

2 _ محمد إبراهيم ذوق، تتلمذ شاعرنا على هذا الأستاذ الكبيرخلال قيامه في "قلعة مُعلى" عند ما تزوجت أمه من مرزا فخرو.[3] ولما توفي مرزا فخروسنة 1856 م وضاقت عليه وعلى أمه "قلعة مُعلى" بما رحبت،خرج منها مع أمه وانقطع الاتصال بينه وبين شيخه "ذوق"

3 _مرزا أسد الله خانغالب، وبعد الخروج من "قلعة مُعلى" عاش شاعرنا مع أمه حيناً من الدهر في دهلي خارج القلعة، إلى أن هاجر منها إلى

1- اردو شاعروں کاانسائکلوپیڈیا شاہ حاتم سے اقبال تک، عبدالرشید عصیم، 2002م بیکن بکس،ملتان، ص: 316 .

2-کلیات داغ، تقدیم: خواجہ محمد ذکریا، 2011م،الحمد پبلی کیشنز لاہور، ص: 11.

3- المرجع السابق، ص: 11. واردو تنقید، پروفیسر شارب ردولوی، 2003م اردو اکادی دہلی، ص: 192.

رامفور وخلال هذه الفترة تتلمذشاعرنا على شاعر مجيد وأديب شهير الأستاذ "غالب" في بعض الأحيان.[1]

مآثره الأدبية : ومن مآثره الأدبية دواوينهوهي خمسة،وكلها طبعت في حياته أكثرمن مرة بالإضافةإلى كلامه الذي ضاع بعضه في بداية أيامه وبعضه خلال حرب الحرية للهند سنة 1857.والدواوين المتوافرة كما يلي:

1-**گلزارِ داغ:** أي بستان داغ، هذا ديوانه الأول وهو يحتوى على 391 قصيدة فى لون الغزل،و120قصيدة و23 رباعياومخمساً ومسمطا وقطعتين في التاريخ. ومجموع الأبيات فى هذا الديوان 5293 بيتاً شعرياً وقد اهتم بطبعه مطبعة أنوار محمدي بـــ لكنو بالهند سنة 1873م في حياة الشاعر، وطبع بعد ذلك مراراً.

2- **آفتاب داغ:**أى شمس داغ وهو يحتوي على 119 قصيدة فى الغزل و8 رباعيات، ومجموع الأشعار فيه 1752 بيتاً.وقد طبع أولاً في حياة الشاعر سنة 1884م. وقام بطبعه مطبعة، أنوار الأخبار بـــلكنو بالهند.

3- **مهتاب داغ:** أى قمر داغ، وهو يشتمل على جميع أنواع الشعرمن الغزل والقصيدة والرباعيات والمخمسات والمسمطات وغيرها ومجموع

---

1 -كليات داغ تقديم، خواجه محمد ذكريا، ص.12.

الأبيات فيه 5318 بيتاً شعرياً وقد طبع أولاً وصاحبه حي يرزق في سنة 1893م بمطبعة عزيز دكن حيدر آباد بالهند.

4- **فرياد داغ:** أى بكاء داغ وهذا الديوان كله قصة رحلة شاعرنا إلى مدينة "كلكتة"للقاءحبيبته "حجاب" ولكنها رفضت اللقاء مع شاعرنا وأعرضت عنه إعراضاً تاماً، فأصابه الحزن الشديد بسبب تعاملها معه فأبدع هذا المثنوي كي يخفف من خفقاته،وذلك في سنة 1882م ويتضمن هذا المثنوي 838 بيتاً وتمّ طبعه في حياته بمطبعة مطلع العلوم، وأخبار نير أعظم، مراد آباد بالهند سنة 1300هـ.

5- **ياد گارِ داغ:** أى تذكار داغ ويحتوي هذا الديوان على 5266 بيتاًوقد طبع بعد وفاة الشاعر ببضعة أشهر سنة 1905م بـ لاهور.[1]

ثم طبعت هذه الدواوين كلها باسم "كليات داغ" بمجلد ضخم واحد سنة 2004 م بالهند وأعيد نفس طبعهابلاهورفى سنة 2011م.[2]

تلاميذه:وكان مرزا داغ دهلوي شاعراكبيراً وأستاذاً ممارساً في الفنون الشعرية فتتلمذ عليه خلق كثير حتى بلغ عددهم إلى مئات من الناس فيمكن أن

1 – اردو شاعروں کا انسائکلوپیڈیا شاہ حاتم سے اقبال تک، عبدالرشید عصیم، ص: 318، 319.

2– کلیات داغ تقدیم، خواجہ محمد ذکریا، ص: 29.

نعتبر تلامذته النوع الثاني من مآثره الأدبية لأن تلامذته المجتهدين والمجيدين لهم خدمات جبارة للأدب الأردي وأذكر هنا بعض أشهرهم فيما يأتي:

1- سيد علي أحسن مارهروي 1874–1940م والذى جمع أحوال شيخه "داغ" ودوّنه باسم " جلؤ داغ " أى تجلى داغ .

2- بِيخود الدهلوي سيد وحيد الدين أحمد المعروف بـــ بيخود (1873 – 1955)

3- بِيد رد أمرتسري *ہرکشن سنگ* المعروف بـــ بيدرد المتولد (ت/1863م).

4- العلامة حسن رضا البريلوي (1859 – 1908م).

5- مولانا محمد علي جوهر رائد سياسي لحركة حرية باكستان، ومقترح اسمها "باكستان"(1878 ـــــ1931 م) مات بلندن ودفن ببيت المقدس.

6- سائل دهلوي نواب سراج الدين أحمد خان المعروف بـــسائل (1867 – 1945 م).

7- فوق كشميري، منشي محمد دين المعروف بفوق من كشمير (1870 – 1945 م)[1]

8- شائق، شاه محمد آغا المعروف بشائق (1841–1898 م)

1 – اردو شاعروں کا انسائکلوپیڈیا شاہ حاتم سے اقبال تک، عبد الرشید عصیم، ص: 320- 323

بيئة الشاعر التي عاش فيها:

كماعرفنا أن شاعرنا ولد في العقد الرابع من القرن التاسع عشر وهو عهد الانهياروالانحطاط السياسي للدولة الإسلامية في شبه القارة الهندية، وكانت تغرب في ذلك الوقت سطوة أسرة تيمور وبابر، وانتهت سلطة الدولة الأكبرية، وكانت مدت شبكات مؤامرات التبشير المسيحي وغاراته في طول الهند، ولكن رغم ذلك اختلفت البيئة الأدبية؛فقد بلغت أوج الرقي والازدهار بسبب بعض الشعراء الكبار الذين وصلوا الأدب الأردي ذروة سطوعه، ومن أهمهم خاقان الهند الأستاذ إبراهيم " ذوق "، والشيخ مؤمن خان مؤمن، ونواب غلام مصطفي خان المعروف بشيفتة،و سيف الدولة مرزا أبوالمظفر بهادر شاه ظفر ونجم الدولة مرزا أسد الله خان غالب وغيرهم.

فما تنفس شاعرنا في عهد أمثال هؤلاء الشعراء الأساتذة الكبار فحسب بل تشرف بالتلمذ على بعض منهم فأصقلت مصاحبتهم مواهب شاعرنا الأدبية والشعرية الكامنة في قريحته إلى أن أصبح شاعراً كبيراً في العقد الثاني من عمره[1]

1 - انتخاب كلام داغ، ڈاكٹر محمود الرحمٰن، ص: 1.

أهم موضوعات شعره

كان مرزا داغ، حسب موهبته الشعرية الفطرية شاعر الغزل ولكن رغم ذلك نراه قادحا زناد الفكر في الأغراض الشعرية الأخرى أيضاً مثل الشعراء الآخرين المعاصرين له، من المدح والهجاء والرثاء ومن رثاء الأفراد والشخصيات ورثاء المدن وما إلى ذلك.[1] وسندرس رثاءه في صلب الرسالة، وأذكرهنا بعض النماذج من المدح خاصة من حمد الله والثناء له ومن المديح النبوي.

من حمد الله: وله قصيدة كاملة في حمد الله سبحانه وتعالى بالإ ضا فة إلى العشرات من الأبيات المنثورة هنا وهناك في دواوينه. وأبدع هذه القصيدة خلال سفره المبارك لزيارة الحرمين الشريفين سنة 1872م وهو ابن أربعين سنة. وتحتوي هذه القصيدة على واحد وعشرين بيتاًومنها:

اللہ رے مرتبہ میرے عجز و نیاز کا　　گویا جواب ہے یہ تیرے کبر و ناز کا

یوسف کو چاہ میں تو مسیحا کو چرخ پر　　عالم دکھادیا ہے نشیب و فراز کا[2]

ترجمة:اللهم إن ضعفي وعجزي دال على عزتك وكبريائك، وقد أظهرتَالرفع والخفض برفع عيسى ـــــ عليه السلام ـــــ إلى السماء، وإلقاء يوسف ـــــ عليه السلام ـــــ في البئر.

1- اردو شاعری پر ایک نظر، محمد جمیل احمد، ص: 284.

2-آفتاب داغ، ضمن انتخاب کلام داغ، ص: 157

يبين الشاعر في البيتين المذكورين قدرة الله سبحانه وتعالى الكاملة وتصرفه الغالب في التقلبات الزمنية، وكون العزة والذل، والرفع والخفض وغيرها، كلها بيد الله تعالى. ويعتقد الشاعر أن عجزالعبد يدل على عظمة الله عزوجل وكبرياءه. وقد أظهرالله ملكه في التصرفات بارتفاع سيدنا عيسى ـــــ عليه السلام ـــــ إلى السماءوإلقاء سيدنا يوسف ـــــ عليه السلام ـــــ في البئر .

من المديح النبوي: وله مئات من الأبيات المنثورة في دواوينه، فى المديح النبوى – صلى الله وعليه وسلم– والحنين إلى الأشياء التي تتعلق به ويدل عليه الأبيات التالية:

خدا دے تو دے آرزوئے محمد کریں چشم و دل جستجوئے محمد[1]

یہ آرزو ہے آنکھ میں سرمہ لگائیں گے اے داغ خاک پائے رسول خدا سے ہم[2]

ترجمة:اللهم أعطنى القلب والعين باحثتين عن سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)

أتمنى أن أكتحل بغبار الأرض التى مست قدميه الشريفتين (صلى الله عليه وسلم).

يبن الشاعر في البيتين المذكورين وأمثالهما حبه وحنينه إلى سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويريد أن يشتغل قلبه في محبته وذكرياته،وينتظر زيارته دائماً. ويظهر

1- مہتاب داغ ص: 243 ردیف " د"

2- گلزار داغ ص 88 ردیف " م"

لوعته للأشياء التي تتعلق به صلى الله عليه وسلم حتى الأرض التي كانت تمس قدميه الشريفتين، ويتمنى أن يكتحل بذلك الغبار الذي يطير في بلده الطيب.

مراد شاه لاهوري

اسمه ونسبه: هوغلام ركن الدين الشهير بـــ مراد شاه لاهوري بن كرم شاه الشهير بـــ مسيتا شاه، وهو ينتمي إلى أسرة ذات علاقة عريقة بالعلم والمعرفة. وكان جده الشاه عبدالجليل (ت/910 هـــ) صاحب اسم كبير في العلم والأدب.[1]

ولادته: ولد شاعرنا 1184 هـــ 1770 م بـــلاهور.[2]

وكانت الأحوال العامة لمدينة لاهورفي ذلك العصر معقدة وصعبة جداً وكان هذا الوقت غاية الانحطاط والانهيار لتلك المدينة. وكانت منطقة البنجاب[3] في ذلك الوقت في عرضة الحكام المختلفين من المسلمين وغير المسلمين من حكام الأفغان والمغول وكذلك الهندوس (من قبائل مرهته) وكانت مدينة لاهور في سلطة الحكام الثلاث من السيخ وهم: لَهنا سنك، وسوبها سنك، وكوجر(گوجر) سنك وكان سكان لاهور يعيشون تحت ظلالهم المظلمة، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت بسبب

1- نامہ مراد، مرادشاہ، تقدیم، إستاذ محمد شجاع الدین، اشاعت اول 1370هـــ- 1951م، إمیر برنٹنگ پریس لاہور، ص: 5.

2- المرجع السابق، ص: 5.

3- بنجاب إقليم من أقاليم باكستان الأربعة عاصمتها لاهور ومن أكبر مدنها "ملتان" سيالكوت مولد شاعر الشرق د/ محمد إقبال،كجرات، راولبندى وأمثالها. الباحث.

مؤامرات هؤلاء الحكام السيخ إلى أن هاجر خلق كثيرمن سكانها إلى المناطق المختلفة من الهند وغير الهند.[1]

هجرته:وقدهاجروالده الشيخ كرم شاه مع سائر أسرته سنة 1194هـ 1781 م إلى "أودهـ" و "لكنو" [2]و"شاه جهان فور"وغيرها، وقضى معظم وقته في "أودهـ"[3] التي كانت في ذلك الوقت آمنة مطمئنة تحت حكم نواب آصف الدولة، (1775 م – 1797 م) الذي كان محباًللعلم والعلماء ولذلك أصبحت " أودهـ " مركز أهل العلم والفضل وكان يجتذب إليها العلماء والأدباء من أقطارالأرض فاغتنم شاعرناهذه الفرصة الغالية واستفاد منها كثيراً،وهذّب لغته الأردية وصفاها إلى أن أجادها مع كونه بنجابي الأصل حتى عُدّ في زمرة أفصح الشعراء باللغة الأردية.[4]

خدماته للغة الأردية:له خدمات جبارة للغة الأرديةاعترف بهاالمحققون والمؤرخون منها:

1- تاریخ جلیلیہ،غلام دستگیر نامی،اشاعت اول 1937م إمیر پرنٹنگ پریس لاہور، ص·154.

2- هي محافظة فى الهند تشتمل على كثيرٍ من المدن والقرى من منطقة أُترپردیس بالهند، انظر: الدائرة المعارف الإسلامية، ص: 4/487-488.

3- اودهـ منطقة من أُتربرديش وكانت مركز الهندوس والسيخ وكثير من سكانها ينتمون إلى الديانة البوذية وظلت هذه المنطقة إقليماً متفرداً في عهد الملك "أكبر" انظر: الدائرة المعارف الإسلامية الأردية، ص: 3/516-520.

4-مجلة حقيقة الإسلام لاهور، عدد يونيو و يوليو 1949م، المقال " مراد شاه وشعره الأردى" ص: 169

1- السبق إلى استخدام كلمة "اردو" في معنى اللغة واللسان. اتفق المحققون والمؤرخون على أنه سبق إلى استخدام كلمة "اردو" في معنى اللغة فيشعره .[1]فقدصرح الأستاذ الدكتور بيلي، رئيس قسم اللغات الهندية والبرمية بجامعة لندن (ت/1942م) بأن مراد شاه هو الأول من استخدم كلمة "اردو" في معنى اللغة فى عام 1788م.

يقول الشاعر:

وہ اردو کیا ہے یہ ہندی زباں ہے کہ جس کا قائل اب سارا جہاں ہے[2]

ترجمة: "اردو" لغة هندية ويعترف بفضلهاالعالم كله وحتى يعترف العالم بجودته.

قد عرض الشاعر فكرته هذه في أسلوب الاستفهام ليثبتها في ذهن القراء والسامعين بأن "اردو" لغة هندية ويعترف بفضلها العالم كله ويفتخرأنها ينطق بها الوزراء والحكام

2- قصيدة في مدح اللغة الأردية :

وقد أبدع شاعرنا قصيدة تحتوي على أربعة عشر بيتاً خلال رسالته المنظومة "نامۂ مراد" باسم "ذكرقبوليت اردو" ومدح اللغة الأردية بأنها

1-اردو زبان اور اسکے مختلف نام، حافظ محمود شیرانی، بہتر وزہ،اور نٹیل کالج لاہور 1929م ص: 78.

2-نامہ مراد، مراد شاہ، 1951م 1370ھ، إسیر پرنٹنگ پریس لاہور، ص: 14.

بلغت إلى ذروة سنامها في العوج والفضل. والشعراء والخطباء كلهم ينشدون وينطقون بها، وأعيان الوزارة والرياسة، والحكام كلهم يحبونها،ولا يريدأحدأن يكتب أو يسمع كلمة غيرالأردية من اللغات الأخرى مثل الفارسية والتركية.

الاعتراف بخدماته للغة الأردية :قد عقدت جامعة بنجاب مؤتمراً وطنياً حول اللغة الأردية سنة 1948م، فزينت معرضها للكتب بكتب شاعرنا لاسيما بمخطوطاته وسمت باسمه باباً من أبوابها وكتب على ذلك الباب شعره الذي استخدم فيه كلمة "اردو" في معنى اللغة جليا بماء الذهب اعترافاً بخدماته. وقدّم المحققون بحوثاً علمية قيمة حول خدماته وأعماله الأدبية.[1]

أسلوبه: كان مراد شاه شاعراً مطبوعاً عذب اللفظ، قوي السبك، سهل الأسلوب بعيداً عن التكلف والتعقيدات اللفظية والمعنوية،واستخدم في شعره بعض الألفاظ الغريبة التي ترك استعمالها في اللغة الأردية في الوقت الحاضر ولكن لا تنكرها قريحة القارئ وأذن السامع لقوة سبكه وجزالة أسلوبه وأناقة عباراته[2]

مؤلفاته: ترك الشاعربعض المآثر الأدبية النافعةوهى كما يلى:

1- نامہ مراد، ص 8.

2- پنجاب میں اردو، حافظ محمود خان شیرانی، ص: 277/1.

1- **ديوان شعره:** وجُمع شعره في ديوانه وهو يحتوي على 125قصيدة فى لون الغزل 24 رباعية وبعض القطع الشعرية والأبيات المتفرقة وقد طبع أول مرة بتقديم غلام دستگير نامى[1] وقام بطبعه: انجمن ترقي اردو دهلي بالهند سنة 1946م

2- "نامۂ مراد"أى رسالة مراد وهي رسالة منظومةأرسلها الشاعر من المهجر إلى أصدقائه وأقاربهفى وطنه الحبيب لاهوروهي تشتمل على321بيتاً من الشعر وهي مليئة بالحنين إلى الوطن والأنين على الفراق بينه وبين أحبائه وزملائه.وقد طبع في ضمنها قصيدتاه اللتان سندرسهما في هذه الرسالة وهما: "مگس نامه" و "موش نامه"واهتم بطبعها شيخ غلام دستكير نامي فى مطبعة أمير برنتنك بريس لاهور سنة 1951م 1370هـ.

3- **"مثنوي مراد العاشقين"**حينماعادت أسرة مراد شاه إلى وطنه المألوف أى مدينة لاهورنظمهذه القصيدة فيهابشكل المثنوي سنة 1205هـ 1790م وقام بطبعها شيخ غلام دستگير نامي بمساعدة قومي كتب خانه كشميري، لاهور سنة 1908 م، 1326هـ.

1- رجل من أسرة شاعرنا.

4- **"مَامُرِيداں"**: وللشاعر قصيدة باسم "مامريداں"مدح فيها محبيه ومتبعيه، وطبعت هذه القصيدة ووزعت مجاناً سنة 1209 هـ 1793 م والشاعرحي يرزق.

5- **"قصه چهاردرويش"** التي كانت منثورة باللغة البنجابية،فبدأ الشاعر بنظمها باللغة الأردية على طلب بعض أصدقائه ولكن ما استطاع أن يكملهاحيث لبى لداع الأجل.وطبعت هذه المنظومة الناقصة بتقديم الدكتور محمد باقر، في "مجلة اردو" أنجمن ترقي اردو دهلي بالهند في العدد لشهر أكتوبر سنة 1942م[1]

مرضه ووفاته: وقد واجه شاعرنا الصدمات العظيمة أثناء الهجرتمن الوطن وأمسك مدة طويلة في المهجر، وقتل أبوه بين يديه في غارات قطاع الطريق وقت عودتهم إلى وطنه لاهور. فكُلّف باحتمال أعباء أسرته في عنفوان شبابه إلى أن توفي أخوه الشقيق الصغير سكندر شاه سنة 1209هـ 1794م فيئس الشاعرمن الحياة وبدأ يضعف شيءاً فشيءاً إلى أن توفي ليلة الجمعة 5 محرم سنة 1215 هـ و20 مايو

1- جميع مؤلفاته محفوظة في المكتبة المركزية لجامعة بنجاب في ذخيرة حكيم موسى أمرتسرى أى فى الخزانات التى خصت لوضع كتب حكيم موسى فيها. (الباحث)

1800م وهو ابن ثلاثين سنة ودفن في " مردانه "وهي قرية من قرى لاهور وقبره مازال موجوداً هناك.[1]

1- نامئہ مراد، ص:5.

أديب سُهيل

اسمه: سيد محمد ظهور الحق بن سيد عبد الرشيد، واشتهر بين الشعراء بـــ: أديب سُهيل

ولادته: ولد شاعرنا سنة 1927م بقرية "مونكير"[1] بالهند[2] وكانت الأحوال السياسيةوعرة جداً في تلك الأيام، وكان المسلمون في غاية الاضطراب ونهاية التردد والاختلال، وهو عصر قُبيل تقسيم الهند.

فقد عاش أديب سهيل هناك وقطع المراحل التعليمية إلى أن أعلن عن تقسيم الهند.

هجرته الأولى: وبعد التقسيم هاجرت أسرة شاعرنا إلى دولة حديثة التي كان يتمناها كل واحد من المسلمين، واستوطن مدينة " داكا " من الباكستان الشرقية وواجهت صعوبات الغربة ومغادرة الوطن،ولكنه تحملتها بوجه طلق. فابتدأ هناك

1- مونكير ·(مونگیر): مدينة كبيرة في إقليم "بِهَار" بالهند ومركز المحافظة، تقع على الجانب الجنوبي من بحر"گنگا" (گنگا) اشتهرت بصناعة السيجار ثم بنى بها نواب مير قائم مصنع الأسلحة سنة 1177هـ 1763م نظراً إلى حاجتها ضد الإنجليز. انظر: دائرة المعارف الإسلاميةالأردية، ص:21/ 848.

2- بال قلم کی ڈائریکٹری، علی یاسر، دوسری اشاعت2010م اکادیمی ادبیات، ص: 23.

حياته العملية والتحق بقسم السكة الحديدية، وتولى المناصب الجليلة وعمل في المدن المختلفة مثل "داكا" و "كراتشي" و "إسلام آباد" وغيرها .

هجرته الثانية : ومن سوء الحظسارت هذه الدولة الجديدة أى باكستان متحدة ومتفقة بجميع أقاليمها ومناطقها بضعاً وعشرين سنة فحسب إلى أن أصابتها عين الأعداءوحسد الحاسدين حتى فُصل بين جناحيها وتقطع جناحها الشرقي فى سنة 1971م الذي سُمي بعد استقلالها بـــبنغلاديش، فهاجر كثير من سكانها إلى باكستان الغربية أي الباكستان حالية،وغادرها شاعرنا مثل الآخرين سنة 1974م واستقر في كراتشي وما زال مستقراً فيها[1]

خدماته الأدبية : أديب سُهيل له شخصية متكاملة الأبعاد. وهو أديب أريب وشاعرمجيد وقاص جيد وله خدمات أدبية جبارة ومنها دواوينه الشعرية الثلاثة :

1- ديوانه الأول " *بکھراؤکاحرف آخر*" (غاية التمزق)وهو مطبوع واهتم بطبعه سعد ببلي كيشنز ناظم آ باد كراتشي سنة 1995م.

2- وديوانه الثاني "*غم بھی سہیل گزرگیا*" (قد مضى الحزن أيضاً يا سهيل) طبع سنة 2003م.

1- دبستانوں کادبستان،إحمد حسين صديقي،مطبعة محمد حسين إكاديمي كراچي 2005م،ص: 24.

3- ديوانه "کچھ ایسی نظمیں ہوتی ہیں" (تكون بعض القصائد هكذا) طبع هذا الديوان سنة 2005م.

ومن خدمات الأدبية غير الكتب والمؤلفات الإشراف على المجلة الأدبية للغة الأردية " قومی زباں"، كراتشي التى تولى منصب المدير المشارك لها فى عام 1985م ثم تولى منصب المدير1989م وبقي على هذا المنصب حتى سنة 2007م.[1]

بعض البحوث التى كتبت حول شعره و شخصيته:

1: **أديب سهيل ایک مطالعہ** (دراسة عن شخصية أديب سهيل)سجل هذا البحث فيجامعة سندھ[2] – جام شورو[3]– سنة 2000م للحصول على درجة الماجستير وقدمتها فرخنده جمال تحت إشراف الدكتور جاويد إقبال.

2: **أديب سهيل فن اور شخصيت**(أديب سهيل: شخصيته و فنه)سُجل هذا البحثفى جامعة كراتشى، وأعدتها ربابة خليل خان،وأشرف عليه الدكتور ظفر إقبال.

1- مجلة اللغة الأردية" قومی زباں" ابريل2007م، كراچی، ص: 79- 4.

2- سندھ: ليس اسم مدينة محددة بل اسم منطقة فسيحة التي تتناول اسم الإقليم من أقاليم باكستان الأربعة عاصمتها كراتشى. الباحث

3-جامشورو: مدينة كبيرة من إقليم سنده بباكستان، وفيهاجامعة سندھ بذلك اشتهرت هذه المدينة. الباحث.

أسلوبه في شعره:

أديب سهيل في الأصل شاعرالعصر الحديث وهو لا يتعرض لما لا يعنيه من قيود القافية والعروض غير المتلائمة للمقصود الأصلي للشعر ويستخدم الاستعارات والكنايات الصعبة والمعقدة غير المعروفة وقد رثى وطنه وبكى على مدينته في أسلوب هوميروس"هومر" (HOMER) [1]في مرثيته ALIADالإلياذة[2]لمدينته Troyتروى[3]الذى بكى على كل شيءفى وطنه من هلاك ملكه ومملكته والفساد في نفوس الناس وأخلاقهم وخراب البيئة والمجتمع الإنسانى كله.[4]

---

[1]-هوميروس: شاعر ملحمي إغريقي يعقد أنه مؤلف الملحمتين الإلياذة والأوديسة وعاش في 850 ق. م تقريباً . ويرى بعض النقاد مثل مارتن وست أنه ليس اسما لشاعر تا ريخى بل اسما مستعاراً.

.01/02/2015 ar.wikipedia.org/wiki:

[2]-الإلياذة : ملحمة شعرية تحكى قصة حرب طروادة وتعتبر أهم ملحمة شعرية قديمة وأشهرها قاطبة ويعود تاريخها إلى القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد .انظرالموقع

.01/02/2015 ar.wikipedia.org/wiki:

[3]-طروادةاليونانية (Troy)تروى / تروبا مدينة تاريخية قديمة تقع فى منطقة الأناضول ، وازدهرت فى الألف الثالث قبل الميلاد ،واشتهرت قصة حصان طروادة الخشبى الذى اختبأ داخله الجنود الإسبرطيون وتسللوا ليلاً لفتح أبواب المدينة أمام جيوش الملك مينلاوس ملك إسبرطة.انظر الموقع./3/02/2015ar.wikipedia.org/wiki

4- بکھراوکاحرف آخر،اديب سہيل، تقديم پروفيسر خورشيد بانو،الطبعةالأولى1995م، سعد پبلى كيشنز ناظم،آباد كراچى، ص 5-6.

أهم موضوعات شعره:

شاهد شاعرنا بعينراسه الحادثتين المهمتين لأرض الهند وهما: تقسيم الهند، وسقوط داكاولذلك يدور معظم شعره في رسم صورة تقلبات الأحوال خلال تلك الحادثتين من شدة البؤس والجوع، وشعره مليئ بالنياحة والبكاء والألم والأسى.

وينم الحزن من كل حرف من شعره وأذكر بعض النماذج منه حيث يقول بصدد شيوع القتل في الناس و ذيوع الوحشة بينهم:

شہر کا شہر مقتل جیسا ہر صدا لگتی تھی قاتل کی صدا[1]

ترجمة:أصبحت المدينة بأكملها مصرعاً ويُحسب كل صوت نداء القاتل

أى فسدت الأحوال إلى الغاية حيث أصبحت المدينة بأكملها مذبحا ومصرعا ويُحسب كل نداء كأنه نداء القاتل.

ويرسم صورة الفقر والبؤس التى كانت شائعة بين الناس من غير تمييز بين الأغنياء والفقراء بقوله:

وقت وہ آیا کہ دیکھا آجر و مزدور کو ایک ہی صف میں کھڑے ہیں ہاتھ پھیلائے ہوئے[2]

ترجمة:لاحظنا مداولة الأيام بين الناس إلى أن شاهدنا الغني والفقير، الآجر والأجير قائمين في صف واحد من المتسولين المضطرين إلى الاستجداء.

1- المرجع السابق ص 54.

2- المرجع السابق ص 54.

الباب الأول:رثاء المدن العربية

وفيه مدخل وثلاثة فصول

المدخل: نكبات المدن العربية وأسبابها

الفصل الأول: عرض تحليلي لقصائد رثاء المدن العربية

الفصل الثاني: البناء الفني لقصائدرثاء المدن العربية

الفصل الثالث: الخصائص الفنية لقصائدرثاء المدن العربية

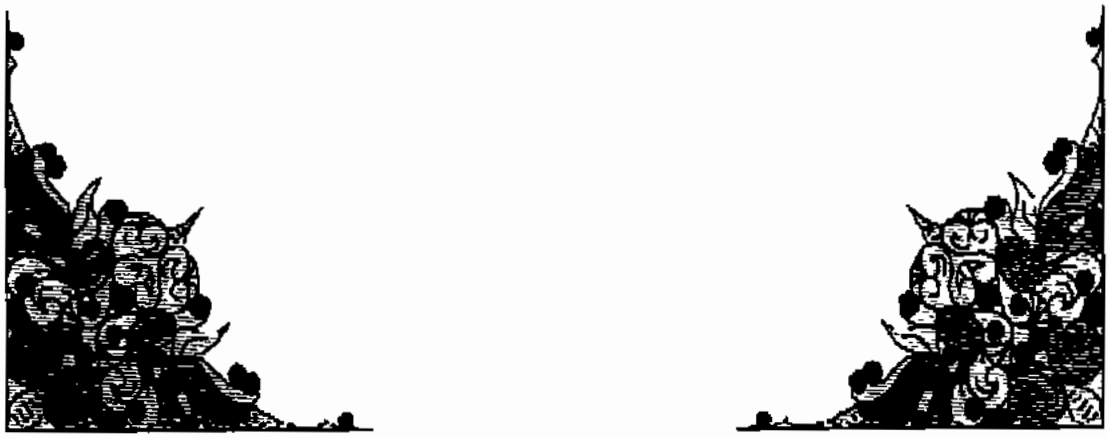

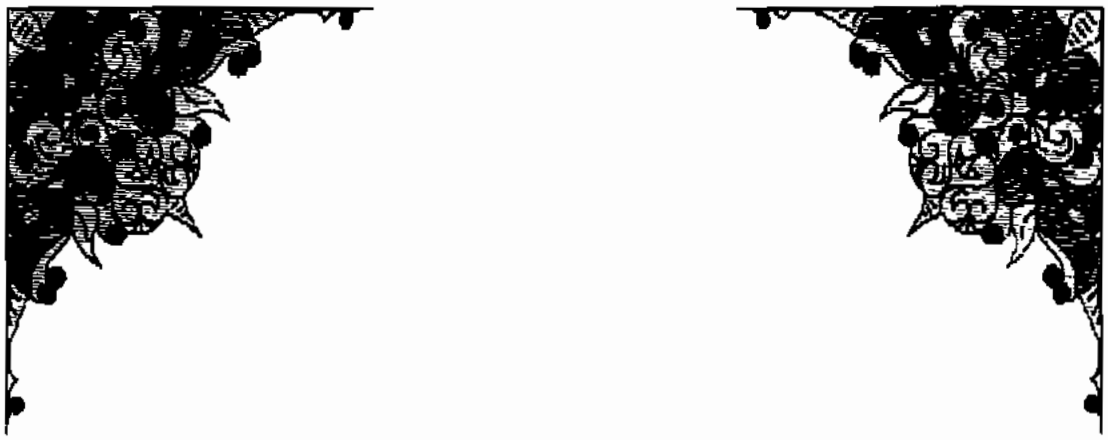

المدخل:

نكبات المدن العربية وأسبابها

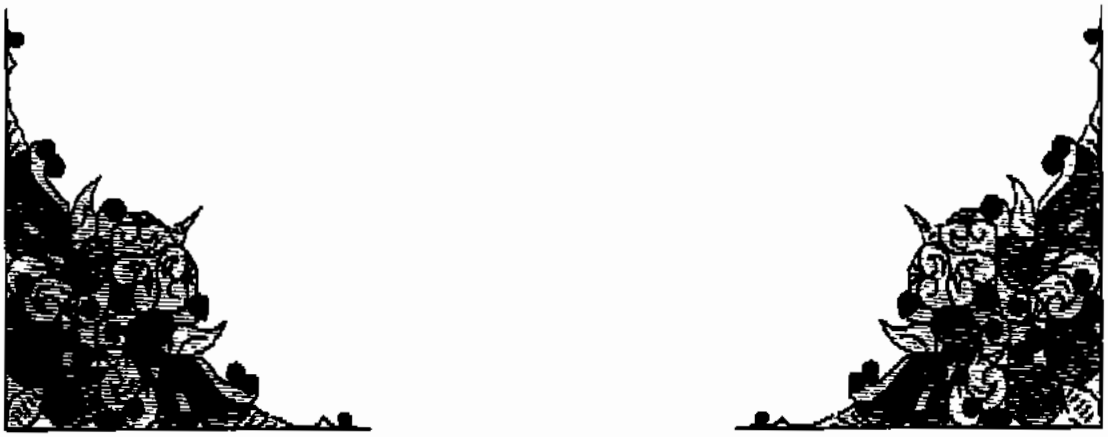

المدخل: أسباب نكبات المدن العربية

يتناول هذا المدخل أسباب النكبات التي تحتوي عليها القصائد الرثائية المختارة للدراسة في هذا البحث ولايتعرض للأسباب التي فُصّلت في بطون أمهات الكتب التاريخية خوفالإطالة ولقصر الكلام على الهدف المنشود

إذا قرأنا شعر رثاء المدن والأمصار بنظر دقيق وجدنا ظاهرة تلمس الشعراء للأسباب التى أدت إلى حدوث الكوارث المؤديةإلىسقوط الدول وزوالها، ودمار المدن ووقوعها في أيدى الأعداء من المستعمرين والكافرين وما يتبع ذلك من ويلات وآلام.

ولكن الملاحظ أن ما يذكره الشعراء من أسباب لايمس جوهر الحقيقة التى تشهد عليها كتب التاريخ بل يذهبون إلى ذكر أسباب عامة تكاد تتشابه في إطارها العام إلا في النادر القليل.

فهل كان الشعراء لا يدرون الأسباب الحقيقية من الضعف السياسى وخيانة الحكام وجبنهم وما إلى ذلك؟ الواقع لايؤيد ذلك لأنهم كانوا من أعلم الناس بما يدور في مجتمعاتهم؛فقد كان منهم الوزارء والسفراء، وخدام البلاط ربما جعلت شدة بطشالحكام بالناقدين المعارضين الشعراء يتجنبون بذكر أسباب غير المباشرة من جعل الأيام والزمان، والقدر، وحوادث الدهر سبباً لسقوط المدن ودمارها.

وأظن أن تحول الشعراء من سبب حقيقى ظاهر إلى سبب خفي غامض غير حقيقى يرجع إلى أمرين:

أولهما: تقييد حرياتهم ومنعهم من التعبير الصحيح ووضعهم تحت طائلة الإرهاب. وثانيهما شعور الشعراء بأن سبب المصاب قد أصبح معلوما لدى الجميع فلا داعى له من ذكر خيانة الحكام وجهلهم وغفلتهم، بل يذهبون ليفتشوا عن أسباب غامضة يرضون بها انفعالات أنفسهم.

وأنا أكتفي بذكر أهم الأسباب التى وردت في قصائد رثاء المدن فيما يلي:

القضاء والقدر:

قد أرجع بعض الشعراء النكبة إلى القضاء والقدر كمايقول شاعرنا الأوتارى الدمشقى في سبب فساد دمشق بسبب غارات التتار:

حَرَّقُوها وخَرَّبُوهَا وَبَادَتْ بِقَضَاءِ الإِلهِ رَبِّ الْعِبَادِ[1]

فالشاعريجعل سبب الدمار قضاء الله تعالى مع إسناده الحرقة والخراب إليهم. وهذا السبب، وإن كان غيرمباشر، ولكن في الأصل هو سبب حقيقى بحيث لايحدث شيء إلا بقضاء الله وقدرته وقد وردت عليه النصوص الشرعية من القرآن والسنة.

1- نهاية الأرب في فنون العرب للنويرى، ص: 226/5.

ربما كان لجوء الشعراء في كثيرمن الأحيان إلى ذكر نفاذ القضاء وقوة القدر راجعا إلى رغبتهم في الهروب من ذكرالأسباب المادية التى أدت إلى الحوادث الأليمة، مثل التقصير فى القيام بالمسؤليات والنزاع فيما بينهم وخيانة الحكام وما إلى ذلك، وأيضاً ذكرالقضاء يوحى بالعجز التام والتسليم المطلق لأمرالله.

جور الزمان:

وجعل بعض الشعراء الزمان وجوره سببا لدمار المدينة وهلاك أهلها وهذا الإسناد مجازى، مثلما قال شاعرنا ابن شهيد في رثاء قرطبة :

جَارَ الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ فَتَفَرَّقُوْا في كُلِّ نَاحِيَةٍ وبَادَ الأَكْثَرُ[1]

لعل الشاعرما صرح بالسبب المباشر الظاهرى بل تحول إلى سبب عام شامل كى لايؤاخذه أحد من الحكام والأمراء.

وبيّن حالتين لأهل المدينة، الأولى: التشردوالتفرق في كل ناحية بعد ترك مدينتهم ووطنهم بسبب جورالزمان.والثانية : هلاك أكثرهم بسبب غارات الأعداء أوبعد مغادرة الوطن.

1- ديوان ابن شهيد، ص: 90.

وسلك شمس الدين الكوفي نفس المسلك في رثاء مدينته "بغداد" وبيّن ما أصابه خلال دمار بغداد يقول:

وَلَقِيْتُ مِنْ صِرْفِ الزَّمَانَ وَجَوْرِهِ مَا لَمْ تُخَيِّـــلْهُ لِـــيَ الْأَوْهَـــامُ[1]

وصرح هذا الشاعر بعظم ماحدث له من المشاكل والأحزان بسبب صرف الزمان وجوره ما لم يكد يراه في الأحلام.

وذهب بعضهم إلى أن سبب الدمارهوحوادث الدهر حيث قال شاعرنا الأوتارى الدمشقى في رثاء دمشق:

طَرَقَتْهُـــمْحَوَادِثُالـــدَّهْرِ بِالْقَتْـــ لِوَنَهْبِالْأَمْـــوَالِوَالْأَوْتَادِ [2]

إن الشاعر قد تحول من سبب معلوم لدى الجميع إلى سبب خفي غيرمعلوم فيرضى بجعل حوادث الدهر سببا لفساد مدينته وهلاك أهلها من الأقارب والأصدقاء، ونهب الأموال وما إلى ذلك.

صنعة الأيام:

وذهب بعض الشعراء إلى إسناد الدمار والفساد إلى الأيام ومداولتها. قال شاعرنا شمس الدين الكوفى:

1- فوات الوفيات للكتبي، ص:232/2.

2- نهاية الأرب في فنون العرب للنويرى، ص: 226/5.

قِفْ فِيْ دِيَارِ الظَّاعِنِيْنَ وَنَادِهَا يَا دَارُ مَا صَنَعَتْ بِكِ الْأَيَّــامُ[1]

وَاللهِ مَا اخْتَرْتُ الْفِرَاقَ وَإِنَّمَا حَكَمَتْ عَلَيَّ بِذَلِكَ الْأَيَّـــامُ [2]

فقد أرجع الشاعر فساد البيوت والدور إلى الأيام وكذلك الفراق عن الأحبة والأصدقاء.ربما استفاد الشعراء هذه الفكره من قول الله سبحانه وتعالى " **وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**"[3]

ريح النوى:

أرجع بعض الشعراء الفساد والدمار للمدينة إلى ريح النوى قال ابن شهيد الأندلسى القرطبى في رثاء مدينته " قرطبة "

يَاجَنَّةً عَصَفَتْ بِهَا وَبِأَهْـلِهَا رِيْحُ النَّوَى فَتَدَمَّرَتْ وَتَدَمَّرُوْا[4]

قد أسند الشاعر دمار المدينة وأهلها إلى ريح النوى، مع أنها سبب غامض غير مباشر، لعل الشاعريجد متعة في تجنب البحث عن سبب حقيقى مباشر. ربما

1- فوات الوفيات للكتبى، ص:232/2.

2- المرجع السابق، ص: 233/2.

3- آل عمران 140.

4- ديوان ابن شهيد، ص:91.

استفاد الشاعر هذه الفكرة من قول الله عزوجل" **جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ**"[1]

وجعل شاعرنا ابن شهيد طير النوى سببا لنزول المصائب والمشاكل على المدينة وأهلها في بيت آخر من نفس القصيدة حيث يقول:

يَامَنْزِلًا نَزَلَتْ بِه وَبِأَهْلِه طَيْرُ النَّوَى فَتَغَيَّرُوْا وَتَنَكَّرُوْا[2]

ربما كان الشاعر إذا راى منازل الأحبة خالية من سكانها ووجدها خربة فاسدة.ولم يُرِد التعرض للسبب الحقيقى الذى كان معلوما للشاعر وعامة الناس:فتجنب ذكر ذلك السبب ومال إلى إسناد تلك الحادثة إلى سبب خفى فاستعار له طيرالنوى.

الذنوب والمعاصي:

ومن الأسباب التي أشار إليها شعراء رثاء المدن ارتكاب الذنوب وعدم اجتناب المعاصي كما نلاحظه عند شاعرنا ابن شهيد الأندلسي حيث قال:

دَارٌ أَقَالَ اللهُ عَثْرَةَ أَهْلِهَا فَتَبَرْبَرُوْا وَتَغَرَّبُوْا وَتَمَصَّرُوْا

1- يونس 22.

2- ديوان ابن شهيد، ص:91.

إن الشاعر يدعو الله للعفو عن عثرات قومه وزلاتهم التي ربما بسببها حل بهم ما حل فتشردوا في بلاد المغرب والبربروالمصر، هذا يوحي إلى أن الشاعر كان يعتقد أن ذنوب القوم كانت واحداً من أسباب دمار المدينة وتشرد أهلها هنا وهناكفى البلاد المختلفة.

الفصل الأول: عرض تحليلي لقصائد رثاء المدن العربية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في رثاء قرطبة

المبحث الثاني: في رثاء بغداد

المحثالثالث:في رثاء دمشق

المبحث الأول:

في رثاء قرطبة

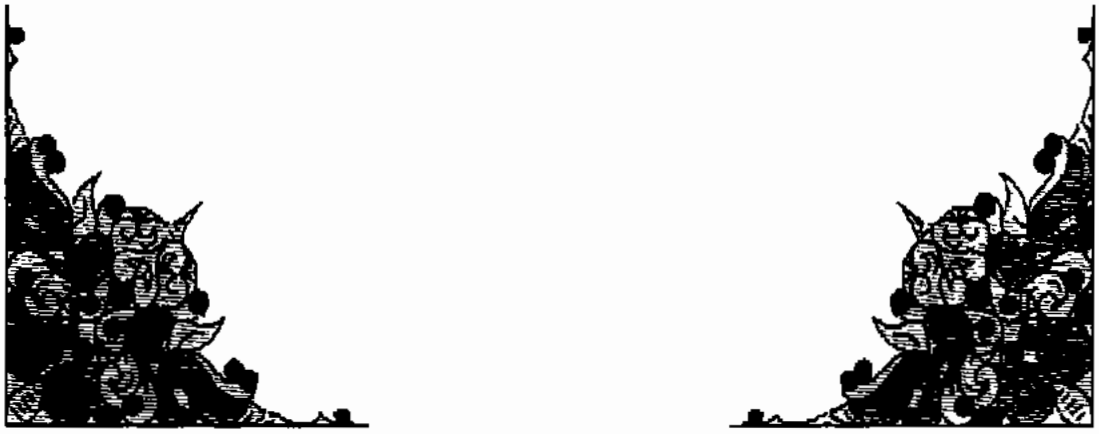

المبحث الأول:عرض تحليلي لقصائد رثاء " قرطبة ".

يدرس هذا البحث في رثاء قرطبة، قصيدتي ابن شهيد الأندلسي الذي شاهد خراب مدينته الجميلة بسبب فتنة البربر التي انتهت بسقوط الخلافة الأموية وفساد مقرها الأندلسي أي "قرطبة" في العقد الثالث من القرن الخامس الهجري وهما من أروع القصائد الرثائية في قرطبة المنكوبة.

وأما القصيدة الأولى فهي مشتملة على سبعة وعشرين بيتاً.

وتبدأبمقدمة طللية يقف الشاعر وقفة حزينة في طلول أحبائه وأصدقائه التى دمرت وظلت خاوية ولا يجد فيها من يسأله عما أصابها وأهلها كأنما أصابه الذهول عند مشاهدته لمدينته المدمرة حتى هو يسأل نفسه "من الذى عن حالها نستخبر" مع أنه على علم بما حصل لها. ثم يرجع إلى نفسه ليستيقظ ويدرك الحقيقة الواقعة بحيث ذلك كله من جور الزمان الذى جرت خطوبه على المدينة فتغيرت أحوالها من الازدهار إلى الانهيار وفعل الفراق فعله في تشريد أهلها وتشتيت سكانها بعد ما هلك أغلبهم فيستحق الشاعر أن يبكى مدينته في مثل هذه الأحوال الصعبة يقول:

مَا فِي الطُّلُولِ مِنَ الْأَحِبَّةِ مُخْبِرٌ فَمَنِ الَّذِيْ عَنْ حَالِهَا نَسْتَخْبِرُ

لَاتَسْأَ لَنَّ سِوَى الْفِرَاقِ فَإِ نَّـــهُ يُنْبِيْكَ عَنْهُمْ آنْجَدُوْا[1]أَمْ أَغْوَرُوْا[2]

جَارَ الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ فَتَفَرَّقُوْا فَيْ كُلِّ نَاحِيَّةٍ وَبَادَ[3]الأَكْثَرُ

جَرَتِ الْخُطُوْبُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ وَعَـلَـيْهِـمْ فَتَغَيَّرَتْ وَ تَغَيَّرُوْا

فَدَعِ الزَّمَانَ يَصُوْغُ فِيْ عَرَصَاتِهِمْ نُوْرًا تَـكَـادُ لَـهُ الْقُلُوْبُ تُنَوَّرُ

فَـلِـمِثْـلِ قُرْطُبَةَ يَقِلُّ بُكَاءُ مَنْ يُبْكِيْ بِعَيْنٍ دَمْعُهَا مُتَفَجِّرُ[4]

وبعد هذا المطلع الحزين يتوجه الشاعر إلى ذكر التفاصيل لأحوال أهل قرطبة ويقارن بين حالها وماضيها. ويحضر في ذاكرته الماضى القريب حيث كان شمل الأحباب بقرطبة مجتمعا وعيشهم بها رغيدا، ويفتخرون بها على البلاد كلها، ويعتقدون أنها درة جبين الحضارة تزهو بقصورها ومبانيها، ومنشأتها العامة والخاصة، وبشوارعها الواسعة المنورة بالمصابيح والسروج وبحدائقها الجميلة التي تتمايل بالزهور والأشجار الخضرة. وزاد على ذلك كونها داراً للخلافة، وفي وسطها قصر الخلفاء الأمويين، الذى يضاعف حسنها بسبب مدينة الزاهرة في قربها التى بناها المنصور بن أبى عامر.

---

1 _ من الإنجاد: ارتفعوا. المعجم الوسيط، ص: 902.

2 – سفلوا في الأرض. المعجم الوسيط، ص: 665.

3 – هلك، و انقرض. المعجم الوسيط، ص: 78.

4– ديوان ابن شهيد، ص: 1/ 90،. وتاريخ الأدب الأندلسى (عصر سيادة قرطبة)، ص:178/1، 179/1

وينتقل الشاعر عند ذكر معالم قرطبة إلى جامع قرطبة الكبير الذى تتابع عليه الخلفاء بالزيادة في تحسينها حتى أصبح آية في الحسن والروعة، ومنارا للعلم والثقافة وبلغت قرطبة في عهد الناصر والحكم إلى آخر أيام المنصور بن أبى عامر في الحسن والروعة إلى حد أنها قد أنست الناس بغداد في زمن الرشيد، وتتاهي بها كل فضل وكمال وبعد ذلك طرأ عليها الإدبار الذى يعضب الإقبال والنقض الذى يحدث بعد الكمال فأصابها الخراب والتدمير بقدر ما بقي جزء من حسنها وازدهارهاوبشاشتها إلى أن انقلب كل شيء فيها إلى نقيضه يقول:

دَارٌ أَقَـامَ اللهُ عَـثْـرَةَ أَهْـلِـهَا ... فَتَـبَرْبَرُوْا وَتَغَرَّبُوْا وَتَمَصَّرُوْا

فِيْ كُـلِّ نَاحِـيَـةٍ فَرِيْقٌ مِنْهُمْ ... مُتَفَطِّـرٌ لِـفِـرَاقِـهَـا مُتَحَيِّرُ

وَرِيَـاحُ زَهْـرَتِهَا تَـلُوْحُ عَلَيْهِمْ ... بِرَوَائِحٍ يَـفْـتَـرُّ مِـنْهَا الْعَنْبَرُ

وَالدَّارُ قَدْ ضَرَبَ الْكَمَالُ رِوَاقَه ... فِيْهَا وَبَاعُ النَّقْصِ فِيْهَا يَقْصُرُ[1]

وَالْقَوْمُ قَدْ أَمِنُوْا تَغَـيُّرَ حُسْنِهَا ... فَتَعَمَّمُوْا بِجَمَالِهَا وَتَـأَزَّرُوْا

يَا طِيْبَهُمْ بِقُصُوْرِهَا وَخُدُوْرِ[2]هَا ... وَبُدُوْرِهَا بِقُـصُـوْرِهَا تَتَخَدَّرُ

وَالْقَصْرُ قَصْرُ بَنِيْ أُمَيَّـةَ وَافِرٌ ... مِـنْ كُلِّ أَمْرٍ وَالْخِلَافَـةُ أَوْقَرُ

---

1 – ديوان ابن شهيد، ص: 92/1. وتاريخ الأدب الأندلسي، ص: 180/1.

2 – جمع الخِدْرِ: كل ما وارك من بيت ونحوه، وستر يُمَدُّ للمرأة في ناحية البيت. المعجم الوسيط، ص: 220.

وَالْجَامِعُالْأَعْـــلَى يَغُصُّ بِـــكُلِّ مَنْ يَتْـــلُو وَيَسْـــمَعُمَا يَشَاءُوَيَنْظُرُ

وَمَسَالِكُالْأَسْـــوَاقِ تَـــــشْهَدُ أَنَّهَا لَا يَسْتَقِـــلُّ بِسَالِكِيْهَا الْمَحْشَرُ[1]

ثم يبين الشاعر البعد والفرق بين الحالتين اللتين أصابت قرطبة من الحياة والموت أو من الإقبال والإدبار حتى كانت موطن الفخر في حال إقبالها فإذا هي بدأت تتردى إلى أن بلغت حد الممات فتستحق البكاء والرثاء، وإذا كانت حية تنظر مثل الجنة على الأرض مكان الأمن والسلام. وإذا دمرت أصبحت كالجحيم، يقول:

يَاجَنَّةً عَصَفَتْ بِهَا وَبِأَهْـــلِهَـــا رِيْحُالنَّوَى[2] فَتَدَمَّـــرَتْ وَتَدَمَّرُوْا

أَسَي عَلَيْكِ مِنَ الْمَمَاتِ وَحَقَّ لِيْ إِذْ لَمْ نَزَلْ بِكِ فِيْ حَيَـــاتِكِ نَفْخَرُ

كَانَتْ عِرَاصُكِ لِلْمُيَـــمِّمِ مَكْـــةً يَأْوِيْ إِلَيْـــهَا الْخَائِفُونَ فَيُنْصَرُوْا

يَامَنْزِلًا نَـــزَلَـــتْ بِهِ وَبِأَهْـــلِهِ طَيْرُ النَّوَى فَتَغَيَّرُوْا وَتَـــنَكَّرُوْا[3]

ويعود الشاعر في خاتمة قصيدته كالمقدمة إلى التأسف والحزن على الأيام الماضية التي كان الأمر فيها مجتمعاً على أمير واحد يتبعه الناس جميعاً: يقول:

أَيامَ كَا نَتْ عَيْنُ كُلِّ كَـــرَامَـــةٍ مِنْ كُلِّ نَاحِـــيَةٍ إِلَـــيْهَا تَنْظُرُ

أَيامَ كَانَ ا لْأَمْرُ فِيْهَا وَاحِـــدًا لِأَمِيْـــرِهَا وَأَمِـــيْرِ مَنْ يَتَأَمَّرُ

1- تاريخ الأدب الأندلسي، ص: 180/1.

2 -البُعْدُ، والناحية.المعجم الوسيط، ص: 966.

3 - المرجع السابق، ص: 180/1.

أيامَ كَانَتْ كَـفُّ كُـلِّ سَلَامَـةٍ تَسْمُو إِلَيْهَا بِالسَّـلَامِ وَتَبْـدَرُ

حَزَنِيْ عَلَى سَرَوَاتِهَا وَرُوَاتِـهَا وَثِـقَـاتِهَـا وَحُمَاتِهَا يَتَكَرَّرُ

نَفْسِيْ عَلَى آلَائِـهَا وَصِفَاتِـهَا وَبَهَائِهَا وَسَنَائِـهَا تَتَحَـسَّرُ

كَـبَدِيْ عَلَى عُلَمَائِهَا حُلَمَائِـهَا أُدَبَائِـهَا ظُـرَفَائِـهَا تَتَفَـطَّرُ[1]

وفي نهاية القصيدة يقارن الشاعر بين أحوال المدينة السالفة وأحوالها الحاضرة ويعم تأسفه وحزنه على المدينة كلها حتى آلائها وصفائها وبهائها وسنائها، و أصنافاً من الناس من العلماء،والأدباء والشعراء وكان الشاعر من جملتهم، وكذلك الحماة، والرواة والثقاة وما إلى ذلك.ويظهرالشاعرقرطبة ـــــ وهى عامرة ـــــفى صورة فنية زاخرة بالنشاط والحيوية تسكنها الطوائف المتعددة لكونها عاصمة الخلافة لمدة طويلة وهي ظلت كعبة العلماء، والأدباء،وازدهرت بالمكتبات والمدارس والجامعات فيبكى الشاعر على المدينة بأكملها وجميع متعلقاتها من الناس وغيرهم.

1- ديوان ابن شهيد، ص:93/1، 94، وتاريخ الأدب الأندلسى: ص:181/1.

القصيدة الثانية للشاعر

وهناك قطعة [1] رثائية لابن شهيد حول تقلبات مدينته الجميلة " قرطبة ".

وقدوقف شاعرناأبوعامر ابن شهيد يرثي "قرطبة" ويبكي مجد الوطن الضائع،وجمال طبيعته الخرب، وكانت نكبة "قرطبة" بمثابة فاجعة كبرى حلت بالشاعر، وهوت المجد العامري، وقضت على أيام السعد والبهجة والرخاء في ظل العامريين.

وكان ابن شهيد موجودا في " قرطبة " خلال النكبة، وكان يعرف الشدائد وصعوبات الهجرة والنفي ولذلك بقي هناك ولم يترك الوطن، وكان ينظر إلى معاهده الدارسة في حزن وأسى،ويبكي على قصورها ومنتزاها فقال في رثائها قطعة مفعمة بالألم والشعور باليأس والأسى البالغ حيث يقول:

عَجُوْزٌ لَعَمْرُ الصِّبَا فَانِيَـــةٌ لَهَا فِي الْحَشَا صُورة الْغَانِيَة

1- إن النقاد قد اختلفوا في عدد أبيات القصيدة والمشهورأنه " إذا بلغت الأبيات سبعة فهى قصيدة " انظر: العمدة، ابن رشيق، ص: 170/1. لذ لك إذا كان الشعر أربعة أوخمسة أوستة أبيات سمى قطعة، والقطعة تكون أكثر وقعاً في النفس والتصاقاً بها، وكلما كان الشعر متسماً بالقصر تغلغل في أذهان المتلقين وقرع أنفسهم سعياً إلى الترسيخ. انظر: الإيقاع في الشعر العربي، أبو السعود سلامه، ص: 58.

زَنَتْ بالرِّجَالِ عَلَى سِنِّـــــها فَيا حــبَّــذَا هي مِن زانِيَــهْ

تُرِيكَ العُقُولُ عَلَى ضَعْفِهَا تُدَارُ كَمَــا دَارَتِ السَّانِيَــهْ[1]

فَقَدْ عَنِيَتْ بِهَوَاهَا الْحُــلُومُ فَهِي بِرَاحَتِهَا عَانِيَــهْ

تَقَاصَرُ عَنْ طُولِهَا قُونْــكَة وتَبْعُدُ عَنْ غُنْجِهَا دانِيَـــــهْ

تَرَنَّيْتُ مِنْ حُزْنِ عَيْشِي بِهَا غَرَاماً فَيَا طُولَ أَحْزَانِيَهْ[2]

إن الشاعر قد شبه مدينته" قرطبة " في هذه القطعة بالمرأة العجوز الغانية محترفة الزنا والفحشاءالتي تجنب وجوه الرجال إليها.وهي مع ضعفها وكبر سنها تحاول أن تعرض نفسها مثل الفتاة الشابة، وهي ترقص وتدور خلال الرقص كدوران السانية والدولاب بالقوة والنشاط. وهي ترى الأحلام الحلوة لتحقيق هدفها ولكن مع محاولتها وجهدها البالغ لايواجها التعب والعناء فحسب، ولاتحققفى سعيها من الوصول إلى سعادة ونجاح مرامهابل تفقد كل ما كان لها من الأحباء المغرمين بها واحداً إثر واحد ولا يحصل لها في الأخير سوى الحرمان واليأس والأنين.

1 - الغرب وأدواته ينصب على المسنوية، ثم تجره الماشية ذاهبة وراجعة. وفي المثل "سير السواني" سفر لاينقطع. المعجم الوسيط، ص:457.

2- ديوان ابن شهيد، ص: 42.

المبحث الثاني: عرض تحليلي للقصائد في رثاء بغداد

القصيدة الميمية

ندرس في هذا المبحث قصيدتين للشاعرشمس الدين الكوفي في رثاء بغداد[1]عاصمة الخلافة العباسية – على دمارها عندما هاجم عليها التتار الوحوش.

القصيدة الأولى ميميةوهي تتضمن أربعة وعشرين بيتاًوتبدأ بقوله:

عِـنْدِيْ لِأَجَـلِ فِـــرَاقِـكُمْ آلَامُ فَـإِلَامَ أُعْـذَلُ[2] فِـيْـكُمْ وَأُلَامُ

مَنْ كَانَ مِثْـلِيْ لِلْحَبِيْبِ مُفَـارِقًا لَا تَعْـذِلُوْهُ فَـالْـكَلَامُ كِـــلَامُ[3]

1 -أطلق عليها في القديم مسميات الزوراء، ومدينة السلام، وكانت ذات يوم عاصمة الدنيا، ومركز الخلافة الإسلامية.بناها الخليفة العباسيأبو جعفر المنصور، وسماها مدينة المنصور، وجعل لها أربعة أبواب هي: باب خراسان، وكان يسمى باب الدولة أيضاً، لإقبال الدولة العباسية من خراسان، وباب الشام، وهو تلقاء الشام، وباب الكوفة، وهو تلقاء الكوفة، و باب البصرة، وهو تلقاء البصرة. وكان المنصور قد اختار لها هذه البقعة من الأرض على ضفتى نهر دجلة . تزخر بغداد بالكثير من المعالم التاريخية والحضاريةوأهمها المدرسة المستنصرية والمساجد الإسلامية القديمةوالقصورالأثرية، والمتحف الوطنى الذي يضم أهم الآثار العربية والبابلية والفارسية، وبها عدد من المقامات الدينية التى يقصدها الزوار.انظر: تاريخ بغداد ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. انظر الموقع : 23 /08/2015ar.wikipedia.org/wiki.

2 – صيغة المضارع، المبنى للمجهول، أي اللوم والملامة. المعجم الوسيط، ص: 590.

3 – كِلاَم جمع الكَلْم بمعنى الجرح. المعجم الوسيط ،ص: 796.

نِعْمَ الْمُسَاعِدُ دَمْعِي الْجَارِيْ عَلَى خَـــدِّيْ إِلَّا أَنَّـــهُ نَـــمَّـــامُ

وَيُذِيْبُ رُوْحِيْ نَوْحُ كُلِّ حَمَـــامَةٍ فَكَأَنَّمَا نَوْحُ الْحَمَّامِ[1] حِمَامُ[2][3]

تبدأ هذه القصيدة بذكر مافي نفسالشاعر من آلام لفقد الأحبة والتبرم بلومااللائمين وبالعُذال الذين لايقدرون حالته الحزينة التي يدل عليها دمعه الجاري على خديه دائماً وروحه التي تكاد تزهق عند ما يهيج وجدها نوح الحمام. وبعد ذلك يبين استحقاقه للبكاء على ما أصابه من الحزن والوحدة بسبب الفراق بينه وبين أحبته بقضاء الله سبحانه وتعالى وبقدره ، يقول:

إِنْ كُنْتَ مِثْلِيْ لِلْأَحِـبَّةِ فَاقِـــدًا أَوْ فِيْ فُـــؤَادِكَ لَوْعَةٌ[4] وَّغَـــرَامُ

مَالِيْ أَنِـــيْسٌ غَـــيْرَ بَيْتٍ قَـــالَهُ صَبٌّ رَمَتْـــهُ مِـــنَ الْفِرَاقِ سِهَامُ

وَاللهِ مَا اخْتَرْتُ الْفِرَاقَ وَإِنَّمَـــا حَكَمَتْ عَلَيَّ بِذَلِـــكَ الْأَيَّـــامُ

قِفْ فِيْ دِيَارِ الظَّاعِنِيْنَ وَنَادِهَا يَا دَارُ مَا صَـــنَعَتْ بِكِ الْأَيَّـــامُ

أَعْرَضْتُ عَنْكِ لِأَنَّهُمْ مُذْ أَعْرَضُوْا لَـــمْ يَبْـــقَ فِيْـــكِ بَشَاشَةٌ تُسْتَامُ

يَا دَارُ أَيْـــنَ السَّاكِنُوْنَ وَأَيْـــنَ ذَاكَ الْبَهَاءُ وَذَلِـــكَ الإِعْـــظَامُ

---

1 – الحمام الطائر المعروف. المرجع السابق، ص: 453.

2 – قضاء الموت وقدره. المرجع السابق ص: 200.

3– فوات الوفيات ص: 232/2.

4– اللاعة واللوعة: ما يجده الإنسان لولده أوحميمه من الحرقة وشدة الحب، المعجم الوسيط ص: 846.

يَا دَارُ أَيْنَ زَمَانُ رَبْـعِكِ مُوْنِـقًا وَشِعَارُكِ الْإِجْـلَالُ وَالْإِكْـرَامُ

يَا دَارُ مُذْ أَفَلَتْ نُجُوْمُـكِ عَمَّنَا وَاللهِ مَنْ بَـعْـدِ الضِّيَاءِ ظَلَامُ

فَلِبُعْدِهِمْ قَـرُبَ الرَّدَى وَلِفَقْدِهِـمْ فُقِدَ الْـهُدَى وَتَـزَلْزَلَ الْإِسْلَامُ

فَمَتَى قَبِلْتِ مِنَ الْأَعَادِيْ سَاكِـنًا بَـعْـدَ الْأَحِـبَّةِ لَا سَقَاكِ غَمَامُ

يَا سَادَتِيْ أَمَّـا الْفُؤَادُ فَشَيِّـقٌ[1] قَلِقٌ[2] وَأَمَّـا أَدْمُـعِيْ فَسَجَامُ[3]

وَالدَّارُ مُذْعَنَمَتْ جَمَالَ وُجُوْهِكُمْ لَـمْ يَـبْقَ فِيْ ذَاكَ الْمَقَامِ مَقَامُ

لَا حَظَّ فِـيْهَا لِلْعُيُوْنِ وَلَيْسَ لِلْـ أَقْـدَامِ فِيْ عَـرَصَاتِهَا إِقْدَامُ[4]

وانتقل الشاعر بعد ما وصف حالته وحزنه إلى الوقوف بالديار، وهو يخاطب السامعين والقراء، ويبين عظم مصيبته بفقد أصدقائه في بغداد فلذلك يكرر ذكرهم كأنه يتسلى بذلك.ونرى هنالك وقد شغله التأ سف على فراق هؤلاء الأحباء عن وصف الدمار والإحراق والخراب الذي لحق بالمدينة نفسها ولعله يعتقد أن أولئك الأحباب الذين هلكوا في ذلك الدمار كانوا هم نور الظلام، وكانت بهم بغداد روضة ذات بهجة وجمال، وبرج الإسلام والمسلمين المشيد،والشاعر هنا تسيطر عليه فكرة

1 – مشيق أى مشتاق، من مادة شوق. المعجم الوسيط ص: 500.

2 – قلق: هم، وحالة انفعالية يتميز بالخوف مما قد يحدث. المرجع السابق ص: 756.

3 – سجام أى سجم الدمع والمطر سجوماً سجاماً: سال قليلاً أو كثيراً.المرجع السابق ص: 418.

4 –فوات الوفيات للكتبي، ص: 233/2.

أن فضل الدار يكون بفضل سكانها لذلك نرى غلبة رثاء الأحباب والأصدقاء الذين هلكوافي تلك الحادثة بدلاًمن رثائه حول مدينة ذات حضارة عميقة دمرت وخربت. حتى في وقوفه على أنقاض بغداد لم يصف تلك الأنقاض وما حل بها. ويؤكد الشاعر في ختام قصيدته صدق مودته ووفائه بعهد الظاعنين الذين خلفوه لمواجهة الشدائد والآلام يقول:

وَحَيَاتِكُمْ إِنِّـــيْ عَلَى عَهْدِ الْهَوَى بَاقٍ وَلَمْ يَخْفُرْ لَدَيَّ ذِمَامُ

فَدَمِيْ حَلَالٌ إِنْ أَرَدتُّ سِـــوَاكُمْ وَالْعَيْشُ بَعْدَكُمْ عَلَيَّ حَرَامُ

يَا غَائِبِيْنَ وَفِيْ الْفُؤَادِ لِبُعْـــدِهِمْ نَارٌ لَهَا بَيْنَ الضُّلُوْعِ ضِرَامُ[1]

لَا كُتُبُكُمْ تَأْتِيْ وَلَا أَخْبَـــارُ كُـــمْ تُرْوَى وَلَا تُدْنِيْـــكُمُ الْأَحْـــلَامُ

نَغَصْتُمُ[2] الدُّ نْـــيَا عَلَيَّ وَكُلَّـــمَا جَدَّ النَّوَى لَعِبَتْ بِيَ الْأَسْقَـــامُ

وَلَقِيْتُ مِنْ صِرْفِ الزَّمَانَ وَجَوْرِهِ مَا لَمْ تُخَيِّـــلْهُ لِـــيَ الْأَوْهَـــامُ

يَا لَيْتَ شِعْرِيْ كَيْفَ حَالُ أَحِبَّتِـــيْ وَبِأَيِّ أَرْضٍ خَيَّمُوْا وَأَقَامُوْا[3]

---

1 – ضرام : اشتعال النار، وماتضرم به النار من الحطب وغيره، السريع الالتهاب. المعجم الوسيط ص: 539.

2 – نَغَصَ نَغْصاً: كَدَّرَ، وفلاناً منعه نصيبه من الماء، الشارب: لم يتم شربه، ولم يتم مراده. المرجع السابق ص: 936.

3 – فوات الوفيات،للكتبي،ص: 233/2.

ويؤكدفي ختام قصيدته بقاءه على محبته وهواه لأحبته، ويتعهد لهم أنه لايحب غيرهم بعد هلاكهم بل يحرم العيش على نفسه بعد فراقهم.ويكرر ذكراهم بأسلوب المحبة والوفاء.وهو يريد لقاءهم ولو بالأحلام ولكن لايراه ممكنا لذلك هو على جهل تام لايمكن العثور على أماكنهم وخيامهم.ويعتقد أن ما أصابه من الآلام والشدائد والأحزان والحسرات وفقد الأقارب والأصدقاء يفوق الخيال والوهم وما خطرت بباله في حين من الأحيان.

القصيدة الثانية، النونية

والقصيدة الثانية لشاعرنا في نكبة بغداد وانهيارها على يد التتار الوحوش في القرن السابع الهجري هي القصيدة النونية وهي تتضمن اثنين وثلاثين بيتا:

إِنْ لَّمْ تَقَرَّحْ أَدْمُعِيْ أَجْفَانِيْ[1] مِنْ بَعْدِ بُعْدِكمْ فَمَا أَجْفَانِيْ

إِنْسَانُ[2] عَيْنِيْ مُذْ نَأَتْ دَارُكُمْ مَا رَاقَهُ نَظْرٌ إِلَى إِنْسَانُ

يَا لَيْتَنِيْ قَدْ مِتُّ قَبْلَ فِرَاقِكُمْ وَلَسَاعَةُ التَّوْدِيْعِ لَا أَحْيَانِيْ

مَا لِيْ وَلِلْأَيَّامِ شَتَّتْ صَرْفُهَا حَالِيْ وَخَلَّانِيْ بِلَا خِلَّانِ

مَا لِلْمَنَازِلِ أَصْبَحَتْ لَا أَهْلُهَا أَهْلِيْ وَلَا جِيْرَانُهَا جِيْرَانِيْ

1 – أجفان، جمع جفن: غطاء العين من أعلاها وأسفلها. المعجم الوسيط ص: 127.

2 – إنسان عينى أى ناظرها. المرجع السابق ص: 29.

وَحَيَــاتِــكُمْ مَا حَلَّهَا مِنْ بَعْدِ كُمْ غَيْرَ الْبِلَى وَالْهَدَمِ وَالنَّــيْــرَانِ[1]

بدأت هذه القصيدة بالأبيات التي تمثل صدق عاطفة الشاعر،وإخلاصه للذين هلكوا وخلفوه من بعدهم رهين حزنه وانكساره. ويرى الشاعر أنه لا يوفيهم حقهم من البكاء والندب إلى أن تقرح أجفانه. وهو يتمنى الموت ليستريح مما أصابه من الأحزان،وكيف لا يتمناه من بعد أن أفنى الدهر أحباءه،وشتت شملهم وخلت منازلهم من الأنيس، وعبثت فيها يد البلى هدماً و إحراقا.

وَلَقَدْ قَصَدْتُ الدَّارَ بَعْدَرَحِيْــلِكُمْ وَوَقَفْتُ فِــيْهَا وَقْفَةَ الْحَيْــرَانِ

وَسَأَلْتُهَا لَكِنْ بِغَــيْــرِ تَــكَــلُّمٍ فَــتَكَلَّمَتْ لَــكِــنْ بِغَيْرِ لِسَــانِ

نَادَيْتُهَا يَا دَارُمَا صَنَعَ الْأُولَــى كَانُوْا هُمُ الْأَوْطَارَ فِيْ الْأَوْطَانِ

أَيْنَ الَّذِيْنَ عَهِدْتُهُمْ وَلِعِزِّهِــمْ ذُلًّا تَــخُــرُّ مَعَاقِدُ الــتِّــيْجَانِ

كَانُوْا نُجُوْمَ مَنِ اقْتَدَى فَعَلَيْهِــمْ يَبْكِي الْهُدَى وَشَعَائِرُ الْإِيْمَــانِ

قَالَتْ غَدَوْا لَمَّا تَبَــدَّدَ شَــمْلُــهُمْ وَتَبَــدَّلُوْا مِنْ عِــزِّهِمْ بِهَــوَانِ

كَدَمِ الْفُصَّادِ يُرَاقُ أَرْذَلَ مَوْضِعٍ أَبَــدًا وَيُــخْرَجُ مِنْ أَعَزِّ مَكَانِ

أَفْنَتْــهُــمْ غَيْرُ الْحَوَادِثِ مِثْــلَمَا أَفْنَتْ قَــدِيْمًــاصَاحِبَ الْإِيْــوَانِ

لَمَّا رَأَيْــتُ الدَّارَ بَعْدَ فِرَاقِهِــمْ أَضْحَتْ مُعَطَّلَةً مِنَ السُّــكَانِ

1- فوات الوفياتللكتبى ص: 234/2.

مَا زِلْتُ أَبْـكِـيهِمْ وَأَلْثَمُ وَحْشَةً لِجَمَالِهِـمْ مُسْـتَهْدَمَ الْأَرْكَـانِ

حَتَّى رَثَى لِيْ كُلُّ مَنْ لَّاوَجْـدُهُ وَجْدِيْ وَلَاأَشْجَانُهُ[1] أَشْجَانِـي[2]

وقف الشاعر على ديار الراحلين التى قد تغيرت وخربت وأجرى معها حوارا آسيا ينقل القارى والسامع إلى ذلك الجو الحزين. وتحير الشاعر واقفا على دور بغداد الخربة بعد ما كانت بالأمس القريب جنة غناء. ويتحاور عن طريق حوار صامت مع تلك الديار التى أجابته بواقع الحال لا بالمنطق والمقال.

والملوك الذين كان عهده بهم كانوا أعزاء وقدوة أهل الخير والتقى قد تبدد شملهم، وأصابهم الذل بعد العز والغلبة فشبههم بعد انحطاط قدرهم بدم الحجامة الذى يخرج من رأس الإنسان ويراق في المواطن القذرة. وفي هذه الأحوال يتيقن الشاعر أن القوم قد ذهبوا إلى غير رجعة فيخربيقايا آثارهم مقبلا وباكيا بحرارة شديدة توقظ عطف كل من لايعرف الوجد والشوق، وفي غمرة حالته هذه تسبح نفسه فيما يشبه أحلام اليقظة حيث يقول:

اَتَرَى تَعُـوْدُ الدَّارُ تَجْمَعُنَا كَـمَا كُنَّا بِكُلِّ مَـسَرَّةٍ وَتَـهَانِيْ

إِذْ نَحْنُ نَغْتَنِمُ الزَّمَانَ وَنَجْتَـنِـيْ بِيَدِ الْأَمَانِ قُطُوْفَ كُلِّ أَمَانِيْ

وَالدَّهْرُ تَخْدُمُنَا جَمِيْعُ صُرُوْفِـهِ وَالْوَقْتُ يُعْدِيْنَا عَلَى الْعُدْوَانِ

1 – أشجان جمع الشَجَن: الهم والحزن والحاجة الشاغلة. المرجع السابق ص: 473.

2– المرجع السابق ص: 234/2.

وَالْعَيْشُ غَضٌّ وَالدُّ نُوُمُنَـــزَّقٌ بِيَدِ الْوِصَالِ مُلَابِسُ الْهِجْرَانِ

هَيْـــهَاتَ قَدْ عَزَّ اللِّقَـــاءُ وَسَدَّدَتْ طُرُقَ الْمَزَارِطَوَارِقُ[1]الْحَدَثَانِ

مَالِيْ أُرَدِّدُ نَاظِرِيْ وَلَاأَرَى الْـــ أَحْبَابَ بَيْنَ جَمَاعَةِ الْإِخْـــوَانِ

وَالْهَفَـــتِيْ وَاوَحْدَتِـــيْ وَاحَيْرَتِيْ وَاوَحْشَتِيْ وَاحَرَّقَلْـــبِيْ الْعَانِيْ

سِرْتُمْ فَلَا سَرَتِ النَّسِيْمُ وَلَازَهَـــا زَهْرٌ وَلَا مَاسَتْ غُصُوْنُ الْبَانِ

مَالِيْ أَنِيْـــسٌ بَعْـــدَكُمْ إِلَّا الْبُكَاءُ وَالنَّوْحُوَالْحَـــسَرَاتُ وَالْأَحْزَانُ

يَالَيْتَ شَعْرِيْ أَيْنَ سَارَتْ عِيْسُكُمْ[2] أَمْ أَيْنَ مَوْطِنُكُمْ مِنَ الْبُلْـــدَانِ[3]

وبعد ذكر تفاصيل دمار بغداد بسبب هجمات التتار وهلاك حضارها، يجد الشاعر نفسه واحداً بلا أنيس وجار خلفه الأقارب والأصدقاء للحزن والبكاء والذل والصغار فحسب فينقلب يائسأمن الحياة لا يرى فيها نديما إلا الحسرات والأحزان.

وتتشابه القصيدتان من حيث الأسلوب والبناء الفني والأفكار.أما أسلوب الشاعر،فسنتحدث عنه بالتفصيل في الفصل القادم بإذن الله ولكن نقول بإيجازهنا، بأن أسلوبه كغيره من الشعراء في ذلك العصر أسلوب الصنائع والبدائع، وقد تراكمتفي أبيات قصيدتيه المحسنات من السجع والجناس والطباق والتضمين تراكماً شديداً حتى

---

1 – طوارق جمع الطارق لغير العقلاء: الحادث ليلًا. المعجم الوسيط ص: 556.

2 – جمع الأعيس: من الإبل الذي تخالط بياضة شفرة، والكريم منها. المعجم الوسيط ص: 768.

3 – المرجع السابق ص: 235/2.

يؤدي ذلك إلى إخفاء المقصود الأصلي، وصوت العاطفة الصادقة في الرثاء حول النكبة كما أنه يؤدى إلى التكلف.

وتتشابه القصيدتان من ناحية البناء؛ فالمطلع يبدأ بوصف الآلام والأحزان التى يكابدها الشاعر بفراق الأحبة. وبعد المطلع ينتقل إلى الوقوف بدار الأحبة الراحلين ويخاطبهم ويبكى ويتلهف عليهم. وانتهت القصيدتان بالاستفهام الذى يفيد التمنى المشوب باليأس من اللقاءحيث تنتهي القصيدة الأولي بقوله.

يا ليت شعرى أين سارت عيسكم أم أين موطنكم من البلدان[1]

وتنتهى القصيدة الثانية بقوله:

يا ليت شعرى كيف حال أحبتى وبأى أرض خيموا وأقاموا [2]

وأما أفكار القصيدتين فهى تشتمل على حزن الشاعر وإصراره على البكاء والقيام على عهد المحبة والوفاء لأحبائه الراحلين ثم ذكره لغير الحوادث، وصروف الدهر التى كسرت ظهره وقطعت آماله في العودة إلى الحال الأولى بين الأقارب والأحباب، حيث يقول في القصيدة الأولى:

أفنتهم غيرالحوادث مثلـــــما أفنت قديما صاحب الإيوان[3]

1- المرجع السابق ص: 235/2.

2- المرجع السابق ص: 231/2.

3- المراد من " الإيوان " هنا إيوان كسرى .الباحث

لما رأيت الدار بعد فراقهم أضحت معطلة من السكان

ما زلت أبكيهم وألثم وحشة لجمالهم مستهدم الأركـــان [1]

حتى رثى لى كل من ما وجده وجدى ولا أشجانه أشجانى

يقول في القصيدة الثانية مرددا الأفكار نفسها:

وحياتكم أنى على عهد الهوى باق ولم يخضر لدى ذمام

فدمى حلال إن أردت سواكم والعيش بعد كم على حرام

ولقيت من صرف الزمان وجوره ما لم تخيله لى الأوهـــام [2]

1- المرجع السابق ص: 229/2.

2- المرجع السابق ص: 233/2.

المبحث الثالث:عرض تحليلىللقصائد في رثاء دمشق

سنعرض فينكبة دمشق قصيدتين بديعتين الأولى منهما لـــعلي بن عبد الله البهائي الدمشقي الغزولي،وهوشاعر معاصر لهذه النكبة ومشاهدها و ثانيتهما لـــعلاء الدين الأوتاري الذى عاش بعد زمن قريب من النكبة، وله قصيدة رائعة. وهاتان القصيدتان من أجود القصائد التي قيلت في رثاء دمشق.

أما قصيدة البهائي الغزولى فهي تشتمل على عشرين بيتا. بدأ الشاعر مباشرة بالتلهف والتحسر على الدمار الذى حل بد مشق التى كانت بلدة جميلة المبانى والمنازل والوديان ولكن المغول شغلوا النيران فيها فطمسوا حسنها وبهاءها، وتبدل النور الساطع بالدخان المظلم، وتجرى أنهارهابدماءالأبرياءمن سكان هذه المدينة العظيمة إلى أن وقع التغيرفي كل شيء منها يقول:

لَهَفِي[1]عَلَى تِلْكَ الْبُرُوْجِ وَحُسْنِهَا حَفَّتْ بِهِـنَّ طَوَارِقُ الْحَـدَثَـانِ

لَهَـفِيْ عَـلَى وَادِىْ دِمَشْقَ وَلُطْفِهِ وَتَبَدُّلِ الْـــغُـزْلَانِبالـثِّيْـرَانِ[2]

وَشَـكَا الْحَرِيْـقَ فُؤَادُهَا لَمَّا رَأَتْ نُوْرًا لْمَنَازِلِ أُبْـدِلَتْ بِـدُخَـانِ

---

1 – اللَهْفُ: الحزن، والأسى والتحسر المعجم الوسيط ص: 842.

2 – الثيران جمع الثور: الذكر من البقر. المرجع السابق ص: 102.

كَـــانَتْ مَعَـــاصِـــمُ نَهْـــرِهَا فِضَّيَّةً وَالْآنَ صِرْنَ كَـــذَائِـــبِ الْعَقْـــيَانِ[1]

كَرِهَتْ جَدَاوِلُهَـــــا حَوَا فِرَ خَيْلِهِمْ فَتَسَابَقَتْ هَـــرَبًا كَخَيْلِ رِهَـــانِ[2][3]

وبعد هذه البداية الحزينة، انتقل إلى وصف ما حل بدمشق ومعالمها الكبيرة البارزة والقصورالملكية. ونرى الشاعر قد ازداد ألمه وحرقته عند ما يرى تركيز أولئك المغول الوحوش على إزالة المعالم الإسلامية الدينية ممثلة في المساجد؛ فقد هتكوا حرماتها، وأهدروا قدسيتها وكرامتها، وهدموا منابرها ومحاريبهاولاسيما جامع دمشق الأموى الذى بناه الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك ورصعه بالجواهر الثمينة، وحلاه بالزخارف البديعة، وقضى المغول على عباده والمجاورين في زواياه، وأحرقوا مصاحفه واتخذوه موطنا للسكر والعربدة (والعياذ بالله) وأتلفوا كل ما وصلت إليه أيديهم الخبيثة من كتب العلوم المختلفة التى كانت يستنير بها العالم. ويتذكرالشاعرخلال هذه المصاب الجلل ماجرى للمدن الشامية الأخرى مثل "حماة"[4]

1 – العقيان : ذهب خالص مما يختلط به. المرجع السابق ص: 618.

2 –السباق: خيل الرهان: التي يراهن على سباقها بمال أو غيره وفي المثل " هما كفرسي رهان " يُضرب للمتساويين في الفضل. المرجع السابق ص: 378.

3– خطط الشام ص: 172/2.

4 –حماة، كورة من كور حمص بالشام، وهي مدينة طيبة في وسطها نهر يسمى العاصي، وبينها وبين كفر طاب أربعون ميلاً، وهي قديمة البناء، وربضها كبير وفيه الحمامات والديار، وبها جامعان وثلاث مدارس ومارستان على شط النهر بإزاء الجامع الصغير، وبخارج البلد بسيط فسيح عريض فيه شجر الأعناب والمزارع والمحارث والبساتين على شطي النهر. انظر:

و"حلب"[1] فيقرنهما بدمشق،فتزداد دموعه وتغزر يقول:

وَمَا ذَا كَ إِلَّا تَـرْكِهِـــمْ وَلَجَتْ بِـــــهَا

فَتَـخَـضَّـبَتْ مِـنْـهَا بِـأَحْـمَـــرَقَـــانِ

لَوْ عَا يَنَتْ عَيْنَا كَ جَا مِعَ تَتَـــــــكَّز

وَالْـبَرْكَتَـيْـنِ بِحُسْنِـهَـــا الْفَتَّانِ

وَتَعَطُّـشَ الْمُرْجِـــــيْنَ مِنْ أَوْرَادِهَـــا

وَتَهَـــدُّمِ الْـــمِـــحْـــرَابِ وَالْإِيْـوَانِ

لَأَتَـتْ جُـفُـوْنُـكِ بِا لدُّ مُوْعِ مُلَـوَّنًـا

دَمْعًـا حَـكَى اللُّـؤْلُـؤَ عَلَى الْمَرْجَـانِ

قَطَرَاتُ جَفْنِيْ تَرْجَمَتْ عَنْ حُرْقَتِـــيْ

فَـكَـأَنَّـهُـنَّ قَـلَائِـدُ الْـعَـقْـيَانِ

الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحِميري تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الثانية 1980 م، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت، ص: 199/1.

1– مدينة عظيمة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة التربة، لها سورحصين وقلعة حصينة. قال الزجاجي: كان الخليل إبراهيم عليه السلام، يحلب غنمه بها ويتصدق بلبنها يوم الجمعة فيقول الفقراء: حلب، فسميت بذلك. ولقد خص الله تعالى هذه المدينة ببركة عظيمة من حيث يزرع في أرضها القطن والسمسم والبطيخ والخيار والدخن والكرم والمشمش والتفاح والتين، يسقى بماء المطر، فياتي غضاً رواياً يفوق ما يسقى بالسيح في غيرها من البلاد، وهوبلد نفيس خفيف حصين عامر. انظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، لمحمد بن أحمد المقدسى 1980م، دار النشر، وزارة الثقافة والإرشاد القومى – دمشق، ص:143/1.

أَبَنِيْ أُمَيَّةَ أَيْنَ يُمْنُ وَ لِيْدِ كُمْ

وَالْمُغْلُ تَفْتِلُ فِيْ ذُرَى الْأَرْكَانِ

شَرِبُوْا الْخُمُوْرَ بِصَحْنِهِ[1] حَتَّى انْتَشَوْا[2]

أَلْقَوْا عَرَابِدَهُمْ عَلَى النِّسْوَانِ

لَهَفِيْ عَلَى كُتُبِ الْعُلُوْمِ وَدَرْسِهَا

صَارَتْ مَعَانِيْهَا بِغَيْرِ بَيَانِ[3]

وقد رثى شاعرنا في قصيدته هذه المدن الثلاثة وهي" حلب" و "حماة " و" دمشق" فأول مدينة من المدن الشامية سقطت في أيدى المغول، مدينة "حلب " فهي أول ما رثى الشاعر ثم تبعتها حماة التى بكاه على فقد أهلها وتغير عزهم ذلا حتى عظمت المصيبة عليه بسقوط مدينته دمشق، فقد رثاهن كوحدة متسلسلة من المدن الشامية التى لا انفصال بينها ولو كان رثاؤه لمدينة دمشق أشد وأعمق يقول:

أَعُرُوْسَنَا لَكِ أُسْوَةٌ بِحَمَاتِنَا فِيْذَا الْمُصَابِ فَأَنْتُمَا أُخْتَانِ

غَابَتْ بُدُوْرُ الْحُسْنِ عَنْ هَالَاتِهَا فَاسْتُبْدِلَتْ مِنْ عَزِّهَا بِهَوَانِ

نَاحَتْ نَوَاعِيْرُ الرِّيَاضِ لِفَقْدِهِمْ فَكَأَنَّهَا الْأَفْلَاكُ فِيْ الدَّوْرَانِ

1 – الصحن: القدح العظيم، إناء من أواني الطعام. المعجم الوسيط ص: 508.

2 – سكروا. الافتعال من النشي. المرجع السابق ص: 984.

3 – خطط الشام، ص: 172/2، 173.

حُزْنِيْ عَلَى الشَّهْبَاءِ قَبْلَ حِمَاتِنَا هُوَ أَوَّلُ وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِيْ

لَا تَدَّعِي الْأَحْزَانَ يَا شَقْرَائَنَا السَّبْقُ لِلشَّهْبَاءِ فِيْ الْأَحْزَانِ

وَقَعَتْ كِلَابُ الْمُغْلِ فِيْ غُزْلَانِهَا وَتَحَكَّمَتْ فِيْ الْحُوْرِ وَالْوِلْدَانِ

لَهَفِيْ عَلَيْكِ مُنَازِلًا وَمَنَازِهَا وَمَقَامَ فِرْدَوْسٍ وَبَابَ جِنَانِ

أُجْرِيَتْ جَمرُ الدَّمْعِ مِنْ أَجْفَانِيْ حُزْنًا عَلَى الشَّقْرَاءِ وَالْمَيْدَانِ

وَاحَسْرَتَاهُ عَلَى دِمَشْقٍ وَقُوْلِهَا سُبْحَانَ مَنْ بِالْغِلِّ قَدْ أَبْلَانِيْ

لَهَفِيْ عَلَيْكِ مَحَاسِنًا لَهَفِيْ عَلَيْكِ عَرَائِسًا لَهَفِيْ عَلَيْكِ مَغَانِيْ[1]

والقصيدة بأكملها تدور حول الموضوع من البداية إلى النهاية ووقف الشاعر على كل من معالم المدينة وقفة حزينة باكية سواء كانت دينية أو غيرها. وقد ألصق الشاعر برثائه لمدينته مدينتين مجاورتين مدمَّرتين في الوقت ذاته وهما: مدينة "حلب" ومدينة "حماة " وبدأ بالتلهف والتأسف وانتهي بالتلهف. وقد شاهد الشاعر هجومات المغول بعينه ومظالمهم فهالكته المشاهد المرهبة وأصابته الوحشة.

1 –المرجع السابق ص: 2/ 173.

قصيدة الأوتارى

القصيدة الثانية التي ندرسها في هذا المبحث هي قصيدة علاء الدين الأوتاري التي تتناول الدمار والفساد الذى أصاب دمشق بجميع التفاصيل عندماأحرقها المغول. وهي تشتمل على ثمانية وأربعين بيتا. بدأ الشاعر قصيدته بشكاية ما أصابه من الهم والحزن حيث جفاه النوم، ولازمه السهاد والاضطراب حتى صاحبه ليلا ونهارا إلى أن أنس به وبدأ يحبه.

لَـكَ عِلْمٌ بِمَا جَـرَى يَا سُهَادِيْ[1] مِنْ جُفُوْنِيْ عَلَى افْتِقَادِرُقَادِيْ[2]

لَمْ أَجِدْ عِنْدَ شِدَّتِيْ مُؤْنِسًـا لِـيْ غَيْرَ سُهْدِيْ مُلَازِمًا لِسَوَادِيْ

وَحَبِيْبُ الْعَـيْنِ الرُّقَادُ جَفَاهَـا مُذْ رَآهَا خَلِيْفَةَ الْأَنْـكَادِ[3][4]

ثم توجه إلى تعزية دمشق ويبكي على مجالس التى معمورة قبل مدة قصيرة ويذكر معالم المدينة كلها ويرثيها بجميع متعلقاتها يقول:

1- سهاد: اليقظة، يقال فلان سُهُدٌ:يَقِظٌ حَذِرٌ المعجم الوسيط ص: 457.

2 - رقاد: النوم المرجع السابق ص: 364.

3 - الأنكاد: جمع النكد:الشؤم، والبخل والشدة. المرجع السابق ص: 951.

4 - نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويرى، ص: 5 /225.

أَحْسَنَ اللهُ يَا دِمَـــشْـقَ عَـزَاكِ فِـيْمَـعَانِـيْـكِ يَا عِمَادَ الْـبِلَادِ

وَبُرُسْـتَـاقَ نَيْرِ بَيْكَ مَعَ الْـمِزَّة مَـــعَ رَوْنَـق بِـذَاكَ الْـوَادِيْ

وَبِأُنـــسٍ بِقَـاسِـيُوْنَوَنَـــاسٍ أَصْـبَحُـوْا مَغْنَمًا لِأَهْلِ الْفَسَادِ

طَرَقَتْهُـمْحَوَادِثُالـدَّهْرِ بِالْقَـتْـ لِوَنَهْـبِا لْأَمْـــوَ الِوَالْأَوْلَادِ

وَبَنَاتٍ مُحَجَّـبَاتٍ عَنِالشَّـــمْ إِسحاق تَنَاعَتْ بِهِنَّ أَيْدِي الْأَعَادِيْ

وَقُـصُـوْرٌ مُشَيَّـدَاتٌ تَقَضَّتْ فِيْ ذُرَاهَا الْأَيَّـامُ كَالْأَ غْـيَـادِ

وَبُيُوْتٌ فِيْهَا التِّـلَاوَةُ وَالذِّ كْـــ رُوَعَالِي الْحَدِيْثِ بِالْإِسْـــنَادِ

حَرَّقُوْهَـا وَخَرَّبُوْهَا وَبَادَتْ بِقَضَاءِ الْإِلَهِ رَبِّ الْعِـــبَادِ

وَكَذَا شَارِعُ الْعَقِيْـبَـةِ وَالْقَصْـ رِوَشَـاغُـوْرِهَـا وَذَاكَ النَّادِيْ

أَصْبَحُوْا الْيَوْمَ مِثْلَ أَمْسِ تَقَضَّى وَبَكَـتْهُـمْ سَـمَاوُهُمْ وَالْغَوَادِيْ

وَلَكُمْ سُوْرُهَاحَوَى مِـنْ مَّعْنًى مُـقْرِحِ الْقَلْبِ وَالْحَشَى وَالْفُؤَادِ

إِن بَكَى لَا يُفِـيْـدُهُ أَوْ تَشَـكَّى وَجَـدَ الْمُـشْتَكِيْ حَلِيْفَ سُـهَادِ

يَشْتَكِيْ فَـوْقَ مَا اشْتَكَاهُ بِأَضْعُفِ فَيَغْدُوْ وَهْـمُهُ فِيْ ازْدِيَادِ

فَالْغَلَا وَالْجَلَا مَعَ الْجُوْعِ وَالْعُرِيْ وَنَـهْـبِ الْأَقْوَاتِ وَالْأَزْوَادِ[1]

1- الأزواد: جمع الزاد، طعام يتخذ للسفر، وما يكتسبه الإنسان من خيروشر.وفي التنزيل"فإن خيرالزاد التقوى" المعجم الوسيط ص: 406.

وَالْحِصَارِ الشَّدِيْدِ وَالْحُبْسِ وَالْخَوْفِ مَعَ السَّادَةِ الْعُرَاةِ الْمُكَادِيْ[1][2]

وبرز عنده اللون الديني بوضوح حينما تحدث بحزن عن الأماكن المقدسة مثل جبل قاسيون، وكذلك عند ما ذكر تلك البيوت التي كانت يظهر منها صوت الآيات والأحاديث ثم قوضت وخربت.

وقد رثى الشاعر الناس الصالحين الأبرياء وتأسف على النسوة المصونات اللواتي حبسن في الأيدي الظالمة الطاغية وواجهن الهوان والذل بعد العز في البروج المشيدة والقصور الشامخات، ورسم صورا وظلالا من خلال تفاصيل هجومات المغول بوحشيتهم واستهتارهم بالحرمات والدماء. ووصف حالة الناس المحاصرين داخل الأسوار، ووقف عند المظاهر العامة مثل الجوع والعرى والخوف والشكوى واعترف بالحقيقة الأزلية الدائمة التي لا إنكار لها وهي التسليم بقضاء الله الذي يقدر ما يشاء لمن يشاء ، يقول :

وَبِوَزْنِ الْأَمْوَالِ مِنْ غَيْرِ وَجْدِ بِاغْتِسَافِ الْغَنَمِ الْغِلَاظِ الشِّدَادِ

يَا تَرَى هَلْ لِكُرْبَنَا مِنْ مُجِيْرِ أَمْ لِتَشْدِيْدِ أَسْرِنَا مِنْ مُفَادِيْ

لَهَفَ نَفْسِيْ عَلَى جُيُوْشٍ تَوَلَّتْ ثُمَّ وَلَّتْ جَرِيْحَةَ الْأَكْبَادِ

كُلُنْدَبِ[1] عَضَنْبِ[2] حَمَى[3] كَمِي[4] أَمْجَدِ أَصِيْدِ شُجَاعٍ جَوَّادِ

---

1 – المكادى من المكايدة، المخادعون. المرجع السابق ص: 806.

2 – نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويرى ص: 226/5.

إِنْ سَطَا فِيْ هَابَتِهِ كَانَ بَحْرًا أَوْسَطًا خِلْتَه مِنَ الْآسَادِ

أَوْ بَدَا حَامِلاً تَخُلُّ عَنْتَرِيًا أَوْغَدَا سَابِقَ الْجَوَادِ فَغَادِيْ

إِنْ أَتَانِيْ مُبَشِّرٌ بِلِقَاهِمْ حَازَ رُوْحِيْ وَمُهْجَتِيْ وَفُؤَادِيْ

وَلَثَمْتُ التُّرَابَ شُكْرًا وَعَفَرْتُ خُدُوْدِيْ عَلَى بُلُوْغِ مُرَادِيْ

لَسْتُ أَرْجُوْ غَيْرَ الْبَشِيْرِ شَفِيْعًا عِنْدَ رَبِّيْ فِي الْمَنِّ بِالْإِنْجَادِ

غَيْرَ أَنَّ الْفَسَادَ يُكْسِبُ ذُلاً وَيُغْمِي الْفَسَادَ طُرُقَ السَّدَادِ

وَارْتِكَابُ الْفَسَادِ يُوْرِثُ فَقْرًا وَخَرَابُ الْبُيُوْتِ عُقْبَى الْفَسَادِ

يَا حَبِيْبَ الْإِلٰهِ لَا تَتَخَلَّى عَنْ عُصَاةٍ غَمَرْتَهُمْ بِالْأَيَادِي

يَا حَبِيْبَ الْإِلٰهِ قَدْ مَسَّنَا الضُّرُّ فَجُدْ بِالْإِسْعَافِ وَالْإِسْعَادِ

يَا حَبِيْبَ الْإِلٰهِ تُبْنَا إِلَى اللهِ وَأَنْتَ الْعِمَادُ حَتَّى الْمِعَادِ

مَنْ لِأَسْرَى كِسْرَى حَيَارَى دَهَتْهُمْ دَهْمَتُهُمْ جِيَادُ أَهْلِ الْعِنَادِ

وَاضِعُ اللَّقْطِ فِي الْحِسَا بِ عَنَاهُ لَوْ يَعِشْ حَصْرَ كَثْرَةِ الْأَعْدَادِ

1- ندب صفة للفرس، السعي الخفيف عندالحاجة، والطريف النجيب.ويقالفرس ندب.المعجم الوسيط ص: 910.

2- عضب السيف عضوباً، صار قاطعاً، وقال عضب اللسان صارحاداً.المرجع السابق ص: 659.

3- حمى: صفة للفرس يقال حَمِيَ الوطيس اشتد الأ مر، والفرس سَخُنَ و عَرِقَ. المرجع السابق ص: 200.

4- كمى لابس السلاح، والشجاع المقدام الجرى. المرجع السابق ص: 799.

مِنْهُمُ الطِّفْلُ وَالصَّبِيَّةُ وَالشَّابُ يُنَادِيْ، فَمَنْ يُجِيْبُ الْمُنَادِي!

وَيُنَادِيْ عَلَيْهِمْ بِرَغِيْفٍ وَبِنَزْرٍ بَخْسٍ بِسُوقِ الْكَسَادِ

عَوَّضُوْا عَنْ سُرُوْرِهِمْ بِغُرُوْرٍ وَقُصُوْرِ الْبِلَادِ سُكْنَى الْبَوَادِيْ

وَبِأَهْلِ الْوِدَادِ شَرُّ أُنَاسٍ وَبِلِيْنِ الْمِهَادِ شَوْكُ الْقَتَادِ

أَيُّ عَيْنٍ عَلَيْهِمْ لَيْسَتْ تَبْكِي أَيُّ قَلْبٍ عَلَيْهِمْ غَيْرُ صَادِي!

فَلَأَنْتَ الرَّحِيْمُ قَلْبًا وَلُبًّا وَلَأَنْتَ الْهَادِي لِسُبُلِ الرَّشَادِ

وَلَأَنْتَ الْبَدِيْعُ خَلْقًا وَخُلُقًا وَلَأَنْتَ السَّمِيْعُ لِلْإِنْشَادِ

وَلَأَنْتَ الطِّرَازُ فِيْ كُلِّ مَعْنًى وَلَسَيْفُ الْمَقَالِ شِبْهَ النِّجَادِ

وَلَأَنْتَ الْحَاوِيْ فُنُوْنَ صِفَاتٍ دُوْنَ حَصْرٍ لَهَا فَنَاءُ الْمِدَادِ

وَلَأَنْتَ الْمَمْدُوْحُ مِنْ فَوْقِ عَرْشٍ بَعْدَ مَاذَا يَقُوْلُ قَسُّ الْإِيَادِي

جُلُّ قَصْدِ الْفَصِيْحِ بِالنَّظْمِ مَعْنًى نَشْرُ فَضْلِ الْمَمْدُوْحِ بَيْنَ الْعِبَادِ

فَإِذَا كَانَ مُنْشِئُ الْمَدْحِ رَبِّيْ عَادَ مَدْحُ الْفَصِيْحِ جَمْعَ سَوَادِ

فَعَلَيْكَ الصَّلَاةُ يَرْجُوْا بِهَا الْأَمْنَ عَلَيَّ مِنْ سَائِرِ الْأَنْكَادِ[1]

وعندما لم يجد الشاعر نصيرا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلتهب مشاعره وبدأ يستشفع به في لون من الوجد الصوفي ويستمر في مدح النبى صلى الله

1- نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويرى ص: 227/5، 228 .

عليه وسلم إلى نهاية القصيدة.ولكن مع ذلك أشار الشاعر إلى الفساد الذى انغمس فيه الناس؛فقد تركوا عن طريق الخير والسداد حتى قدر لهم الذل والصغار والدمار. ورغم مشاهدة تلك الأحوال والفساد الذى جرى في المجتمع، نرى الشاعر مطمئنا وراجيا حسن الخاتمة للدين ولظهور الناصرين له لأن الله سبحانه وتعالى قد أخبر في كلامه المجيد بغلبة دينه على الأديان كلها.

وشعر الأوتارى بأن سببالفساد الأصلى هو الانغماس في ارتكاب النواهي والغفلة عن امتثال الأوامر ولذلك بادر إلى إعلان التوبة بين يدى الله متوسلابنبيه صلى الله عليه وسلم أن يرحم الله قومه الذين وقعوا في أسر المغول الظالمين خاصة الأطفال والنساء والصبيان الذين كانوا يباعون مثل الرقيق بثمن بخس.

وأسلوب القصيدة سهل ومعانيها واضحة ولكننى لاحظت في القصيدة شيءا من التسامح وهو أن الشاعر قد عزى مدينة دمشق بقراها مع أنه كان الأنسب أن يرثيها لأن دمشقكانت مدمرة ومس

تباحة فكان الرثاء أوفق دون التعزية.

الفصل الثاني: البناء الفني لقصائد رثاء المدن العربية

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: دراسة شكل قصائد الرثاء

المبحث الثاني: دراسة الموسيقى للقصائد

المبحث الأول: دراسة شكل قصائد الرثاء

المطلب الأول:مطالع القصائد

المطلب الثاني: خواتيم القصائد

المطلب الثالث: أسلوب القصائد

المطلب الأول: مطالع القصائد

والمطلع له ارتباط عميق بالموضوع العام للقصيدة "وليس من عادة الشعراء في قصائدهم الرثائية أن يقدموا بين يديها نسيبا أو تشبيبا؛ لأن الآخذ في هذا الموضوع يجب أن يكون مشغولا عن التشبيب بما هو فيه من الحسرة والاهتمام بالمصيبة"[1]

و" إنما يبتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها... ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة، والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعى به إصغاء الأسماع إليه، لأن التشبيب قريب من النفوس... فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له، عقب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النصب والسهروسرى الليل وحل الهجير، وإنضاء الراحلة والبعير فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء، وذمامة التأميل وقرر عنده ما ناله من

1- أسس النقدالأدبي عند العرب، د/أحمد بدوى، 1996م، دار النهضة القاهرة، مصر ــ ص: 233.

المكاره في المسير بدأ في المديح، فبعثه على المكافأة، وهزّه للسماع، وفضله على الأشباه"[1] وهذا كله كالمعدوم في قصائد الرثاء.

وذهب بعض النقاد إلى أن على الشاعر التحرز في بداية أقواله مما يتطير منه أو يستجفي من الكلام كنعى الشباب وذم الدهر، ولكن أعتقد أن هذا في المدح والتهانى، ولا بأس فى الاستفتاح بها في المراثي ووصف الخطوب ولذلك، فإن ما عابه النقاد على المطالع لا يسرى فى جميع الأغراض.

فقصائد الرثاء لابد فيها من ذكر تقلب الأيام وذم الدهر والفلك والقضاء، ورغم ذلك أرى أن لا يكون في قصائد الرثاء"ما يشتم منه رائحة تشاؤم أو تطير، أو تشمل ما لا يصح أن يوجه به الخطاب إلى السامع أو أن يكون في عبارتها ما قد يثير في ذهن السامع ما لا يريد الشاعر أن يتجه إليه الذهن".[2]

ومن محاسن القصائد أن يكون المطلع بيناً واضحاً لا غموض فيه سهل المأخذ لا تعقيد في تركيبه ولا صعوبة في فهم معناه.

1- الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، 1423هـ 2003 م دار الحديث القاهرة، ص: 75/1، 76.

2- أسس النقدالأدبى عند العرب ص: 297.

ومن اشتراط جودتها تناسب قسميها بحيث لا يكون شطرها الأول أجنبيا عن شطرها الثانى، وألا يرتفع شطرها الأول إلى منزلة سامية من حيث المعانى والصياغة وينزل شطرها الثانى عن تلك المنزلة السامية.[1]

وبالتأمل في القصائد الرثائية نجد أكثر معانى الرثاء ورودا في الحديث عن الموت، وسوء الدهر وما إلى ذلك فلا يقبح أن تأتى تلك المعانى فيها خلال قصائد الرثاء والفراق والنكبات"[2] وغيرها.

ويمكن أن نقسم مطالع قصائد هذا النوع(رثاء المدن والدول) من الشعر العربي نظراً إلى مقدرة الشاعر ومدى تأثره بالحدث إلى الأنواع التالية المهمة :

المطلع الطللي:

هذا المطلع تقليدي فرضت سيطرته على الشعر من أيام الجاهلية،وظل سلطانه مستمراً على مر العصور الأدبية، فالشاعر يقف على مدينة زاهرة أصيبت بالدمار واستبيح أهلها. ويأخذ الشاعر مناجاة الأطلال ومناشدتها عن الأصدقاء ويطلب

1-المرجع السابق ص: 297.

2- المرجع السابق ص: 130/2.

الصاحب والرفيق أن يقف معه هناك.وهؤلاء الشعراء يراعون التقاليد الشعرية التي حرم ابن قتيبة على الشعراء المتأخرين الخروج عنها.[1]

ولعل هؤلاء الشعراء يرون في المقدمة الطللية مظهراً من مظاهر الأصالة التي يجب المحافظة عليها.

ونجد هذه المقدمة فيما بين أيدينا من قصائد رثاء المدن عند ابن شُهيد في رثائه لقرطبة مع أن الشاعر عاش في بيئة ليس لها علاقة بالأطلال والصحراء، ولكن رغم ذلك لم يجد مفراً من البدء بذكر الطلول مراعاة للتقاليد التي تسلطت على الشعراء المتأخرين. حيث يقول:

مَا فِي الطُّلُولِ مِنَ الْأَحِبَّةِ مُخْبِرٌ فَمَنِ الَّذِيْ عَنْ حَالِهَا نَسْتَخْبِرُ

لَا تَسْأَلَنَّ سِوَى الْفِرَاقِ فَإِنَّهُ يُنْبِيْكَ عَنْهُمْ آنْجَدُوْا أَمْ أَغْوَرُوْا[2]

وكذلك نجد هذا اللون من المقدمة عند شاعرنا شمس الدين الكوفي في رثاء بغداد عندما دمرها التتار وقضى على الخلافة العباسية الإسلامية في قصيدتيه الميمية والنونية،ففي قصيدته الميمية تحوي مقدمتهاأشطراً كاملة منها:

قِفْ فِيْ دِيَارِ الظَّاعِنِيْنَ وَنَادِهَا يَا دَارُ مَا صَنَعَتْ بِكِ الْأَيَّامُ

أَعْرَضْتُ عَنْكِ لِأَنَّهُمْ مُذْ أَعْرَضُوْا لَمْ يَبْقَ فِيْكِ بَشَاشَةٌ تُسْتَامُ

1- الشعر والشعراء، ابن قتيبة ص:77/1.

2- ديوان ابن شهيد ص: 90/1 ، و تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) ص: 178/1.

يَا دَارُ أَيْنَ السَّـاكِنُوْنَ وَأَيْـــنَ ذَاكَ الْبَـهَاءُ وَذَلِكَ الإِعْـظَامُ[1]

ومن قصيدته النونية :

وَلَقَدْ قَصَدْتُ الدَّارَ بَعْدَرَحِيْـلِكُمْ وَوَقَفْـتُ فِـيْهَا وَقْفَةَ الْحَيْرَانِ

وَسَأَلْتُهَا لَكِنْ بِغَيْرِ تَـكَـلُّمٍ فَتَـكَلَّمَـتْ لَكِـنْ بِغَيْرِ لِسَـانِ

نَادَيْتُهَا يَا دَارُمَا صَنَعَ الْأُوْلَـى كَانُوْاهُمُ الْأَوْطَارَ فِيْ الْأَوْطَانِ[2]

أرى أن الشاعر المفلق إذا تصدى لموضوع الرثاء لايناسبه أن يقيد نفسه بالتقاليد ويقلل القيمة المعنوية وراء ما لايعنيه في الشكل أوالموضوع لأن القيود لاتسمح للعواطف – مع أنها هي عماد هذا النوع من الشعر– أن تعبر عن نفسهافي انسياب طبيعي يخفف خفقات نفس الشاعر المشحونة بالحزن والألم،ويؤثر في نفوس القارئين والسامعين بأعلى درجة.

مطلع الحزن والأنين:

يمهد الشعراء في هذه المقدمة لقصائدهم الرثائية بشدة أثرالحادثة على أنفسهم حيث أورثهم السهروالألم والنكد والمفارقة عن الأحباب والأقارب. وهذا القسم من المقدمات كثيرجداً في شعر رثاء المدن.

1– فوات الوفيات، للكتبى، ص: 232/2.

2– المرجع السابق ص: 234/2.

ونجد هذاالنوع من المقدمات في القصائد المختارة للدراسة،ففي قصيدة علاء الدين - الأوتاري الدمشقي- الرثائية حول رثاء دمشق على خرابها في الحملة المغولية التيمورية حيث يفتتح بقوله:

لَـكَ عِلْمٌ بِمَا جَـرَى يَا سُهَـادِيْ مِنْ جُفُونِيْ عَلَى افْتِقَادِرُقَادِيْ

لَمْ أَجِدْ عِنْدَ شِدَّتِيْ مُؤْنِسًـا لِـيْ غَـيْرَ سُهْدِيْ مُلَازِمًا لِسَوَادِيْ

وَحَبِـيْبُ الْعَـيْنِ الرُّقَادُ جَـفَاهَـا مُذْ رَآهَا خَلِـيَّةَ الْأَنْـكَادِ[1]

والشاعر يحزن على ما أصابه من الآلام،ويتخذ من السهاد مؤنساًله يلازمه في شدته عندما جفاه الرقاد بسبب نكبة دمشق.وطبعاً هذه المقدمات مناسبة لهذاالنوع من الشعرمن المقدمات الطللية لأن لها ارتباطا مباشرا بنفس الشاعروهى أوفق للاتصال بالموضوع الأصلي وهو الحزن والبكاء.

المطلع المبا شر:

وهناك قصائد كثيرة اعتمد فيها الشعراء على الدخول المباشر في الموضوع،وهوالبكاء على المدن والديار،والبروج والقصور،وسرد الحوادث التي تقع خلال النكبات، والتغيرات الاجتماعية والسياسية التي تحدث إثرها.ونجد هذا اللون فى

1- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى، ص: 225/5.

قصائدنا؛ففي قصيدة علي ابن عبد الله البهائي الغزولي في رثاء دمشق عندما أفسدها المغول وجعلوا عاليها سافلها. يقول:

لَهَفِيْ عَلَى تِلْكَ الْبُرُوْجِ وَحُسْنِهَا حَفَّتْ بِهِنَّ طَـوَارِقُ الْحَدَثَانِ

لَهَفِيْ عَـلَى وَادِيْ دِمَشْقَ وَلُطْفِهِ وَتَـبَـدُّلِ الْغُزْلَانِبِالثِّيْرَانِ

وَشَكَا الْحَرِيْـقَ فُؤَادُهَا لَمَّا رَأَتْ نُوْرَا لْمَنَازِلِ أُبْدِلَـتْ بِـدُخَانِ[1]

وأنا أرى هذا النوع من القصائد أصدقها عاطفة بحيث تمثل حرارة الانفعال كلما قرأها القاري أوسمعها السامع.

مطلع شكوى الزمان والدعوة إلى الا عتبارمنه:

يذكر الشاعر في هذه المقدمة تقلبات الزمان وفتكه بالأمم العظيمة. ويريد منه التنبيه على الأمر الذي يوجب التيقظ وأخذ العبرة من تلك التقلبات الزمنية.وتحوي مثل هذه القصائد الجوانب الإيجابية أكثر من الجوانب السلبية. ونجد فيها شيءا من الرزانة والوقار، لأن الشاعر عندما يذكر حوادث الدهر الرهيبة التي تظهر في العصور المختلفة، كأنه يبدي تجلداً،ويكظم حزنه نظراً إلى أن وقوع الحوادث

1- خطط الشام، ص: 172/2.

والتقلبات ليس شيءاً جديداً تفرد به.وهذا اللون متوفر في قصائد رثاء المدن ونجده عند شاعرنا ابن شُهيد الأندلسي حيث يقول:

جَارَالزَّمَانُ عَلَـيْـهِـمْ فَـــتَفَرَّقُوْا فَيْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَبَادَالأَكْثَرُ

جَرَتِ الْخُـطُوْبُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ وَعَلَيْهِـمْ فَتَغَيَّرَتْ وَ تَغَيَّرُوْا[1]

مطلع التذكير بحتمية الفناء الشامل:

وهناك قصائد كثيرة تتضمن مقدمة التذكير بحتمية الفناء الكامل تأثرا بالعقيدة الإسلامية فى أن " كُلُّ شيء هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَه"[2].ولانجد هذا اللون مباشرة في قصائد الرثاء التي نحن بصدد دراستها، ولكنه متوفرفي قصائد رثاء المدن عامة يظهر هذا من قصيدة أبى البقاء الرندى الشهيرة في رثاء الأندلس حيث يقول:

لِكُلِّ شيء إِذَامَا تَـمَّ نُـقْصَانٌ فَلَا يَغُرُّ بِطِيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانٌ

هِيَ الْأُمُوْرُ كَمَا شَاهَدْتَهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانٌ[3]

1 – ديوان ابن شهيد ص: 90، وتاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) ص: 178/1.

2 – القصص 88.

3 – نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري ، ص: 487/4.

المطلع الغزلي:

ويريح الشاعر نفسه بهذه المقدمة المشحونة بالآلام والأحزان عن خفقاتها وهو في أستارالغزل والتشبيب والمجالسة مع النساء ومحادثتهن كأنه لم يصبه شيء من تلك الآلام. وهذااللون نادر جداً لأنه لايناسب لموضوع الرثاء، ولأن الرجل إذا أصيب بالحوادث العظيمة لايذكر مثل هذه المعانى،بل يبدأ بالبكاء والحزن مباشرة من غير تعرض لأي تمهيد ومقدمة.على كل حال ، نجد هذا النوع من المقدمة عند ابن شهيد الأندلسي في قصيدته الموجزة في الرثاء على فساد قرطبة بسبب هجمات البربر بمساعدة النصارى.

يقول في خراب مدينته قرطبة:

عَجُوْزٌ لَعَمْرُ الصِّبَا فَانِيَـــةٌ لَهَا فِي الْحَشَا صُورة الْغَانِيَهْ

زَنَتْ بالرِّجَالِ عَلَى سِنِّـــها فَيا حبَّذَا هِي مِن زانـــيَهْ[1]

1 – ديوان ابن شهيد ص: 42.

المطلب الثاني: أسلوب القصائد

القصائد التي اخترناها للدراسة متقاربة جداً فى الأفكار، والألفاظ والمعاني والعواطف وإن كان أصحابها متباعدين فى الزمان والمكان وإن كانت النكبات وأسبابها تختلف، فهي تكاد تتفق في تميزها بالوضوح ودقة التصوير، والبعد عن التكلف، ووجود العاطفة الجياشة فيها.

وقد اتكأ معظم شعرائها على شعر الأطلال وذكر الربوع الدارسة وشكوى الدهر. ونجد كل شاعر من شعرائنا الذين تم اقتراح شعرهم للدراسة، يغرق في بحر من الأحزان،ويغشى كل قلب مسته النكبة فيوقد فيه جمر الأسى،ويشتعل قلبه نارأبضياع وطنه الذي كان مثل الجنة التي نال فيها الراحة والسعادة حقبة من الزمان،وبفقدهاأصبح ليله زفرات وأنات ونهاره حسرات.

ونرى كلاً منهم متأملاً ومتعجباً من انقلاب حالة مدينته حيث أصابتها الحادثات التي لا ترعى إلاً ولاذمة، فحولت حسنها قبحاً، وشبابها هرماوخربت بيوتها وقصورها،وهتكت حرماتهاوسيقت نساؤها المترفات الناعمات وذاق أطفالها مرارة اليتم وما إلى ذلك.

وقد وفق كل منهم كل التوفيق في رسم صورة حزينة بائسة لفناء قومه وزوال ملكهم ومجدهم حتى أشرك نفسه معهم في الصورة غير أنهم ذهبوا أعزاء وتركوه على آثارهم يقاسي الأسى والذل راغم الأنف.

وهناك ناحية أخرى سلبية فى قصائدنا هذه حيث إنها تكاد تخلو من التعرض للتفاصيل الدقيقة في احتلال المدن وما فعله بها وبأهلها الأعداء المهاجمين عليها،والدعوة للغزو والجهاد، والاستصراخ وطلب النجدة لإنقاذ بلادهم وماإلى ذلك مماقتضته طبيعة شعررثاء المدن.

وكذلك نلاحظ بأنه كان تفاعل معظمهم مع النكبة ذاتيافي حدود نفسه، فتفنن في استعمال معجم ألفاظ الأسى والألم، فنجد عنده الحسرات الحارة والزفرات الشديدة، والقلب المحرق بنار الشوق والبعد عن الوطن والأحباء والأقرباءوما إلى ذلك. وكانت المظاهر المذكورة مشتركة في القصائد المدروسة فى هذه الرسالة .

والآن أنا أتناول بعض الألوان التي ركزعليها كل من شعراء نا والأسلوب الذي تفرد به كل منهم بإيجاز.

أما أسلوب الشاعر شمس الدين الكوفي في رثائه على بغداد فنلاحظ فيه الأمور التالية:

1- قد وقف في قصيدتيه من رثائه على الأطلال، لعل ذلك تبعاًللأسلوب التقليدي للقصيدة العربية.

2-بأن تفاعله بالحادثة الكارثة كان ذاتياً لااجتماعياًولا دينياً إلافي بعض الأبيات بحيث جعل دمار بغداد وهلاك أهلها، وفقدهم فقد الهدى وزلزالها زلزال الإسلام كمايقول:

يَا دَارُ مُـــذْ أَفَـــــــلَتْ نُـــجُوْمُـــكِ عَمَّنَا

وَاللهِ مَـــــنْ بَـــعْـــــدِ الضِّـــــيَاء ظَلَامُ

فَـــلِـبُـعْـــدِهِمْ قَـــــرُبَ الرَّدَى وَلِفَقْـدِهِـــــمْ

فُـــقِـــــدَ الْـــهُـــــدَى وَتَـــزَلْزَلَ الْإِسْلَامُ[1]

ويقول في القصيدة النونية مخاطباً للدار:

أَيْنَ الَّذِيْـــنَ عَهِـدْتُهُمْ وَلِعِـزِّهِمْ ذُلًّا تَخُـرُّ مَـعَاقِدُ التِّـيْـــجَانِ

كَانُوْا نُجُوْمَ مَنِ اقْتَدَى فَعَلَيْهِـــمْ يَبْكِي الْهُدَى وَشَعَائِرُ الْإِيْمَـــانِ[2]

3- ركز على الأحزان والحسرات التي أصابته بسبب فقد الأحبة، ويفتتح قصيدتيه بأنات على فراق محبيه وكذلك ينتهي بذلك.

1- فوات الوفيات، للكتبى، ص: 232/2.

2- المرجع السابق ص: 234/2.

4- يجعل هذه الحسرات والذكريات فى مفارقة أصدقائه الذين يبحث عنهم دائماً حتى يردد ناظره في كل فئة من الناس وفي كل مكان ولكن لم ينجح في اللقاء بهم، حتى يسأل الديار والجدران عن موطنهم وخيمهم. وإذا لم يجد رداً يعاهد بهم بالبقاء على عهد المحبة والوفاء لهم إلى أن حرّم العيش بعدهم على نفسه. حيث يقول:

وَحَيَاتِكُمْ إِنِّـــيْ عَلَـــى عَهْدِ الْهَـــوَى بَاقٍ وَلَـــمْ يَخْفُرْ لَـــدَيَّ ذِمَامُ

فَدَمِـــيْ حَـــلَالٌ إِنْ أَرَدتُّ سِـــــوَاكُمْ وَالْعَيْشُ بَعْدَكُمْ عَلَيَّ حَرَامُ[1]

5- يبكي بقلب محرق بنار الحزن على خراب وطنه، ودمار بيوته، وفساد حدائقه، وفقد جماله وبشاشته،ثم يتمنى أن تعود مدينته إلى حالتها الأولى بكل مسراتها مع كل أدواتها ولكن يرجع غيربعيد يائساًمن عودتها إلى صورتها الأولى.

ولانرى في قصيدتيه صبغة ثقافته الدينية من الاستدلالب القرآن والحديث وآثار الصحابة في بيان أحوال النكبة وأسبابها من غلبة الله على أمره ومداولته الأيام بين الناس ونحس الغفلة عن امتثال أوامره والاجتناب عن نواهيه وما إلى ذلك رغم أنه كان واعظاً خطيباً.

1- فوات الوفيات للكتبى ص: 234/2.

6- تبع شاعرنا أسلوب عصره في الشعر العربي من استخدام الألوان البلاغية والإكثار منها والذي سنتحدث عنه في الفصل الذي يتعلق بالصور البلاغية بإذن الله.

وأما أسلوب الشاعر ابن شُهيد الأندلسي في رثاء "قرطبة" وهي مدينته الجميلة العريقة، عاصمة الخلافة الأموية والتي حدثت فيها التقلبات الكبيرة بسبب فتنة البربر التي شاهدها الشاعر بعينه وبكى عليها فجيد جداً يمكن أن نستخلص من قصيدته الأمور التالية:

1- افتتح الشاعر قصيدته بالوقوف على الأطلال.

2- نلاحظ تفاعله بالحادثة ذاتياً وإن كان أعم وأشمل.

3- شكى الزمان في تفرق سكان "قرطبة"هنا وهناك.

4- ظن أن البكاء عليها بالدموع لايكفي لإطفاء نار القلب المحرق والمحزون ولا لأداء حقها عليه.

5- رثى على مظاهرهاومشاهدها من الرياح والروائح والقصور خاصة القصرالملكي،ومسالك الأسواق الخالية المنتظرة لسالكيها.

6- صرح بأن مدينته "قرطبة" جنة دمرت ودمر أهلهابريح عاصف وغيرت من كل ناحية حتى تحولت إلى جهنم.

7- قارن بين ماضيها الأبيض الجميل وحاضرها الأسود القبيح.

8- وغرق قلبه بالحزن على هلاك العلماء والأدباء والظرفاء، وتحسرت نفسه على آلائها وصفائها وبهائها إلى أن أنهي قصيدته بالحسرات والأنات.

وأما قصيدة الغزولي في رثاء مدينته دمشق عندما أحرقتها الجيوش التيمورية، فيمكن أن نستخرج منها النكات التالية :

1- افتتحها مباشرة باللهف والحزن على معالم مدينته المتغيرة بسبب هجوم المغول عليها.

2- رثا حلب وحماة ودمشق كوحدة متسلسلة لاانفصال بينها وإن كان رثاؤه لدمشق أعمق،وأرق.

3- هجا في بعض أبياته غزاة جيوش العدو حيث يقول:

وقعت كلاب المغل في غزلانها وتحكمت في الحور والولدان [1]

4- ما نسي عند رثائه لمدينته "دمشق" أدوات العلم والمعرفة من كتب العلوم المختلفة المكتبات المليئة بالجواهر العلمية.

1- خطط الشام ص: 172/2.

وقصيدة شاعرنا الأوتارى في رثاء دمشق في نفس النكبة من أهم مارثيت به دمشق. ويشعر منها كل قارئ وسامع بأن قائلها قد مسته النكبة وهزمته المصيبة لأن العدوقدأعمل في قومه السيف والحرق، وأحدث الحوادث التي أذهلت المرضعة عما أرضعت، والأخ عن أخيه، والأب عن بنيه.

وهذه الصورة البائسة التي وصل إليها حال أهل دمشق لَتُحرِقُ القلب ناراً لما أصابتهم من الذلة والمهانة التي تعدى أثرها إلى من سمع بها ومنهم شاعرنا الأوتاري الذي رسم صورتها كمن شاهدها بعين رأسه وإن لم يشاهدها.ونستخرج من قصيدته الأمور الآتية :

- ❖ برز عنده الجانب الديني بصراحة فقد تحدث بألم وحزن عن بعض الأماكن ذاتالقدسية كحبل "قاسيون"والقول في البيوت المدمرة التي كانت تزخرف بالآيات والأحاديث.
- ❖ تفرد بمدح النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القصيدة الرثائية طالباً الاستشفاع به والاستغاثة به في لون منالوجد الصوفي.
- ❖ بين الفساد الذي انغمس فيه الناس جميعهم ولكن الشاعر رغم ذلك كله مطمئن إلى عاقبة الدين.

❖ أعلن التوبة بين يدي الله سائلاً إياه بتوسل رسوله – صلى الله عليه وسلم – أن يرحم قومه الذين وقعوافي أسر المغول فلاسيما الضعفاء من الرجال والنساء والولدان الذين كانوا يباعون كالرقيق بثمن بخس.

يقول في ختام قصيدته مستغيثا بالنبي صلى الله عليه وسلم:

لَسْتُ أَرْجُوْ غَيْرَ الْبَشِيْرِ شَفِيْعًا
عِنْدَ رَبِّيْ فِي الْمَنِّ بِالْإِنْجَادِ
يَا حَبِيْبَ الْإِلَهِ لَا تَتَخَلَّى
عَنْ عُصَاةٍ غَمَرَتْهُمْ بِالْأَيَادِي
يَا حَبِيْبَ الْإِلَهِ قَدْ مَسَّنَا الضُّرُ
فَجُدْ بِالْإِسْعَافِ وَالْإِسْعَادِ
يَا حَبِيْبَ الْإِلَهِ تُبْنَا إِلَى اللهِ
وَأَنْتَ الْعِمَادُ حَتَّى الْمِعَادِ
فَلَأَنْتَ الرَّحِيْمُ قَلْبًا وَلُبًّا
وَلَأَنْتَ الْهَادِي لِسُبُلِ الرَّشَادِ
وَلَأَنْتَ الْبَدِيْعُ خَلْقًا

وَخُـلُقًاوَلَأَنْـتَ الـسَّـمِـيْـعُ لِلْإِنْـشَـادِ[1]

1- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى، ص: 228/5.

المطلب الثالث: خواتيم القصائد الرثائية

والخاتمة هي "مايسوقه الشاعر من عبارات تدل على نهاية النص،وتشعر بالخروج منه.[1]

ولا تقل الخاتمة في الأهمية وشروط الجودة عن المطلع لأنها آخر ما يبقى في الأسماع[2] حتى يسميه بعض النقاد حسن المقطع وأرادوا به حسن الخاتمة.

فلا بد للشاعر أن ينتهي كلامه بالمعنى البديع واللفظ الحسن الرشيق، وأن يعنى بخاتمة قصيدته عناية كبرى"وأن يتأنق فيها غاية التأنق، وهي آخر ما ينتهي إليه السمع وأن يكون مشعرا بتمام الكلام بحيث يكون واقعاً على آخرالمعنى فلا ينتظر السامع شيءا بعده"[3]

ومن أشهر أنواع الخواتيم الدعاء والتوريات التى تومئ إلى كمال القصيدة وختامها فلا يبقى بعده مترقب لازدياد خبر.

1- القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري، الظواهر والقضايا والأبنية، الدكتور عبدالحميد عبد الله الهرامة، الطبعة الثانية، 1429هـ 1999م، دارالكاتب طرابلس، ص: 176/2.

2- بناء القصيدة العربية ص: 301.

3- جواهر الأدب فى أدبيات وإنشاء لغة العرب ــ السيد أحمد الهاشمى، طبعة سنة 1425هـ 2004م، المكتبة العصرية، بيروت، ص: 45/1.

ولكن هناك من يقبح ختم القصيدة بالدعاء ويراه "من عمل أهل الضعف "[1]

ربما لذلك لم نلاحظ الخاتمة بالدعاء فى قصيدة من قصائدنا باللغة العربية المقترحة للبحث.

1-الحزن والألم: القصائد العربية التي اخترناها للدراسة والتحليل من بين قصائد رثاء المدن بديعة في موضوعها، ومعظم قائلها غارق في الألم والحزن والمأتم الدائم لحالة مدينته المدمرة المحولة من جنتها إلى جهنمها.فهومندهش لشدة الهول الذي لحق بمدينته وبأهلها في النكبات المقترحة للدراسة.

ونرى شعراءناأنهم انغمسوا في الحزن والبكاء،وقد أدواحق الرثاء على مدنهم، وهذا كله يدل على حبهم الشديد لوطنهم والإخلاص له حتى أنهم كما افتتحووا قصائدهم بالأنات والزفرات على مأساة مدنهم، كذلك اختتموها بالآهات والحسرات على دمارها وخرابها وهلاك أهلها وما إلى ذلك من أجزاء المأساة الحزينة المؤلمة:

فهذا شاعرنا شمس الدين الكوفي الذي بدأ باكياً في قصيدتيه على فراق أحبائه وأنهاهما بالدموع إلاأن الأسلوب في ختام قصيدته الميمية كان أسلوب الاعتذارعن أصدقائه بعدم اختياره الفراق عنهم وعدم الرضا عليه كي لايغضبوا منه كمايقول

1- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقد، للحسن بن رشيق القيروانى، تحقيق د/عبد الحميد هندوانى، الطبعة الأولى 1422هـــ 2001م، المكتبة العصرية، بيروت ص: 211/1.

بصراحة تامة إن هذا الفراق قدحكمت به الأيام من غيررضائه واختياره له بحيث يقول في مقطع قصيدته الميمية :

وَاللهِ مَـــا اخْـــتَـــرْتُ الْـفِـــرَاقَ وَإِنَّـمَـا

حَـكَـمَـتْ عَـــلَـــيَّ بِـــذَلِـــكَ الْأَيَّـــامُ[1]

وفي ختام قصيدته النونية جعل البكاء والنوح والحسرات والأحزان أنيساً له على فراق أحبته، والبعد عنهم حتى طرأ عليه اليأس،والقنوط،ولايرجو لقاءهم، وفي هذه الحالة يسألهم عن موطنهم وخيمهم حيث يقول:

يَالَيْتَ شَعْرِيْ أَيْنَ سَارَتْ عِيسُكُمْ أَمْ أَيْنَ مَوْطِنُـــكُمْ مِنَ الْبُلْـــدَانِ[2]

ويختم ابن شهيد الأندلسي قصيدته في رثاء مدينته " قرطبة " بقلب كئيب محرق بنار اللهفات والآهات على القضاء على معالم مدينته الثقافية والاجتماعية والجغرافية. وهويتحسرعلى هلاك العلماء والظرفاء، والرواة والثقاة والحماة. ويمكن أن يلاحظ كل قارئ عاطفته الجياشة الحزينة في مقاطع قصيدته حيث يقول:

حَزَنِيْ عَلَى سَرَوَاتِهَا وَرُوَاتِـــهَا وَثِـــقَاتِهَـــا وَحُمَاتِهَا يَتَـــكَرَّرُ

نَفْسِيْ عَـــلَى آلَائِهَا وَصِفَاتِـــهَا وَبَهَائِهَا وَسَنَائِـــهَا تَتَحَـــسَّرُ

1- فوات الوفيات، للكتبى، ص: 232/2.

2- المرجع السابق ص: 233/2.

كَـبَدِيْ عَلَى عُلَمَائِهَا حُلَمَائِهَا أُدَبَائِـهَا ظُرَفَائِـهَا تَتَفَـطَّرُ[1]

وأماالشاعر علي ابن عبد الله البهائي الغزولي الدمشقي فنلاحظه غارقاً في اللهفات لفساد مدينته وخرابها وهو كما بدأ بالتأسف على دمار مدينته التي تغيرت معالمها ومشاهدها كذلك اختتمها إلا أنه جاشت عاطفته بإحصاء معالمها من الجامع والبروج والوديان والأنهاروالبركتين وكتب العلوم ومايلى ذلك من المعالم التي لها منزلة في ازدياد حسن المدينة وجمالها إلى أن ختم قصيدته بالتلهف على تغير تلك المعالم وهو يحس كأن المدينة كانت باب الجنة ومقام الفردوس فتحولت إلى ضدها كما يقول في مقطع قصيدته:

لَهَـفِيْ عَلَـيْـكِ مُنَـازِلًا وَمَـنَـازِهَـا

وَمَقَـامَ فِـرْدَوْسٍ وَبَـابَ جِـنَـانِ[2]

2- **الاستغاثة** :[3]انفرد شاعرنا الأوتاري الدمشقي في ختام قصيدته حيث التهبت مشاعره فيه فلم يجد منجداً إلا النبي – صلى الله عليه وسلم – فبدأ يستغيث به في حالة من الوجد الصوفي حتى احتوى ختام قصيدته خمسة عشر بيتاً واستمر في مدح النبي – صلى الله عايه وسلم– إلى

1– ديوان ابن شهيد ص 90 وتاريخ الأدب الأندلسى (عصر سيادة قرطبة) ص: 177/1.

2– خطط الشام، للكرد ص: 172/2.

3- لا يجوز الغلو فى الاستغاثة بالنبي - صلى الله عليه وسلم – عند العلماء . الباحث.

نهاية القصيدة. وأوضح الفساد الذي انغمس فيه الناس،وإعراضهم عن طرق الخير والسداد حتى أصابهم العار والدمار حيث يقول:

يَا تَـــرَى هَـــلْ لِـكُـرْبِنَا مِـنْ مُـجِـيْـــرٍأَمْ
لِتَـشْـدِيْـدِ أسْـــرِنَا مِـــنْ مُـفَـــادِيْ
لَـسْـــــتُ أرْجُـوْ غَـــيْـرَ الْبَشِيْرِ شَفِيْعًا
عِـنْـــدَ رَبِّـــيْ فِـــي الْـــمَـــنِّ بِالْإِنْجَادِ
يَا حَـبِـيْـبَ الْإِلَـــهِ لَا تَـتَـخَـلَـــى
عَـــنْ عُصَـــاةٍ غَـــمَرَتْهُمْ بِالْأَيَـادِي
يَا حَـبِـيْـبَ الْإِلَـهِ قَدْ مَسَّـــنَا الضُّـــرُّ
فَـجُـــدْ بِـالْإِسْـــعَـــافِ وَالْإِسْعَادِ
يَا حَـبِـيْـــبَ الْإِلَـهِ تُبْـنَا إِلَـــى اللهِ
وَأَنْـتَ الْـعِـمَـــادُ حَـــتَّى الْمِعَادِ
فَـلَأَنْـتَ الـرَّحِـيْـمُ قَـلْـبًـا وَلُـــبًّـا
وَلَأَنْـتَ الْهَـــادِي لِـسُـبُـــلِ الـــرَّشَادِ
وَلَأَنْـــتَ الْـبَـدِيْـعُ خَـلْـقًـا

وَخُـــــلْقَاوَلَأَنْـــتَ الـــسَّمِـــيْـــعُ لِلْإِنْـــشَـــــــاد[1]

1- نهاية الأرب فى فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – الطبعة: الأولى 1424 هـ – 2004 م ص: 227/5.

المبحث الثاني: دراسة الموسيقى للقصائد

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وزن القصائد وأهميته في العمل الأدبي

المطلب الثاني: قافية القصائد وأهميتها في العمل الأدبي

المطلب الثالث: روي القصائد وأهميته في العمل الأدبي

المطلب الأول: وزن القصائد وأهميته في العمل الأدبي

يقوم هذاالمبحث بإحصاء البحور الشعرية المستخدمة في القصائد المقترحة للدراسة لمعرفة الشائع منها وعلاقة ذلك بالغرض الأساسي كما سيقف عند قوافي الشعر باعتبارها تاج الإيقاع وقراره الذي ينتهي إليه؛ليكشف عن الدلالة الخفية والجمالية لحرف الروي ودوره في إبراز المعنى،والإبانة عن الحالة النفسية والشعورية لدى الشاعر، وكذلك تهتم الدراسة بالوقوف على الخصائص الصوتية كالجهروالهمس والأصوات القوية والأصوات الضعيفة، وعلاقة هذا بالمعنى.

ولاشك أن موسيقى الشعر ممثلة في أوزانه وقوافيه وهي سمته الواضحة التي لا غموض فيها ولا إيهام، وهي التي تضيف إلى الكلمات حياة فوق حياتها، وهي تصل بمعاني الشعر إلى قلوبنا بمجرد سماعه[1]، "فالصوت والنغم جانب هام للتجربة في الشعر"[2]

1- فيالنقد الأدبي، د/عبد العزيز عتيق، طبعة سنة 1972م دارالنهضة العربية، بيروت، ص:171.

2- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د/ محمد زكي العشماوي، الأسكندرية، الطبعة الثالثة1978م، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ص:305.

وموسيقى الشعر وأوزانه هي التي تمكن الكلمات من أن يؤثر بعضها في بعضها الآخر على أكبر نطاق ممكن،ووصف الوزن بأنه مخدرأو مهيج أو... هو دليل على قدرة الوزن علىالتحكم في الانفعال بطريق مباشر[1]، والشاعر لا ينطق شعره فحسب، بل يحاول أن ينغمه، ينغم ألفاظه وعباراته، حتى ينقل سامعيه وقارئيه من اللغة المادية التي يتحدثون بها في حياتهم اليومية[2] إلى لغة موسيقية ترفعهم من عالمهم الحسي إلى عالمه الشعري.

والموسيقى لها ارتباط قوي بالموضوع، فهى "ليست الوزن السليم وإنما الموسيقى الحقة هي موسيقى العواطف والخواطر، تلك التي تتواءم مع موضوع الشعر وتتكيف معه"[3]

الوزن:

والوزن ركن هام في الشعر،وهو روحه ونكهته،والنقاد مع اختلاف مشاربهم وتباين مناهجهم متفقون على كون الوزن ركناً أساسياً،وهو الذي يمنح الكلام شعريته، إذا سقط سقطت معه شعرية هذاالكلام، وهو يُضفي على الموضوع شيءاً غيرَ يسير

1- في النقد الأدبي، عتيق، ص: 170.

2- في النقد الأدبي، د/ شوقي ضيف، الطبعة التاسعة1962م، دار المعارف، القاهرة، ص:113.

3- الهمس في الشعر السعودى، ص: 97. نقلاً عن: الشعر المعاصر على ضو ء النقد الحديث، مصطفى عبد العزيزالسحرتى، ص:107.

من الرونق والجمال وهوما يميّزه من النثر عند كثير من النقاد العرب القدماء، وأنّ الشعر صناعة فالوزن والقافية قيدان من قيودها، وعلى الشاعر أن يلتزم بهما لتتمّ هذه الصناعة جيداً، ومن هنا تكون صناعة الشعر أصعب من صناعة النثر، وهي مقيَّدة بقيود لا يلتزم بها الناثر، كما فسَّره ابن سلاّم الجمحي في قوله: "المنطق على المتكلّم أوسع منه على الشاعر، والشعر يحتاج إلى البناء والعروض والقوافي، والمتكلّم مطلق يتخيّر الكلام".[1]

ويدل علي أهمية الوزن في الشعرحدوده المنقولة عن النقاد الكبار وأذكربعضها فيمايلي:

فالشعر عند قدامة بن جعفر: "قول موزون مقفي يدلُّ على معنى"[2]، وهو عند ابن فارس: "كلام موزون مقفي دلَّ على معنى ويكون أكثر من بيت... لأنه جائز اتفاق سطر واحد بوزن يشبه وزن الشعر عن غير قصد"[3]، وقول أبي العلاء المعري، على لسان إحدى شخصياته في رسالة الغفران: "والشعر كلام موزون تقبله

1- طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مصر، ص: 56/1.

2- نقد الشعر، قدامة بن جعفر تحقيق: كمال مصطفى، 1963م، مكتبة الخانجي، مصرص:64.

3- الصاحبي، ابن فارس، تحقيق:السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ص: 465.

الغريزة على شرائط، إذا زاد أو نقص أبانه الحس."[1]و"هو عند ابن خلدون: "الكلام الموزون المقفي ومعناهُ الذي تكون أوزانه كلّها على رويّ واحد وهو القافية "[2]

ولا تقتصر أهمية الوزن في الشعر على الشعر العربي، وإنّماهى صفة من أهمّ صفات الشعر في اللغات كلها، حتى لم يكتفِ أرسطو بالحديث عن أهمية الوزن في الشعر، وإنما هو حدّد الوزن الذي يلائم موضوع الشعر أوجنسه؛ فبعض الأوزان صالح للرقص وآخر للدراما، وسواهما للملحمة، "والتجربة تدلّنا على أن الوزن البطولي هو أنسب الأوزان للملاحم، ولواستخدم امرؤ في المحاكاة القصصية وزناً آخر أوعدّة أوزان لبدت نافرة، لأنّ الوزن البطولي هو الأرزن والأوسع، ولهذا لم يضع شاعر تأليفاً واسعاً في بحر آخر غير البحر الطويل.... إن الطبيعة نفسها هي التي تهدينا إلى اختيار أنسب الأوزان" [3].

وظائف الوزن: وللوزن وظائف وتأثيرات في بنية القصائدوتفاعلاتها والانفعالات الطبيعية لدى الشاعر والمتلقي معاً. والعلاقة بين الأوزان والقوافي

1- رسالة الغفران،أبو العلاء المعرى، الطبعة السادسة بدون السنة دار الكتب العلمية، ص:103.

2- المقدمة، ابن خلدون، تحقيق: على عبد الواحد وافى، بدون السنة والطبعة، لجنة البيان العربى، ص: 566.

3- فنّ الشعر، ترجمة:عبد الرحمن بدوى، 1952م، دار الثقافة، بيروت، ص: 68.

والمعاني كانت مركز اهتمام النقاد القدامى والمحدثين[1]وذهب بعض النقاد إلىأن لكل غرض شعري وزناً يتناسب معه؛ فقد سعى بعضهم إلى تحديد بحور معينة لصياغة بعض الأغراض الشعرية رائياً أن "الحركات القصيرة تجعل البحر سريعاً، بخلاف الطويلةالتى تجعله بطيئاً، وتلائم الأولى الموضوعات العنيفة، بينما تلائم الأخرى الهدوء والحزن وما إليهما" ورأى بعض النقاد أن التجربة الشعورية والانفعالات المحتدمة داخل نفس الأديب هي التي توحي باختيار الوزن المتناسب مع معاناته.[2]

والوزن يقوّي حالات الاهتزاز والانفعال الطبيعي لدى الشاعر والمتلقي معاً، ويكون ذلك ضمن تموّجات صوتية دالة على الحالة الداخلية، وكلما ازداد الانفعال اقترب الحديث العادي من الوزن الشعري، ولذلك لم يكن الوزن شيءاً غريباً عن الحالة الشعرية، وليس هو قيداً، وإنّما يتوالد الوزن من المعنى، ويتوالد المعنى من الوزن، وهما يتوالدان من الحالة الشعرية، ولذلك لا تجوزالترجمة في الشعر، فهو لا

1- شعر الرثا ء في عهد النبوة والخلافة الراشدة، رسالة الماجستير، إعداد: أحمد بن علي ناصر الشرفي، المسجلة 1414هـ 1994م، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ص: 352.

2- الفن ومذاهبه في الشعر العربى، د/ شوقي ضيف، الطبعة الحادية العاشرة 2009م،دار المعارف، القاهرة، ص: 72.

يفقد موسيقاه فحسب، وإنَّما هو يفقد جزءاً من معناه الكامل"[1]. كما يفصل الدكتور إبراهيم أنيس هذا الأمر بقوله: ونحن مطمئنون أن نقرر أن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزنا طويلا كثير المقاطع يصب فيه من أشجانه ما ينفس عنه حزنه وجزعه. فإذا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي، وتطلب بحرا قصيرا يتلاءم سرعة التنفس وازدياد النبضات القلبية. ومثل هذا الرثاء الذي قد ينظم ساعة الهلع. والفزع لا يكون عادة إلا في صورة مقطوعة قصيرة لا تكاد تزيد أبياتها على عشرة. أما تلك المراثي الطويلة فأغلب الظن أنها نظمت بعد أن هدأت ثورة الفزع، واستكانت النفوس باليأس والهم المستمر.[2]

ولكنكل هذا يبقى افتراضات ولا يعتبر أمراً حاسماً، فمثلاً عاطفة الحزن تتراوح وتتباين بين القوة والضعف[3] عند الشعراء بعامة وعند الشاعر الواحد بخاصة؛ فقد ينظم الشاعر في شخص واحد مرثيتين أو عدة مراث يخالف فيها بين

1- موسيقى الشعر، إليوت:، ترجمة.د.محمد النويهى فى كتاب "قضية الشعر الجديد"1971م مكتبة الخانجي ودار الفكر، ص: 19.

2- موسيقى الشعر، الدكتور إبراهيم أنيس، الطبعة الثالثة 1965م مكتبة الأنجلو المصرية ص: 178.

3- الصورة في شعر الرثاء الجاهلى، صلوح بنت مصلح السريحى رسالة الدكتوراه، 1419 هـ - 1998م كلية التربية للبنات بجدة، ص: 255.

الأوزان؛ فـشعر الرثاء توحده عاطفة الحزن ومع هذا تتباين أوزانه"[1] ويمكن عرض كثير من الأمثلة عليه،لذلك أرى أن اختيار البحر المناسب لموضوع من الموضوعات ثم إبداع الشعر وفقه عمل المتكلفين من الشعراء، وأما الشعراء المطبوعون ذوو التجربة الصادقة، فإن الانفعال يُظهر ما يجيش في صدورهم على ألسنتهم بصورة كلام موزون على واحد من بحور الشعر،وللشاعر أن يصححه وينقحه بعد ذلك، ويستبدل الألفاظ وغيرها كما يشاء ويختار.

وقد ذهب بعض النقاد إلى أن هناك تفاوتاً بين الموسيقى في الشعر الأحادي التفعيلة أو الثنائي التفعيلة، ورأى أن الموسيقى في الأول أغنى منها في النوع الثاني.[2]يقول لسان الدين ابن لخطيب راثياً أباه من بحرالطويل وهو ثنائي التفعيلة:

وإنّـا وإن كـنا علـى ثبج الـدنيا فلابـد يومـا أن نـحل علـى الـشطّ[3]

يقول ابن شهيد الأندسي راثيا العلماء الهالكين خلال نكبة قرطبة من بحر الكامل، وهو أحادي التفعيلة:

كَـــبَدِيْ عَلَى عُلَمَائِهَا حُلَمَائِـــهَا أُدَبَائِـــهَا ظُـــرَفَائِـــهَا تَتَفَـطَّرُ[4]

1- الصورة في شعر الرثا ء الجاهلى، ص: 249.

2- القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجرى،ص: 217/2.

3-ديوان لسان الدين بن الخطيب السلمانى، تحقيق: الدكتور محمد مفتاح، الدار البيضاء، دار الثقافة 1409هـــ 1989م ص: 463/2.

4- ديوان ابن شهيد، ص:93/1، 94.وتاريخ الأدب الأندلسى ص: 181/1.

فالطويل تفعيلاته:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

بينما الكامل:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

فإن قراءة البيت الأول لا تسير على نمط واحد، وإنما يقصر فيها المقطع الأول والثالث عن الثاني والرابع فى كل شطر، ومن ثم فإن هذا يقلل من شأن موسيقى البيت. أما البيت الثاني فإن موسيقاه متساوية يسير فيها البيت على نمط واحد.

ومن هنا جاءت عناية الشعراء ببعض المحسنات البديعية كالجناس والمقابلة ورد العجز على الصدر أكثر من غيرها، وذلك لمافيها من رنة موسيقية ذات تأثير حسن، فهذ االجناس الذي ليس هو إلا تفنناً في طرق ترديد الأصوات في الكلام حتى يكون له نغم موسيقي تستلذه الأسماع، وتلك المقابلة التي لها دور كبير في شد أواصرالتناسق الموسيقي حيثما تعمل على توازن كل لفظ مع اللفظ المقابل له في العبارة التالية. وفي رد العجز على الصدر الذي يقوم على ترديد كلمة أو كلمات بعينها في صدر البيت وعجزه فإنه بالإضافة إلى إظهار العناية بالكلمة المكررة

لفظاًومعنى يزيد من رنة الأوزان.كقول ابن شُهيد الأندلسي في رثاء مدينته " قرطبة":

مَا فِي الطُّلُولِ مِنَ الْأَحِبَّةِ مُخْبِرٌ فَمَنِ الَّذِيْ عَنْ حَالِهَا نَستَخْبِرُ[1]

فترديد كلمة "تستخبر" في العجز بعد كلمة "مخبر" في الصدر زاد نغمة البيت والجناس[2] كمافي الأبيات الآتية لشاعرنا شمس الدين الكوفي في رثائه لبغداد:

إِنْ لَّمْ تَقَرَّحْ أَدْمُعِيْ أَجْفَانِيْ

مِنْ بَعْدِ بُعْدِكُمْ فَمَا أَجْفَانِيْ

إِنْسَانُ عَيْنِيْ مُذْ تَنَاءَتْ دَارُكُمْ

مَا رَاقَهُ نَظَرٌ إِلَى إِنْسَانُ

مَا لِيْ وَلِلْأَيَّامِ شَتَّتْ صَرْفُهَا

حَالِيْ وَخَلَّانِيْ بِلَا خِلَّانِ[3]

فالجناس بين: "أجفاني،أجفاني"و(إنسان عيني،وإنسان) و(خلاني، خلان).

1- ديوان ابن شهيد ص 90/1، وتاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) ص: 178/1.

2- الجِنَاسُ أَنْ يَتَشَابَهَ اللفظانِ في النُّطْقِ وَيَخْتَلِفَا في الْمَعْنَى. وهو نَوْعانِ:(أ) تَامٌّ: وهو ما اتَّفَقَ فيه اللفظان في أمورٍأربعة هيَ: نَوْعُ الحُروفِ، وشَكْلُهَا، وعَدَدُها، وتَرْتِيبُها. (ب) غَيْرُ تَامٍّ: وهو ما اخْتَلَفَ فيه اللفظان في واحدٍ مِنَ الأمور الْمُتَقَدِّمة. انظر: البلاغة الواضحة، لعلى الجازم، ومصطفى أمين، قديمى كتب خانه كراتشى، ص: 260 و، الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق الشيخ بهيج غزاوى، دار إحياء العلوم بيروت، ص: 354.

3- فوات الوفيات للكتبى ص: 234/2.

يزيد نغم الموسيقى ورنتها.

أجفاني الأولى: بمعنى الأجفان مفردها جفنوالثانية أجفى: للتعجب من جفا يجفو أى غلظ وثقل، الإنسان في إنسان العين معناه: سودها، وكلمة الإنسان الثاني في معناها المتعارف.وكذلك نجد التشابه في اللفظ بين" خلاني"، و "خلان" مع أنهما مختلفتان في المعنى.

وفي أغلب الأحيان يتحقق نجاح الشاعر حينما يوفق لبحر ملائم معانيه وألفاظه،لأنه يحصل بذلك تكامل بين أجزاء القصيدة الرئيسية.

فإلى أي حد تحقق هذا التكامل في شعر رثاء المدن ولاسيما في القصائد التي اقترحناها للدراسة في هذا البحث القصائد المختارة للدراسة عددها ستة، أربع منها جاءت على الكامل [1]الذي يصلح لجميع الأغراض الشعرية فلذلك شاع استعماله عند القدامى والمحدثين.[2]

1- سمي كاملا لتكامل حركاته وهي ثلاثون حركة، ليس في الشعر شيء له ثلاثون حركة غيره. والحركات وإن كانت في أصل الوافر مثل ما هي في الكامل فإن في الكامل زيادة ليست في الوافر، وذلك أنه توفرت حركاته ولم يجئ على أصله، والكامل توفرت حركاته وجاء على أصله، فهو أكمل من الوافر فسمّي بذلك كاملا.س. ويصلح الكامل لجميع أغراض الشعر، ولهذا فقد كثر استعماله عند القدامى والمحدثين انظر علم العروض التطبيقي، د/ نايف معروف، ود/عمر الأسعد ص: 276..ووزن البحر الكامل الأصلي:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

2- علم العروض التطبيقي، د/ نايف معروف، ود/عمر الأسعد ص: 276.

وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله – إن أريد به الجد – فخما جليلا مع عنصر ترنمي ظاهر[1]ومنها قصيدتاالشيخ شمس الدين الكوفي في رثاء " بغداد "، الميمية ومطلعها:

عِـــــنْـــــدِيْ لِأَجَـــلِ فِـــــرَاقِـــــكُمْ آلَامُ

فَـــــإِلَامَ أُغـــــذَلُ فِـــــيْـــــكُمْ وَأُلَامُ[2]

والنونية ومطلعها:

إِنْ لَّـــمْ تَـقَـرَّحْ أَدْمُـعِـيْ أَجْـفَـــانِـــيْ

مِـــنْ بَعْـدِ بُـعْـدِكُـمْ فَـمَـا أَجْـفَـــانِـــيْ[3]

والقصيدة الثالثة من قصائدنا التي ركبها صاحبها على بحر الكامل هي قصيدة ابن شُهيد القرطبي الأندلسي في رثاء " قرطبة " ومطلعها:

مَا فِي الطُّلُولِ مِنَ الْأَحِبَّةِ مُخْبِرٌ فَمَنِ الَّذِيْ عَنْ حَالِهَا نَسْتَخْبِرُ[4]

1- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطبيب، الطبعة الرابعة سنة 1991م، دار جامع الخرطوم للنشر، ص: 302/1.

2- فوات الوفيات، للكتبي، ص: 232/2.

3- المرجع السابق ص: 234/2.

4- ديوان ابن شهيد ص: 1/ 90

والرابعة منها قصيدة علي بن عبد الله البهائي الغزولي الدمشقي في رثاء مدينته الجميلة " دمشق "التي مطلعها:

لَهَفِيْ عَلَى تِلْكَ الْبُرُوْجِ وَحُسْنِهَا حَفَّتْ بِهِنَّ طَوَارِقُ الْحَدَثَـانِ[1]

وواحدة من الست على بحرالخفيف[2] وهي قصيدة الأوتاري البديعة في رثاء "دمشق" ومطلعها:

لَـكَ عِلْمٌ بِمَا جَـرَى يَا سُهَادِيْ مِنْ جُفُوْنِيْ عَلَى افْتِقَادِرُقَادِيْ

وكذلك واحدة منها على بحر المتقارب.[3]

1- خطط الشام ص: 172/2.

2- سمي خفيفا لأن الوتد المفروق فيه اتصلت حركته الأخيرة بحركات الأسباب فخفت، وقيل سمّي خفيفا لخفته في الذوق والتقطيع، لأنه يتوالى فيه لفظ ثلاثة أسباب، والأسباب أخف من الأوتاد. انظر:علم العروض التطبيقي، د/نايف معروف، ود/عمرالأسعد ص: 278.ووزن البحر الخفيف:

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

3- سمي متقاربا لتقارب أوتاده بعضها من بعض لأنه يصل بين كل وتدين سبب واحد فتتقارب الأوتاد، فسمي لذلك متقاربا.ويُلفظ المتقارب بكسر الراء وفتحها والكسر هو الأشهر في المصطلح العروضي الشائع.ويصلح المتقارب للموضوعات التي تتسم بالشدة والقوة أكثر من صلاحه لمواطن الرفق واللين. وقد نظم الشاعر الفردوسى شاهنامه الشهيرة المؤلفة من ستين ألف بيت على هذا البحر. انظر علم العروض التطبيقي، ص: 275. وزن البحرالمتقارب:

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن

وهي قطعة ابن شُهيد الثانية في البكاء على " قرطبة " وأبدعها وهو في السجن حيث يكون موقف الرجل في السجن أكثر شدة في الصرخ والاستغاثة من موقفه إذاكان يكون في الخارج حراً طليقاً،فكان هذا البحر أوفق لحالة الشاعر ومطلعها:

عَجُوْزٌ لَعَمْرُ الصبَا فَانِيَـــةٌ لَهَا فِي الْحَشَا صُورة الْغَانِيَة [1]

1- ديوان ابن شهيد ص: 101.

المطلب الثاني: قافية القصائد وأهميتها فى العمل الأدبى

القافية في اللغة :

هي في اللغة من القَفْو، وهو الاتباع على وزن فاعلة،؛ يقال "قفيته غيري، وبغيري: أتبعته إياه، وفي التنزيل: "ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا"[1] وفلان قفي أهله، وقفيتهم: أي خلف منهم، لأنه يقفو آثارهم في الخير، وفي حديث الاستسقاء أن عمر رضي الله عنه قال:"اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ، وَقَفِيَّةِ آبَائِهِ".[2] والقافية من الشعر: الذي يقفو البيت.[3]

وإنما قلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها، وسُمي المعنى المراد هنا بذلك؛ لأن الشاعر يقفوه أي يتبعه، فالقافية على هذا بمعنى مقفوة مثل قوله تعالى: (فَهُوَ فِي

1- سورة الحديد 27.

2- شرح السنة، محيى السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوى، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد زهيرالشاويش، الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م المكتب الاسلامى - دمشق، بيروت، ص: 411/4.

3- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن على بن إسماعيل بن سيده المرسى، تحقيق:عبد الحميد هنداوى، 2000م دارالكتب العلمية - بيروت، ص6: /659.

عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ)[1]أي مرضية، وقيل: لأنه يقفو ما سبق من الأبيات، أو لأنه يقفو آخر كل بيت[2]

القافية في الاصطلاح:

اختلف العلماء في تحديد القافية، فذكر الخليل أنها من آخر حرف ساكن في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن، أما الأخفش فقد رأى أن القافية آخر كلمة في البيت، وقال قطرب: إن القافية هي الحرف الذي تبنى عليه القافية، وابن كيسان يرى أنها كل شيء يلزم إعادته في آخر البيت. ومنهم من يسمى البيت قافية، ومنهم من يسمى القصيدة قافية،وهناك من يرى أن النصف الأخير من البيت هو القافية[3] والذي أخذ به العلماء هو قول الخليل، فصار تعريفها بتغييربسيط أى هو الساكنان اللذان في آخر البيت مع ما بينهما من الحروف

1- الحاقة 21.

2- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوى، تحقيق: د/ محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، 1410هـ دار الفكر المعاصر، دارالفكر، بيروت، ص: 569.

3- كتاب القوافي، على بن عثمان الإربلى، تحقيق: د/ عبد المحسن فراج القحطانى، الطبعة الأولى 1417هـ - 1997 م، الشركة العربية للنشر والتوزيع، ص: 78- 85.

المتحركة، ومع المتحرك الذي قبل الساكن الأول[1]، وبذلك فإن القافية قد تبدأ من بعض كلمة حتى تصل إلى ست حروف، وذلك باعتبار الضمائر، فمن أمثلة ست حروف: مالي وله. وبعض كلمة وخمس حروف: مقدماً لي وله. وخمس حروف: لي وله. و بعض كلمة وأربع كلمات: عندي ولي. وأربع كلمات: فيه به. وبعض كلمة وثلاث كلمات: عندي له. وثلاث كلمات: من بعده. وبعض كلمة وكلمتين: أولى لك. وكلمتين: صاحبي. وبعض كلمة وكلمة: مستخْبري. وكلمة واحدة: منزل. وبعض كلمة: حصونا.[2]

أهمية القافية :القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى الكلام شعرًا حتى يكون له وزن وقافية ؛ فهما أساسان في الشعر. والقافية تعطيه نغمة موسيقية رائعة، و تعين الشاعر على التتابع، وصب انفعالاته، وتجديد نشاطه،[3]كما أنها "تؤدي في ذات الوقت دوراً دلالياً واضحاً في كيانها (أي القصيدة) وصياغة بنية جملها الشعرية بشكل مركز مكثف؛ لأن كلمات القوافي دوالّ بينها تشابه صوتي ولكنها

1- موسيقا الشعر العربى بين القديم والجديد، د/عزة محمد جدوع، الطبعة الثالثة 1424هـ-2003م، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ص:266-264.

2- كتاب القوافى، للإربلى، ص: 90.

3- الإيقاع في الشعر العربى، أبو السعود سلامه أبو السعود، بدون السنة، دار الوفا ء، الأسكندرية، ص:97.

مختلفة في مدلولاتها"،[1] والقافية بتكرارها الدائم والمتتابع في جميع أبيات القصيدة لها دور كبير في ربط أبيات القصيدة بعضها ببعض، كما أنها تلتحم مع المعنى العام للقصيدة، وتوحي بجوها سواء أكانت قافية مطلقة تعج بالحركة والحيوية، وينطلق الصوت من خلالها أم قافية مقيدة ساكنة تبعث الهدوء والسكون.[2]

وظائف القافية :

1. تدل على نهاية البيت أوالشطر الشعري.
2. ولها دور هام في ربط أبيات القصيدة فيما بينها.
3. هي تحمل من الإيحاءات التي قد تعكس نفسية صاحب القصيدة أو الشاعر.
4. إنها تخلق نغمة موسيقية تساعد على فهم بنية القصيدة ودلالتها.
5. إنها تُعَيِّن نوع الروي منذ البيت الأول، خاصة إن توافق عروضه بضربه في طبيعة القافية.[3]

1- موسيقا الشعر العربى بين القديم والجديد، ص:267.

2- الصورة فى شعر الرثاء الجاهلى، صلوح بن المصلح السريحى، ص:264.

3 – كتاب القوافى، للإربلى، ص: 92.

أقسام القافية :تتقسم القافية تبعاً لحرف الروي إلى قسمين هما: القوافي المطلقة وهي ما كان حرف الروي[1] فيها متحركاً، وسميت مطلقة لأنها غير ممنوعة من الحركة[2]، أماالقوافي المقيدة فهي ماكان حرف الروي فيها ساكناً[3]، وسميت مقيدة لأنها ممنوعة من الحركة امتناع المقيد[4].ولأن الشاعر في شعر الرثاء يحتاج لرفع صوته للإعلان عن مصابه وحزنه من ناحية، ولتفريغ شحنة الحزن والألم من ناحية أخرى فيلجأ للقافية المتحركة لتعكس حركة الأنفاس[5] المضطربة والمشاعر المتأججة، فتتنوع الحركة بين الفتح والضم والكسر، والقافية المطلقة أكثرعناية بالموسيقى، وأجمل وقعاً في الأسماع.[6]

وأماالقافية في قصائدنا من حيث الإطلاق والتقييد فهي مطلقة في جميع القصائد، وقد ابتعد الشعراء عن القوافي الساكنة التي توحي بالجفاف والصمت الذي لايوافق حال الشاعر المتفجع. وقد لجأالشعراء إلى القوافي المطلقة التي أوفق لحال

1- موسيقى الشعر العربى بين القديم والجديد، ص: 260.

2- موسيقى الشعر العربى، د/ عيسى على العاكوب، الطبعة الأولى 1417هـ-1997م، بيروت دمشق دار الفكر المعاصر- دار الفكر، ص: 181.

3- موسيقى الشعر العربى بين القديم والجديد، ص: 260.

4- المرجع السابق، ص: 181.

5- الصورة فى شعر الرثا ء الجاهلى، ص: 265.

6- موسيقى الشعر العربى بين القديم والجديد، ص: 285.

الشاعرعند الرثاء والبكاء لأنها تساعد على مد الصوت الذي يحتاج إليه الشاعر في حالة الصرخ والاستغاثة لتسلية القلب ولتخفيف خفقاته مع ما يحاول تعميم ما يشعر به من حزن وألم على من يسمعه.

ومن القوافي المطلقة بالضم ما قاله الكوفي في الفراق عن الأحبة عند نكبة بغداد:

مَنْ كَانَ مِثْلِيْ لِلْحَبِيْبِ مَفَــارِقًا لَا تَعْذِلُوْهُ فَالْــكَلَامُ كِــلَامُ[1]

ومنها قول ابن شهيد في رثاء قرطبة :

فَلِمِثْلِ قَرْطُبَةَ يَقِــلُّ بُــكَاءُ مَنْ يَّبْكِيْ بِعَيْنٍ دَمْعُهَا مُتَفَجِّرُ[2]

ومن القوافي المطلقة بالكسر ما قاله علي ابن عبد الله البهائي الغزولي الدمشقي في رثاء دمشق:

لَهَفِيْ عَلَى وَادِيْ دِمَشْقَ وَلُطْفِهِ وَتَبَدُّلِ الْغُزْلَانِبِالثِّــيْــرَانِ[3]

ومنها قول الأوتاري في نفس المدينة :

أَحْسَنَ اللهُ يَا دِمَشْــقَ عَزَاكِ فِيْ مَعَانِيكِ يَا عِمَادَ الْبِلَادِ[4]

1- فوات الوفيات، للكتبى، ص: 232/2.

2- ديوان ابن شهيدص: 90/1. وتاريخ الأدب الأندلسى (عصر سيادة قرطبة)، ص: 178/1، 179/1

3- خطط الشام، ص: 172/2.

4- نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري، ص: 5/ 226.

فحركة الروي في قصائدنا تتراوحبين الضم والكسروإن كان بعض النقاد يرون أن أكثر قصائد الرثاء مكسورة الروي،لأن الكسرة تشعر بالرقة واللين. الروي مضموم في ثلاث قصائد من القصائد المختارة للدراسة، ومكسور في ثلاث أخرى، وكلا النوعين مشبع بحرف العلة المناسب للحركة.

ومن فوائد القافية المطلقة أنها أوضح في السمع وأشد أسراً للأذن؛ لأن الروي فيها يعتمد[1] على حركة بعده، كما أنها تطلق تلك الهموم المشحونة في صدر الشاعر والمصاب ولذا دأب[2] الشعراء على إطلاق قوافيهم في قصائد الرثاء.

1- موسيقى الشعرالعربي بين القديم والجديد، ص: 281.

2- قصيدة الرثا ء، عند ابن الرومي، دراسة موضوعية، وفاء عمر الفوتى رسالة الماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص: 253.

المطلب الثالث: روى القصائد وأهميته فى العمل الأدبى

الرَّوي في اللغة : له معان متنوعة منها: الشُّرْبُ التَّامُّ. يقال: شَرِبْتُ شُرْبًا رَوِيًّا،والرَّوِيُّ من السحاب: العظيمُ القَطْر الشديد الوَقْع. و الرَّوِيُّ من الماء: الكثيرُ المُرْوِي، و الرَّوِيُّ الساقِي. و الرَّوِيُّ الضعيفُ: وهي رويّة، يقال: سحابة رَوِيّة، وكأسٌ رَوِيَّة[1] ومادة (روى) تدل على معنى الجمع والضم والاتصال[2].

الروي في علم العروض:هو الحرف الذي تُبنَى عليه القصيدة، وإليه تنسب كماعرفه الأخفش بأنه الحرف الذي تبنى عليه القصيدة ويلزم في كل بيت[3]، ويذكرحازم أن الروي هو آخرحرف صحيح في البيت تُبنى عليه القصيدة ويلتزم الشاعر تكراره حتى نهايتها،[4] ولا بد لكل شعر من روي، ويشترط أن يكون الروي وحركته واحداً في القصيدة كلها،وسمي روياً لأنه ينضم إليه ويجتمع إليه كل حروف البيت، وصوت الروي يكشف عن نفسية صاحبه،وتكررهفيه ظلالمن نفسية الشاعر

1- المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، بدون السنة، دار النشر: دار الدعوة تحقيق / مجمع اللغة العربية، ص: 384/2

2- موسيقى الشعر العربي، العاكوب، ص:181.

3-كتاب القوافي، ص: 35.

4- منهاج البلغا ء وسراج الأدبا ء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، طبعة سنة 1966م المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، ص: 272.

وأحاسيسه[1].والدلالة الصوتية تعكس ملامح الشخصية من خلال أمرين أولهما المخرج، وثانيهما الصفة من جهر أو همس ومن شدة أو رخاوة أو توسط... وشعر الرثاء وجد للتنفيس عن الحزن والألم ولإعلان المصاب والإشادة بالفقيد ونحو ذلك مما يتطلب أصواتاً ذات صفات معينة تعين على تفريغ شحنة الحزن والألم من ناحية،وإبراز فظاعة المصاب والتأثير في السامعين من ناحية أخرى.[2]

والملاحظ أنالحروف المجهورة تتميز بوضوح الصوت وقوته،وهذا ما يحتاجه شعر التعزية الذي يتطلب الإعلان عن المصائب، وتفريغ شحنة الحزن والألم. وزيادة الأصوات المجهورة في شعر التعازي عنها في الكلام العادي يضفي على الصورة القوية من خلالالصوت الصاخب المجلجل،فصوت الشدة توافق ما يعانيه الشاعر من قلق وتوتر وانفعالإزاء المشاعر المضطربة والأحاسيس المتباينة، ثم إنه يشعر بدبيب الموت وضعفه، ويفكر فيما يؤول إليه من الفناء والانتهاء[3]

وأما روي قصائدنا المختارة للدراسة، فهو في سائر القصائد حرف مجهور مشبع بحرف العلة. وحروف الروي فيها كما يلى:

الدال في قصيدة واحدة وهى للشاعر الدمشقى الأوتارى

1- الصورة في شعر الرثاء في العصر الجاهلي، ص: 268.

2- المرجع السابق، ص: 274.

3- شعر الرثا ء في العصر الجاهلي،ص: 277-275.

والراء في قصيدة واحدة وهى لابن شهيد الأندلسى .

والميم في قصيدة واحدة وهى لشمس الدين الكوفى.

والنون في قصيدتين إحداهما لبهاؤ الدين الغزولى الدمشقى ، وثانيتهما لشمس الدين الكوفى .

والروي المجهورأوفق لحال شعراءنا لأنهم شاهدوا دمار مدنهم،فاصطدموا مباشرة، فيشتد الألم والحزن عند الصدمة الأولى ورفع الصوت وجهره في البكاء والصرخ والاستغاثة في تلك الأحوال أمر طبيعي يقول الكوفى:

يَـا لَـيْـتَـنِـيْ قَـدْ مِـتُّ قَبْلَ فِرَاقِـكُمْ
وَلَـسَـاعَـةُ الـتَّـوْدِيْـعِ لَا أَحْـيَـانِـيْ
مَـا لِـيْ وَلِـلْأَيَّـامِ شَـتَّـتْ صَرْفُـهَا
حَالِـيْ وَخَـلَّانِـيْ بِـلَا خِـلَّانِ
مَـا لِـلْمَـنَـازِلِ أَصْبَـحَتْ لَا أَهْلُـهَا
أَهْـلِـيْ وَلَا جِيْـرَانُـهَـا جِـيْرَانِيْ
وَحَيَـاتِـكُـمْ مَا حَـلَّـهَا مِنْ بَعْدِ كُـمْ
غَـيْـرَ الْـبِـلَى وَالْهَـدَمِ وَالـنِّيْـرَانِ[1]

1 – فوات الوفيات، للكتبي، ص: 234/2.

نجد أن الشاعر قد استخدم النون روياً له، والنون في غير التشديد أسهل القوافي جميعاً، وقد صرح به على الموت والفناء، كما أن حرف النون يدل على صوت الحزن والشجن، وهذا ما أراد الشاعر التعبير عنه.

وروي الدال في قول الأوتاري حيث يقول"

فَـــالْغَـــلَا وَالْجَـــلَا مَعَ الْجُـــوْعِ وَالْعُرِيْ

وَنَـــهْـــبِ الْأَقْـــــوَاتِ وَالْأَزْوَادِ

وَالْحِـــصَـــارِ الشَّدِيْدِ وَالْحُبْـــسِ وَالْخَوْفِ

مَعَ السَّـــادَةِ الْـــعُـــرَاةِ الْمُـــــكَادِيْ[1]

والدال من حروف القلقلة مع كونها مجهورة ولعل ما في القلقلة من حركة جعلتها تتوافق مع حركة النفس واضطرابها الدائم بالحزن والهم والألم وهوممما أسهم في بروز هذا المعنى وظهوره.[2]

وروي الميم في قول الكوفي الذى يقول:

إِنْ كُـــنْـــتَ مِثْلِيْ لِلْأَحِبَّةِ فَاقِـــدًا

أَوْ فِـــيْ فُـــؤَادِكَ لَوْعَةٌ وَّغَـــرَامٌ

قِـــفْ فِيْ دَيَّـــارِ الظَّاعِنِيْنَ وَنَادِهَا

1 – نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري، ص: 5 / 226.

2– الصورة في شعر الرثاء الجاهلي، ص: 278.

يَا دَارُ مَـــا صنَعَتْ بِكِ الْأَيَّـــامُ [1]

فالميم مجهوريدل على الجمع والضم والكسب، فعظام الأمور سعدت بدمار المدينة مدة، ولكن الزوال والفناء أراد ضمها إليه. والزمان بتقلباته رجع بما قدمه لها من فضله وكرمه، وأراد أن يكسب ما وهبها من قبل فهي أوفق لحال الشاعر.

وروي الراء وهي حرف من حروف ما يعرف بالذلاقة مثل (ر- ل- ن -ب) والتي فيها سهولة وطلاقة ولذلك يسهل النطق بها في ساعة الانفعال والاضطراب، وموقف الرثاء فيه انفعال على فقد الهالك والزائل، كما نلاحظه في قول ابن شهيد:

حَزَنِيْ عَلَى سَرَوَاتِهَا وَرُوَاتِـــهَا وَثِـقَاتِهَـــا وَحُمَاتِهَا يَتَـــــكَرَّرُ

نَفْسِيْ عَلَى آلَائِـــهَا وَصَفَائِـــهَا وَبَهَائِهَا وَسَنَائِـــهَا تَتَحَـــــسَّرُ

كَـــبَدِيْ عَلَى عُلَمَائِهَا حُلَمَائِهَا أُدَبَائِهَا ظُرَفَائِـــهَا تَتَفَـــطَّرُ [2]

فاستطاع الشاعر بمهارته وخفة حرف الراء تجاوز الموقف، والتعبيرعن انفعاله لفقد جمال مدينته بفقد رجالها الذين كانوا سببا لبهجتها.

1- فوات الوفيات، للكتبي ، ص: 233/2.

2- ديوان ابن شهيد، ص: 93/1، 94.وتاريخ الأبد الأندلسي، ص: 181/1.

الفصل الثالث:

الخصائص الفنية لقصائد رثاء المدن العربية

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: الصور البلاغية وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الصور التي تتعلق بعلم المعاني

المطلب الثاني: الصور التي تتعلق بعلم البديع

المبحث الثاني: الصور الفنية وفيه مدخل ومطلبان :

المدخل: مفهوم الصورةوأهميتهاومصادرها ومايلى ذلك

المطلب الأول:الصورة الجزئية

المطلب الثاني: الصورة الكلية

المبحث الأول: الصور البلاغية وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الصور التي تتعلق بعلم المعاني

المطلب الثاني: الصور التي تتعلق بعلم البديع

المطلب الأول:

الصور التي تتعلق بعلم المعاني وفيه نكتتان

النكتة الأولى: الأساليب الخبرية

النكتة الثانية : الأساليب الإنشائية

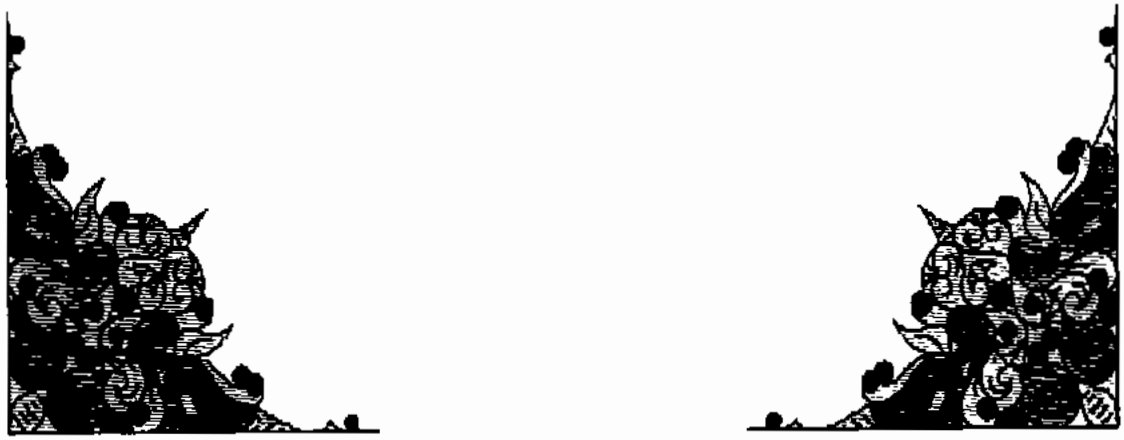

النكتة الأولى: الأساليب الخبرية

من الأساليب الخبرية القصر

القصرلغة : تدوردلالات القصر في المعجم حول الحصر والحبس والجزالة والمتانة والالتزام([1])

قال تعالى: حور مقصورات في الخيام[2] أى محبوسات لايمتد نظر هن إلى غير أزواجهن، وفي الخيمة معنى الإحاطة والاشتمال والتفرد والمنعة.

القصراصطلاحاً: والقصرفي الاصطلاح تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص.[3] والشيءية هنا طرفا القصر (المقصور والمقصور عليه) والمراد بتخصيص الشيء بالشيء إثبات أحدهما للآخر ونفيه عن غيره وقولهم: بطريق مخصوص تحديد لطرق القصر الأربع الاصطلاحية المعروفة ــ وذلك لتميزها في تحديد معالم الأسلوب وثرائها وغناها وكثرة فوائدها وقوة تأثيرها.

---

1 ـــــ القاموس المحيط، فيروزآبادى، الطبعة الثانية 1952 م، طبعة الحلبى وأولاده القاهرة، ص: 121/2.

2 ـــــ الرحمن، ص: 72.

3- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فى علوم المعانى والبيان والبديع ــ عبد المتعال، الطبعة السابعة عشر 1993، مكتبة الآداب ــ القاهرة، ص: 134.

وتبرز دراسة القصر بلاغيا متانة الأسلوب وجزالته، وقدرته على الإحاطة بالمعانى، وقوته في التأثير، فهو، " فن دقيق المجرى، لطيف المغزى، جليل القدر، كثير الفوائد، غزير الأسرار، يستعمله الأديب ليوحي إلى القارى لمعان شتى.[1]

أهم طرق القصر:

1 ـــ النفي والاستثناء، وفي هذه الحالة يكون المقصور عليه ما بعد أداة الاستثناء.

2 ـــ إنما، ويكون المقصور عليه معها مؤخراً وجوباً ـ

3 ـــ تقديم ما حقه التأخير، وهنا يكون المقصور عليه هو المقدم.

4 ـــ العطف ب "لا" أو "لكن" أو "بل" فإن كان العطف بـــ"لا" كان المقصور عليه ما قبلها وإن كان العطف ب "لكن" أو "بل" كان المقصور عليه ما بعدهما.[2]

---

1 ـــــ من بلاغة النظم العربى دراسة تحليلية لمسائل علم المعانى عبد العزيز بن عبد المعطى عرفة، الطبعة الثانية 1984م، عالم الكتب، بيروت(بتصرف) ص: 235.

2- موسوعة علم اللغة العربية، د ـ أميل بديع يعقوب،ص: 293/7.

ومن الملاحظ أن أساليب القصر المستخدمة عند شعرائنا هي الثلاثة الأول فقط دون الطريق الأخيرة أى القصر" بلا" و "لكن" و "بل" العاطفة لذلك أنا أتحدث عن الطرق الثلاثة فقط مع تحليل النماذج لكل منها.

لم يختلف أحد من النحويين والبلاغيين أو الباحثين المعاصرين حول إفادة القصر التوكيد، فالتوكيد سمة أساسية في أسلوب القصر ــ

ومن خصائص التوكيد بالقصر أنه يتم بطريقين متضادين هما النفي والإثبات على أقل تقدير، بخلاف التوكيد "بإنّ" فإنه يتحقق بالإثبات فقط. فالتضاد في القصر لا يتوقف عند حد الجمع بين النفي والإثبات بل يتمثل أيضا في علاقة المتلقى بالمتكلم حيث يتحول المتلقى إلى متكلم ينطق ببنية القصر والمتكلم يتحول إلى متلق، لأن القصر لا يكون إلا ردا على كلام سابق.[1]

1- البلاغة العربية قرأة أخرى، محمد عبدالمطلب، الطبعة الأولى 1997 م، الشركة المصرية العالمية، القاهرة، ص: 214.

القصر بـ " إنما "

طريق "إنما" تكون أقوى من غيرها في تاكيد المثبت لأن الكلام بها يكون: إثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه[1] وإذا تساوى النفي في جميع طرق القصر فإن الإثبات بـــ " إنما " يكون مضاعفا.

فقد أسند إلى على بن عيسى الربعى وقد كان من أكابر أئمة النحو ببغداد: أن كلمة " إن " لما كانت لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه، ثم اتصلت بها " ما " المؤكدة لا النافية على ما يظنه من لا وقوف له بعلم النحو ضاعف تأكيدها.[2] ولهذا فإن طريق "إنما" يجئ لخبر لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة[3] كما في قول شاعرنا شمس الدين الكوفي البغدادى في رثاء بغداد:

وَاللهِ مَـــا اخْـــتَـــرْتُ الْـفِـرَاقَ وَإِنَّمَـــا

حَـكَـمَـتْ عَـلَـيَّ بِـــذَلِـــكَ الْأَيَّـــامُ[4]

---

1 ـــــ مفتاح العلوم ــ لأبى يعقوب يوسف السكاكى طبعة ستة 1995م دار الكتب العلمية بيروت ــ لبيان، ص: 291.

2 ـــــ مفتاح العلوم للسكاكى، ص: 291.

3 ـــــ دلائل الإعجاز، أبو بكر عبدالقاهرالجرجاني ــ تحقيق: د.محمد التنجي ــ الطبعة الأولى، 1995م دار الكتاب العربي – بيروت، ص: 330.

4-فوات الوفيات للكبي، ص: 233/2.

واستخدم هذا الأسلوب للقصر مرة واحدة في القصائد المقترحة من القصائد العربية في رثاء المدن.

والشاعر يثبت أسباب الفراق عن الأحبة بأسلوب القصر بـــ "إنما" وفي هذا الأسلوب تأكيدمضاعف، والجمع بين المتضادين من الإثبات والنفى، أى إثبات المقصور والنفي لكل ما سواه.

فالشاعر يصدر البيت بالقسم أولا "والله ما اخترت الفراق" ثم يأتى بأسلوب القصر الذى يحتوى النفي والإثبات، فهو يسند الحكم بالفراق إلى الأيام وينفيه عن كل ما سواه، فكلامه في غاية القوة والإحكام والقوة فى "إنما" أنها تصل بالأشياء إلى حد التوحد، – توحد المقصور بالمقصور عليه وتوحد النفي والإثبات حيث يكونان دفعة واحدة .

القصر بالنفي والاستثناء:

وهذه الطريق أقوى من غيرها في تأكيد نفي ما يذهب إليه المخاطب، إذ هى: "لأمر ينكره المخاطب ويشك فيه"[1] بل يصر على إنكاره[1] كما قال شاعرنا شمس الدين الكوفي في رثاء بغداد:

---

1 ـــــ دلائل الإعجاز ـــــ للجرجانى، ص: 332.

مَالِيْ أَنِيْـــــسٌ بَعْـــدكُمْ إِلَّا الْبُكَاءُ

وَالــنَّوْحُوَالْحَـــسَرَاتُ وَالْأَحْزَانُ[2]

والمقصورعليه في هذه الحالة هو الذى يلى أداة الاستثناء وهو البكاء، والنوح والحسرات والأحزان، كأن الشاعر يدعى أن هناك ليس له أنيس ولا رفيق في هذا العالم كله بعد فقد الأحبة وتشردهم دون البكاء، والنوح والحسرات والأحزان، وهو يثبت هذا الأنيس وينفي كل ماعداه بأسلوب القصربالنفي والاستثناء.وكأن مخاطبه ينكرذلك ويصرعلى إنكاره.

ونجح الشاعر في عرض صورة حزينة لحالته التى يعيش فيها بعد هلاك خلانه ودمارمدينته.

---

1 ـــــ مفتاح العلوم ـــــ للسكاكى، ص: 294.

2- فوات الوفيات ـــــ للكبي، ص: 2 / 233.

النكتة الثانية : الأساليب الإنشائية

ومنهاالأمر:

الأصل في الأمر:هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء والإلزام. وله أربع صيغ :

أ – فعل الأمر كقوله تعالى: "يا يحيى خذِ الكتابَ بقوة"[1]

ب – المضارع المقرن بلام الأمر كقوله تعالى: "لِيُنْفِقْ ذُو سَعَة مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّه"[2]

جـ – اسم فعل الأمر كقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ"[3]

د – المصدر النائب عن فعل الأمر نحو: " فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ)[4] أي: فاضربوا الرقاب"[5]

1- مريم، 12.

2- الطلاق، 7.

3- المائدة، 105.

4- محمد، 4.

5- البلاغة 2 – المعاني LARB4103 لمرحلة: بكالوريوس مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة المنورة، ص:1/353.

وقد يخرج الأمر عن معناه الحقيقي وهو الإيجاب والإلزام إلى معانٍ أخرى- من الدعاء،والالتماس،والإباحة، والتعجيز وغيرها - تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

وأما الأمر عندنا في القصائد محل الدراسة، فاستُخْدِمَ في معنيين وهما: الالتماس والدعاء.

الأمر للالتماس:

وأما الأمر في معنى الالتماس، وهوإذا كان صادراً من جهتين متساويتين، ففي قول شاعرنا شمس الدين الكوفي:

قِفْ فِي دَيارِ الظَّاعِنِيْنِ وَنَادِهَا مَا صَنَعَتْ بِكِ الأَيَّامُ [1]

إن الشاعر يخاطب الناس المعاصرين المتساويين في درجته من عامة الناس،و يوجه الأمر إليهم للوقوف على أحوال ديار الظاعنين الهالكين،و للنداء والسؤال عنها بما حدثت بها منصنعة الأيام، وتوجيه الأ مر إلى من يساوي الآمر يكون التماساً.

1- فوات الوفيات، للكتبي، ص: 232/2.

النهي

هو طلب الكف عن الشيء على وجه الاستعلاء والإلزام، وله صيغة واحدة هي الفعل المضارع المسبوقبـ (لا) الناهية كقوله تعالى:"ولا تفسدوا في الأرضِ بعد إصلاحها".[1]

وقد تخرج صيغة االنهي من معناها الحقيقي وهو طلب ترك الشيء على وجه الاستعلاء والإلزام إلى معنى مجازي تُستفاد من صيغ الكلام وقرائن الأحوال منها، الدُعاء، والالتماس، والتمني، والإرشاد،والتوبيخ،والتيئيس، والتهديد، والتحقير.

وأما النهي في شعررثاء المدن من قصائدنا المقترحة للدراسة في هذا البحث فقد ورد لثلاثة معان أى الالتماس والدعاء والتيئيس.

النهي للالتماس:

كما ورد في قول شاعرنا الكوفي:

مَـنْ كَانَ مِثْـلِيْ لِلْـحَـبِيْبِ مُفَـارِقًا

لَا تَـعْـذِلُوْهُ فَـالْـكَلَامُ كِـلَامُ[2]

1- الأعراف، 85.

2- فوات الوفيات للكبى، ص: 232/2.

إن الشاعر قد أتى بأسلوب النهي "لا تعذلوه" هنا لغير معناه الحقيقي بل استعمله للالتماس لأنه قد وجهه إلى من يساويه والتمس منهم أن يكفوا عن عذله في فقد الصبرعلى صدمة فراق الأصدقاء والأحباء لأن سياق الكلام يمنع حمله على معناه الأصلي الحقيقي.

النهي للتيئيس:

وأما ما وردالنهي في معنى التيئيس ففي قول شاعرنا ابن شهيد الأندلسي القرطبي:

لَا تَسْأَ لَنَّ سِوَ ى الْفِـرَاق فَإِ نَّـهُ

يُنْبِيكَ عَنْهُمْ آنْجَدُوْا أَمْ أَغْوَرُوْا[1]

وهذا النهيقد جاء في صورة مؤكدة حيث لحقت الفعل نون التوكيد، وقد استخدمه الشاعر للتيئيس لأنه قد يئس عن الإطلاع على أخبار الظاعنين المتشردين الهالكين من سكان المدينة،حتى لا يجد من يخبره بصددأحوال أحبته الذين فقدوا عنه فجأة فلا يعرف عنهم أهم صعدوا إلى السماء أو خسفت بهم الأرض كما يدل عليه سياق القصيدة.

1- ديوان ابن شهيد، ص: 90.

ومنها أسلوب النداء

لقد أكثر شعراء رثاء المدن من استخدام أسلوب النداء،ربما كان ذلك بسبب ما كان فيه من مد للصوت وما يفيده هذا المد من تفريغ لشحنة الأحزان والآلام المعتلجة في النفس، بالإضافة إلى ما يقوم به النداء من وظيفة دلالية هي التفاعل بين المنادى والمنادى عليه تفاعلاً يبعث على إيجاد حركة يكسر بهاالشاعر وحشة الحزن وألمه.[1]

ومن النداء مخاطبة الأمراءوالحكام السابقين على مدينة الشاعرباسم أسرتهم والمدينة كانت عاصمة دولتهم وهم بنو أمية،قال على بن عبدالله البهائى الدمشقى:

أَبَنِيْ أُمَـيَّةَ أَيْـنَ يُـمْـنُ وَ لِيْـدِ كُمْ[2]

وَالْمُغْلُ تَفْتِـــلُ فِيْ ذُرَى الْأَرْكَـانِ[3]

إن الشاعر هنا ينادى بنى أمية الذين حكموا دمشق وغيرها ويتذكر اليمن والبركة الذى كان في عهدهم.

ثم يناديهم كأنه يشكو إليهم عظم المصيبة التى نزلت على مدينتهم التى تقوضت أركانها.

1-الصورة فى شعر الرثاء الجاهلى، صلوح بنت مصلح السريحى، ص: 302.

2- المراد من " وليد " هنا وليد بن عبد الملك خليفة من خلفاء بني أمية . الباحث .

3- خطط الشام، محمد بن عبد الرزاق بن محمّد، كُرْد علي، ص: 172/2.

ويجد الشاعر في بيان غدر المغول في مدينته تعزية وتسلية له ولكل من عاصره.

وقد استخدم الشاعر الهمزة من بين حروف النداء التى تستخدم في نداء القريب للوصول السريع ولعل ذلك يذهب ما في قبله من حزن على ما أصابه شعوراً بأن هناك ملجأ له يلجأ إليه في مثل هذه المشاكل وهو ليس ببعيد، وفيه تسلية لنفسه.

ومن النداء نداء السهاد ـــــ قال الأوتارى الدمشقى في مطلع قصيدته:

لَـكَ عِلْمٌ بِمَا جَـرَى يَا سُـــهَـــادِيْ

مِنْ جُفُوْنِيْ عَلَى افْتِقَادِيْ قَادِيْ[1]

فإن الشاعر يخاطب سهاده أى عدم نومه ليلاً كأنه يعتذرعنه ويبين سبب يقظته بحيث أصابه الألم والحزن على دمار مدينته الجميلة والفراق عن الأحبة والأقارب الوفية. والحرمان عن حسن المدينة وبهاءها، وتقلب كل شيء إلى ضده.

ففي مثل هذه الأحوال هو يبكى دائما، وجرت الدموع من عينيه حتى لا يمكن له الرقود،فالشاعر يجد راحة وسلوانا في بيان السبب كى لا يشكو إليه سهاده في افتقاد الرقاد.

1- نهاية الأرب للنويرى، ص: 227/5.

ونادى بعض الشعراء السادة الهالكين في الدمار بصفة سيادتهم تعظيما لشأنهم، فقال شاعرناالكوفي بهذا الصدد:

يَا سَـــادَتِـــيْ أَمَّـــا الْفُـــؤَادُ فَشَيِّـــقٌ

قَلِـــقٌ وَأَمَّـــــا أَدْمُـــــعِيْ فَسَجَامُ[1]

فالشاعر بما أنه يرى أن المتوفين سادة فيجب أن يكون تابعا لهم فالموت نزل بهم فلابد أن ينزل بالتابع حينما لم يهمل المتبوع،لأن حياة الأتباع دون السادة ليس لها قدر و لافائدة، فالأتباع الذين خلفوا سادتهم فتكون أحوالهم مثلما بين الشاعر بأن الدموع سجام، والقلب شيق قلق.

فالشاعر يخاطب سادته كأنه يشكوإليهم ما أصابه من الآلام من الأعداء مرة وأخرى من البعد والفراق عنهم،ولعله يخفف خفقات قلبه ويفرغ شحن فؤاده بهذا النداء أى نداء سادته.

ومن النداء نداء الهالكين في ديار المدينة باتصافهم بالغيبة، قال شمس الدين الكوفى.

يَا غَائِبِيْنَ وَفِيْ الْفُؤَادِ لِبُـــــعْـــدِهِمْ نَارٌ لَهَا بَيْنَ الضُّلُوْعِ ضِرَامُ [2]

1- فوات الوفيات للكبى، ص: 232/2.

2-المرجع السابق ص: 232/2.

الشاعر يعترف بغيبتهم وبُعدهم عنه أولاً ثم يبين حال نفسه بعد غيبتهم عنه ففي فؤاده نارموقدة لها حرقة وضرام بين ضلوعه.

ومن النداء،منادةالمدينة المدمرة باسمها صراحة، وفي ذلك إيحاء بقرب المنادى من نفس الشاعر.[1]

قال الأوتارى الدمشقى في رثاء دمشق:

أَحْسَنَ اللهُ يَا دِمَـشْـــقَ عَـزَاكِ

فِـيْمَعَـانِيْـكِ يَا عِمَادَ الْـــبِلَادِ[2]

فالشاعر يجدلذة وسلوانا في تصريحه باسم مدينته المتغيرة.

وقد تكرر نداء الدار في قصيدتي شمس الدين الكوفي في رثاء بغداد وهو يخاطب ديار الأحبة واقفاً عليها ومعدداً صفاتها بأساليب مختلفة يقول:

قِـفْ فِيْ دِيَـارِ الـظَّاعِـنِيْنَ وَنَادِهَا

يَا دَارُ مَا صَنَـــعَـــتْ بِكِ الْأَيَّـامُ

يَا دَارُ أَيْنَ السَّـاكِنُـوْنَ وَأَيْـنَ ذَاكَ

الْبَهَاءُ وَذَلِـــكَ الإِعْـــظَـــامُ

1- رثاء الأدباء عند شعراء الحجاز فى العصر الحديث من عام 1351هـ إلى عام 1420هـ ـ سلطان سعد عقيل الرقيب السجلة سنة 2009م، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ص، 205.

2- نهاية الأرب للنويرى، ص: 226/5.

يَا دَارُ أَيْنَ زَمَانُ رَبْـعِـكِ مُوْنِـقًا

وَشِعَارُكِ الْإِجْـــــلَالُ وَالْإِكْـرَامُ

يَا دَارُ مُـذْ أَفَلَتْ نُـجُوْمُـكِ عَمَّنَا

وَاللهِ مَنْ بَعْدِ الضِّـــــيَاءِ ظَلَامُ[1]

فالشاعر قد كرر النداء أربع مرات واستخدمع ثلاث منها أسلوب الإستفهام ليجعل سامعه ويعترف بهذه الحقيقة التى لا يمكن إنكارها ويسأل متحيراً عن الدار وعما أصابها، وأسند التقلب والدمار الذى أصاب الدار إلى الأيام، ربما هو يستوحيه من قوله سبحانه وتعالى "وتلك الأيام نداولها بين الناس"[2] ثم يسأل الدار عن شيءونها المتنوعة التى عدمتها الأيام من السكان والبهاء والرونق والبهجة. والناس العظام ويسأل عن زمان الربع حيث كان شعارها الإجلال والإكرام إلى أن ارتقى إلى أسلوب القسم ليؤكد قوله، ويحلف بالله مخاطبا الدار بأنه قدعم الظلام والبؤس الناس كلهم بعدما كان هناك ضياء ونور.

ربما تتابع النداءات بإخراج الصوت الممدود، وتعداد نواحى الدار المختلفة والصفات الحسنة،يخفف عن نفسه ما يجده من ألم على فراق المتوفين ودمار مدينته المعمرة.

1- فوات الوفيات للكبى، ص: 232/2.

2- آل عمران، 140.

وكذلك فعل الأوتارى الدمشقى في تتابع النداءات عند ما نادى النبى صلى الله عليه وسلم مستغيثا به في لون من الوجد الصوفى. يقول

يَا حَبِيْبَ الْإِلَــهِ لَا تَــتَــخَــلــــى

عَــنْ عُصَــاةٍ غَــمَرْتَهُمْ بِالْأَيَــادِي

يَا حَبِــيْــبَ الْإِلَهِ قَدْ مَسَّــنَا الضُّــرُّ

فَجُــدْ بِــالْإِسْــعَــــــافِ وَالْإِسْعَادِ

يَا حَبِــيْــبَ الْإِلَهِ تُبْــنَا إِلَــــى اللهِ

وَأَنْتَ الْعِــمَــادُ حَــــتَّى الْمِعَادِ[1]

فالشاعر يصورفي كل نداءٍ مكرمة من مكارم النبى صلى الله عليه وسلم ويستغيث به بشتى الأساليب، فيذكر في الشعر الأول جوده وسخاه الذى قد عم الشاعروجميع الناس، والشاعر يعترف بالعصيان والطغيان من ناحية، ويذكِّر النبى صلى الله عليه وسلم بأياديه التى غمرتهم مع كونهم عصاة من ناحية أخرى، ويشكو إليه من مس الضر، ويطلب منه الإسعاف والإسعاد إلى أن صرح بالإنابة إلى الله والتوبة إليه بتوسله ويعتقد أنه هو الملجأ والعماد الذى يلجأ إليه في مثل تلك الشؤن.

1- نهاية الأرب فى فنون العرب، للنويرى، ص: 227/5.

"وأداة النداء التى استخدمها الشاعر " يا " تعطى مجالا لرفع الصوت والتنفيس عن حزنه بمدها".[1]

ومن النداء، نداء المدينة بعد ما اعتقد أنها جنة يقول ابن شهيد:

يَاجَنَّـــةً عَـصَفَـتْ بِهَا وَبِأَهْـلِهَـا

رِيـحُالنَّـوَى فَتَـدَمَّـــرَتْ وَتَدَمَّرُوْا[2]

كأن الشاعر يقارن بين ماضى مدينته وحاضرها فهي كانت في ماضيها الخضراء الزهراء التى تنفس الشاعر في ريحها وتربى فيها وعاش هناك عيشة مرضية وهي كانت في ذلك الوقت مثل الجنة إلى أن أصابتها نكبة فتدمرت وتدمر أهلها بحيث تحولت إلى حالة تشابه الجحيم. ولعل الشاعر يجد راحة وسلوانا، و يفرغ شحنة همومه وآلامه على دمار مدينته.

ومن الأساليب التى اتبعها شعراء الرثاء في النداء، نداء أمور معنوية مثل الأماني والآمال، قال شمس الدين الكوفى:

يَالَيْتَ شَعْرِيْ أَيْنَ سَارَتْ عِيسُكُمْ أَمْ أَيْنَ مَوْطِنُـــكُمْ مِنَ الْبُلْـدَانِ

يَـــا لَيْتَنِيْ قَدْ مِتُّ قَبْلَ فِرَاقِـكُمْ وَلَسَاعَةُ التَّـوْدِيْعِ لَا أَحْـيَانِي[3]

1- الصورة فى شعر الرثاءالجاهلى، ص: 302.

2- ديوان ابن شهيد، ص: 91.

3- فوات الوفيات للكبى، ص: 234/2.

يَا لَيْتَ شَعْرِيْ كَيْفَ حَالُ أَحِبَّتِـــيْ وَبِأَيِّ أَرْضٍ خَيَّمُوْا وَأَقَامُوْا[1]

فالشاعر يعظم النكبة التى أصابت المدينة " دمشق " لذلك يستخدم " ليت " التى تفيد التمنى، كأن الشاعر يتمنى أمورا بعيدة المنال من الصبر وحسنه، ويرى أن البكاء لاينفع شيءافى هذه النكبة .

استخدم شعراء الرثاء نداء المنزل يقول ابن شهيد الأندلسى القرطبى.

يَامَنْزِلًا نَـزَلَتْ بِـه وَبِـأَهْـلِه طَيْرُ النَّوَى فَتَغَيَّرُوْا وَتَـنَكَّرُوْا[2]

فالشاعر عند ما ينعدم الأحباء من المنزل يخاطبه ويسأله عن أهله وإذا لم يجد الرد من قبله فيسند الدمار، والهلاك والتغير والتنكر كلها إلى طيرالنوى و يقصدبه التشاؤم والنحس.

ومنها:أسلوب الاستفهام

ومن المسلّم أن إثارة السؤال سبيل إلى توطيد المعنى، ودفع اللبس الذي قد يتبادر إلى الذهن، وهو وسيلة في الغوص على المعنى وتعمقه،وأغلب ما يكون

1- نفس المرجع، ص: 232/2.

2- ديوان ابن شهيد، ص: 91.

استخدام الاستفهام فيما يكون ظاهره التناقض.[1] والاستفهام يحمل المستمع على التفكر والالتفات، فيمضي المستمعل هذا الشعرولاتزال تلك الإثارات عالقة في نفسه.[2] وفي اللجؤ إلى الاستفهام تخفيف من الآلام، والتسلي عن الأحزان.[3] وفي الأغلب عندما يخاطب الشاعر سامعه بالاستفهام لايريد منه رداً، وإنما يريد التخفف من بعض المعاناة العاطفية.[4] وذهب بعض النقاد إلى أن الاستفهام مستحب في النسيب والرثاء؛ لأن الهوى والمصيبة يدلها صاحبها[5] والاستفهام لايعتمد على المنهج العقلي المحض،بل يغلب عليه إثارة العواطف وشحن الوجدان.

وقد استخدم شعراء الرثاء أسلوب الاستفهام تعزية لهم ولذوى الهالكين في دمار المدن وذلك من خلال عدة ألوان، فمن ذلك السؤال عن السابقين ومصائرهم ومن بهاء المدينة المدمرة وشأنها.

قال الكوفى.

1- تيارات النقد الأدبى فى الأندلس، في القرن الخامس الهجرى، د/ مصطفى عليان عبد الرحيم، الطبعة الأولى 1404هـ 1984م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص: 192- 193.

2- في تاريخ الأدب العباسي - الشعر والشعراء، د/ محمد أبو الأنوار، مكتبة الشباب، المنيرة، 1987م،ص، 176.

3- التكرار في شعر الخنساء دراسة فنية، د/عبد الرحمن الهليل، الطبعة الأولى1419هـ - 1999م، دارالمؤيد، الرياض، ص: 101.

4- المرجع السابق، ص: 73.

5- شرح المعلقات، للزوزنى، ص: 131.

يَا دَارُ أَيْـنَ السَّاكِنُوْنَ وَأَيْنَ ذَاكَ الْبَهَاءُ وَذَلِكَ الإِعْـظَـــــامُ

يَا دَارُ أَيْنَ زَمَانُ رَبْعِكِ مُوْنِـقًا وَشِعَـارُكِ الْإِجْـلَالُ وَالْإِكْـرَامُ

يَا لَيْتَ شَعْرِيْ كَيْفَ حَالُ أَحِبَّتِيْ وَبِأَيِّ أَرْضٍ خَيَّمُوْا وَأَقَامُوْا[1]

أَيْنَ الَّذِيْـنَ عَهِدْتُّـهُمْ وَلِعِزِّهِـمْ ذُلًّا تَخُـرُّ مَعَاقِدُ التِّـيْـجَانِ

يَالَيْتَ شَعْرِيْ أَيْنَ سَارَتْ عِيْسُكُمْ أَمْ أَيْنَ مَوْطِنُـكُمْ مِنَ الْبُلْـدَانِ[2]

فالشاعر قد تتابع الاستفهام في قصيدته وهو يدل على عاطفته الداخلية الحزينة. وهو يسأل عن سكان الدور الخربة مرة وأخرى عن نفس المكان والدار وعن بهائهاا وربعها وشعارها الإجلال والإكرام ثم ينتقل منه إلى السؤال عن أحوال أحبته وعن أرض خيموا فيها وأقاموا بها، حتى يسأل عن البهائم والجمال التى كانت ترعى هنالك.

وذلك كله يخبرعن شوقه إلى الأحبة، وحرقة قلبه على فراقهم، ولوعته إلى لقائهم.

وطبعاً أن الاستفهام في الأبيات المذكورة ليس في معناه الحقيقى، وليس هناك من يجيب السائل ويرد عليه سؤاله ولجأ الشاعر إلى هذا الأسلوب تعبيراً عن لهفته

---

1 – فوات الوفيات للكبى، ص: 232/2.

2– المرجع السابق، ص: 235/2.

وحزنه على دمار مدينته وفساد بيوت أحبته وضياع أموالهم وما إلى ذلك. وقد نجح الشاعر في توضيح ذلك.

واستخدم شعراء رثاء المدن أسلوب الاستفهام لبيان عظم الكرب وشدة الأسر وذله بحيث قال الأوتارى في رثاء دمشق:

مِنْهُمُ الطِّفْلُ وَالصَّبِيَّةُ وَالشَّـــابُ

يُنَادِيْ، فَمَنْ يُجِيْبُ الْمُنَادِي!

يَا تَرَى هَلْ لِكُرْبِنَا مِنْ مُجِيْرٍأَمْ

لِتَشْدِيْدِ أَسْرِنَا مِنْ مُفَادِ[1]

فالشاعر يذكر شدة النكبة والهموم التى عمت جميع أنواع الناس من الأطفال والشباب والشيوخ فكل منهم ينادى المجير ويستغيث ولكن لم يجدوا ملجأ ومجيراً من الأحياء، حتى انتقل الشاعر للاستغاثة والاستجارةبالنبى – صلى الله عليه وسلم – في لون من الوجد الصوفي واستغاث به.

كأن الشاعرإذا رأى كل عين باكية وكل قلب صاد في الهم والحزن يفترض هناك سائلاً يسأله عن عظم الآلام وشدة الهموم، فهو يجيبه في أسلوب الاستفهام التقريري بحيث يقول.

1- نهاية الأرب للنويرى، ص: 226/5.

أَيُّ عَـيْـنٍ عَـلَيْهِـمْ لَيْسَتْ تَبْكِي

أَيُّ قَلْبٍ عَلَيْهِمْ غَيْـرُ صَـــادِي![1]

يعنى كل عين تبكى عليهم وكل قلب صاد عليهم، ربمايستريح الشاعر في بيان عظم الكرب وشدة البلوى التى عمت الناس بأجمعهم.

وفي نفس الأسلوب قال شمس الدين الكوفى:

مَالِيْ أُرَدِّدُ نَاظِرِيْ وَلَاأَرَى الْـ

أَحْبَابَ بَيْنَ جَمَاعَةِ الْإِخْـوَانِ[2]

فالشاعر يردد ناظره في فئات الناس ليبحث عن أحبابه من بينهم فإذا لم يرهم يسأل عن نفسه كأنه يرجع النقص وسبب عدم الرؤية إلى قصور ناظره.

وقد لجأ الشاعرإلى الاستفهام تعبيراً عن رغبته في عدم صحة خبرهلاك الأحبة ووفاتهم، لذلك استخدم طريق التشكيك والتكذيب.

وقد عبر بعض الشعراء عن استبعاد عودة المدينة إلى حالتها الأولى ورغبته في عودتها إليها بأسلوب الاستفهام، قال شمس الدين الكوفى:

1- المرجع السابق، ص: 228/5.

2- فوات الوفيات للكبى، ص: 234/2.

أَتَرَى تَعُـوْدُ الدَّارُ تَجْمَعُنَا كَـمَا

كُنَّـا بِـكُلِّ مَسَـرَّةٍ وَتَهَـانِـي[1]

فالشاعر يخاطب نفسه ويسألها أوكل من يسمعه - عن إمكانية عودة المدينة إلى حالتها التى كانت عليها، وهذا الاستفهام إنكارى.

1- المرجع السابق، ص: 234/2.

المطلب الثاني: الصور البديعية

وفيه نكتتان

النكتة الأولى: المحسنات اللفظية

النكتة الثانية : المحسنات المعنوية

النكتة الأولى: المحسنات اللفظية

منها: الجناس

إن الجناس ليس حلية لفظية فحسب، بل إن مزيته تعود إلى المعنى أولاً وأخيراً وما يظهر في الألفاظ من دلالات الحسن والجمال ليس مصدره منها، وإنما نابع من عمق المعنى، فالجناس يولد حيلا أسلوبية يحتال بها على النفس، فالمتلقى يظن أن الكلمة الثانية هي الأولى، فيفكر في نفسه ما الفائدة التى تقصد من هذا التكرار؟فلايلبث حتى يدرك أن هناك معنى آخر يختلف تماما عن المعنى الأول ـ[1] ويدور جماله إلى ما فيه من إيهام النفس أن الكلمة المكررة ذات معنى واحد فإذا أمعن الرجل فيها النظر يجد للكلمتين معنيين مختلفين فيدفع ذلك إلى الإعجاب بالشاعر الذى وهب لهذا الاستخدام.[2]

فالجناس الموجود في الأبيات يحتاج إلى طول تأمل ورجوع في السياق إلى المعاجم لتحديد المعنى المراد.

1- البلاغة والأثر النفسى، دراسة فى تراث عبد القاهر الجرجانى، عبدالله عبد الرحمن بانقيب، 1422 هـ ـــ 2002م، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ص: 162، 160.

2- أسس النقد الأدبى عند العرب،د/أحمد أحمد بدوى، ص: 475 ، 476 .

قال شاعرنا الشيخ شمس الدين الكوفي في رثاء بغداد في مطلع قصيدته الميمية:

عِنْدِيْ لِأَجَـلِ فِـرَاقِـكُمْ آلَامُ

فَـإِلَامَ أُعْذَلُ فِـيْـكُمْ وَأُلَامُ[1]

والشاعر يحدث محبيه الذين فارقوهعن الآلام والأحزان التى أصابته لأجل فراقهم، ويظن أن فيه سلوانا مما يجد فلاوجه إذاً للوم الناس له وعذلهم .

قدجانس الشاعر هنا في ثلاث كلمات متشابهة فى الصور، والأشكال ـــ وهى: "آلام" و "إلام" و "ألام" ولكل منها صوت ومعنى مختلف عن الأخرى مع اتحادهما فى الشكل،فأما الكلمة الأولى أى "آلام" فهي جمع ألم في معناها المعروف. والثانية : "إلام" فهي كلمة مركبة من: إلى: حرف الجر و "ما" حرف الاستفهام بحذف الألف من "ما" وكلمة "ألام" الأخيرة صيغة فعل المضارع مبنى للمفعول للمتكلم المفرد.

واستخدم الشاعر هذه الكلمات المتجانسة في سياق ملائم دون تكلف يدل على صدق الحس وصفاء الخاطر.

1- فوات الوفيات للكتبى، ص: 232/2.

والجناس هنا نلاحظ له دوره البارزفي إبراز العاطفة الجزئية، وإبراز كثرة الاعتذال، والملامة على شدة فزع الشاعرعلى فراق الأحبة.

والجناس في نفسه لا يعتبر جمالا في الأبيات بل تمام جماله في تناوله المعنى الجميل وملاءمته لسياق الأبيات

قال الشيخ شمس الدين الكوفي البغدادى في القصيدة نفسها:

مَـنْ كَانَ مِثْـلِيْ لِلْـحَـبِيْبِ مُفَـارِقًا

لَا تَـعْـذِلُـوْهُ فَـالْـكَلَامُ كِـلَامُ

وَيُـذِيْبُ رُوْحِيْ نَوْحُ كُلِّ حَمَـامَةٍ

فَكَأَنَّمَا نَوْحُ الْحَمَّامِ حِمَامُ

وَالدَّارُ مُذْعَدَمَتْ جَمَالَ وُجُوْهِـكُمْ

لَمْ يَـبْـقَ فِيْ ذَاكَ الْمَقَامِ مَقَامُ[1]

فقد جانس الشاعر في الأبيات المذكورة بين الكلمات "كلام" و "كلام" وكذلك "حمام" و "حمام" وأيضا "مقام" و "مقام" فهذه الكلمات كلها متجانسة بجناس تام لأنها متحدة الجذور والأصوات والأشكال مع أنها مختلفة المعانى فكلمة "الكلام" الأولى في معناها المعروف والثانية في معنى الجرح والقرح، وأما "الحمام" الأولى فهي في

1- المرجع السابق، ص: 232/2

المعنى المتعارف وهو اسم للطائرالمعروف ــ والثانية المبالغة لبيان شدة الحرارة والحرقة :

وكذلك كلمة "المقام" الأولى في معناها المتبادرإلى الذهن أى المنطقة والموضع عامة، والثانية لمعنى المكان الخاص الذى يبنى ويعمر للعيش فيه من المبانى والقصور.

وقد جانس شعراء رثاء المدن معبرين عماتلقاه المدينة من الدمار الشامل، قال شاعرنا الكوفى:

لَا حَظَّ فِـيْـهَا لِلْعُيُوْنِ وَلَيْـسَ لِلْـ

أَقْـدَامِ فِـــيْ عَـرَصَـاتِهَا إِقْدَامُ[1]

كأن الشاعريتعزى فى مدينته المدمرة ولكن عندما يشرف عليها وينظر إليها لا يجد شيءا هناك ينظر إليه ولاللأقدام مشى إليه، فيتحير ويحزن بصورة تترشح من البيت المذكور.

فالشاعر يوجه نفس المتلقى من خلال حلية الجناس الأسلوبية إلى التفكير في حالة المدينة قبل حدوث النكبة وبعدها فنفس المتلقى تضطرب لهذا الخدع والاحتيال.

1- المرجع السابق، ص: 232/2.

وجانس الشاعر في هذا البيت بين كلمة : "أقدام" و "إقدام" فالكلمتان من جذرواحد وشكلهماواحد مع اختلاف معناهما فكلمة: "أقدام" هي جمع قدم في المعنى المعروف أى الرجل بينما الكلمة الثانية هي "إقدام" مصدر على وزن إفعال في معنى الذهاب والمشى إلى القدام ــ

وقال شاعرنا الكوفي في قصيدته الثانية النوئية :

إِذْ نَحْنُ نَغْتَنِمُ الزَّمَانَ وَنَجْتَـــــــنِـــيْ

بِيَدِ الْأَمَانِ قُطُـــــــوْفَ كُلِّ أَمَانِيْ(1)

فجانس الشاعر بين "الأمان" و "أمانى" فالكلمتان متحدتان في الصوت والشكل والصورة ولكن مختلفتان في المعنى أما "الأمان" الأولى ففي المعنى المعروف من الأمن والسلامة وعدم الخوف بينما الثانية جمع أمنية في معنى الرجاء ــ فالشاعر يقارن بين ماضى المدينة الآمن وحاضرها المخوف متحسرا على هذا التقلب، ويجد فيه الراحة عن خفقات قلبه.

وقد جانس شعراء رثاء المدن مصورين ما في أنفسهم من الآلام والأنينات والحسرات على فقد الأحبة وفراقهم وبعدهم خلال دمار المدينة وتقلبها قال شاعرنا البهائى في رثاء دمشق:

1- فوات الوفيات للكتبى، ص: 232/2.

إِنْ لَّمْ تَـقَرَّحْ أَدْمُعِيْ أَجْفَـــانِـــــيْ

مِنْ بَعْدِ بُعْـدِكُمْ فَـمَـا أَجْـفَـانِـيْ[1]

فجانس الشاعر بين "أجفانى" و "أجفانى": فأجفانى الأولى: جمع جفن، والثانية صيغة التعجب من: جفا: ويليها ضمير التكلم.فالشاعر في جناسه للكلمتين (أجفانى، وأجفانى) يجعل المتلقى حائرا عن قصد الشاعر منهما وهي بيان عظم المصيبة التى نزلت عليه من بعد الأخلاء وفراقهم،وهو يريد إكثار البكاء الدائم المستمر إلى أن تقرح دموعه أجفانه.

وقدصرح شاعرنابعهد المحبة والوفاء للفاقدين من الأحبة والظاعنين عن المدينة والبكاءعلى المشاهد الجميلة حيث قال:

إِنْسَانُ عَيْنِيْ مُذْ تَنَاءَتْ دَارُكُمْ

مَا رَاقَهُ نَظْرٌ إِلَى إِنْـسَـانُ[2]

فجانس الشاعر بين كلمتين "إنسان، وإنسان" فكلمة "إنسان" الأولى معناها سواد العين بينما الثانية مستخدمة في معناها المعروف. فالشاعر يبكى ويظهر عظم المصيبة التى نزلت عليه، فلم يستطع الصبر على فراق الأحبة والأقارب، بل ولكثرة بكائه على المصيبة ووفرة أحزانه على فقد الحس الذى يميز الجميل من الكريه ــ ولا

1- المرجع السابق، ص: 232/2.

2- المرجع السابق،ص: 232/2.

يرى البهجة في شيء من الدنيا حتى يعجبه النظر إليه، ويرى الدنيا التى تفقد أحبابه مع أموالهم وديارهم حقيرة ومهينة لا قيمة لها ولا جمال في شيء منها.

النكتة الثانية : المحسنات المعنوية

ومنها:الطباق والمقابلة

الطباق والمقابلة هما طريق لإيضاح المعنى، لأن عرض الكلمات المتضادة يكشف أحوالها، ويبرزالفروق بينهما، واستحضارالمفارقة يساعدعلى التجربة الشعرية والتأثيرفي نفس السامع.[1]

فالطباق يمكّن الشاعرمن الموازنة بين موقفين متناقضين، كما أن هناك فائدة كبيرة في جذب انتباه السامعين بسبب ما ينتج عنه من أخيلة وصورشعرية، فالمتلقى لا يلبث حتى ينتقل من صورة ومعنى مضادلها[2]

ولا حظت "أن الطباق والمقابلة هما أكثر محسنات شعراء الرثاء الذين يجدون في التحسين المعنوى مجالا لتقليب المعانى والسعى وراء الجديد والطريف منها"[3]

1- شعر الأسر بين أبى فراس الحمدانى والمعتمد بن عباد –، عبد الرحمن بن رجاء الله السلمى، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ص: 272.

2- فن الرثاء فى الشعر العربى فى العصر المملوكى الأول، د/رائد مصطفى حسن عبد الرحيم، دار الرازى، عمان،2002م، ص: 380.

3- القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجرى الظواهر والقضايا والأبنية، د/عبد الحميد عبدالله الهرامة، دار الكاتب طرابلس، الطبعة الثانية 1429هـ 1999م، ص: 345/2 ـ

وذهب بعض الباحثين إلى أن الجناس لا يناسب غرض الرثاء بينما الطباق والمقابلة تصلحان لهما بلا ضعف لأنهما يقومان على المقارنة بين الأشياء والمعانى والأوقات والأماكن، والجناس يقوم على تكرار، فقد يتسع موضع التكرار إذا أضيف إليه الجناس، فهو على خصوصية البلاغية ليس سوى تكرار كلى أو جزئى لبعض الكلمات[1]

قال الشيخ شمس الدين الكوفى:

كَدَمِ الْفُصَّادِ يُرَاقُ أَرْذَلَ مَوْضِعٍ

أَبَدًا وَيُخْرَجُ مِنْ أَعَزِّ مَكَانِ[2]

قد استند الشاعر إلى طباق الإيجاب لإظهار ما أصاب الشرفاء خلال النكبة بحيث تقلبت الأحوال تماما، حتى أصبح أرذل الناس أعزهم، وأعزهم أرذلهم، وأريق دم الأعزاء مثل دم الفصاد في أرذل المواطن.

فيرثي الشاعر بالمقارنة بين هاتين الحالتين، وجعل السامعين والقراء يسبحون بخيالهم في النيران وما فيها من العذاب والخذلان بسبب تقلبات الأحوال ـــ

1- المرجع السابق، ص: 347/2.

2- فوات الوفيات للكتبى، ص: 234/2.

المقابلة :

وقد اعتمد كثير من شعراء الرثاء على مقابلة المعانى أكثر من مقابلة الألفاظ لأنها هي التى تظهر التعزية والرثاء أكثر من غيرها حيث إن المفارقات تثير العواطف:قابل شاعرنا اللأوتارى في رثاء دمشق بين "سهاد" و "رقاد" حيث يقول:

لَكَ عِلْمٌ بِمَا جَرَى يَا سُهَـادِيْ

مِنْ جُفُوْنِيْ عَلَى افْتِقَادِ رُقَادِيْ[1]

فأتى الشاعر "السهاد" و "الرقاد" معاً كأنه يناجي السهاد ويتحدث معه حينما افتقد الرقاد فكان يستريح بالنوم والرقاد في أيام الطمانية والسلوان والآن يجد الراحة والخفاف في الآلام والأحزان عند ما يتحدث بالسهاد ــ

وقد كثرت المقابلة في شعررثاء المدن الذى ينبئ عن أهميته في كشف المعانى وإيضاحها،فقد قابل الشاعر بين حالتين قبل الهلاك وبعده حيث جعل العهد قبل الدمار والهلاك ضياءً ونوراً، وبعده ظلاماً. قال الشاعر في رثاء بغداد على فسادها وهلاكأهلها:

أَسَي عَلَيْكِ مِنَ الْمَمَاتِ وَحَقٌّ لِيْ

إِذْ لَمْ نَزَلْ بِكِ فِيْ حَيَاتِكِ نَفْخَرُ[1]

1- نهاية الأرب في فنون العرب للنويرى، ص: 225/5.

ويعتقد الشاعرأن الرثاء لبغداد حق له لأنه كان يفتخر بها دائماً في حياتها، ورثاءالأحباء على موتهم وفراقهم أمر طبيعي،والشاعر يظهر منزلة الدارعنده بأسلوب المقابلة الذى هووسيلة لكشف المعانى الكامنة.

وقابل ابن شهيد بين "نجد" و "غور" كما قال:

لَا تَسْأَلَنَّ سِوَ ى الْفِراق فَإِ نَّـــهُ

يُنْبِيكَ عَنْهُمْ آنْجَدُوْا أَمْ أَغْوَرُوْا[2]

وقد أسى الشاعر على فراق الأحبة الذين تشردوا بسبب النكبة، وهؤلا يعرف أماكنهم في المهجر، فعندما سأله سائل عنهم ظاناً أنه يعرف، فأجابه بالجهل والمنع من السؤال عنهم إلى أن صرح بجهله عنهم، حتى أنه لايعرف أنهم أنجدوا وصعدوا إلى السماء أم أغوروا وسقطوا إلى تحت الثرى.

واستخدم الشاعر "النجد" و الغور " في موقف واحد مع أن كل واحد منهما ضد الآخر، وهذا الأسلوب أوضح وأبلغ من القول الصريح بعدم العلم عنهم أو التجاهل، وقابل الشيخ شمس الدين الكوفي بين كلمتي "حلال" و"حرام" في قوله:

فَدَمِيْ حَـــلَالٌ إِنْ أَرَدتُّ سِـــوَاكُمْ

وَالْعَيْشُ بَعْدَكُمْ عَلَـــيَّ حَـــرَامُ[1]

1- ديوان ابن شهيد، ص:91.

2- المصدر السابق، ص: 90.

فاستخدم الشاعر هذا الأسلوب في بيان عهد الوفاء بين الأحبة وصرح هنا بأمرين الأول منهما: أنه على عهد المحبة والوفاء بهم ولا يريد غيرهم، ولا يميل إلي أحد سواهم حتى أنه إن أراد سواهم يصبح مباح الدم. والثاني: أنه لايرى حق العيش لنفسه بعد تشرد الأحبة وهلاكهم، ويحرم الحياة على نفسه من وراء الأخلاء والأصدقاء.

والمقابلة هنا طريفة جداً، ربما يجد الشاعرأن السلوان في البقاءعلى عهد الوفاء بهم فيجبرنفسه عليه.

1- فوات الوفيات للكتبى، ص: 232/2.

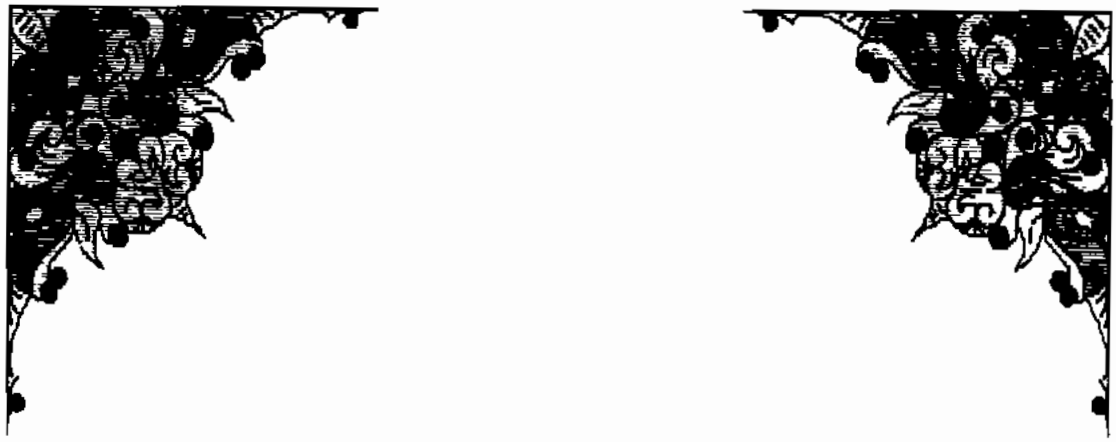

المبحث الثاني: الصور الفنية وفيه مدخل ومطلبان

المدخل: مفهوم الصورة،وأهميتها،ومصادرها وماإلى ذلك

المطلب الأول:الصورة الجزئية من التشبيه والاستعارة وغيرها من الصورالبيانية

المطلب الثاني: الصورة الكلية من الصورة الممتدة والنفسية وغيرها منالصور الكلية

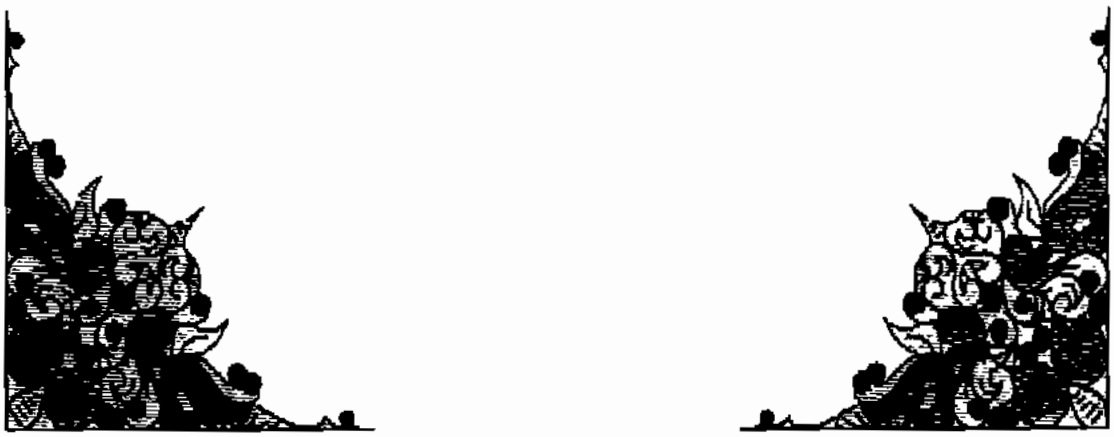

المدخل: مفهوم الصورة وأهميتها

أما الصورة فهي: الشكل الذى تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بيانى خاص ليعبر عن جوانب التجربة الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التبعير الفنى[1] والصورة هي محصلة الفعل التخيلى الذى يمارسه الشاعر، ووسيلته في الوقت نفسه[2]، فهي في العمل الفنى ما هي إلاتجسيد للتجربة أو للحظة الشعورية التى يعانيها الفنان، والطبيعى أن تسيطرعلى كلماته وعباراته وموسيقاه وصوره .[3]

قال شاعرنا شمس الدين الكوفى:

1- الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر د/عبد القادر القط، الطبعة الثانية 1401هـ ـــ 1981م، دار النهضة العربية، ص: 391

2- الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى، د/ جابر أحمد عصفور، بدون السنة، دار المعارف، القاهرة، ص: 157.

3- قضايا النقد الأدبى بين القديم والحديث، د/ محمد زكى العشماوى، الهيئة العامة للكتاب، الطبعة الثالثة 1978م، الأسكندرية، ص: 111.

لَهَفِـــيْ عَـــلَى كُتُـــبِ الْعُـــلُوْمِ وَدَرْسِـــهَا

صَارَتْ مَعَانِيْـــهَابِغَيْـــرِبَـــيَـــــــانِ[1]

فهذه الصورة التى رثى بها، هي رثاء لأدوات العلم والبكاءعلى فراق المرثى، وهذا العلم الذى بسببه انتشر بين الناس الخير والفلاح، فهي صورة لا تليق إلا بهذا المرثى، ولا تنطبق على سواه من القواد أو الوجهاء أو غيرهم، فالتجربة وهي فقد العالم انعكست على ألفاظ الشاعر وصوره، ومنه قول شاعرنا على بن عبدالله البهائى الدمشقى الغزولى في رثاء مدينة " دمشق"

لَهَفِيْ عَلَى تِلْكَ الْبُرُوْجِ وَحُسْنِهَا

حَفَّتْ بِهِنَّ طَوَارِقُ الْـــحَدَثَـــانِ

لَهَـــفِيْ عَلَى وَادِىْ دِمَشْقَ وَلُطْفِهِ

وَتَـــبَـــدُّلِ الْغُزْلَانِبِـــالثِّـــيْـــرَانِ

وَشَكَا الْحَرِيْـــقَ فُؤَادُهَا لَمَّا رَأَتْ

نُوْرَا لْمَنَازِلِ أُبْدِلَتْ بِـــدُخَـــانِ[2]

إن الشاعر يعبر هناعن لهفه وأسفه على تحول كل شيء من مدينته إلى ضده،إلى أن تبدلت الغزلان بالثيران، وتبدل نور المنازل بالدخان وما إلى ذلك. وقد

1- خطط الشام، ص: 2/ 272.

2- المرجع السابق، ص: 2/ 272 .

عبر الشاعر عن شدة أسفه بالصورة التى قدمها، فهي صورة تذكر بتقلب المدينة إلى حد لا يمكن عودتها إلى حالتها الأولى أبدا.

ومن الملاحظ، أن الغالب على صور الرثاء أنها بسيطة لا تعقيد فيها. "والتصوير يفيد أن للشعر أسلوبا خاصا في صياغة الأفكار أو المعانى، وهو أسلوب يقوم على إثارة الانفعال واستمالة المتلقى في موقف من المواقف".[1] وتستخرج الصورة الفنية أهميتها مما تمثله من قيم إبداعية وذوقية وتعبير متوحد مع التجربة، ومجسدلها.

وهذا يعنى أن الشعر في جوهربنائه ليس مجرد محاولة لتشكيل صورة لفظية محضة لا تتغلغل فيها عاطفة صاحبها.[2]

فإن الشاعر المطبوع الأصيل يتوسل بالصورة ليعبر بها عن أحوال لا يمكن له أن يتفهمها ويجسدها بدون الصورة، وبهذا المفهوم لا تصبح الصورة شيءا ثانويا يمكن الاستغناء عنه أو حذفه، وإنما تصبح وسيلة حتمية لإدراك نوع متميزمن الحقائق تعجز اللغة العادية عن إدراكه أو توصيله، وتصبح المتعة التى تمنحها الصورة للمبدع قرينة الكشف والتعرف على جوانب خفية من التجربة الإنسانية.[3]

---

1 ـــــ الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى، ص: 282.

2 ـــــ رثاء الأدباء عند شعراء الحجاز فى العصر الحديث، ص: 219.

3 ـــــ الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى، ص: 423ـ

فلذلك أن الصورة الفنية هي وسيلة الأديب في التعبير عن عالمه الخيالى بمختلف المصادر الواقعية والعقلية والخيالية[1] وحينما تظل الصورة الفنية وسيلة للتحسين والتقبيح فإنها تؤدى إلى ترغيب المتلقى في أمر من الأمور أو تنفيره منه[2]

وبتأمل في قول شاعرنا علاء الدين على الأوتارى الدمشقى:

أيُّ عَـيْـنٍ عَـلَيْهِـمْ لَيْسَتْ تَبْـكِي

أيُّ قَلْبٍ عَلَـيْـهِمْ غَـيْـرُ صَادِي[3]

نلاحظ أن الشاعرعبرعن شدة الألم والحزن على النكبة، ليس بمقتصرعليه فقط، بل عم ذلك الألم والحزن جميع الناس، ولذلك صرح بأن البكاء شمل جميع العيون والحزن قد أصاب سائر القلوب.

فإن الشاعريقبح ما فعله الدهر معه، حيث ظلم الناس بأجمعهم أزال عنهم النعمة التى كانوا فيها،وفي ذلك تعبير عن شدة الألم والفقد الذى يعانيه الشاعر من الغلاء والجلاء، والخوف والعرى ونهب الأقوات والأزواد وما إلى ذلك.

إن الدرسات الحديثة تركز على ثلاثة جوانب مكونة للصورة وهى: اللفظ والخيال ومادة الصورة ومادة الصورة تتكون من المصادر الطبيعية وهي المدركة

---

1 – القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجرى، ص: 364/2.

2– الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى، ص: 391.

3– نهاية الأرب للنويرى، ص: 228/5.

بالحواس، والثقافية والخيالية وهما مدركان بالعقل والتخيل.[1] ولايمكن فصل الصورة عن بقية عناصرالعمل الفنى من موسيقى أو لغة، لأنها تكونت بهما، ولكن الصورة تنفرد بإعطاء المتعة الجمالية التى بدونها لا يصلح الشعر شعراً.[2] فقول شاعرنا الكوفى:

وَلَقَدْ قَصَدْتُ الدَّارَ بَعْدَرَحِيْـــلِكُمْ

وَوَقَــفْتُ فِــيْهَــا وَقْفَةَ الْحَيْــرَانِ

وَسَأَلْتُهَا لَكِنْ بِغَــيْرِ تَـــكَـــلُّمٌ

فَتَكَلَّمَتْ لَكِــنْ بِغَــيْرِ لِسَـــانِ[3]

فالشاعريقدم صورة ممتعة، وإن كان فيها حزن وحيرة على تبدل الأحوال للمدينة المدمرة كأن الشاعر فقد القدرة على الكلام لعظم النكبة، ولايجد الداعى للكلام لأن هناك من لايسمع كلامه ويرد عليه، فلذلك يتحير الشاعر ويغرق في التفكر والتخيل ويسأل بدون كلام ويتكلم بغير لسان، وقد أكد سكوت الشاعر حيرته على تغير الأحوال دفعة. وبذلك أعطى الشاعر صورة متقابلة قوية قدمت جمالاً وإمتاعاً

1 - القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجرى، ص: 364/2.

2- شعرالرثاء فى العصر الجاهلى، ص: 280.

3- خطط الشام، ص: 273/2.

للسامع والمتلقى، وما بين الكلمة وضدها مساحة واسعة تمتد فيها الصورة امتداد الحزن.[1]

إن الصورة الفنية هي المنبع الأساسى للشعر وهي فكرة وشعور ولغة وموسيقى، وخيال، تنقل إحساس الشاعر إلى المتلقى فتيثر انفعاله وتؤثر في فكره ووجدانه بحيث تجبره على الاستجابة العاطفية أو النفسية المطلوبة.[2]

فالمهم أن تتألف عناصر هذه الصورة في نسق يقبله العقل، وينتسب بعضها إلى بعض في تركيبات[3] قال شاعرنا شمس الدين الكوفى:

ولقيت من صرف الزمان وجوره مالم تخـــــيله لى الأوهام[4]

والشاعر يخبر سامعه عن شدة تقلبات الزمان وعظم ما أصابه منه، ويصورالزمان وصرفه بالإنسان الجرئ القاتل، ويقذف في قلب السامع الرهبة والحذر من الأيام ومداولتها. ويبين شدة ماحدث له من صرف الزمان بحيث أصابه ما لم يكد يراه في الأوهام والأخيلة.

وقال شاعرنا شمس الدين الكوفى:

---

1 – الصورة فى شعرالرثاء الجاهلى، ص: 201.

2– فن الرثاء فى الشعرالعربى فى العصر المملوكى، ص: 388، مفهوم الصورة الشعرية قديما، الأخضرعبكوس، ص: 17.

3– الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى، ص: 65.

4– فوات الوفيات للكتبى، ص: 232/2 .

وَاللهِ مَا اخْتَرْتُ الْـفِـرَاقَ وَإِنَّمَـا

حَكَمَتْ عَلَيَّ بِذَلِـــكَ الْأَيَّـــامُ[1]

يلاحظ أن الشاعر يجبر السامع على التأثر بالصورة التى يقدمها ويبرئ نفسه في اختيار الفراق عن الأحبة بل يبرز أنه قد أجبرته الأيام على هذا البعد والافتراق عنهم.

1- المرجع السابق، ص: 233/2.

مصادر الصورة الفنية

وإذا أردنا أن نتحدث عن مصادرالصورة الفنية للشعر في موضوع من الموضوعت الشعرية فلابد أن يكون لحياة الشاعروللأشياء الذاتية القريبة من نفسه وما اختزنته الذاكرة من تراث شعرى بالإضافة إلى تجاربه التى مربها وثقافته المتنوعة أثرها الواضح في الصورة.[1]

فمصدرالصورة هوالشيء الذى يتكئ عليه الشاعرفي إبداعها، وهذه الصور الفنية إما أن تكون محسوسة كالبيئة التى يعيش فيها الشاعر أو غير محسوسة مثل ثقافة الشاعر وتجاربه.[2]

الثقافة الدينية : ومن تتبع مصادر الصورة في شعررثاء المدن نجد أن الثقافة الدينية وبخاصة القرآن الكريم مما استفاد منه الشعراء قال شاعرنا الكوفي في قصيدته النونية في رثاء بغداد:

1- قصيدة الرثاء عند ابن الرومى ــ دراسة موضوعية، وفاء عمر الفوتي رسالة الماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص: 159.

2- الصورة الفنية فى الشعر العربى، ص: 39.

يَـا لَـيْـتَنِـيْ قَـدْ مِـتُّ قَبْلَ فِرَاقِـكُمْ

وَلَسَـاعَـةُ الـتَّـوْدِيْـعِ لَا أَحْيَـانِـي[1]

فقد رثى الشاعر فراق الأحبة والأقارب في غاية من الألم والحزن. وتمنى الموت قبل فراقهم، وهو لا يرى فائدة في الحياة بعدهم ويدعو أن لايكون حيا عند ساعة التوديع، ربما استفاد الشاعر هذه الفكرة من قول السيدة مريم والدة عيسى بن مريم ـــــ عليه السلام ـــــ المحكى في القرآن.

"يَالَيْتَنِيْ مِتُّ قَبْلَ هذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا" واتضح منه ميل الشاعر إلى النصوص الدينية، واستفادته منها مباشرة، أو غيرمباشرة، قال الكوفى:

والله ما اخترت الفراق وإنما حكمت على بذلك الأيام [2]

فالشاعر قد برأ نفسه عن اختيار الفراق بينه وبين الأصدقاء وأسند الفراق إلى الأيام، لعل الشاعر استفاد هذه الصورة من قول الله عزوجل: "وتلك الأيام نداولها بين الناس"[3]

وقال شاعرنا الأوتارى في مدح النبى صلى الله عليه وسلم وقت الاستغاثة به

1- فوات الوفيات للكتبى، ص: 232/2.

2- فوات الوفيات للكتبى، ص: 234/2.

3- آ ل عمران، 140.

يَا حَـبِـيْـبَ الْإِلَـهِ قَدْ مَسَّـنَا الضُّـرُ

فَجُـدْ بِـالْإِسْـعَـافِ وَالْإِسْعَادِ

يَا حَـبِـيْـبَ الْإِلَـهِ تُبْـنَا إِلَـى اللهِ

وَأَنْـتَ الْـعِـمَـادُ حَـتَّى الْمِعَادِ

فَـلَأَنْـتَ الرَّحِـيْـمُ قَـلْـبًـا وَلُـبًّا

وَلَأَنْتَ الْهَـادِي لِـسُـبُـلِ الـرَّشَادِ

وَلَأَنْتَ الْبَدِيْـعُ خَـلْـقًا وَخُـلُـقًا

وَلَأَنْـتَ الـسَّـمِـيْـعُ لِلْإِنْـشَـادِ[1]

فهذه المعانى والأفكار كلها متأثرة من النصوص الدينية، ويستبين منها استفادة الشاعر من تلك النصوص خلال التصوير الفنى لشعره ــ والتعرض لتلك النصوص هنا يطول الكلام فأكتفي بهذه الإشارة فقط وأيضا لا داعى لعرضها بتمامهالوضوح مقصودنا وهو بيان استفادة الشاعر من الثقافة الدينية في التصوير الفنى لشعره ــ

الطبيعة : من مصادر الصورة الفنية الطبيعة،وقداستمد الشعراء صورهم من مظاهر الطبيعة الصامتة والمتحركة، وذلك أن الطبيعة يمكن أن تتحول بين يدى

1- فوات الوفيات للكتبين ص: 232/2.

الشاعر إلى وعاء يفرغ فيه عواطفه بحيث يصبح أساه أو حزنه جزءًا من طبيعة آسية أومرآة تنعكس عليها آلامه[1]

ومن الطبيعة الصامتة من العالم العلوي قول شاعرنا شمس الدين الكوفى:

يادار مذ أفلت نجومك عمّنا والله من بعد الضياء ظلام [2]

والشاعر يرثى سكان مدينته العظام وأصحاب المكانة العالية ولذلك لابد أن تكون الصورة من العالم العلوى فذكر النجوم واستفاد صورته الفنية من ذلك العالم العلوي.

وقال شاعرنا الكوفي في القصيدة النونية :

كَانُوْا نُجُوْمَ مَنِ اقْتَدَى فَعَلَيْهِـــــمْ يَبْكِي الْهُدَى وَشَعَائِرُ الْإِيْمَـــــانِ[3]

استفاد شاعرنا الصورة الفنية من العالم العلوى لبيان الأسى والحزن على هلاك ولاة الأمور بحيث جعلهم نجوم سماء الهدى والرشاد التى يحتاج إليها كل من يريد الهداية والسداد، وبعد ما أفلت تلك النجوم ما بقى هنامن يهتدى به، لذلك يبكي عليهم الهدى وشعائر الإيمان.

1- شعر الرثاء العصر الجاهلى، ص: 291 ــ

2- فوات الوفيات للكتبى، ص: 232/2 .

3-المرجع السابق، ص: 232/2.

ومن **الطبيعة الصامتة من العلم السفلى** من الأماكن المقدسة قول ابن شهيد الأندلسي:

كَانَتْ عِرَاصُكِ لِلْمُيَمِّمِ مَكَّةً

يَأْوِي إِلَيْهَا الْخَائِفُونَ فَيُنْصَرُوا[1]

رسم الشاعر صورة رائعة جداً لبيان ماضي مدينته الآمنة المطمئنة، واستفاد هذه الصورة من أعظم الأماكن المقدسة الآمنة مكة التي فيها بيت الله الكعبة المشرفة، ورثى أماكن مدينته المدمرة المنقلبة إلى ضدها ناظرا إلى أحوالها السابقة.

ومن **الطبيعة المتحركة** كان عالم الحيوان والطيور ميدانا رحباً استقى الشعراء منه صورهم الدالة على معانيهم، ومن عالم الطيور قول الكوفي:

وَيُذِيبُ رُوْحِيْ نَوْحُ كُلِّ حَمَامَةٍ فَكَأَنَّمَا نَوْحُ الْحَمَّامِ حِمَامُ[2]

والشاعر قداستفاد صورته هذه من عالم الطيور، واختارمن بين الطيور حمامة لها صوت مثل الأنين لتوضيح آلامه والمشاكل التي أصابته بسبب دمار مدينته.

وهذه الصورة تدل على عاطفته الداخلية الحزينة المؤلمة التي عاش بها الشاعربعد دمارالمدينة.

1- ديوان ابن شهيد، ص: 90.

2- فوات الوفيات للكتبي، ص: 232/2.

والثقافة التاريخية مصدر من مصادر الصورة الفنية للشعر وتجلت فيه براعة كثير من الشعراء في توظيف معلوماتهم التاريخية في سبيل إدخال السلوان على أنفسهم كي يسهل لهم الصبر على صدمة دمار المدينة وهلاك أهلها من الأصدقاء والأقارب قال شاعرنا الكوفي:

أَفْـنَتْهُـمْ غَيْرُ الْحَوَادِثِ مِثْـلَمَا

أَفْـنَـتْ قَدِيْمًاصَاحِبَ الْإِيْـوَانِ[1]

والشاعر يرسم صورته مستفيدا من الثقافة التاريخية ويسلي نفسه بأن هذا الفساد والتغير ليس شيءاً جديداً بل له أمثلة في تاريخ الإنسان من العصور المختلفة، وما أفنت التقلبات والحوادث مدينتي فقط بل للحوادث طرق قديمة في إفناء المدن وإفسادها، مثلما أفسدت إيوان قيصر وكسرى وما إلى ذلك من أصحاب الإيوانات القدماء، فربما يجد الشاعر تخفيفا لآلامه وأحزانه في هذا الأسلوب من التصوير.

1- المرجع السابق، ص: 232/2.

المطلب الأول:الصورة الجزئية وفيه مدخل وثلاث نكات

المدخل: مفهوم الصورة الجزئية

النكتة الأولى: التشبيه

النكتة الثانية : الاستعارة

النكتة الثالثة : الكناية

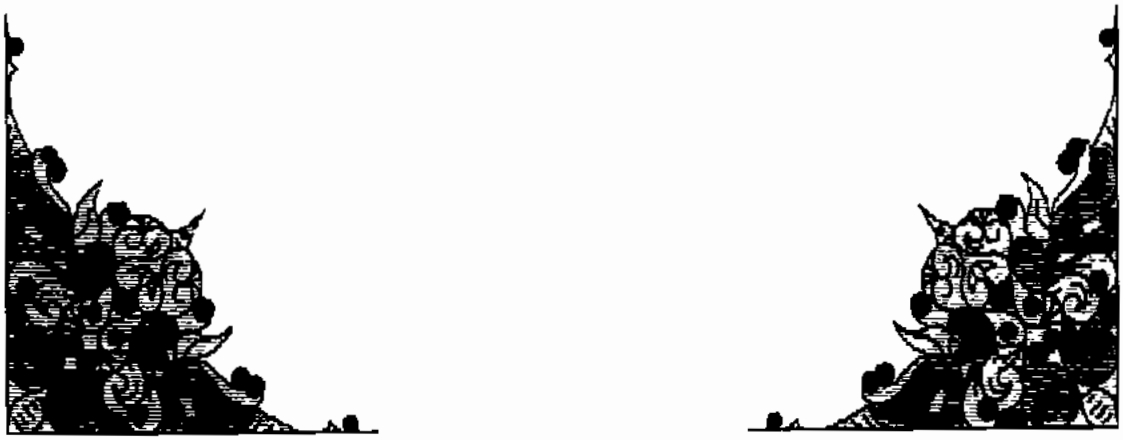

المدخل: مفهوم الصورة الجزئية

إن الصورة الفنية تنقسم إلى قسمين أساسيين وهما: الصورة الجزئية والصورة الكلية:

الصورة الجزئية :

أما الصورة الجزئية فهي تدور أكثر ما تدور في الدراسات الأدبية حول الأساليب أو الصور البيانية المعروفة مثل التشبيه، والاستعارة، والكناية[1]وهي من أهم مجالات التفاضل عند الشعراء والبلغاء، وهي مرآة تعكس عقل الفنان أو الأديب، وقدرته على الخلق والإبداع.[2]

والصورة الجزئية حين ما برع وأبدع فيها الشاعرلاتكون مؤثرة بذاتها، لكن عند ما نتمثلها في وحدة شاملة أوصورة كلية لتكشف من خلالها الأعاجيب.[3]

1- رثاء الأدباء عند شعراء الحجاز فى العصر الحديث، ص: 221.

2- قصيدة الرثاء عند ابن الرومى، ص: 166.

3- التفسيرالنفسى للأديب د/عز الدين إسماعيل، الطبعة الرابعة 1988م، دارالعودة بيروت، ص: 100.

فالصورة البيانية يعتمد الشاعر فيها على التصويرغير المباشر مستخدما الصورالبيانية من التشبيه والاستعارة والكناية وما إلى ذلك.[1]

النكتة الأولى: التشبيه:ونبدأ الكلام بالتشبيه من الصور البيانية : "وهو صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه".[2]

والتشبيه من بين الأساليب البيانية الأكثر دلالة على قدرة البليغ وإصالته في فن القول، وذلك لأن التشبيه هو في الواقع نوع من التصوير[3]بل هو عماد التصوير البيانى.[4]وأكثر ظهوراً وجذباً للانتباه للوهلة الأولى ـــ من غيره،لأن أداته تجعله أول ما يلفت انتباه المتلقى للشعر[5] والتشبيه يخلق الأنس والإلف في النفس،[6] وهو يقوم على إدراك العلاقات المتباعدة بين الأشياء، والتقريب بشكل قد لايكون واضحا

1- القصيدة الأندلسية، خلال القرن الثامن الهجرى، ص: 370/2.
2- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده ، الحسن بن رشيق القيروانى، تحقيق د/عبد الحميد هندوانى، الطبعة الأولى 1422هـــ 2001م، المكتبة العصرية، بيروت، ص: 252/1.
3- قصيدة الرثاء عند ابن الرومى، ص: 167.
4- القصيدة الأندلسية، خلال القرن الثامن الهجرى، ص: 379/2.
5- الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغيى، ص: 122.
6- قصيدة الرثاء عند ابن الرومى، ص: 171.

عند كثير من الناس.[1] والتشبيهات التى وردت في شعر رثاء المدن جاءت على صور وأشكال مختلفة، منها:

وتتناول هذه النكتة أهم أقسام التشبيه التى تضمنتها قصائدنا المختارة فقط لأن هذا البحث ليس متخصصاً لدراسة التشبيه ولذلك يتعرض لتحليل بعض أهم النماذج للشبيهات الواردة فيها.

ومعظم أقسام التشبيهات الواردة في قصائدنا هي. التشبيه المرسل –المفروق– التمثيلى، والبليغ وهو كما يلى:

التشبيه المرسل: هو التشبيه الذى تذكر فيه أداته كقولنا: زيد كالأسد. وقوله سبحانه وتعالى في سعة الجنة "عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ".[2] وسمى هذا التشبيه مرسلاً: لإطلاقه عما يقوى الشبه بين الطرفين.[3]

ومما ورد في قصائدنا من شواهد هذا النوع من التشبيه قول الكوفى.

كَدَمِ الْفُصَّادِ يُرَاقُ أَرْذَلَ مَوْضِعٍ أَبَـدًا وَيُخْرَجُ مِنْ أَعَزِّ مَكَانِ[4]

1– شعر الرثاء فى عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص: 323.

2 – سورة الحديد، 21.

3 – من قضايا البيان وصوره، د/عبد الحميد العيسوى، د/ صلاح الدين محمد أحمد، الطبعة الأولى1431م، القاهرة، ص: 24.

4– فوات الوفيات الكيتى، ص: 234/2 .

وقد بين الشاعر هنا كثرة إراقة الدم من سكان بغداد بأسلوب التشبيه بحيث أراق الأعداء المهاجمين دمهم كدم القصاد الذى لا بد من من إراقته. وشبه الدم المهراق بدم القصاد. وذكر أداة التشبيه وهى: " كاف التشبيه " فهو تشبيه مرسل محسوس بمحسوس. والغرض فيه بيان مقدار حال المشبه.

ومنه ــ قول الغزولى.

كَانَــتْ مَعَــاصِــمُ نَهْــرِهَا فِضَّيَّةً

وَالْآنَ صِــرْنَ كَــذَائِــبِالْــعَــقْــيَانِ

كَرِهَتْ جَــدَاوِلُهَــا حَوَا فِرَ خَيْلِهِمْ

فَــتَــسَــابَــقَــتْ هَــرَبًا كَخَيْلِ رِهَــانِ

قَطَرَاتُ جَفْنِيْ تَرْجَمَتْ عَنْ حُرْقَتِــــيْ

فَــكَأَنَّــهُــنَّ قَــلَائِــدُ الْعَقْــيَانِ[1]

والتشبهات في الأبيات الثلاثة المذكورة هي مرسلة لأنه ذكر أداة التشبيه في كل منها. وأما بيت الغزولي:

كانت معاصم نهرها فضية والآن صرن كذائب القصبان

1- خطط الشام، ص: 2/ 172.

فقد شبه الشاعر "معاصم نهر دمشق بـــ: "ذائب العقيان" في الحمرة وأراد منه أن يبين كثرة إراقة الدم خلال الهجمعات بحيث ملأت الأنهار بدم المقتولين المظلومين حتى احمرت معاصم النهر وأطرافها،والمشبه هو معاصم النهر والمشبه به ذائب العقيان، طبعاً ذائب العقيان الذى هو أقوى من المشبه في العلة فشبه المعاصم بها،وهذا التشبيه مرسل حيث ذكرت فيه أداة التشبيه " الكاف " والغرض من التشبيه بيان مقدار حال المشبه وكيفيته.

ومن شواهد التشبيه المرسل قول شاعرنا البهائى العزولى:

قطرات جفنى ترجمت عن حرقتى فكأنهن قلائد العقيان

وقد بين الشاعر في بيته هذا كثرة دموعه ومزجها بالدم في أسلوب فنى تشبيهي: بحيث شبه قطرات جفنه أى دموعه بـــ "قلائد العقيان" أى قلائد الذهب الخالص في اللون وجريانها واحد بعد واحد متصلاً، وأداة التشبيه هنا "كأن"

التشبيه المفروق: وهو ما تعدد فيه كل من المشبه والمشبه به بشرط أن يكون كل مشبه مقترنا في الذكر بالمشبه به. وسمى بهذا الاسم، لأنه يفرق فيه بين المشبهات بالمشبهات به، أو لأنه يؤتى فيه مع كل مشبه بمقابله من غير أن يتصل أحد المشبهات بالآخر أو يجاوره، بل يفرق بينها بالمشبهات بها.[1]

1- من قضايا البيان وصوره، د/ عبد الحميد العيسوى، القاهرة، ص: 48 .

ومن الشواهد المشهورة في الكتب قول المرقش الأكبر عمر:

النشرمسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عنم [1]

فقد جمع الشاعر في هذا البيت ثلاثة تشبيهات وهي تشبيه الرائحة بالمسك والوجوه بالدنانير وأطراف الأكف بالعنم ــ

ومن مزايا هذا النوع من التشبيه جمعه لأكثر من تشبيه في بيت واحد.[2]

ومما ورد منه في قصائدنا في بيان شدة الحزن والألم الذى أصاب الشاعر بسبب دمار المدينة وفراق الأحبة.

قول شاعرنا شمس الدين الكوفى: ومن قصيدته الميمية في رثاء بغداد،

مَــنْ كَانَ مِثْــلِيْ لِلْــحَــبِيْبِ مُفَــارِقًا

لَا تَــعْــذِلُوْهُ فَــالْــكَلَامُ كِــــلَامُ[3]

نَصَح الشاعرُ المخاطبين ألا يعذلوا الحزين المفارق للحبيب مثل الشاعر لأنه مضطر إلى البكاء والرثاء والفظاعة والاستغاثة، والمضطر ليس بملوم في عمله، فالعذل واللوم يزيده ألماً وحزناً فلا تعذلوه، والمقصود منه منعهم عن عذله.

1- مختصر المعانى، سعد الدين التفتازانى، ص: 196/1.

2- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن العسكرى تحقيق: د/ مفيد قميحة الطبعة الأولى 1981 م دار الكتب العظيمة ــ بيروت، ص: 225 .

3- فوات الوفيات للكتبي، ص: 232/2.

فالتشبيه الأول: تشبيه حال الرجل الذى فرضه الشاعر في ذهنه بحال نفسه في حزن الفراق عن الأحبة وافتراق قومه بسبب النكبة. والغرض منه بيان مقدار حال المشبه.

والتشبيه الثانى في الشطر الثانى قوله: "فالكلام كلام" فشبه الشاعر الكلام أى العذل واللوم بالكِلام أى الجروح، وكل منها مستقل بنفسه عن الآخر كما هو شأ ن التشبيه المفروق.

وكذلك قوله في القصيدة النونية من شواهد هذا النوع من التشبيه بحيث يقول:

حَتَّى رَثَى لِيْ كُلُّ مَنْ لَّاوَجْـــــدُهُ

وَجْدِيْ وَلَا أَشْجَانُهُ أَشْجَانِـــي[1]

وقد أتى الشاعر في هذا البيت بتشبيهن: وهما تشبية وجد الرجل المعين في ذهنه بوجد نفسه وكذلك شبه أشجانه بأشجان نفسه، والغرض من هذين التشبيهن بيان مقدار حال المشبه.

التشبيه البليغ: التشبيه البليغ هو ما حذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه مثل: العلم نور، والجهل ظلام[2]وسمى هذاالنوع بليغاً لما فيه من الاختصار من جهة ومن

---

1 – فوات الوفيات للكتبى، ص: 234/2.

2– علوم البلاغة العربية، د/ محمد ربيع، الطبعة الأولى 1996م، دارالفكرللنشروالتوزيع عمان، الأردن، ص: 341.

التصور والتخيل من جهة أخرى، لأن وجه الشبه إذا حذف ذهب الظن فيه كل مذهب،وفتح باب التاويل، وفي ذلك ما يكسب التشبيه قوة وروعة وتأثيرا.[1]

وقال الخطيب القزوينى "البليغ من التشبيه" ما كان من هذا النوع أعنى البعيد ــ لغرابته، ولأن الشيء إذا نيل بعد الطلب له، والاشتياق إليه كان نيله أحلى، وموقعه من النفس ألطف، وبالمسرة أولى، ولهذا ضرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد الماء على الظمأ.[2]

وشرحَ عبد المتعال الصعيدى عبارة القزوينى بقوله: يريد بهذا أن البليغ من التشبيه هو هذا النوع، وهذه التسمية مأخوذة من البلاغة بمعنى اللطف والحسن.[3]

ومن شواهد هذا النوع من التشبيه في قصائدنا المختارة الأبيات الآتية :

قال شاعرنا شمس الدين الكوفي خلال رثائه على فقد أحبته بسبب نكبة بغداد وفسادها:

مَــنْ كَانَ مِثْــلِيْ لِلْــحَــبِيْبِ مُفَــارِقًا

لَا تَــعْــذِلُوْهُ فَــالْــكَلَامُ كِــــلَامُ[4]

1- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د/أحمد مطلوب، ص: 180.

2- الإيضاح فى علوم البلاغة للقزوينى، ص:181.

3- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فى علوم المعانى والبيان والبديع، عبد المتعال، الطبعة السابعة عشر 1993، مكتبة الآداب، القاهرة، ص: 445/2.

4- فوات الوفيات للكتبى، ص: 232/2.

وَلَقَدْ قَصَدْتُ الدَّارَ بَعْدَرَحِيْـــلِكُمْ

وَوَقَفْـتُ فِـيْـهَا وَقْفَةَ الْحَيْـرَانِ

كَانُوْا نُجُوْمَ مَنِ اقْتَدَى فَعَلَيْهِـــــمْ

يَبْكِي الْهُدَى وَشَعَائِرُ الْإِيْمَـــــانِ

حَتَّى رَثَى لِيْ كُلُّ مَنْ لَّاوَجْـــدُهُ

وَجْدِيْ وَلَاأَشْجَانُهُ أَشْجَانِـــي[1]

وموضع الشاهد في الشعر الأول هو قول الكوفى: "فالكلام كلام" التمس الشاعرُ في بيته المذكور من المخاطبين له المنع عن عزل المفارق لأحبته مثله (الشاعر) ثم شبه كَلام العاذلين بالكِلَامِ أى الجروح.

ويتضمن هذا البيت المعانى البلاغية المتعددة من تشبيهين، وجناس والنهي المستعمل في غير معناه الحقيقى، وقد تحدثنا عنهافي موضعها. ونتحدث هناعن التشبيه فى الشطر الثانى وهو التشبيه البليغ، لأنه شبه كلام العاذلين بالجروح فأتى بطرفي التشبيه: المشبه وهو "الكَلام" والمشبه به وهو "الكِلام" جمع الكلْم بمعنى الجرح وحذف أداة التشبيه ووجه الشبه، وهذا هو التشبيه البليغ، والتقدير، فـ "الكَلام مثل

1 – فوات الوفيات للكتبى، ص: 234/2.

الكلام في الإيلام والتعذيب" وهو أيضاً تشبيه معقول بمحسوس، وأرادمنه الشاعر: بيان تقرير حال المشبه.

والشاهد في البيت الثانى: "وقفتُ فيها وقفة الحَيرانِ" وقد شَبّه الشاعر وقُوفَه في ديار الأحبة بوقفة الحيران وذكر المشبه أى وقوفه وكذلك المشبه به أى وقفة الحيران ولم يذكر أداة التشبيه ولا وجه الشبه فهو تشبيه بليغ وإذاكان المشبه والمشبه به كلاهما محسوسان فهو تشبيه محسوس بمحسوس مع كونه بليغاً، والقصد منه بيان حال المشبه.

والشاهد في البيت الثالث "لا وَجْدُه وَجْدى ولا أَشْجَانُه أشجانِى"

وفي هذا البيت تشبيهان بليغان وهو: لا وجده وجدى. ولا أشجاته أشجاتى ومعنى الوجد والشجن متقارب وتقديره أى "لا وجده أى حزنه مثل وجدى في الشدة والقوة" وقصد الشاعر أن يبين شدة النقمة ووفرة المشاكل والصعوبات بحيث رثى وحزن على هذه النكبة كُلُّ مَنْ لم يفقد شياً عنه ولا فارق شياً منه من الأحبة فما بال شدة حزنى حيث فقدتالأحبة والأعزاء وكل شيء ــ والغرض من هذا التشبيه بيان مقدار حال المشبه، وهو تشبيه معقول بمعقول.

ونفس التوضيح للتشبيه الثانى لهذا البيت أى لا أشجانه أشجانى.

وموضع الشاهد في الرابع هو، "كانوانحوم من"...

وقد مدح الشاعر في هذا البيت أحبته الظاعنين السادة في أسلوب التشبيه البليغ بحيث زعم أنهم كانوا مثل النجوم لمن تبعهم في الاهتداء والرشاد فاختار هذا الأسلوب من التشبيه للمبالغة في مدحهم وبيان الفائدة لوجودهم والخسران في فقدهم. وأرى الغرض من هذاالتشبيه بيان مقدار حال المشبه.

ومنه قول الكوفي وهو يقول:

نِعْمَ الْمُسَاعِدُ دَمْعِي الْجَارِيْ عَلَى

خَدِّيْ إِلَّا أَنَّــهُ نَــمَّـــــــامُ[1]

فالشاهد هنا هو قوله: (أنه نَمّام)وأصل الكلام دمعى مثل النمام في إعلام الألم والحزن،وبيّن الشاعر أنه لايجد من يساعده على ما أصابه غيردموعه، ولكن الدموع مع مواساتها نمام، ربما تُدخلُ مساعدتُها في المشاكل الأخرى ففى الحقيقة ليس هناك مساعد.

التشبيه التمثيلى:والتشبيه التمثيلى هوالذى لا يكون وجه الشبه فيه شيءا مفردا بل يكون مكونا من أجزاء[2]

1- المرجع السابق، ص: 232/2 .

2- فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب، د/ فتحى عبد القادر فريد، الطبعة الثانية 1404 هـ، 1984 م دار صادر، ص: 68.

وقال السكاكى:اعلم أن التشبيه متى كان وجهه غير حقيقي وكان منتزعا من عدة أمورخص باسم التمثيل[1]

وهو من التشبيهات العالية لأن فيه دقة وفنا يحتاجان إلى تفكرو تأمل.[2]

ومن شواهد هذا النوع من التشبيه من بين قصائدنا المختارة للدراسة في هذا البحث أبيات ابن شُهيد الأندلسى في رثاء قرطبة والأبيات.

عَجُوزٌ لَعَمْرُ الصِّبَا فَانِيَـــةٌ لَهَا فِي الْحَشَا صُورة الْغَانِيَهْ

زَنَتْ بالرِّجَالِ عَلَى سِنِّـــها فَيا حبَّـذَا هِي مِن زانِـيَـهْ

تُرِيكَ العُقُولُ عَلَى ضَعْفِهَا تُدَارُ كَـمَا دَارَتِ السَّانِيَـهْ

فَقَدْ عَنِيَتْ بِهَوَاهَا الْحُـلُومُ فَهِي بِرَاحَتِهَا عَانِيَـــــهْ[3]

وقد بين الشاعر صورة مدينة "قرطبة " الخربة العانية بالمقارنة بين أيامها الماضية الخضرة الذهبية وحاضرها اليائسة الخربة،وأخرى بتشبيه حالة قرطبة بحالة المرأة العجوزة الفانية التى تتكلف في أعمالها وتجتهد أن تحضر نفسها أمام الناس بصورة الفتاة الشابة ليحبوها كما كانوا يريدونها ويحبونها في شبابها، وهي تتحمل

1- المطول شرح تلخيص المفتاح،سعدالدين مسعود بن عمر التفتازانى، الطبعة الأولى 1425 م، دار إحياء التراث العربى بيروت، ص: 62.

2 – فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب د/ فتحى عبدا القادر فريد،ص: 68.

3 – ديوان ابن شهيد، ص: 42.

المشاكل والمعانات لتنجح في مرامها وترى الحلوم لجلب النفع الكبير في عملها هذا ولكن هي لا تنجح في قصدها وتفشل في آخرالأمر وتعود بخسران عظيم وتعب شديد.

كذلك كانت صورة أحوال قرطبة في زمن الشاعر الذى عاش فيه هناك في المدينة المنكوبة التى خربت وسقطت رغم الضحايا العظيمة من قادتها وسادتها، وسكانها.

النكتة الثانية : الاستعارة

وهي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى[1] ولها قيمة و مزية عظيمة. "ومن خصائصها التى تذكر بها، وهي عنوان مناقبها: أنها تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجنى من الغصن الواحد أنواعا من الثمر".[2] وهي وسيلة للتوسع والتصرف في المعانى المولع بها الإنسان.[3]

1- جواهرالأدب فى أدبيات وإنشاء لغة العرب ــ السيد أحمد الهاشمى، 1425هـــ 2004م، المكتبة العصرية، بيروت، ص: 264.

2- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجانى، تحقيق: محمد الفاضلى، 1426هـــ 2005م، المكتبة العصرية، ص:36.

3- قصيدة الرثاء عند ابن الرومى، ص: 312.

ومن بلاغتها: أنها وسيلة من وسائل الرؤية الشعرية الخلاقة، والتى يكشف بها المبدع عن قدرته في إدراك جديد لعلاقات الأشياء.[1] وأما قيمتها من حيث الأثر النفسى "فإنك لترى بها الجماد حيا ناطقا، والأعجم فصيحا، والأجسام الخُرس مُبَيِّنة، والمعانى الخفية بادية جلية"[2] ويتناول هذا البحث أنواع الاستعارة التي تتبعناها من قصائدنا المختارة مع تحليل بعض النماذج لكل منها، وهي كما يلي:

الاستعارة التصريحية : وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به،،ومما وردمن الشواهد في شعرنا قول شاعرنا شمس الدين الكوفي في بكائه على سكان بغداد حيث يقول:

يَا دَارُ مُـــذْ أَفَـــلَتْ نُـــجُومُـــكِ عَمَّنَا

وَاللهِ مَـــــنْ بَـعْـــدِ الضِّـــــيَاء ظَلَامُ[3]

وقد وقعت الاستعارة التصريحية في ثلاث مفردات من البيت وهي "النجوم" و"الضياء" و "ظلام" وقد شبه الشاعر سكان الدار بالنجوم، وأصل الكلام هو: السكان مثل النجوم ثم حذف المشبه وصرح بالمشبه به وهى استعارة تصريحية ــ وكذلك شبه الزمان قبل النكبة بالضياء والنور وبعدها بالظلام.

1- البلاغة والأثر النفسى، ص: 132.

2- أسرار البلاغة، للجرجانى،: ص: 37.

3- فوات الوفيات، للكتبى، ص: 232/2.

فالعلاقة علاقة المشابهة والقرينة حالية ومثل ذلك قوله من نفس القصيدة.

يَا غَائِبِيْنَ وَفِيْ الْفُؤَادِ لِبُعْدِهِمْ نَارٌ لَهَا بَيْنَ الضُّلُوْعِ ضِرَامُ[1]

وموضع الشاهد في البيت هو قوله " نار " وهي كلمة استعملت في غير معناها الحقيقى، والقرينة المانعة "الفؤاد" والضلوع، وشبه الشاعر حرقة الحزن والأسى الذى أصابه لفراق الأحبة بالنار ثم ذكر المشبة به ولم يذكر المشبه لإرادته بيان شدة الحزن وحرقته، فالعلاقة علاقة المشابهة.

ومن الاستعارة التصريحية قول ابن شهيد الاندلسى في رثاء قرطبة حيث قال:

يَاجَنَّةً عَصَفَتْ بِهَا وَبِأَهْلِهَا

رِيْحُ النَّوَى فَتَدَمَّرَتْ وَتَدَمَّرُوْا[2]

وقد وصف الشاعر مدينته وصفاً وبالغ فيه حتى جعلها جنة واستخدم فيه من الأسلوب البيانى الاستعارة، وقد شبه قرطبة بالجنة ثم حذف المشبه وأقام المشبه به مقامه على سبيل الاستعارة التصرحية الأصلية لعلاقة المشابهة بينهما، لعلة جامعة من الصفاء والبهاء والحسن والجمال، وجعل القرينة عليه عصف الريح، والدماروغيرها ممالا يوجدفي الجنة الحقيقية. ومنه قوله:

1- المرجع السابق، ص: 232/2.

2- ديوان ابن شهيد الأندلسى، ص: 91.

أَسَى عَلَيْكِ مِنَ الْمَمَاتِ وَحُقَّ لِيْ

إِذْ لَمْ نَــزَلْ بِكِ فِيْ حَيَاتِكِ نَفْخَرُ[1]

والشاهد في البيت كلمة "الممات" و "الحياة" وقد شبه الشاعر فساد قرطبة بسبب النكبة بالممات وصلاحها وسلامها قبل النكبة بالحياة ثم صرح بالمشبه به وترك المشبه كما هو أمر الاستعارة المصرحة، والعلاقة علاقة المشابهة، والقرينة حالية وقصد الشاعر منها المبالغة في الوصف.

ومن شواهد الاستعارة التصريحية قول على بن عبد الله البهائى الذى يقول:

وَقَعَــتْ كِلَابُ الْمُــغْــلِ فِــيْ غُزْلَانِهَا

وَتَحَــكَّمَــتْ فِــيْ الْحُــوْرِ وَالْوِلْدَانِ[2]

وفي هذا البيت مجموعة من الاستعارات كما نفصلها فيما يأتي:

أولا: الاستعارة المصرحة الأصليةــ فهي جارية في "كلاب" و"الغزلان" و"الحور" و"الولدان" وقد شبه الشاعر جنود المغول بالكلاب، وقد شبه سكان دمشق بالغزلان مرة وأخرى بالحور والولدان، ثم حذف الشاعر المشبه من جميع المواطن وأبقى المشبه على أسلوب الاستعارة المصرحة، وهي أيضا أصليه لكون جميع

1- المرجع السابق، ص: 90.

2- خطط الشام، ص: 173/2.

الكلمات التي جرت فيها الاستعارة جامدة، والعلاقة المشابهة بينها والقرينة نسبة التحكم إلى الكلاب.

ثانيا: الاستعارة التبعية وقد جرت الاستعارة في كلمة "تحكمت" وهي فعل، وجريان الاستعارة في الكلمات المشتقة والأفعال من شأن الاستعارة التبعية.

ثالثا: الاستعارة المرشحة ــ وهي بحيث شبه الشاعر جنود العدو بالولى وصاحب الحكم والسلطة ثم حذفه وذكر من ملائماته التحكم وإجراء الأحكام إلى من تحته. فذكر الشاعرملائمات المشبه به. والعلاقة في جميعها علاقة المشابهة.

والغرض من الاستعارة بيان المبالغة في شدة هجوم الجنود على المدينة وأهلها مع تقبيحها، وكذلك بيان المبالغة في ضعف سكان المدينة وتحسينهم.

الاستعارة المكنية : هي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه[1] وذلك بأن يستعار أولا: لفظ المشبه به، ثم يحذف ويرمز إليه بشيء من لوازمه، وهو ما يسمونه بالاستعارة المكنية. أى المحتجب فيها لفظ المشبه به.

ولهذا النوع أمثلة متوفرة في قصائدنا ومنها قول على بن عبد الله الغزولى البهائى الدمشقى:

1- علم المعانى ــ البيان ــ البديع، د/ عبد العزيز عتيق، ص: 134.

كَرِهَتْ جَـدَاوِلُهَـــــا حَوَا فِرَ خَيْلِهِمْ

فَـتَسَـابَقَـتْ هَـــرَبًا كَخَيْلِ رِهَـانِ[1]

شبه الشاعر الجداول بشخص يكره، ويحب ثم استعار لفظ المشبه به للمشبه وحذف المشبه به وهو الشخص المخيل ورمز له بشيء من لوازمه وهو الكراهة على سبيل الاستعارة المكنية.

ومن نماذج الاستعارة المكنية قول شاعرنا على بن عبد الله الغزولى:

لَهَفِيْ عَلَى تِلْكَ الْبُرُوْجِ وَحُسْنِهَا

حَـفَّـتْ بِهِـنَّ طَـوَارِقُ الْـحَـدَثَـانِ[2]

يتأسف الشاعر في هذا البيت على بروج مدينته التى طالت إليها يد الحوادث وتغير حسنها وبهاءها، وبيَّن فيه كثرة المشاكل والمصائب التى أصابت أهلها. واستخدم هنا أسلوب الاستعارة في قوله: "حفت بهن طوارق الحدثان" بحيث شبه طوارق الحدثان بجيش كبير ثم حذف المشبه به واستعار لفظ المشبه به للمشبه ورمز له بشيء من لوازمه وهو الحف على أسلوب الاستعارة المكنية. والعلاقة المشابهة والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقى لفظية وهو إسناد الحف إلى طوارق الحدثان.

1-خطط الشام، ص: 172/2.

2- المرجع السابق، ص: 172/2.

الاستعارة الأصلية : هي ما كان فيها المستعار"أو اللفظ الذى جرت فيه " اسم جنس[1] أو غير مشتق سواءأكان اسم ذات مثل "أسد" للإنسان الشجاع أم اسم مصدر مثل "القتل" للإذلال. وسواء أكان اسم جنس حقيقة مثل إنسان أم تأويلاً مثل الأعلام التي اشتهرت بنوع من الوصف كحاتم في قولك "رأيت اليوم حاتما" تريد رجلاً كريماً جواداً مثل حاتم. وكما أن أسداً يقصد به الحيوان المفترس، حقيقة، والرجل الشجاع مجازاً كذلك حاتم يشار به إلى الرجل الطائى الشهير بهذا الاسم، حقيقة ويقصد به "الجواد" مجازاً[2]

والنماذج التى مرت في بيان الاستعارة التصريحية من إجراء الاستعارة في النجوم، والضياء والظلام، والنار وما إلى ذلك كلها من نوع الاستعارة الأصلية ــ كما نلاحظها في قول شاعرنا على بن عبد الله الغزولى في رثاء دمشق وسيطرة جنود المغل سكانها حيث يقول:

وَقَعَــتْ كِلَابُ الْمُــغْــلِ فِــيْ غُزْلَانِهَا

وَتَحَــكَّمَــتْ فِــيْ الْحُــوْرِ وَالْوِلْدَانِ[3]

1- التلخيص للخطيب القزوينى، ص: 109/4.

2- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف السكاكى،1995م دار الكتب العلمية بيروت ــ لبيان، ص، 380.

3- خطط الشام، ص: 173/2.

واستعملت كلمات: كلاب،وغزلان،والحور، والولدان كلها على أسلوب الاستعارة الأصلية لكونها جامدة.

الاستعارة التبعية : وهي التى يكون اللفظ الذى جرت فيه الاستعارة مشتقا أو فعلا، أو حرفا، وسميت بهذا الاسم، لأنها تابعة لاستعارة أخرى في المصدر، لأن الاستعارة تعتمد التشبيهوالتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفا، والأفعال، والصفات المشتقة منها، بمعزل عن أن توصف والمحتمل للاستعارة في الأفعال، والصفات المشتقة منها، هو مصادرها.[1]

ومن أهم النماذج الواردة في قصائدنا قول شاعرنا شمس الدين الكوفى:

وَحَيَـاتِـكُمْ مَا حَـلَّـهَا مِنْ بَعْدِ كُـمْ

غَـيْرَ الْبِلَى وَالْـهَـدَمِ وَالـنِّـيْـرَانِ[2]

وقد رسم الشاعر في البيت المذكور صورة الدار بعد رحلة الأحبة الساكنين فيها وظهور المشاكل والمصائب فيها من البلاء والهدم واشتعال النيران. واستخدم هنا الاستعارة واللفظ المستعار هو صيغة الفعل الماضى "حل" من الحلول.

1- المطول مع حاشية الحلبى، ص: 375/1.

2- فوات الوفيات، ص: 234/2.

وأجريت الاستعارة في الكلمة المشتقة أى الفعل الماضى ــ على سبيل الاستعارة التبعية والقرينة المانعة عن المعنى الحقيقى نسبة الحلول إلى الهدم والنيران، وفائدة الاستعارة هنا المبالغة في وقوع المشاكل وحدوث الصعوبات.

ومن شواهد هذا النوع من الاستعارة أيضاً قول الكوفى:

كَانُوْا نُجُوْمَ مَنِ اقْتَدَى فَعَلَيْهِـــــمْ يَبْكِي الْهُدَى وَشَعَائِرُ الْإِيْمَـــــانِ[1]

وقد صرح الشاعر في هذا البيت أهمية صناديد بغداد وقادتها، وعامة من سكنها من العلماء الأفاضل حيث كانوا مثل النجوم لرعيتهم في الهداية والمحافظة على شعائر الدين الإسلامى.

وموضع الشاهد هنا قوله "يبكى الهدى وشعائر الإيمان" وأجريت الاستعارة في صيغة المضارع " يبكى " على أسلوب الاستعارة التبعية والقرينة نسبة البكاء إلى الهداية والشعائر.

والهدف منها بيان المبالغة في الحزن على فقدهم وهلاكهم.

الاستعارة الترشيحية : هي ما ذكر معها ملائم المشبه به.

ومن شواهد هذا النوع من الاستعارة ما قال شاعرنا شمس الدين الكوفى:

1- المرجع السابق، ص: 234/2.

أَتَرَى تَعُـــــوْدُ الدَّارُ تَجْمَعُنَا كَـمَا

كُنَّـــا بِـــكُلِّ مَـــسَـــرَّةٍ وَتَـــهَـــانِـــيْ

إِذْ نَحْنُ نَغْتَنِمُ الزَّمَانَ وَنَجْتَـــــــنِـــيْ

بِيَدِ الْأَمَانِ قُطُـــــوْفَ كُلِّ أَمَانِيْ[1]

إن الشاعر قد رسم صورة أحوال مدينته في الأيام الخالية من الأمن والاطمئنان والرخاء والسخاء في أسلوب الاستعارة المرشحة، والشاهد في هذا البيت قوله " نحن نجتنى بيد الأمان قطوف كل أمانى" وإذا تأملنا هذا الشطر من البيت لوجدنا أن الدار قد شُبِّهت بالبستان وهو المستعار، ثم حذف المستعار أو المشبه به وذكر ما يلزمه ويلائمه أى اجتناء القطوف على سبيل الاستعارة المكنية المرشحة. والقرينة المانعة عن إرادة المعنى الحقيقى "الاجتناء بيد الأمان " وكذلك "قطوف الأمانى " والمقصود منه، بيان المبالغة في رخاء الدار وأمانها والاطمئنان فيها في تلك الأيام السالفة وفقدها في الأيام الحاضرة.

1- فوات الوفيات، ص: 234/2.

النكتة الثالثة : الكناية

الكناية في اللغة يقال: كنى عن كذا أى تكلم بما يستدل به عليه ولم يصرح[1] وأن تتكلم بشيء وتريد غيره وتترك التصريح به، ويدل عليه البيت الآتى الذى نقله أصحاب المعاجم.

وإنى لأكنو عن قذور بغيرها وأعرب أحيانا بها وأصارح[2]

الكناية في الإصطلاح: أما الكناية في الإصطلاح البلاغى: فعرفها السكاكى قائلا: هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكرما هو ملزومه لينتقل من المذكور إلى المتروك[3]

وعرفها الخطيب القزوينى بقوله: "لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه الأصلى حينئذ"[4]

1- المعجم الوسيط، ص:8/7.

2- لسان العرب ماده "كنى" 233/15، القاموس المحيط للفيروزآبادى باب الكاف فصل الياء مادة (كنى)

3 – مفتاح العلوم للسكاكى، ص: 170.

4 – الإيضاح فى علوم البلاغة للقزوينى، 1937 م مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده القاهرة، مصر، ص: 232.

بلاغة الكناية : الكناية طريق من طرق البيان وغرض من أغراض التعبير يعبربها عن الحقائق تعبيراً غير مباشر. فبعض مواطن الكلام يستدعى التصريح بالغرض والتعبير عن المراد بوضوح، وبعضها يقتضى التعبير عن المطلوب في خفاء فتكون في النفس أوقع، وعن بيان الغرض أنسب وقال عبد القاهر الجرجانى "ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد طلب له أو الاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى وبالميزة أولى فكان موقعه من النفس أجل وألطف"[1] والكناية وسيلة قوية من وسائل التأثير ولها أثر بالغ في تحسين الأسلوب وتحريك أحاسيس الإنسان. هي في العبارة الأدبية كالدرة اليتيمة في العقد، وكالخال في خد الحسناء، وكالزهرة الجميلة في الروضة الفيحاء، تضفي عليها جمالاً وسحراً حلالاً، وتكسوها رونقاً وبهاءً، وتذوب النفس تأثيراً بجمالها، وتتراقص العواطف تهيؤاً لعناقها، وتتحرك الأحاسيس بحسنها وبهائها[2]

من وظائفها:

1 ــ إعطاء المعنى مصحوبا بالدليل والبرهان.

2 ــ إفادة المبالغة في الوصف.

1- أسرار البلاغة للجرجانى، تحقيق: محمد رشيد رضا الطبعة الثانية بدون السنة، دارالمعرفة، بيروت، ص: 118م.

2- الأسلوب الكنائى، د/ محمود السيد شيخون ــ الطبعة الأولى 1978 م، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة مصر، ص: 77.

3 ــ وضع المعانى في صورة المحسوسات.

4 ــ إعطاء القدرة في التعبير عما لا يليق التصريح به وما إلى ذلك.

أقسام الكناية وأركانها: تنقسم الكناية إلى ثلاثة أقسام.

1 ــ الكناية عن الموصوف

2 ــ الكناية عن الصفة

3 ــ الكناية عن النسبة

وأركانها أيضا ثلاثة :

1 ـــ المكنى به: وهو دلالة اللفظ الذى يقوم دليلا على المقصود.

2 ـــ المكنى عنه: وهو المعنى الذى يريده الناطق بالكناية.

3 ـــ القرينة : وهي التى تفهم من السياق وتمنعمن إرادة المكنى به وترشد إلى المكنى عنه.

وتتوجه إلى تحليل نماذج لأقسام الكناية كلهامن قصائدناالمختارة للدراسة.

الكناية عن الموصوف: "وهي التى يطلب بها نفس الموصوف"[1]

ويصرح بالصفة والنسبة دون الموصوف مثلا يقال:"زيد صفا لى مجمع لبه " كناية عن القلب، وصرح بالصفة وهي الصفاء وبالنسبة وهى: إسناد الصفاء إلى

1- مفتاح العلوم للسكاكى، ص: 302.

مجمع اللب ولم يصرح بالموصوف الذى هو القلب. ولا بد للكناية عن الموصوف: أن يكون اللفظ المكنى به مختصا بالموصوف المكنى عنه ليحصل الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثانى المراد[1]

ومن أهم الشواهد الواردة في قصائدنا قول شاعرنا شمس الدين الكوفي في رثاء بغداد حيث يقول سائلا الدارعن الملوك والصناديد لبغداد:

نَادَيْتُهَا يَا دَارُمَا صَنَعَ الْأُولَـــــى

كَانُوْا هُمُ الْأَوْطَارَ فِيْ الْأَوْطَانِ

أَيْنَ الَّذِيْـنَ عَهِـدْتُـهُمْ وَلِعِـزِّهِـمْ

ذُلًّا تَخُـرُّ مَعَـاقِدُ الـتِّيْـــــجَانِ[2]

يبين الشاعر أنه نادى الدار وسألها عن ملوكها الذين كانوا ملجأ للناس لقضاء حاجاتهم في الأوطان وكانوا ذوى القدر الرفيع لا فيما بين عامة الناس فحسب بل بين الملوك والسلاطين أيضا حتى كان الملوك يتواضعون بين أيديهم. وموضع الشاهد هنا "معا قد التيجان" والمراد منه أصحاب التيجان أى الأمراء والسلاطين وهو كناية عن الموصوف لأنه لا يكون صاحب تاج إلا إذا كان سلطاناًأوملكاً لذلك ترك التصريح وشغل بالكناية لأن الكناية هي أبلغ من التصريح.

1- الإيضاح فى علوم البلاغة للقزوينى، ص: 302.

2 - فوات الوفيات للكتبى، ص: 234/2

وقال الكوفي في القصيدة الميمية.

يَا دَارُ مُـذْ أَفَـلَتْ نُـجُوْمُكِ عَمَّنَا

وَاللهِ مَنْ بَـعْـدِ الضِّـيَاء ظَلَامُ

وَالدَّارُ مُذْعَدَمَتْ جَمَالَ وُجُوْهِـكُمْ

لَـمْ يَبْقَ فِيْ ذَاكَ الْمَقَامِ مَقَامُ

فَـمَتَى قَبِلْتِ مِنَ الْأَعَادِيْ سَاكِـنًا

بَعْـدَ الْأَحِـبَّـةِ لَا سَقَاكِ غَمَامُ[1]

ففي الأبيات المذكورة هناك كنايات عن الموصوف والصفة أما موضع الشاهد في البيت الأول فهو قوله أفلت نجومك " كناية عن الموصوف والمراد من أفل النجوم هو هلاك الملوك، كأن الشاعر يعتقد كما أن وجود النجوم سبب للهداية والضياء كذلك كان وجود الملوك سببا للهداية والضياء وعدمهم سببا للضلالة والظلام.

وفي البيت الثانى: قوله: "جمال وجوهكم" وهو كناية عن الموصوف لأنه لا يعدم جمال الوجه إلا بعدم صاحب الوجه فيكون عدم جمال الوجه كناية عن عدم صاحب الوجه الذى يقصد منه سكان المدينة من أحبة الشاعر وأعزائه.

1 -المرجع السابق، ص: 233/2 .

وفي البيت الثالث موضع الشاهد هو: "الأعادى" و "الأحبة وهو كناية عن الموصوف" وأراد الشاعرمن "الأعادى" الناس الهاجمين ومن "الأحبة" سكان المدينة. كأن الشاعر يدعوبالجدب والقحط على مدينتهالتى أصبحت مرتعاً للأعادى .

وقال علاء الدين الأوتارى الدمشقى في رثاء دمشق.

لَسْتُ أَرْجُوْ غَيْرَ الْبَشِيْرِ شَفِيْعًا

عِنْدَ رَبِّيْ فِي الْمَنِّ بِالْإِنْجَادِ[1]

موضع الشاهد في البيت هو: البشير" هو كناية عن الموصوف والمراد منه سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأن هذا الوصف ثبت له حتى ورد في القرآن الكريم. إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم.[2]

وقد ذكره صلى الله عليه وسلم هنا بهذا الوصف لمناسبة الموقع لأن الشاعر في ضيق الأحوال والمشاكل ويريد البشرى من الإنجاد والغوث منه لذلك ذكره صلى الله عليه وسلم بهذا الوصف.

ومنه قول على بن عبدالله البهائى الغزولى الدمشقى في رثاء دمشق:

لَهَفِيْ عَلَى تِلْكَ الْبُرُوْجِ وَحُسْنِهَا

حَفَّتْ بِهِنَّ طَوَارِقُ الْحَدَثَانِ

1 – نهاية الأدب فى فنون العرب: للنويرى، ص: 227/5.

2 – البقرة ، 119.

لَهَـــفِيْ عَـــلَى وَادِيْ دِمَشْقَ وَلُطْفِهِ

وَتَبَدُّلِ الْغُزْ لَانِيَـــا لِـــثُّيْـــرَانِ

والشاهد في البيت هو: " الغزلان " والثيران "

"الغزلان" كناية عن سكان دمشق و "الثيران"كناية" عن المغول الهاجمين فهو كناية عن الموصوف، والمراد بهذا الأسلوب تعجب السامع من شأن الفريقين في الصفة والقوة.

ومنه قول ابن شهيد الأندلسي في رثاء قرطبة :

كَـــانَتْ عِـــرَاصُـــكِ لِلْـــمُـــيَمِّمِ مَـــكَـــة

يَـــأْوِيْ إِلَـــيْـــهَا الْخَائِـــفُونَ فَيُنْصَرُوْا[1]

يمدح الشاعر مدينته بأسلوب الكناية وكنى بمكة عن موضع الأمن ومكان السلام، وهو كناية عن الموصوف، والغرض المبالغة في وصف الأمن والسلام.

وكذلك قوله:

يَـــا طِيْـــبَهُمْبِقُصُـــوْرِهَاوَخُدُوْرِهَا

وَبُـــدُوْرِهَا بِقُصُـــوْرِهَا تَتَخَـــدَّرُ[2]

1- ديوان ابن شهيد، ص: 91.

2- ديوان ابن شهيد، ص: 90.

والشاهد في البيت هو قوله: "بُدورُها " وكنى بها عن النساء الجميلات اللاتى كن مثل القمر ليلة البدر، وهو كناية عن الموصوف وأراد الشاعر هنا أن يبالغ في جمالهن وبهائهن.

الكناية عن الصفة :

المراد بالصفة هنا نفس الصفة أى الصفة المعنوية مثل الشجاعة والكرم والغنى والجمال وغير ذلك، لا النعت المعروف في علم النحو.[1]

ويصرح في هذا النوع من الكناية بالموصوف وبالنسبة إليه ولا يصرح بالصفة المراد نسبتها بل بصفة أوصفات أخرى تلزمها.

مثلا يقال: "عمروكثيرالرماد" كناية عن الجود، فصرح بالموصوف وهو زيد وكذلك بالنسبة وهي إسناد كثرة الرماد إلى زيد، ولكن لم يصرح بالصفة المقصودة نفسها وهي الجود ولكن صرح بصفة أخرى تلازمها التى هي "كثرة الرماد ".

ومما ورد من الكناية عن الصفة في قصائدنا قول شاعرنا علاء الدين على الأوتارى في رثاء دمشق.

لَهَفَ نَفْسِيْ عَلَى جُيُوْشٍ تَوَلَّتْثُمَّ
وَلَّتْ جَرِيْحَةَ الْأَكْبَادِ[2]

1 – الإيضاح فى علوم البلاغة، للقزوينى، ص: 302.

2 – نهاية الأدب فى فنون العرب، للنويرى،ص: 227/5.

قد رسم الشاعر في البيت المذكور صورة الجيش الغازى المهزوم من جيوش بلده، وكنى بجريحة الأكباد عن الهزيمة التى واجهت الجيوش الغازية من دمشق. وموضع الشاهد هنا "جريحة الأكباد"وهوكناية عن الصفة.

ومنه قوله:

أَحْسَنَ اللهُ يَا دِمَشْـــقَ عَـــــــزَاكِ

فِـيْمَـــعَـــانِـــيْـــكِ يَـــا عِمَادَ الْـــبِلَادِ[1]

وقد امتدح الشاعرمدينته الجميلة (دمشق) في بيته هذا في أسلوب التعبير الكنائى وموضع الشاهد هو: "عمادالبلاد" وكنى به عن سيادة دمشق وهو كناية عن الصفة، وما صرح بهذه الصفة بل ذكرصفة أخرى ونسبها إلى بلده لينتقل منها إلى الصفة المراد إثباتها. ومنه قول الكوفى:

يَا غَائِبِيْنَ وَفِيْ الْفُؤَادِ لِبُـــــعْـــدِهِمْ نَارٌ لَهَا بَيْنَ الضُّلُوْعِ ضِرَامُ

لَا كُتْبُكُمْ تَأْتِيْ وَلَا أَخْبَـــارُكُـــمْ تُرْوَى وَلَا تُدْنِيكُمُ الْأَحْـــلَامُ[2]

وقد تحدث الشاعر في البيتين عن غياب الأحبة وفراقهم بأسلوب الكناية. وموضع الشاهد في البيت الأول هو "نارلها بين الضلوع ضرام" وكنى بالنار عن شدة حرقة الحزن والفراق عن الأحبة وهو كناية عن الصفة.

1- نهاية الأدب فى فنون العرب للنويرى، ص: 226/5.

2 – فوات الوفيات للكتبى، ص: 232/2.

وفي البيت الثانى ثلاث جمل كلهاكناية عن غيبة الأحبة التامة وقد أتى الشاعر بها على أسلوب الترقى من الأدنى إلى الأعلى أولاً قال "لا كتبكم تأتى" ثم ارتقى وقال "ولا أخباركم تروى"، ثم ارتقى إلى الغاية وقال: "ولا تدنيكم الأحلام" كلها كناية عن الصفة.

ومن ذلك أيضا قول ابن شهيد الأندلسى في رثاء قرطبة :

فَقَدْ عَنِيَتْ بِهَوَاهَا الْحُــلُومُ فَهِي بِرَاحَتِهَا عَانِيَة[1]

وهذا البيت من قطعته الرثائية التى تناولها هذا البحث وقد شبه الشاعر في هذه القطعة حال مدينته قرطبة بحال المرأة العجوز العانية التى رغم ضعفها وكبرسنها تُعرض نفسها مثل الفتاة الشابة الراقصة الغانية. وهي ترى الحلوم الكثيرة لنجاحها في مقاصدها ولكن هي لا تنجح وتفشل بالمشقة والعناء. وموضع الشاهد في البيت هو قوله "عانية" وهو كناية عن الفشل والخسران وعدم النجاح في المرام. ولكن لجأ الشاعر إلى الأسلوب الكنائى لأنه يفيد المبالغة في الوصف.

فالكلمات الفاشلة والخاسرة ونحوها تدل على الفشل والخسران فحسب وكلمة "عانية " تدل على الخسران وعدم النجاح في المقصود بعدالتعب والمشقة.

ومن الكنايات الواردة في قصائدنا قول على بن عبدالله البهائى الدمشقى:

---

1 – ديوان ابن شهيد، ص: 42.

كَـانَـتْ مَعَـاصِـمُ نَهْـرِهَا فِضِّيَّةً

وَالْآنَ صِـرْنَ كَـذَائِـبِالْـعَـقْـيَانِ[1]

والشاعر يتحدث في هذا البيت عن لون معاصم نهر دمشق وتغيره بسبب كثرة إراقة الدم. بحيث كانت المعاصم بيضاء قبل النكبة بسبب صفاء ماءالنهر وبياضه. والشاهد في البيت هو قوله " فضية " كنى بها عن البياض، وهو كناية عن الصفة ــ والمقصود منها المبالغة في الصفة.

الكناية عن النسبة :

ويطلب في الكناية عن النسبة تخصيص الصفة بالموصوف[2]

ويقصد بها إثبات شيء لشيء أو نفيه عنه، ويصرح فيها بالصفة ويراد بإثباتها لشيء الكناية عن إثباتها للموصوف بها، مثلا (الشجاعة في جبة زيد) صرح بالصفة وهي الشجاعة وكذلك صرح بالموصوف وهو زيد وأثبت الصفة المصرح بها لجبة زيد كناية عن إثباتها لزيد.

ومن الكناية عن النسبة في قصائدنا قول ابن شهيد الأندلسى حيث يقول:

---

1 – خطط الشام، ص: 172/2.

2 – مفتاح العلوم للسكاكى، ص: 172 .

فَلِمِثْـــلِ قَرْطُبَةَ يَقِلُّ بُكَاءُ مَنْ

يَّبْكِيْ بِعَيْنٍ دَمْعُهَا مُتَفَجِّرُ[1]

ففي قوله: فلمثل قرطبة يقل بكاء " إلى آخره كناية عن النسبة، ذكر الصفة وهو قلة البكاء، وذكر الموصوف وهو قرطبة، ولكن لم ينسب صفة القلة إلى الموصوف (قرطبة) بل إلى مثل قرطبة فإثبات الصفة المصرح بها لمثل قرطبة، كناية عن إثباتها لقرطبة وهي كناية عن النسبة.

ومن ذلك قول شاعرنا شمس الدين الكوفي في رثاء بغداد يقول:

إِنْسَانُ عَيْنِيْ مُذْ تَنَاءَتْ دَارُكُمْ

مَا رَاقَـــهُ نَظْرٌ إِلَـــى إِنْسَانُ[2]

ففي البيت ذكر الشاعر الصفة وهي عدم روق النظر إلى إنسان، والموصوف وهو العين، ولم ينسب الصفة إلى العين بل نسب إلى إنسان العين وإثبات عدم روقالنظر إلى إنسان العين يستلزم إثباته للعين نفسها فهو كناية عن النسبة. ومن الكنايات اللطيفة عن النسبة ما يأتى بلفظ (مثل) كما يقول الرجل إذا نفي عن نفسه القبيح "مثلى لا يفعل هذا" أى أنا لا أفعله فينفي ذلك عن مثله ويريد نفيه عن نفسه لأنه

1- ديوان ابن شهيد، ص: 90.

2 - فوات الوفيات للكتبى، ص: 234/2 .

إذا نفاه عمن يماثله ويشابهه فقد نفاه عن نفسه لا محالة[1] ومن ذلك أيضا نحو قول العرب "مثلك لا يبخل" نفوا البخل عن مثله ويريدون نفيه عن ذاته مبالغة، لأنهم إذا نفوه عمن هو على أخص صفاته فقد نفوه عنه باللزوم وقد ورد هذا النوع من الكناية في شعرنا مرتين كما نلاحظ في الأبيات الآتية للكوفى:

مَـنْ كَانَ مِثْـلِيْ لِلْـحَـبِيْبِ مُفَـارِقًا

لَا تَـعْـذِلُـوْهُ فَـالْـكَلَامُ كِـلَامُ

إِنْ كُـنْتَ مِثْلِيْ لِلْأَحِـبَّةِ فَاقِـدًا

أَوْ فِيْ فُـؤَادِكَ لَوْعَةٌ وَّغَـرَامٌ

قِـفْ فِيْ دِيَـارِ الظَّاعِـنِـيْنَ وَنَادِهَا

يَا دَارُ مَـا صَنَـعَـتْ بِكِ الْأَيَّـامُ[2]

أسند الشاعر فقد الأحبة والفراق عنه إلى مثله، وهو يريد إسناده إلى نفسه وشخصه مبالغة، لأنه إذا أسنده إلى من هو على أخص صفاته فقد أسند إليه باللزوم فهو كناية عن النسبة.

1 - المثل السائر لابن الأثير، ص:41/1 .

2- فوات الوفيات للكبتى، ص: 232/2 .

المطلب الثاني:الصورة الكلية

وفيه مدخل وثلاث نِكات

المدخل: مفهوم الصور الكلية

النكتة الأولى: الصورة المتقابلة

النكتة الثانية : الصورة النفسية

النكتة الثالثة : الصورة النامية

المدخل: مفهوم الصورة الكلية

الصورة الكلية: هي عبارة عن مشاهد متتالية في القصيدة تستغرق في الأغلب أبياتاًعدة وقد تمتد لتشمل القصيدة كلها ويجمع فيها الشاعر بين التعبير الحقيقى والتعبير المجازى، ويستخرج منهما بعد اجتماعهما الصورة الكلية وهي تأتى غالبا في شعر رثاء المدن لتصور مواقف الموت والحزن والأسى، أوتأتى لتنقل بعضاً من صور الذكريات التى كانت ترتبط بالمدن المدمرة بالمقارنة بين حاضرها وماضيها[1] هناك صورة كلية لرسم ما أصاب الشاعرفي الحزن والألم بسبب الفراق عن الأصدقاء والأحباب قال شاعرنا شمس الدين الكوفي:

عِـنْدِيْ لِأَجْـلِ فِـــــرَاقِـــــكُمْ آلَامُ
فَـــــإِلَامَ أُعْـــــذَلُ فِـــيْـــكُمْ وَأُلَامُ
مَـــنْ كَانَ مِثْـلِيْ لِلْـحَـــبِيْبِ مُفَـارِقًا
لَا تَـــعْـذِلُـوْهُ فَـالْـــكَلَامُ كِـــلَامُ
نِعْمَ الْمُسَاعِدُ دَمْعِي الْجَارِيْ عَلَى
خَـــــدِّيْ إِلَّا أَنَّـــــهُ نَـمُّـــــامُ

1- رثاء الأدباء عند شعراء الحجاز فى العصر الحديث، ص: 290.

وَيُـــــذِيْبُ رُوْحِيْ نَوْحُ كُلِّ حَمَـــامَةٍ

فَكَأَنَّمَا نَوْحُ الْحَمَّامِ حِمَامُ

إِنْ كُـنْـــتَ مِثْلِيْ لِلْأَحِـبَّةِ فَـاقِـــدًا

أَوْ فِـــيْ فُـــؤَادِكَ لَوْعَةٌ وَّغَـــــرَامٌ

يَا سَـــــادَتِـــيْ أَمَّـــا الْفُـــؤَادُ فَشَيِّـــقٌ

قَلِـــقٌ وَأَمَّـــــا أَدْمُـــــعِيْ فَسَجَامُ

لَا كُتُبُكُمْ تَأْتِيْ وَلَا أَخْبَـــــارُكُـــمْ

تُرْوَى وَلَا تُدْنِيْـــكُمُ الْأَحْـــلَامُ

يَا لَيْتَ شَعْرِيْ كَيْفَ حَالُ أَحِبَّتِـــيْ

وَبِأَيِّ أَرْضٍ خَيَّمُوْا وَأَقَامُوْا[1]

يرسم الكوفي صورة كلية يرثى بها فراق الأحبة ويبكي بها ما أصابه من الآلام والأحزان، ويرسم عذل اللائمين على بكائه الأحباب، وسجام الدموع عليهم دائما، وحرقة النيران بسبب الفراق عنهم، وذوب الروح بنوح كل حمامة،وكذلك يرسم صورة عجزه عن الاطلاع عليهم لفقده جميع أدوات المعرفة بهم من الكتب والرسائل والأخبار حتى الأحلام، وهذه الحالة أكثر إيلام له.

1- فوات الوفيات للكتبي، ص: 232/2.

وهو ينصح العاذل بألايعذله إياه ولامن كان مثله للحبيب مفارقاً لأنه معذورهوو مثله في البكاء والفزع،لأنه لا فائدة له في الاعتذال،فهذه صورة كلية للبكاء على فراق الأخلاء،وتحتوى مشاهد متعددة من المشاهد المذكورة.

وهناك صورة كلية في القصيدة نفسها لبقاء الشاعر على عهد الوفاء بالأحبة بحيث يقول:

وَحَيَاتِكُمْ إِنِّـــيْ عَلَـــى عَهْدِ الْهَـــوَى
بَاقٍ وَلَـــمْ يَخْفُرْ لَـــدَيَّ ذِمَـــامُ
فَدَمِـــيْ حَـــلَالٌ إِنْ أَرَدتُّ سِـــوَاكُمْ
وَالْعَيْشُ بَعْدَكُمْ عَلَـــيَّ حَـــرَامُ

إلى أن قال:

وَاللهِ مَـــا اخْـــتَـــرْتُ الْـــفِـــرَاقَ وَإِنَّـــمَـــا
حَـــكَـــمَـــتْ عَـــلَـــيَّ بِـــذَلِـــكَ الْأَيَّـــامُ[1]

تتضمن هذه الأبيات مشاهد متنوعة يمكن تسمية الجميع ببقاء الشاعرعلى عهد الهوى بالأحبة رغم الفراق والغياب، حتى أن الشاعر يحلف بأنه على عهد الهوى باق، وهو لايخاف فيه لومة لائم ولاذم ذمام، ويُلزم على نفسه البقاء على عهد الوفاء

1- فوات الوفيات للكتبى، ص: 232/2 – 233/2.

بهم وعدم الالتفات إلى غيرهم بحيث يجعل إهراق دمه حلالاً إن أراد سواهم، ويحرم العيش على نفسه إن فكر في سواهم ثم توهم الشاعر أن هناك من يظن أنه هو الذى اختار الفراق عنهم فيجيبه بأسلوب القصر بأنه ما اختار الفراق وإنما حكمت عليه بذلك الأيام.

فتتكون الصورة الكلية الرائعة بهذه المشاهد المتعددة التى رسمها شاعرنا لبقائه على عهد الهوى بأحبته.

وهناك صورة كلية ثالثة لشاعرنا في القصيدة نفسها وهي صورة الدار بعد ارتحال سكانها السادة الكرام ذوى الأخلاق الحسنة بحيث يقول:

يَا دَارُ أَيْـنَ الـسَّـاكِـنُـوْنَ وَأَيْـنَ ذَاكَ
الْـبَـهَـاءُ وَذَلِـكَ الإِعْـظَـامُ
يَا دَارُ أَيْـنَ زَمَـانُ رَبْـعِـكِ مُوْنِـقًا
وَشِـعَـارُكِ الْإِجْـلَالُ وَالْإِكْـرَامُ
يَا دَارُ مُـذْ أَفَـلَتْ نُـجُوْمُـكِ عَمَّنَا
وَاللهِ مَـنْ بَـعْـدِ الضِّـيَاءِ ظَلَامُ
فَـمَتَى قَبِلْتِ مِنَ الْأَعَادِيْ سَاكِـنًا
بَـعْـدَ الْأَحِـبَّـةِ لَا سَقَاكِ غَمَامُ

وَالدَّارُ مُذْعَدَمَتْ جَمَالَ وُجُوْهِـكُمْ

لَـــــمْ يَـــــبْـقَ فِيْ ذَاكَ الْمَقَامِ مَقَامُ

أَعْرَضْتُ عَنْكِ لِأَنَّهُمْ مُذْ أَعْرَضُوْا لَـــمْ

يَـــبْـــقَ فِـــيْـــكِ بَشَاشَةٌ تُسْـتَامُ[1]

فالشاعر قد أتى بصورة الدار التى عدمت وجوه السكان المقمرة، ومن المسلم أن لكل شيء بشاشة وحلية، وبشاشة السكن والداروحليتها هي سكانها، فإذا فقدتهم الدار فقدت عنها حليتها وبشاشتها. وقد رسم الشاعر شتى المشاهد التى تتكون بها صورة كلية، من فقد الدار الساكنين، والبهاء والإعظام، وزمان ربعها، وشعارها الإجلال والإكرام، ورسم صورة أفول النجوم التى استعارها للناس العظام أصحاب المناصب العالية، وعموم الظلام بعد الضياء والنور بسبب هلاك أولى الأمر، ودعى بالجدب والقحط على المدينة إ ن هى ضمت الأعداء وقبلتهم،وما إلى ذلك من الصور المتعددة التى تكوّن صورة كلية لخراب الدار بسبب تشرد سكانها.

ورسم شاعرنا ابن شهيد الأندلسى القرطبى صورة مدينته "قرطبة" قبل دمارها، كأنه يتحسر على فقد تلك الأيام أيام الأمن والسلام التى أصبحت الآن ذكريات فحسب وما بقى شيء منها، وهو يقول:

1- فوات الوفيات للكتبى، ص: 232/2.

أيامَ كَا نَتْ عَـــيْنُ كُـــلِّ كَـرَامَـــةٍ

مِـــنْ كُلِّ نَاحِـــــــيَةٍ إِلَـــيْهَا تَنْظُرُ

أيامَ كَانَ ا لْأَمْرُ فِـــيْهَا وَاحِـــــــدًا

لِأَمِيْـــــرِهَا وَأَمِـــــيْرِ مَنْ يَتَأَمَّرُ

أيامَ كَانَتْ كَـــفُّ كُـــــــلِّ سَلَامَـــةٍ

تَسْمُو إِلَيْهَا بِالسَّـــــــــلَامِ وَتَبْـدَرُ[1]

فالشاعر يصور في الأبيات المذكورة ما كان في مدينته المدمرة قبل دمارها من الطمأنينة والسلامة، وكونها مركزا لأنظار الكرامة من أنحاء العالم كله، ووجود التوافق الكامل بين الأمراء والجماهير،وتبادرأكف السلامة إليها التى تدل على الفرح والسرور والأمن والسلامة التى أصبح كل منها ذكريات كالأحلام.

وكذلك لكل قصيدة من قصائدنا المقترحة صور كلية تحتوى على المشاهد المختلفة، وتدور كلها حول الديار الخربة من القصوروالمباني والجامعات والمكتبات، وكتب العلوم، وطبيعة المدينة، وسكانها من العلماء والحكماء، والنقاة والرواة وما إلى ذلك.

1- ديوان ابن شهيد، ص: 91 -92.

وهناك أنواع من الصور الكليةاستخدمها شعراء رثاء المدن وأذكر أهمها فيما يلي بإذن الله سبحانه وتعالى.

النكتة الأولى: الصورة المتقابلةونجد التقابل كثيراً في شعر رثاء المدن لأنه شعر وقع لتدبر أحوال المدن ماضياً وحاضراً وللتفكر فيما حدث من الفساد والدمار بعد الصلاح والقرار وهذا اللون من أبرز ألوان الصورة الكلية في قصائدنا الرثائية.

ورسم الصورة المتقابلة شاعرنا على الأوتارى الدمشقى في رثائه على دمشق حيث يقول:

عَوَّضُوْا عَـنْ سُـرُوْرِهِـمْ بِـغُرُوْر

وَقُـصُـوْرِ الْبِـلَادِ سُـكْنَى الْبَوَادِيْ

وَبِـأَهْـلِ الْوِدَادِ شَرُّ أُنَـاسٍ

وَبِلِيْنِ الْمِـهَـادِ شَـوْكُ الْـقَـتَاد[1]

ورسم شاعرنا الأوتارى صورة متقابلة رائعة بين مشاهد متنوعة ــ من مقابلة سرور وغرور وبين، قصور البلاد وسكنى البواد ــ وكذلك بين أهل الوداد وشر أناس، وبين لين المهاد وشوك القتاد. كأن الشاعر يقارن بين المشاهد المذكورة ويبكى على هذا التحول الكامل، ويصور حياة أهل دمشق ماضياً وحاضراً، بأن هناك كان سرور في كل ناحية وفي وجه كل رجل من سكان دمشق الذى ورث الغرور والكدر والحزن، والناس كانوا يعيشون في البلاد آمنين مطمئنين ثم أجبروا على عيشة البادية

1- نهاية الأرب في فنون العرب للنويرى، ص: 228/5.

في الخيام هنا وهناك بعد فساد المدينة ودمارها وأبدل خير الناس بشر أناس وأهل المحبة والمودة بأهل العداوة والبغضاء، والمنازل السهلة اللينة أبدلت بفراش شوك القتاد وما إلى ذلك.

وقال شاعرنا شمس الدين الكوفي في رثاء بغداد، ويقابل بين ماضيها وحاضرها:

أَعْرَضْتُ عَنْكِ لِأَنَّهُمْ مُذْ أَعْرَضُوْا

لَمْ يَبْقَ فِيْكِ بَشَاشَةٌ تُسْتَامُ

يَا دَارُ أَيْنَ السَّاكِنُوْنَ وَأَيْنَ ذَاكَ

الْبَهَاءُ وَذَلِكَ الإِعْظَامُ

يَا دَارُ أَيْنَ زَمَانُ رَبْعِكِ مُوْنِقًا

وَشِعَارُكِ الْإِجْلَالُ وَالْإِكْرَامُ

يَا دَارُ مُذْ أَفَلَتْ نُجُوْمُكِ عَمَّنَا

وَاللهِ مَنْ بَعْدِ الضِّيَاءِ ظَلَامُ[1]

فالشاعر يقابل هنا بين الماضى لمدينته المدمرة وحاضرها في أسلوب الاستفهام الذى يدل على أنه قدتحول كل شيء إلى ضده،ويذكرما كان في المدينة من

1- فوات الوفيات للكتبى، ص: 232/2.

البهجة والبشاشة ومن الناس العظام،وعهدها الربيع، وشعارها الإجلال والإكرام، وسكانهامثل النجوم،الذين حينماأعرضواعنها شاع فيها الظلام بعد الضياء، والاضطراب بعد الاطمنان والفساد والدمار بعد الصلاح والقرار.

كأن الشاعر يتحسر بذكر المحاسن والفضائل لمدينته الجميلة التى فقدتها ويبكى على تحول كل شيء منها إلى ماينا قضه، ولعله يجد الراحة والسلوان باستخدام أسلوب الاستفهام والنداء في الأبيات المذكورة.

ومن الذين استخدموا الصورة المتقابلة في شعرهم شاعرنا ابن شهيد الأندلسى في رثائه لمدينته حيث يقول:

أيامَ كَا نَتْ عَـــيْنُ كُـــلِّ كَـرَامَـةٍ

مِـــنْ كُلِّ نَاحِـــــيَةٍ إِلَـيْهَا تَنْظُرُ

أيامَ كَانَ ا لْأَمْرُ فِـــيْهَا وَاحِـــــدًا

لِأَمِيْـــــرِهَا وَأَمِـــــيْرِ مَنْ يَتَأَمَّرُ

أيامَ كَانَتْ كَـــفُّ كُـــــلِّ سَلَامَـةٍ

تَسْمُو إِلَيْهَا بِالسَّـــــــلَامِ وَتَبْـدَرُ[1]

1- ديوان ابن شهيد، ص:91 – 92.

وسلك ابن شهيد مسلك الكوفي في رثائه لبغداد. طبعاً عاش ابن شهيد في "قرطبة" عيش الترف والرخاء حتى فاز بالصلات والتقرب من الأمراء والوزراء، وأصحاب المناصب العالية، وشاهد بعين رأسه ماضى مدينته الذهبى، ثم تحول كل شيء إلى ضده بين يديه وهذا التحول من لوازم التقلبات السياسية كما يشهد عليه قول ملكة سبأ المحكى في القرآن الكريم: قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً.([1]) والشاعريذكرالأيام السابقة في الأبيات المذكورة، ويعدد ما كان هناك من سلامة وكرامة، ورفع أنظار المحبة والغبطة إليهامن جميع نواحى العالم، والوحدة التامة بين الأمراء والجماهير ووحدة الأمرفي جميع الأندلس، فلما واجه الشاعر الأحوال المعكوسة بدأ يذكر تلك الأيام الماضية كالذكريات الحلوة.

ولعله يريد أن تعود تلك الأيام الماضية مع كل ما فقد منها، ليعيش فيها عيشة مرضية، مثلما كان يعيش فيها سابقا. فالشاعرهنا يذكرالأيام الخالية ويحمدها وأهمل ذكر النكبات والحوادث والمشاكل التى واجههالوضوحها عند الجميع ولذلك اقتصر على ذكر الأيام الماضية.

---

1 ـــــ سورة النمل، 34.

النكتة الثانية :الصورة النفسية

وهذه الصورة لا تختلف عن غيرها من الصور في أدوات التصوير التى تعبر بها، فهي تكون صورة مباشرة وبيانية ورمزية، ولكنها تختلف في تعبيرها عن المشاعر التى تنطوى عليها نفس الأديب، وترسمها في صورة فنية تجسد خفاياها وتعرضها في قالب أدبى.[1]

ونرى قصيدة شاعرنا الكوفي في رثاء مدينته الجميلة التى كانت عاصمة الخلافة العباسية في ذلك الوقت، أنه رسم صورة الحزن والأسى على فراق الأحبة وهلاكهم، واستمرت هذه الصورة من البداية إلى النهاية إلا أننانلاحظ في وسط القصيدة الحزن والبكاء على خراب المدينة وديارها الذى كان بسبب فقد أولئك الأصدقاء والأخلاء.

فابتدأ بالحزن على فراق أحبته حيث يقول:

عِـنْدِيْ لِأَجَـلِ فِـرَاقِـكُمْ أَلَامُ

فَـإِلَامَ أُعْـذَلُ فِـيْـــكُمْ وَأُلَامُ

1 – القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجرى، ص: 397/2.

مَـنْ كَانَ مِثْـلِيْ لِلْحَبِيْبِ مُفَارِقًا

لَا تَعْذِلُوْهُ فَالْـكَلَامُ كِـلَامُ[1]

فالشاعر يصرح آلامه التى أصابته بسبب الفراق والبُعد عن أصدقائه ثم يذكر شدة العذل الذى يواجهه من قبل اللائمينلفقده الصبر على هذه الصدمة العظمى. ثم يسأل العاذل أن يمتنع عن العذل لأن الشاعر يتألم بعذله.

وتستبين الصورة النفسية الآسية الحزينة للشاعر من قوله:

وَيُـذِيْبُ رُوْحِيْ نَوْحُ كُلِّ حَمَـامَةٍ

فَكَأَنَّمَا نَوْحُ الْحَمَّامِ حِمَامُ[2]

كأن قلب الشاعر يضعف إلى غاية حتى يجد الأنين في صوت كل شيء، ويحسب أن العالم كله قد امتلأ بالحزن والألم. ويُبكيه أصواتُ الطير والحيوانات ويذيب روحه نوح الحمامات.

ثم يتوجه إلى ديار المدينة الخربة ويقف عليها وقفة السائل المصاب ويصرح بما يعتقد أن بهجة الديار كلها كانت بسكانها التي فقدت بفقدهموتشردهم وهلاكهم حيث يقول:

1- فوات الوفيات للكتبى، ص: 232/2.

2- فوات الوفيات للكتبى، ص: 232/2.

أعْرَضْتُ عَنْكِ لِأَنَّهُمْ مُذْ أعْرَضُوْا

لَـمْ يَـبْقَ فِـيْكِ بَشَاشَةٌ تُسْـتَامُ

يَا دَارُ مُـذْ أَفَـلَتْ نُجُوْمُكِ عَمَّنَا

وَاللهِ مَنْ بَـعْـدِ الضِّـيَاءِ ظَلَامُ

فَمَتَى قَبِلْتِ مِنَ الْأَعَادِيْ سَاكِـنًا

بَعْـدَ الْأَحِـبَّـةِ لَا سَقَاكِ غَمَامُ[1]

فالشاعر يرسم صورة نفسية عميقة وبديعة، ويعتقد من أعماق قلبه أن بهجة الدار وبشاشتها كانت بسبب أصدقائه الذين كانوا يعيشون فيها فلما أعرضوا عنها لم يبق فيها شيء من البهاء، وكان أولئك السكان مثل النجوم المضيئة فأحاط الظلام بجميع الأشياء بعد الأضواء والأنوار. ويزعم أن وجودهم كان سبب الضياء وفقدهم سبب الظلام إلى أن دعى بالجدب والقحط إن قبلت الأرض الأعداء وأسكنتهم على متنها، ويزعم أنه كان واجبا على الأرض أن تبتلع الأعادى الذين جاءوا ساكنين على ظهرها بعدما كان مسكن الأحبة ومواطنهم.

وينهي القصيدة بالعاطفة نفسها أى الحزن على فراق الأحبة بل بأرق أسلوب من بدايتها، فيرد توهم من يظن أن الفراق بيده بصورة جميلة مليئة بالمؤكداتفيقول:

1- المرجع السابق، ص: 232/2.

وَاللهِ مَا اخْـتَـرْتُ الْفِـرَاقَ وَإِنَّـمَـا

حَـكَـمَـتْ عَـلَـيَّ بِـذَلِـكَ الْأَيَّـامُ[1]

فيختم القصيدة بهذه الصراحة والوضوح بأن الفراق قد وقع بسبب صنعة الأيام فحسب وليس فيه شيء من عمل الشاعر ولا رضاه فاستخدم هنا أسلوب القسم وأسلوب القصر بـ "إنما" وكلا الأسلوبين يفيد التوكيد.

والصورة النفسية الأخرى حيث يرى الشاعرنفسه بلا أنيس ولاأهل ولا جار بعد تشرد الأهل والجارالذى يأنس به يقول:

مَا لِـيْ وَلِـلْأَيَّامِ شَـتَّتْ صَرْفُهَا حَالِيْ وَخَـلَّانِـيْ بِـلَا خِـلَّانِ

مَا لِلْمَنَازِلِ أَصْبَـحَتْ لَا أَهْلُـهَا أَهْلِيْ وَلَا جِيْرَانُهَـا جِـيْرَانِيْ

وَلَقَدْ قَصَدْتُ الدَّارَ بَعْدَرَحِيْـلِكُمْ وَوَقَفْتُ فِيْهَـا وَقْفَةَ الْحَيْـرَانِ

وَسَأَلْتُهَا لَكِنْ بِغَـيْرِ تَكَـلُّمٍ فَتَـكَـلَّمَتْ لَـكِنْ بِغَيْرِ لِسَـانِ

مَا زِلْتُ أَبْكِيْهِمْ وَأَلْثُمُ وَحْشَـةً لِجَمَالِهِـمْ مُسْـتَهْدَمَ الْأَرْكَـانِ

هَيْـهَاتَ قَدْ عَزَّ اللِّقَـاءُوَسَدَّدَتْ طُرُقَ الْمَزَارِطَوَارِقُ الْحَـدَثَانِ

1- المرجع السابق، ص: 233/2.

مَالِيْ أُرَدِّدُ نَاظِـرِيْ وَلَاأَرَى الْـ أَحْبَابَ بَيْنَ جَمَاعَةِ الْإِخْـوَانِ

وَالْهَفَتِيْ وَاوَحْدَتِـيْ وَاحَيْرَتِيْ وَاوَحْشَتِيْ وَاحَرَّ قَلْـبِيْ الْعَانِيْ[1]

يتحدث الشاعر عن وحدته ووحشته، لأنه بعد الأخلاء لا أنيس له ولامؤنس له، ويجد المنازل خالية من أصدقائة ومليئة بأعدائه، وفي الجوار جاءغير جيرانه، وهو يقف أمام المنازل متحيراً، ولا يجد من يسأله عن أخلائه ويدوم بكاؤه وأناته ووحشته وحيرته، ولكن مع ذلك يبحث عنهم هنا وهناك إلى أن يئس من لقائهم بسبب أن طرق الزيارة واللقاء مسدودة أمامه، حتى يقول في حالة اليأس:

وَالْهَـفَـتِيْ وَاوَحْدَتِـيْ وَاحَيْرَتِيْ وَاوَحْشَتِيْ وَاحَرَّ قَلْـبِيْ الْعَانِيْ[2]

وهذا كله يخبر عن حالته الداخلية من الحزن واليأس والقنوط من لقاء الأحبة،فالأبيات المذكورة ترسم صورة نفسية حزينة رائعة.

وقال ابن شهيد الأندلسى في حرمة مدينته وتقدسها ما كان في قلبه:

يَاجَـنَّةً عَـصَـفَتْ بِهَـا وَبِأَهْـلِـهَـا

رِيْـحُالنَّـوَىفَـتَـدَمَّـرَتْ وَتَدَمَّرُوْا

أَسَي عَلَيْكِ مِنَ الْمَمَاتِ وَحَقَّ لِيْ

إِذْ لَمْ نَـزَلْ بِكِ فِيْ حَيَـاتِكِ نَفْخَرُ

1- فوات الوفيات للكتبى، ص: 234/2.

2- المرجع السابق، ص: 234/2.

كَـانَـتْ عِـرَاصُـكِ لِلْمُيَمِّمِ مَكَـةً

يَأْوِيْ إِلَـيْـهَا الْخَائِـفُونَ فَيُنْصَرُوْا[1]

يرسم الشاعرصورة نفسية من عاطفته لحرمة الوطن وقداسته.

وناظراً إلى جمالها والطمأنينة فيها، وتوفرالأمن والسلامة بها يعتقد مرة أنها جنة، وأخرى أنها مكة ومن دخلها كان آمناً، ويأوى إليها الخائفون فينصرون في مرادهم. وهو يثبت لمدينته الحياة والممات بحيث كانت قبل الدمارحية، الآن أصبحت ميتة، ثم يظن أن الأسى والبكاءعلى دمارها وخرابها كان من حق المدينة عليه لأنه كان يفتخر بها في حياتها، وهذا كله يدل على قدر المدينة وحبها الثابت في أعماق قلبه.

1- ديوان ابن شهيد، ص: 90.

النكتة الثالثة :الصورة النامية

وهي صورة واحدة تتدرج في النمو حتى تصل إلى نهاية إيجابية أوسلبية[1] وفي شعر رثاء المدن اتجهت أغلب الصور النامية إلى نهايتها السلبية، لأن الطبيعة التى تعتمد عليها طبيعة حزينة متشائمة فالموت والدمار هو الظل الذى رسم لها نهايتها.

قال شاعرنا الكوفي في رثاء بغداد:

نَادَيْتُهَا يَا دَارُمَا صَنَعَ الْأُولَـــى كَانُوْاهُمُ الْأَوْطَارَ فِيْ الْأَوْطَانِ

قَالَتْ غَدَوْا لَمَّا تَبَدَّدَ شَمْلُـــهُمْ وَتَبَدَّلُوْا مِنْ عِـــزِّهِمْ بِهَـــوَانِ

كَدَمِ الْفُصَّادِ يُرَاقُ أَرْذَلَ مَوْضِعٍ أَبَدًا وَيُخْـــرَجُ مِنْ أَعَزِّ مَـــكَانِ

أَفْـــنَتْـــهُمْ غَيْرُ الْحَوَادِثِ مِثْلَمَا أَفْنَتْ قَدِيْمًـــاصَاحِبَ الْإِيْـــوَانِ[2]

فالشاعر بدأ بسؤالدارعن السكان العظام الذين كانوا أوطار الأوطان فأجابت الدار وفصلت فيه بصورة نامية حيث بدأت من التبدل من العز إلى الهوان ثم ارتقت إلى إراقة الدم حتى انتهت بنهاية سلبية وهي الفناء الكامل في أسلوب التمثيل أى فناؤهم مثل فناء صاحب الإيوان قديما.

---

1 ـــــ الصورة الفنية فى شعر الرثاء الجاهلى، ص: 192.

2- فوات الوفيات للكتبى، ص: 234/2.

ورثى علاء الدين على الأوتارى الدمشقى الهالكين خلال نكبة دمشق فقال:

فَـالْغَـلَا وَالْجَـلَا مَعَ الْجُـوْعِ وَالْـعُرِيْ

وَنَهْـبِ الْأَقْـــــــــــوَاتِ وَالْأَزْوَادِ

وَالْحِـصَـارِ الشَّدِيْدِ وَالْحُـبْسِ وَالْخَوْفِ

مَعَ السَّـادَةِ الْـعُـــــرَاةِ الْمُـــــكَادِيْ

طَرَقَتْـهُـمْ حَوَادِثُ الـدَّهْرِ بِالْقَـتْـــــلِ

وَنَهْـــــــبِالْ أَمْ وَالِوَالْأَوْلَادِ[1]

يبكى الشاعر على الأحوال الضيقة الصعبة التي حدثت خلال النكبة، ورسم هنا صورة حزينة نامية تبدأ بالحصارو الحبس والخوف ثم ارتقت إلى الغلاء والجلاء ونهب الأقوات والأمتعة إلى أن انتهت بالنهاية السلبية وهي القتل ونهب الأموال والأولاد والقضاءعلى جميع الأشياء.

وقال ابن شهيد الأندلسى في رثاء مدينته "قرطبة" حيث أبدع هذه القطعة الشعرية خلال حبسه في السجن، وظلت الأحوال في ذلك الوقت مولية على أعقابها، "وكانت نشأة ابن شهيد لا تقويه على الكفاح والمغامرة من جديد لنعومتها، ولخوفه الشديد من التقلبات في المهجر، فبقى في قرطبة ينظر إلى معاهدها في أسى، ويبكى

1- نهاية الأرب في فنون العرب للنويرى، ص: 226/5.

قصورها ومتنزهاتها، وعجزه عن مفارقتها نابع من حبه للوطن، حبه لقرطبة، وإن صارت عجوزا متغيرة الريح ساقطة الأسنان، زانية الرجال، طاب له الموت بهواها.[1] قال:

عَجُوْزٌ لَعَمْرُ الصِّبَا فَانِيَـــةٌ لَهَا فِي الْحَشَا صُورة الْغَانِيَهْ

زَنَتْ بالرِّجَالِ عَلَى سِنِّـــها فَيا حــبَّــذَا هِي مِن زانِيَهْ

تُرِيكَ العُقُولُ عَلَى ضَعْفِهَا تُــدَارُ كَمَا دَارَتِ السَّانِيَــهْ

فَقَدْ عَنِيَتْ بِهَوَاهَا الْحُــلُومُ فَهِي بِرَاحَتِهَا عَانِيَـــــهْ

تَقَاصَرُ عَنْ طُولِهَا قُونْـــكَة وتَبْعُدُ عَنْ غُنْجِهَا دانِيَـــهْ

تَرَدَّيْتُ مِنْ حُزْنِ عَيْشِيْ بِهَا غَرَاماً فَيَا طُوْلَ أَحْزَانِيَهْ[2]

وقد شبه الشاعر مدينته "قرطبة" بعجوز فانيةالتى تحاول أن تقدم نفسها أمام المحبين لها في صورة فتاة شابة، وهو يرسم صورة نامية بحيث رسم ألوانا مختلفة لمحاولتها عرض نفسها في أشكال جاذبة ومعاناتها في ذلك من دورها مثل دور السانية ومعاناة العقول فى هواها، واجتهدت للنجاح في مقصودها ولكن رغم ذلك لم تنجح وانتهت بنهاية سلبية، و بقيت عانية خائبة.

---

1 ـــــ تاريخ الأدب الأندلسى (عصر سيادة قرطبة)، ص: 218/1.

2- ديوان ابن شهيد، ص: 42.

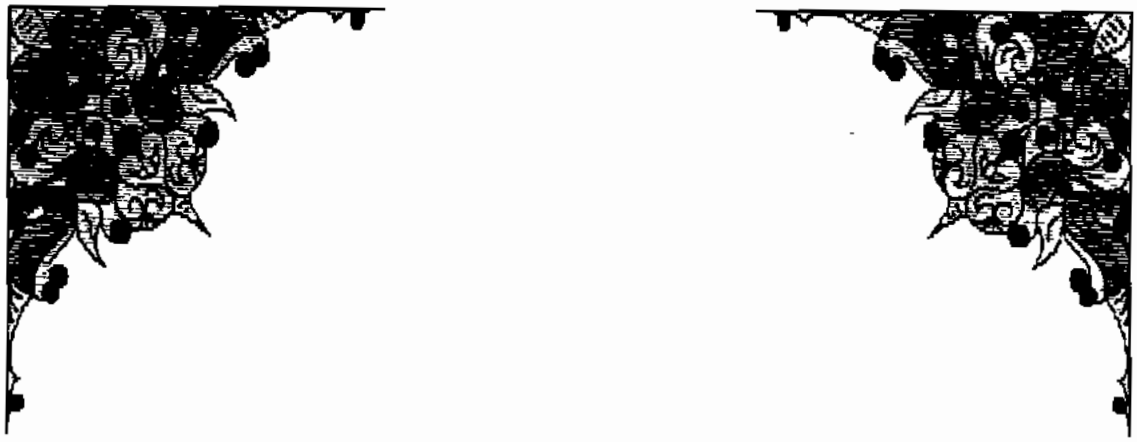

الباب الثاني: رثاءمدن شبه القارة الهندية - الباكستانية

وفيه مدخل وثلاثة فصول:

المدخل: نكبات مدن شبه القارة الهندية ــ الباكستانية وأسبابها

الفصل الأول: عرض تحليلي لقصائد رثاء مدن شبه القارة الهندية ــ الباكستانية

الفصل الثاني: البناء الفني لقصائد رثاءمدن شبه القارة الهندية ــ الباكستانية

الفصل الثالث: الخصائص الفنية لقصائد رثاء مدن شبه القارة الهندية ــ الباكستانية

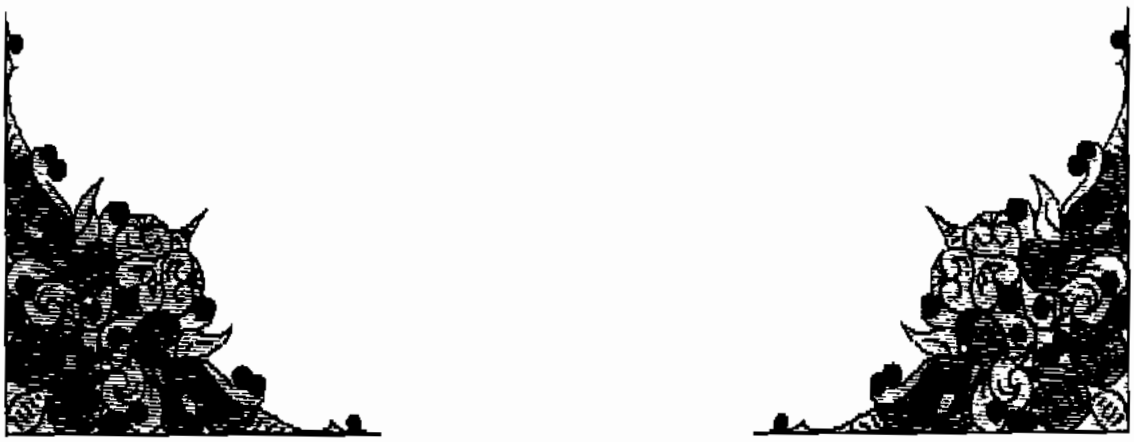

المدخل: أهم أسباب النكبات التي تناولها هذا البحث

كما عرضتُ فيما سبق بيان أسباب نكبات المدن العربية فى القصائد المقترحة كذلك لمأتعرض هنا أيضاً إلا لتلك الأسباب التى تناولها شعراؤنا في قصائدهم الرثائية سواء كانت مباشرة أوغيرمباشرة.

وإنى وجدت التوافق بين شعراءنا باللغة العربية والشعراء باللغة الأردية في لجوئهم إلى أسباب غيرحقيقية وغيرمباشرة مع اختلافهم في تناولهم الأسباب الحقيقية المباشرة.

فقد تجرأ شعراء اللغة الأردية على ذكر الأسباب المباشرة حتى صرحوا باسمأعداءهم كما سيأتي التفصيل بالأمثلة والشواهدفيما يأتي من البيان.

وقدفصلتُ القول هناك في أهم الدواعى التى دفعت الشعراء إلى اختيار أسباب غير حقيقية فلاداعى لذكرها هنا مرة ثانية.

وقسمتُ الأسباب التي عرضها شعراءاللغة الأردية إلى قسمين: الأسباب المباشرة، والأسباب غير المباشرة وأتحدث أولاً عن الأسباب الحقيقية المباشرة وثانياً عن الأسباب غير المباشرة :

أولاً: الأسباب المباشرة :

وأماالأسباب المباشرة التي صرح بها شعراؤنا فهي على نحو التالي:

1- **التدخل الأوربي:** وقد تفرد شاعرنا مرزا داغ الدهلوي ببيان أسباب الدمار المباشرة حتى سمى الأعداءالأوربيين كما في قوله:

غضب میں آئی رعیت بلا میں شہر آیا یہ پوربی نہیں آئے خدا کا قہر آیا[1]

وقعتالمدينة مع أهلها في المصيبة ماجاء هؤلاء الأوربيون إلا غضب الله

إن الشاعر قد صرح هنا بسبب الدمار المباشر وهو هجوم الأوربيين على مدن الهند عامة و"دهلي" خاصة، ولكن علل هجماتهم بأنها غضب من الله، ليدعو قومه للإنابة إلى الله في الأحوال كلها، في البأساء والضراء ليَرضَى اللهُ تعالى عنهم، ويذهب عنهم الفساد والفتن.

2- **هجمات الفلاحين:** وذكر الشاعر هناك في القصيدة نفسها بعض الطفيليين الذين كانو ا يعاقبون إخوانهم المسلمين لإرضاء الأوربيين أعداء الإسلام والمسلمين منهم الأعراب الفلاحون يقول الشاعر:

جگہ جگہ تھے زمیندار دار کی صورت چڑھے ہی آتے تھے سر پر بخار کی صورت

بلا سے کم نہ تھی ہر ایک گنوار کی صورت چھپی نہ ان سے پر اہل دیار کی صورت

1-کلیات داغ، ص 392.

کسی جگہ جو کوئی ہو کے بے قرار آیا تو اہل قریہ یہ بولے کہ لو شکار آیا[1]

كان الفلاحون في كل مكان مثـــل الشنق

سيطروا علـــــى الناس مثـل الحـمى

وما كان وجود كل منهم أقل من الآفـــة

وما أمكن الخفاء منـــهم لأهـل المدن

إذا رأوا شخصاً مضطراً آتياً إلى القرية

أهل القرية كانوايقولون "خذوا الفريسة

إن الشاعر يذكر في هذه المقطوعة اعتداءات ملاك الأراضي الذين كانوا يظلمون سكان الهند ولاسيما أهل "دهلي" لإرضاء عدوهم وعدوالإسلام والمسلمين بحيث كانوا يتعرضونهم في كل مكان،وينهبون أموالهم،ويقتلونهم هم وأولادهم.

ما أشجع الشاعر الذي صرح بسبب الدمارالحقيقي المباشرحتى سمى العدو المهاجم المفسد لمدينته وللمدن الهندية الأخرى.

1-کلیات داغ، ص 394.

ثانيا الأسباب غير المباشرة :

وتتبعتُ الأسباب غيرالمباشرة فى القصائد المختارة فوجدتهاعلى النحو التالى: الفلك، والعين كما نلاحظهاعند مرزا داغ الدهلوى، والدهر كما اختاره شاعرنا أديب سهيل في رثاء "داكا".

بالإضافة إلى ما ذكره بعض شعراءنا من دورالحيوانفى هذه المآسى كما فعل ذلك شاعرنا مراد شاه لاهورى فعند ما تحدث عن أسباب أحوال المدينة تحدث بالرمز عن دورالذباب والفأر حتى سمى إحدى قصيدتيه بالذباب أى " مگس نامة " أى حالة الذباب، وثانيهما بالفأر أى " موش نامة " أى حالة الفئران

وذكر تفاصيل النكبة والحوادث كلها خلال عمليات الذباب والفئران.

واختارشاعرنا أديب سهيل في إحدى قصيدتيه أن يكون الدمار والفساد بسبب الطوفان وعبَّرعن هذه النكبة بـــ "طوفان نوح" كما سمى قصيدته بهذا الاسم فذكر كل التفاصيل في زمرالطوفان.

والآن نفصل القول فيها بذكر الشواهد والأمثلة من القصائدالمختارة التى أبدعهاأصحابها باللغة الأردية.

العين الحاسدة: وقد جعل شاعرنا مرزا داغ الدهلوى "العين" سبباً من أسباب فساد "دلهى" ودمارها وهلاك أهلها على يد البريطان الغادرين المفسدين، واستخدمها مرة واحدة في قصيدته من المسمط يقول:

پڑی ہیں آنکھیں وہاں جو جگہ تھی نرگس کی خبر نہیں کہ اسے کھا گئی نظر کس کی[1]

عيونى توقفت على مكان النرجس لا أعرف لمن هذه العيون السيئة التى حطمته

فإن الشاعر لما رأى الحدائق الخربة ومواطن الزهر من النرجس وغيرها مدمرة وخالية من النرجس آسى عليهاوبكى وبدأ يفكر في السبب حتى أرجعه إلى العين الحاسدة، لأن العين لها تأثير في تحطم الأماكن الجملية، وهي سبب خفي قوى فأسند إليها زوال مدينته وسقوطها على أيدى أعداء الإسلام والمسلمين.

2: اعتداءالفلك: وقد جعل شاعرنا مرزا داغ الدهلوى الفلك سببا من أسباب النكبة واستخدمها في قصيدته الرثائية أربع مرات وأنا أذكرهنا مثالين منها وهو يقول:

فلک تھا خوبی حسن وجمال کا دشمن صباح عشرت وشام وصال کا دشمن

عدوئے اہل کمال اور کمال کا دشمن غرض کہ اب تو ہوا جانمال کا دشمن[2]

1-کلیات داغ، ص: 392.

2-کلیات داغ، ص: 392.

كانت الـــــــسـمـــء مبغضـــــة للحسن

والجمال والصباح السار ومـــساء الوصال

مبغضة للكمال و أصحاب الكمال

حتى صارت مبغضة للحياة وعدو اللمال

إن الشاعر قد تحدث عن الحوادث التى وقعت خلال مؤامرات البريطانيين وأتى بتفاصيلها استتروراء ستر الفلك فى عرضه لأسباب هذه الفتن حتى يكون على حريته في بيان الوقائع المؤلمة بجميع نواحيها. فأسند إلى الفلك بأنه يكره الجمال والحسن، والسرور والسعادة، ولقاء الأحبة في أمن وسلام وهو يبغض الكمال وأصحابه، بل يجب الزوال والفناء، ولا يرغب في الحياة والبقاء ولا في الأموال والأمتعة وما إلى ذلك.

ومن المواطن التى جعل الشاعر الفلك فيها سببا لزوال المدينة :

فلک نے قہر وغضب تاک تاک کر ڈالا تمام پر دہنا موس چاک کر ڈالا

یکایک ایک جہاں کو ہلاک کر ڈالا غرض کہ لاکھ کا گھر اس نے خاک کر ڈالا[1]

قد ظلمت السماء وأصابت الهدف

واعتدت على أعراض الشرفاء وفضحتهم

1-کلیات داغ، ص. 393.

ودمرت العالم كله في طرفة عين

وغيرت البيت الثمين الجميل بتل من الرماد

وقد يقرر الشاعر في هذه الأبيات بأن السماء هي التى دمرت المدينة بأكملها، وأخذت في إهلاك أصحاب الشرف والمجد من كبار الناس وفضحت أستارمجدهم، وأفسدت العالم في طرفة عين، وأسند الشاعرالفساد وبعث الشر، وتقلب المنازل والمناصب فيما بين الناس في المجتمع الإنسانى، إلى السماء، وجعلها سببا لدمار المدينة.

2- **الدهر**: ومن الاسباب التى لجأ إليها شعراء رثاء المدن باللغة الأردية "الدهر" وقد أرجع النكبة إليه شاعرنا أديب سهيل في قصيدته "ميرا شهر" أى مدينتى: وصرح به حينما فصل القول في ضياع أموال الناس وأمتعتهم بالسرقة والنهب والبيع بثمن بخس حيث يقول:

بدن کے لباس بچھانے کے بستر

پلنگ، میز، آئینہ، کرسی، پنگھوڑے

گھڑی ریڈیو، وینٹی بیگ، شالیں

کتابیں، قلم، آبرو، ماماتا دودھ دانی کھلونے

غرض اونے پونے زمانے کے ماروں کی ہر چیز بازار میں بک رہی ہے

لباس الجسم وأفرشة النوم

السرير، المرآة، والمهود

الساعة، الراديو والحقائب والأردية

والكتب والقلم، السمعة، المودة الأمومة وقدر الحليب واللعب حتى أن

كل شيء للناس المصابين بالزمن يباع في السوق بثمن بخس. [1]

وجعل شاعرنا مراد شاه الدهر سببا لفساد أحوال المدينة وأسند إليه جميع الفساد والزوال بحيث يقول:

سوزمانے نے ایسی زشتی کی خوبی اس قطعہ بہشتی کی

لے کے دوزخ میں ڈال دی یکبار وقار بنا عذاب النار [2]

قد ظلم الدهر وساء إليها أخذ جمال روضة الجنة هذه

ونبذه في الجحيم مرة واحدة وقنـــا ربـــنا عـــذاب النار

فالشاعريصرح بأن الدهر سبب النكبة، وأثبت للمدينة صفات الجنة وافترض بأنها قطعة من الجنة، فحسدها الدهر وأساء إليها. وقضى على جمالها وبهائها وبهجتها.

1- بکھرا ہوا کارِ فاخر، ص: 33 -

2- نامہ مراد، مراد شاہ، تحقیق غلام دستگیر نامی الطبعۃ الأولی 1951م = 1370ھ امیر پرنٹنگ پریس لاہور، ص: 33.

النحس والشؤم: ووجّه شاعرنا مراد شاه زوال المدينة إلى النحس والتشاؤم وقدوم بعض الناس المجهولين واعتبره سببا خفيا قويا جعل المدينة تولى على أدبارها وهو يقول:

کوئی اس میں پڑا جو بوم قدم ہے اب اس کا وجود رشک عدم

من وضع عليها من الناس القدم الناحس أصبح وجودها مغرم بالعدم[1]

فشاعرنايعتقد أن زوال المدينة قد أتاها من ناحس من الناس الأشقياء الحاسدين حتى تراجع كل شيء منها إلى الهلاك والزوال والفناء.

الطوفان: ومن الأسباب غير المباشرة التى اتكأ عليها شعراؤنا في بيان المشاكل والمصائب التى واجهها الناس خلال النكبات " الطوفان " والطوفان آفة من الآفات السماوية لا يقدر على ردها أحد من الحكام والأمراء أومن عامة الناس. ومن المسلَّم أن هناك فيما مضى في تاريخ البشر طوفان أكبر وأشد وهو طوفان سيدنا نوح عليه السلام فحمل شاعرنا أديب سهيل نكبة سقوط داكا على الطوفان وأرجع إليه سائر الحوادث والمشاكل حتى سمى قصيدته هذه بـــ " طوفان نوح "

ويقول في هذه القصيدة :

1–نامہ مراد، ص: 33.

صبح آئی تو نگاہوں سے تھیں اوجھل بستیاں

ساحلوں سے بستیوں تک سرکشیدہ تھی فقط دیوار آب

ہر طرف تھی بازگشت صور اسرافیل لہرائی ہوئی

زندگی جس سے عبارت تھی وہی آب وہوا

ناگنوں کی طرح بل کھائی ہوئی[1]

عندما طلع النهار كان الماءموجودا من الساحل إلى القرىكالجبال

ما كانت هناك سمة أى قرية

كان هناك فقط صوت صور إسرافيل

مكونات الحياة أصبحت الأفاعى.

فإن الشاعر قد تحدث عن نكبة مدينته في رمز الطوفان الذى جاء من الغيب فجأة بعد ما نام الناس ليلا بكل سلام وعافية.

وعندما استيقظوا صباحا وجدوا أنفسهم مصابين بالغرق في الماء، والطوفان ــ وغابت عنهم المدن والقرى وهلك سكانها وشاع صوت إسرافيل المدهش في كل مكان، وعدمت مكونات الحياة في القريب والبعيد.وهذه الصورة نجدها فى مواطن أخرى منها

1–بکھراؤکا حرف آخر، ص: 54 .

پیڑ بھی پانی کے قدموں کے تلے روندے گئے

ساحلوں کی ہنستی گاتی بستیاں عشتار کی مانند روتی ہی رہیں

رونہ کراتکور روانہ ہوگیا کسار آب[1]

سُحقَت الأشجارُ تحت أقدام الماء

وتبكى قرى الشواطئ المترفة الخضرة مثل عشتار. [2]

قد سحقها الماء الذى كان مثل الجبال

قد تحدث الشاعر عن فساد حدث في مدينته خلال النكبة في مرآة الطوفان وطبقها على أحوال وطنه المتغيرة ــ من سحق الأشجار والزروع، وبكاء القرى والمدن، وبين شدة النكبة بكثرة الماء وبوصفها بطوفان النوح وكونها أمثال الجبال وما إلى ذلك.

كثرة الذباب: وقد تفرد شاعرنا مراد شاه لاهورى بجعل الذباب سببا من أسباب الإزعاج وتقلب أحوالالمدينة وفسادها، قد تكون الإشارة إلى الذباب للكناية عن القذارة الناجمة عن إهمال ذوى الشأن والسلطان لأمر بلدانه، فكما أنهم أهملوها فاتسخت وكثر فيها الذباب فإنهم أهملوها عن النواحى العسكرية الأمنية أيضاً فصارت

1- بکھراوکاحرف آخر،ص: 54 .

2 ــــــ عُشْتَار: هى إله الحب والحرب عند الكلانيين القدماء، وهى زوجة الإله مردوخ الإله الرئيس عند الكلانيين، وقد بنى ملك بنوخذ نصر الكلانى البابلى. انظرالموقع:com عشتار يكسيريا .www 12/11/ 2013م.

بلداهم المهملة فريسة سهلة للأعداء. واستعارهاللدلالة على كثرة السيخ ودناءتهم،ربما استعارها لبيان كثرة جنود الأفغان التى كانت تأتى إلى إقليم البنجاب التى لا تزال مركزاً لهذا الإقليم، والأمر الطبيعى بأن كثرة الناس وخاصة كثرة الجنود والعساكر في مكان من الأماكن تسبب المشاكل وإن كانت تأتى لإنجادهم ضد أمراء السيخ. وتأتى التفاصيل عند تحليل للقصيدة والمقصود هنا فقط إشارة إلى الأسباب التى اختارها الشاعر لتفريغ أحزانه وتخفيف خفقاته لذلك أكتفي بعرض بعض النماذج من القصائد المختارة حيث قال مراد شاه:

مکھیوں سے نہیں کسی کو نجات کچھ نہ پوچھوں نمازیوں کی بات

جبکو ٹیڈول بیچڈالے ہیں مکھیوں کا ہیبھر نکالے ہیں

کرنے جس وقت بیٹھے ہیں وہ وضو پانی نے منہ میں کرتے نہیں تھو تھو[1]

ليس هناك نجاة لأحد من الذباب لاتسألن عن حالة المصلين

حينما يضع واحد دلوا في البئر يخرجه مليئاً بالذباب

عندما يجلس أحدهم للوضوء يدخل في فمه الذباب

إن الشاعر قد بين إنزعاج الناس بسبب دخول الجنود الأجانب في مدينته وتكلم عليهم كأنهم الذباب الذى يزهم كارهون له لدناءته وحقارته، ورسم لنا صورة

1 - نامہ مراد، ص: 34.

المصلين الذين لا يفرغ عنها بالُهم، ولا يمكن لهم الوضو ولا الركوع ولا السجود ويقع الخلل في جميع أمورهم وأفعالهم من الأكل والشرب، ومن النوم والراحة، ومن الوضو والغسل حتى الصلاة والعبادة والقراءة والكتابة، وما إلى ذلك من الأعمال المعتادة اليومية، إلى أن صرح الشاعر بأن الناس قد ضاقت عليهم الحياة ولا صورة لبقاء الحيوان بسبب كثرة الذباب.

کوئی حالت نہیں ہے انسان کی اور نہ صورت کوئی ہے حیوان[1]

هناك ليست حالة لحياة الإنسان ولا سبيل لـبقـاء الحـيوان

انتشار الفئران: وقد اختار شاعرنا مراد شاه في القصيدة الثانية الفأرة كسبب من أسباب الفساد والدمار وتغير الأحوال حتى سمى قصيدته هذه باسم الفأرة فبين أن سوء الأحوال كلها يرجع إلى الفئران ودورها يقول:

چوہوں کیباں تکھو رہا ہے لڑکوں کی ناک میں بھی چوہا ہے

شير سے ہیں یہ مستعد بجنگ ان کے حملہ سے اب ہے تنگ پلنگ

ہوش کھوئے ہیں انہوں نے انسان کے دانت کھٹے کئے ہیں حیوان کے[2]

يُرَى كثرة الجرذان إلـى هـذا الحد

هـناك جرذ في أنف كل ولد

1- نامہ مراد، ص 35.

2 - نامہ مراد، ص 35، 36.

هي متـــأهـــبة لشن الحرب مع الأسد

النمر مفجوع بسبب اعتداء اتها

هي أذهلت كل إنسان وأحبطت كل حيوان

إن الشاعر قد بين في الأبيات المذكورة انتشار الفئران وسيطرتها على مدينة "لاهور" وإزعاجها حياة كل ذى كبد رطب من الإنسان والبهائم والسباع والطيور والوحوش حتى الأسد والنمر والدب وغيرها من السباع يخافون منها.

الفصل الأول: عرض تحليلي لقصائد رثاء مدن شبه القارة الهندية ــ الباكستانية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في رثاء لاهور

المبحث الثاني: في رثاء دلهى

المبحث الثالث:: في رثاء داكا

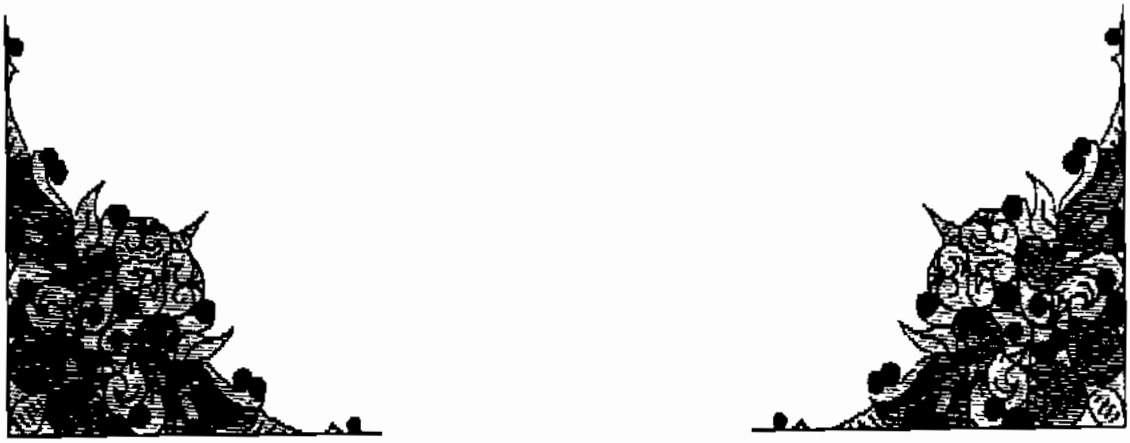

المبحث الأول: عرض تحليلي لقصائد رثاء "لاهور"

يتناول هذا المبحث من رثاء "لاهور" قصيدتى غلام ركن الدين مراد شاه الذى عاصر تلك الأحوال التى سيطرت على هذه المدينة الجميلة العتيقة، وواجهها هو وجميع سكانها خاصة المسلمين، وذلك في الربع الأخير من القرن الثامن عشر الميلادى لاسيما العقد العاشر الأخير من القرن المذكور.

وكان سببها الأعظم اعتداءات الأمراء السيخ الذين تولوا السلطة فى إقليم البنجاب، وهم كانوا يحاربون المسلمين ويهدفون إلى ظلمهم ونهبهم وما إلى ذلك من المظالم والمفاسد، ولما كانت تأتي الجيوش الإسلامية لا سيما جيوش أحمد شاه الأبدالى ونادر شاه الدرانى وحفيده زمان شاه لإنجاد المسلمين كان يفرأولئك الأمراء السيخ الظالمين، ويختفون في الجبال والأغوار مثل الفئران.[1]

وعندما كانت ترجع تلك الجيوش إلى دولتهم كانوايخرجون أمثال الذبان ويزعجون الناس بل جميع الحيوانات، فأبدع شاعرنا قصيدتيه لبيان عملياتهم في دور الجِرْذَانِ والذِبَّانِ مستخدماً الأسلوب الرمزي ــ

---

1 ـــــ نامه مراد، ص:10.

وأماالقصيدة الأولى: فهي مسماة بـــ "سگر نامہ" أى حالة الذباب تحتوى ثمانية وستين بيتاً ويتضمن منها عشرون بيتاً مدح المدينة وبيان صفاتها من شتى النواحى من مكانتها بين المدن الإسلامية، وسُمْعَتها في العالم، وهو يقارن بينها وبين المدن الإسلامية الكبرى الشهيرة، ويظن أنها لا تقل في المنزلة والأهمية عن غيرها من المدن، ويَدَّعِى أن مَن تجوَّل فى العالم كله وزار المشاهد الجميلة والأماكن الفاخرة عند ما يزور" لاهور " لا يتمنى أن يزور مكانا آخر. يقول:

شہر لاہور قبلۂ اسلام — روشن آفاق میں ہے جس کا نام

خوبی اس کی تھی شہرہ آفاق — حسن کا اس کے تھا جہاں مشتاق

اصفہاں ہے جو ایک نصف جہاں — خوبیوں میں نہ تھا کچھ اس کے کلاں

تھا بہشت برین بروئے زمیں — عجب انسان تھے اس مکاں کے مکیں

جو کہ عالم تمام دیکھ آتا — سو نہ دیکھ اس کو پھر کہیں جاتا

رشک آبادی جہاں تھا یہ — الغرض خوب ہی مکاں تھا یہ[1]

إن مـــــــدينة "لاهور" مئـــذنـــة الإســـلام

اســـمـــها يـــشـــــرق فـــــــــــي الآفاق

1-نامہ مراد، ص: 32، 33.

كـانـت مـسـتـجـمـعـة للحـسـن في الدنيا

كل العـالم كان مـغـرماً بـجـمـالـهـا

"أصفهان" فـيـهـا جمـال نصـف العالـم

في الاسـتـحـسان مـا كانت أكـبـر منهـا

كـانـت جـنـة عالية فى الأرض

سـكانـهـا كانـوا أعـجـوبـة الزمـان

فالذى زار العالم كله

لم يرحل إلى أى بلد بعده

هذه المدينة كانت سبب الحسد من المدن

بـاختصـار كانت مـثـالا نمـوذجيـا لها

وقد وصف الشاعر مدينته وصفاً وَفي حقه، وتناول بعض نواحى جودتها في الروعة والجمال.

وقد اعتقد أنها مئذنة الإسلام، وجعلها مساوية لأصفهان التى لها مكانة بين المدن الاسلامية الشهيرة الكبرى ذات حضارة وثقافة عريقة، وكذلك ظنّ أنها قطعة من الجنة العالية على وجه الأرض فمن زارها لايريد أن يتركها ويذهب إلى غيرها من المدن بل يَختَارها مسكنا له، وبسبب حسنها كان العالم كله يغتبطها علي حسنها.

لذلك اشتهر بين الناس بأن: من لم يزر "لاهور" كأنه لم يولد،بالإضافة إلى جمالها وحسن مبانيها، وروعة أسواقها.

ثم أخذ يبين صفات سكان هذه المدينة الجميلة فيقول:

تھا بہشت بریں بروئے زمیں عجب انسان تھے اس مکان کے مکین

ایک سے ایک دوصد چنداں سب ملائک صفت والے انساں

اولیاء ومشائخ و سادات علماء اک سے اک ستودہ صفات

شہر تھا یہ کہ کان علم و ادب کان کیا بلکہ جان علم و ادب[1]

كانت جنـــــــة عالـية في الأرض

سكانها كانوا أعجوبـــة الزمـــــان

كل شخص كان جذابا مدهـــــشا هنا

كل إنسان كان مُحلًّى بالصفات الملكية

وكان الأولياء والمشائخ والسادة فيها

وعلمائها كانوامتخلقين بألأخلاق الرفيعة

وكانت المدينة كنز الفنون و الآداب

بـــــل كانت روح العلـوم والآداب

1- نامہ مراد، ص: 32.

إن الشاعر قد مدح سكان المدينة بحسبهم ونسبهم وكرامتهم، وبعلمهم وأدبهم، وقرر أن المدينة ما كانت معدن العلوم والمعارف، ومركز الفنون والآداب فحسب بل كانت روح الفنون والآداب.

ويعقب ذلك ببيان ربيع المدينة وبهائها وحسن حدائقها حيث يقول:

کیا بہار اسکی میں کروں تحریر شہر تھا یا مرقع تصویر

گل عزاروں پہ حسن کی تھی بہار گل تھے ہر ایک کے گلے کے ہار

کھینچتے تھے دکھا کے رخ دل کو خانہ خانہ میں تھی کماں ابرو

عقل قبضہ میں کس کے رہتی تھی جان ہو قربان دل سے کہتی تھی[1]

لايمكن وصـــف ربـــيعـــها

أكانت مدينة أم كانت مجموعة صورة مرسومة

كان الربيع والبهاء على حدائـــقها

الزهور كانت أكـــــالـــيل كل رقبة

وكانت تجذب قلب من شاهدهـــــا

كل بيت كان يملأ بالنساء الجميلات

لم يكن يقدر أحد على ضبط نفسه

1- نامہ مراد، ص 32.

والروح تقول بشكل مشجع "نفسى فداؤها"

إن الشاعر يمدح في الأبيات المذكورة، جمال حدائقها، وهويعتقد أن المدينة بأكملها كانت صورة مرسومة، وكانت حدائقها ذات بهجة وروعة، وكانت الزهور متوفرة وكانت تُؤخذ منها الأكاليل التى كانت تستخدم في مواطن الفرح والسرور.

وكانت الزهور تجذب إليها نُظَّارَها والطَوَّافينَ بها إلى أن كانت المدينة بأسرها مثل الحديقة الجميلة المليئة بالزهورالناضرة والنسائم الطبيبة، ويتمنى كل زائرأن يفديهابنفسه .

وقد رسم الشاعر في هذه الأبيات صورة رائعة لجمال مدينته ونضرة حدائقها وكثرة زهورها الطازجة ورياحها الطيبة.

ثم يأتى ببعض الصفات الجميلة لعامة الناس من أهلها بحيث يقول:

خوبرو تھے حیاسے سب موصوف اور عاشق وفاسے تھے معروف

راہ رو تھے سبھی طریقت پر تھا قدم قنطر الحقیقت پر

اورجس کوکہیں مجازی تھا شیوہ اسکا بھی پاک بازی تھا[1]

كان كل واحد منهم وسيما،حَيِيًّا

وكان العشاق معروفين بالوفاء

1-نامہ مراد، ص 32، 33 .

كان الجميـــــع أتباع الطريقة

متمكنين من الحقيقة فى عواطف حبهم

والذى اغترف بالحب المجازى

لكان تقيا عذريا فى حبه

إن الشاعر قد ذكر في الأبيات المذكورة أوصاف عامة الناس من سكان "لاهور" وأخلاقهم الحسنة من الحياء والإخلاص والوفاء، ومن المحبة والعشق وتنزههم في ذلك عن الأخطاء والأهواء، واتباعهم الشريعة والتزامهم بأخلاق النساك والمتعبدين واعتصامهم في عواطفهم بالحقيقة وما إلى ذلك وبعد هذه المقدمة الطويلة التي كانت في وصف أحوال المدينة قبل الفساد، يذكر بعض الأسباب التى أدت إلى التغير والخراب ــ وهو يسندها مرة إلى أسباب غير مباشرة خفية من سوء الزمان ووقوع القدم الناحس في هذه المنطقة المباركة وغلبة القضاء وقوة القدر وما إلى ذلك مما نلاحظه فى الأبيات الآتية، يقول:

سو زمانے نے ایسی زشتی کی خوبی اس قطعہ بہشتی کی

لے کے دوزخ میں ڈال دی یک بار وقنا ربنا عذاب النار

کوئی اس میں پڑا جو بوم قدم ہے اب اس کا وجود رشک عدم[1]

1- نامہ مراد، ص: 32، 33.

وهكذا ظلم الدهر

وسلب جمال هذه القطعة من الجنة

ونبذتها في الجـحـيم فـجـــأة

وقنـا ربـنـا عـذاب الـنـار

قد وقعـت فـيها قدم الرجل الناحس

لأصبح وجودهامغرما بالعدم الآن

وقد ذكر الشاعر عند بيان أسباب فساد المدينة مرة شناعة الزمن وانسداد السبل في وجهها نحو التقدم والنهوض، حتى أخذ حسنها وبهاءها وألقى في النار.

ومرة ثانية، أسندها إلى التشاؤم والنحس، ومرة ثالثة، أرجعها إلى الذباب وهو صلب الموضوع للقصيدة وتحدث الشاعر عن تفاصيل فساد المدينة وخرابها وإزعاج أهلها في دور طائر صغير دنيئ وهى الذباب الذى سمى قصيدته باسمه واستخدمه رمزا لحقارة الأعداء السيخ ودناءتهم وفَصّل القول في ضيق الأحوال واعتداءات الأعداء على سكان لاهورخاصة المسلمين وتوغلهم في القسوة في صورةالذباب وعملياته الدنيئة.

ربما أراد الشاعر من أخذ هذا الطائر المهين رمزا لبيان ولاة الأمريعنى الأمراء السيخ أعداء الإسلام والمسلمين وطغيانهم على المسلمين،لإهانتهم واحتقارهم وقداستغرق الشاعر فيه واحداً وثلاثين بيتاً أى قريبا من نصف قصيدته.

وذكر فيها كثرتها وسيطرتها على المدينة، وتدخلها في جميع شيءون الناس من الطعام والعبادة والقراءة والكتابة ومااإلى ذلك من الأعمال اليومية التى لابد منها،وأوضح بأنه لانجاة منها للحيوان من الطيور والوحوش، حتى الجمادات لاتحفظ من اعتداءاتهايقول:

اب ہیں پر مکھیوں سے سب ناچار ہیں یہ گردن پہ آہ سب کی سوار

نہیں آرام ان سے رات اور دن کھا گیئں کان سب کے کر بھن بھن[1]

أصبح جميع الناس عاجزين أمام الذبابـــة

كل شخص يشتكى وقدركبت على أعناقهم جميعا

ليس هناك راحة في الليل ولا في النهار

قد ضيَّـــق طنينُ الذبـــاب عليهم الحياة

1-نامہ مراد، ص 33.

وقد ذكر الشاعر هنا عجز الناس أمام الذبان حيث تركب على أعناقهم، وقد يستوعب طنينهن كل الأحيان والأوقات من الليل والنهار وليس هناك راحة في أى وقت من الصباح أو المساء حتى ضاقت الحياة على سائر الحيوانات.

ثم رسم الشاعر صورة أحوال الطعام من الأكل والشرب وصرح بأنه حينئذ قد انتهت عادة إعداد الأطعمة اللذيذة وأكلها بالراحة والسعادة يقول.

دن کو کیا کہیے بات کھانے کی — اٹھ گئی رسم ہی پکانے کی
آتش جوع نے جگر کو کباب — جس کے دل کو کیا سو ہو بیتاب
خشک روٹی کہیں پکاتا ہے — کس مصیبت سے وہ بھی کھاتا ہے
اور قلیہ پلاؤ کھائے کون — ہو سکے کس سے اور پکائے کون
پک گئی شب کہیں جو دھوئی دال — اس کے کھانے کا کیا لکھوں احوال
ماش کا دیکھ بیچ میں چھلکا — کھا کے دو اس وہ جو تھا دل کا
منہ سے لقمہ وہیں اگل ڈالا — دیکھو دال میں ہے کچھ کالا[1]

لا يستطيع أحد أن يأكل الطعام نهاراً

بـــل عـــادة الطبخ قـــــد تلاشـــت

1- نامہ مراد، ص. 33.

أحرقـت نـارالجـوع الـكـبـد

وصاحبه أصبح مضطربا

الـذى يـطـبخ الـخبـز الجـاف

يـواجه المصـائب عـنـد الأكل

مـن يأكل بلاؤ(الأرزطبيخ في اللحم)

مـن كان عـنده مقـدرة لـطبخـها

كلمـا طبـخ قليلا القطانى في الليـل

كـيف أكـتـب أحوال أكـلـه

لمـا رأى قـرش الـعـدس فـيه

غلب عـلـيه وسـواس قـلبـه

رمـى لـقمـة الخـبـز مـن فيه

انظـروا هـنـاك شيء مريب فيه

إن الشاعر قد يتحدث في الأبيات المذكورة عن أحوال طبخ الطعام وكيفية أكله، بأن الذبابة لا تمنح فرص الطبخ ولا الأكل إلى أن نسى الناس وجبات الأطعمة، حتى لايمكن أكل الخبز اليابس الجاف فكيف من الممكن أن يأكل وجبات الأطعمة الطازجة اللذيذة من الأرز المطبوخ باللحم، وإذا جَهَّز أحد شياء من العدس، وأخذ

يشك في وقوع الذباب فيه ويرمى اللقمة من الفم ويبقى جوعاناً. وقدرسم صورة جيدة لكثرة الذباب وما يسببه من الهرج والمرج.

ويأتى بعد ذلك بموقف آخر وهو رقص الراقصات، فالشاعر يعتقد أن الراقصات كنّ يرقصن لدفع الذبابة فقط ما كان هناك غرض دون ذلك يقول:

ناچتی ہیں کہیں جو کنچنیاں[1] دیکھتے جاکے ٹکٹ وہاں کا سماں

ناچنے کا غرض بہانہ ہے مدعا مکھیاں اڑانا ہے

ہے دھیاں انکو بھی یہ تانوں میں مکھیاں پڑنہ جائیں کانوں میں

اور پاؤں کی گت سے ہے منظور مکھیاں ہوں کسی طرح سے دور[2]

إن العاهرات يـــرقصـــن هـنـاك

لاحـظ بـعـين رأسـك هـذا المنظر

الـرقـص ادعـاء فـقـــط

الـداعـى دفـع الـذبـاب فـقـــط

هن معقلات عند الغناء بين حين وآخر

لئـلا يـصـل الـــذبـاب في الآذان

---

1 – العاهرات، الراقصات، والمغنيات. فيروز اللغات، مولوي فيروز الدين رقم الطبعة: 6-514 -00-0-969. فيروز سنز لاهور، ص:1034.

2- نامہ مراد، ص. 34.

والهدف من حركة الأقـــدام المتـتالية

كانت (حركة الأقدام) حيلة لدفع الذباب

إن الشاعر قد يصرح بأن العاهرات الراقصات المغنيات يضربن الأرجل لدفع الذباب فقط والمغنيات عند ما يجعلن الأصابع في الآذان فلحفظ الآذان عن دخول الذباب.

ثم يأتي بمشهد المتعبدين المصلين بحيث لا يحفظون عنها حيث يقول:

مکھیوں سے نہیں کسی کو نجات کچھ نہ پوچھو نمازیوں کی بات

جب کوئی ڈول بیچ ڈالے ہیں مکھیوں کا ہی بھر نکالے ہیں

کرتے جس وقت بیٹھ ہیں وہ وضو پانی لے منہ میں کرتے ہیں تھو تھو[1]

ليس هناك نجاة من الذباب لأحد

لا تســألنى عــن حالة المصلين

حينمايدخل واحددلوافي البئرللماء

يخرجه مليـئابالـذبـــــاب

عندما يريدالإنسان أن يتوضـــــأ فيتمضمض ويبصق لدخول الذباب في فمه

1-نامہ مراد، ص:43

يقول الشاعر لاتسأل عن أحوال المصلين بحيث لاغنى لهم عن الماء وعند ما يريدون الحصول على الماء ويدلون دلوهم في البئر يخرجونه ملياً بالذباب، وإذا جلسوا للوضوء دخل الذباب في فمهم عند المضمضة وفي الأنف وقت الاستنشاق فماهوالوضوء وماهي العبادة والصلاة، وأما التأليف والكتابة فلا مجال لهما هناك.

لما رأى الشاعر هذه الأحوال والتقلبات في المدينة شعرأنه لا يمكن هناك إبداع ما في القريحة من العواطف والآهات فذهب بعيدا عن مدينة "لاهور" إلى القرية المسماة بـــ: "اٹاری" التى كان سكانها من أتباع الشاعر وتلاميذه ومُحِبِّيْه حباً جماً فسافر إليهم، وكتب هناك هاتين القصيدتين [1] كما صرح به في هذه القصيدة يقول:

آہ بھرنا بھی ہوگیا ہے محال اور لکھنے کا کیا لکھوں احوال

لے کے کاغذ پہ کلک جب رکھی لکھتے لکھتے ہی یک قلم مکھی

سطر کی سطر ساری چاٹ گئی اڑ کے پھر آنکھ پر بھی کاٹ گئی

شہر میں دیکھ میں یہ ہنگامہ گاؤں میں آ لکھا مگس نامہ

متصل شہر کے "اٹاری" نام ہے مریدوں کا جس میں اپنا مقام[2]

قدكثـرت الآهـــــات والأنـــات

لايمكن وصف صعوبة الكتابة والتأليف

1-لاہور کا دبستان شاعری، ڈاکٹر علی محمد خان، الطبعة الثانية 1999 مقبول إكادمی، ص: 149.

2-نامہ مراد، ص: 34.

عندما يُوضع القلمُ على الصفحـــــــــة

يأتي الذباب فجـــأة خـــــلال الكتابـــة

يلعق منها سطرا كاملا في طرفة عـــين

وعندمايطير من السطر يلسع العـــــين

عـــنـــدما حـــدثَتْ البلبلة في المـــدينـــة

كتـــبـــتُ في الـــقـــرية هذه القصيـــدة

القرية تقع في جوارلاهور اسمها"إتارى"

لأتباعـــنـــا هـــناك مكانـــة عاليـــــة

إن الشاعر يوضح أن المشاكل والآلام قد خرجت عن وصفها حتى صعبت الكتابة والتأليف بحيث إذا وضع القلم على الصفحة للكتابة تأتي الذبابة، أولاً تشرب الحبر وتشبع منه وتقضي على السطر الكامل في طرفة عين، وعندما تطير تلسع العين. لذلك تركتُ المدينة وسكنتُ في قرية توابعنا بجوار"لاهور" وأبدعتُ هناك هذه القصيدة التي تحوى تقلبات أحوال المدينة.

وقد بيين الشاعر هيبة الذبابة في قوله:

دن کو گرتی ہیں یوں کہ صید پہ باز　　رات کو یہاڑیں ہما پرواز

سب پرندے خطر سے بھول گئے　　اور درندوں کے پاؤں پھول گئے

کوئی حالت نہیں ہے انس انکی اور نہ صورت کوئی ہے حیوان کی[1]

يسقطن في الصباح مثل فريسة الصقر

هن يطرن في الليل بحرية كالبازي

أذهلت الـطـيور من خـوفـهـا

وتـورمت أقدام السباع من لسعها

فأصبحت حيـاة الإنـسان سيئة

ولا سـبيل لبقاء حياة الحـيوان

إن الشاعر قد بين في الأبيات المذكورة غلبة الذبابة علىالإنسان والحيوان بكثرتها وجرأتها وطغيانها، حتى فقدت الطيورمشاعرها وتصبر السباع على إيذائها ولكن مع ذلك كلها لا بقاء لحياة الإنسان ولا للحيوان.

وفي الآخر توجه الشاعرإلىالله تعالى وأناب إليه ودعا بصلاح مدينته لتعود إلى حالتها الأولى بجميع ما فيها من الروعة والجمالولصفائها وسنائها وبهائها وسكانها وذلك في ثمانية أبيات يقول:

بس کر آگے نہ کہہ کچھ ان کی بات کر مراد اب یہی دعا دن رات

مکھیوں سے نجات پاویں سب رغبتِ دل سے پیویں کھاویں سب

1- نامہ مراد، ص: 35.

شہر پر پھر وہی سما ہووے شکل بسنے کی پھر وہاں ہووے

نہ رہے کوئی فتنہ اور فساد بے خلل شہر میں رہیں آباد

اختر نحس کا عمل جاوے سعد اختر کا دور پھر آوے

شہر میں ہو سراسر آبادی پھر وہی رونق اور وہی شادی

اور رہے اس کو تا قیام جہاں فت نہ آخر الزماں سے اماں

تا برآوے سبھوں کے دل کی مراد قید سے رنج و غم کی ہوں آزاد[1]

تَوَقَّفْ ،لا تقل شيأ

ادعُ اللهَ يَا مُرَادُ في آناء الليل وآناء النهار

أن يـخـلص كـل شـخـص مـنها

وأن يـأكل ويشرب الكـل ما يُحِبُّ

وتـعود أيـام الـمـدينـة الـخالية

وتـرجع بسكانها إلى التحضر

ويـمـسح كليا اسـم الشغب والفـساد

ويستـريح أهـلها من الظلم والكساد

ويختفي تأثـير النجم السـئ الحـظ

1- نامہ مراد، ص: 35.

وتــرجع الأيــام المحظوظة والسعادة

وتصبح المدينة مليئة بالعمران والسكان

وتصبــح معمــورة بالروعة والابتهاج

ويبــقى ثــباتها إلــى يــوم الــقيامــة

واحفظها مــن فتن الساعــة،وأهــوالها

ويحقق الكل ما يرضيه

ويتكسر أغــلال الأحــــــزان والآلام

وفي ختام القصيدة ركّز الشاعرعلى الدعاء وطلبِ الغوث والنجدة للمدينة ولأهلها،وقد دعاالله تعالى أن يقضى على الذباب ويُرِيح أهل المدينة من اعتداءاته وفساده،وتمنى عودة الأيام الذاهبة للمدينة بكل ما فيها من الروعة والابتهاج.وطلب من الله تعالى الثبات والبقاءلهاإلى يوم القيامة وحفظها من الفتن الساعة، وأن يفلق صبح السعادة والسرور من ليالى الأحزان والآلام.

القصيدة الثانية " موش نامه " أى حالة الجرذان

والقصيدة الثانية لشاعرنامراد شاه في رثاء"لاهور" على المصائب والمآسى التى سيطرت على جوالمدينة الجميل خلال اعتداءات أمراء السيخ الظالمين البغاة الذين ضيّقوا الحياة على المسلمين من سكان "لاهور" وغيرها من المدن والقرى التى كانت تحت حكمهم.

والقصيدة طويلة تتقارب من القصيدة الأولى السابقة، وهي تحوى واحداً وستين بيتاًوهي من البداية إلى النهاية غارقة في بيان الأحوال والتقلبات إلا خمسة أبياناً في آخرها والتى انتهت بها القصيدة،فهي تشتمل على الدعاء للقضاءعلى المآسى والمفاسد من المجتمع.

وهي تبدأ بالمقدمة المباشرة بقوله:

موش اس افراط سے ہوئے امسال — کہ زمیں ہے بصورت غربال

ہر جگہ موش کا ٹھکانہ ہے — یہ زمین ہے کہ موش خانہ ہے

لیکے جموں سے تاحدِ لاہور — ہے زمیں رشک خانہ زنبور

اوفتادہ زمیں سے لے تاکشت — ان سے خالی نہیں ہےاک بالشت[1]

1 – نامہ مراد، ص: 35.

ترى كثرة الجرذان في هذه السنة قدأصبـــحت الأرض مثل المنخل

لايُرى في كل ناحية غيرُ الجرذان الأرض كلها أصبحت بيت الجرذان

من حـــدود الجمون إلى لاهـــــور الأرض كلها مثـــل بيت الزنابـــير

الأرض سواءكانت مزروعة أوغيرمزروعة ليس هناك قطعة منها إلا وفيها الجرذان

يبدأ الشاعر قصيدته بوصف الحوادث الباكية التى هزته، لذلك ترك التمهيدات وأخذ في الموضوع مباشرة، وبيَّن في الأبيات المذكورة كثرة الجرذان التى استعارها لبيان أحوال أمراء السيخ الجبناء. وعندمااستعارالشاعرالجرذان لبيان الفسادالذى وقع في المدينة تحدث عن جميع التفاصيل للحوادث واقفاَوراء سترها.

وأوضح بأنهاجعلت الأرض كلها كالمنخل، وليس هناك شيء على الأرض دونها حتى تحسب بأن جميع الأرض تحولت إلى بيت الجرذان.

وأشارإلى سعة حدود حكم أمراء السيخ حيث كانت تحت حكمهم منطقة كبيرة وهي من جمون (الكشميرالمحتلة)إلى"لاهور"[1]

كماصرح في بيت من الأبيات المذكورة بأن دائرة حكمهم كانت توسعت من "جمون" إلى " لاهور" والأرض كلها من هنا إلى هناك سواء كانت مزروعة ومحروثة، ما خلت منها قبضة من الجرذان وكأنها تحولت إلى بيوتها.

---

1 – تاريخ اسلام، مرتضى إحمد خان ميكيش، 2005م، مكتبه اعلى حضرت، دربارمار كيٹ، لاهور، ص: 223.

ثم ذكرأهوال الجرذان وسيطرتها على الأشياء كلهامن الإنسان والحيوان،ومن الزروع والحقول وما إلى ذلك حيث يقول:

چوہوں کی یاں تلک تو ہوا ہے لڑکوں کی ناک میں بھی چوہا ہے

ہوش کھوئے انہوں نے انسان کے دانت کھٹے کیئے ہیں حیوان کے[1]

الإنسان یری کثرۃالجرذان إلی ھذاالحد

هـناك جـرذ في أنف كل ولـــد

أذهـلـت كل إنـسـان وحصرت

كـل حـيـــوان في عقر داره

يقول الشاعرإن الجرذان كثرت كثرة حتى وصلت إلى أنوف الأولاد الصغار وأذهلت الناس الكبار حتى أحبطت الحيوان من الطيور والوحوش، والسباع،والبهائم.

ثم تعرض بعد ذلك إلى تفاصيل الوحوش التي يخفن من تعاقبها حتى عدَّدَ أنواع الحيوان مصرحاًبأسمائها يقول:

کھیت کھا کھا کے ہیں پلے کیا موش کہ ہیں غالب بہر طیورو وحوش

بلے جنگل میں ان سے ڈرتے ہیں جو ہیں ماراب خراج بھرتے ہیں

جو بڑا اب پہاڑ یکوَا ہے چوہے کو جانتا وہ ہوَا ہے

دیکھ جنگل میں ان کا یہ دنگل وحشی اب چھوڑ بھاگے ہیں جنگل

1 ـــــنامہ مراد، ص: 36.

شیر سے ہیں یہ مستعد بجنگ ان کے حملہ سے اب ہے تنگ پلنگ

خوف کھاتا ہے دیکھ ان کی چھیڑ بھیڑیے سے ڈرے ہے جیسے بھیڑ

گیدڑوں کے انہوں نے کترے کان لومبڑوں نے بھی چاہی ان سے اماں

گربہ خانگی کو ڈالیں جھنجھوڑ کتا آوے تو اس کا منہ دیں موڑ

بھاگے بندر پھرے ہیں جھاڑوں میں ریچھ جا کر چھپے پہاڑوں میں

درد ہے پیٹ میں درندوں کے گھاس منہ سے گرا چرندوں کے[1]

أكلت الحقول تماماً و أصبحت قوية

حتى تأهلت للسيطرة على كل من الطيور والوحوش

إن القطط خائفة منها

والأفاعي تعطيها الجزية

صار الغراب الجبلي الكبير متعقلاً

وترهبه الجرذ إرهاباً

بعدرؤية مبار اتها الفروسية

تركت الحيوانات البرية الغابة

هي متأهبة لشن الحرب على الأسد

النمر مفجوع بسبب اعتداءاتها

1- نامہ مراد، ص:36.

جـبنه ظاهرومـــــدرك بيسيـــــــر

وهو مـثـل الضـــــــأن أمام الـــذئب

خدعـــــت أبـــــــــنـــــاء آوى

واستأمنت منهاالـــثـعـــــــالـــــب

تـــسطتيع أن تهاجم الهرة المحليـــــــة

قـــادرة على أن تهـيـب الكلـبـــــــة

إن الـــــقـــــــرد يأوى إلى المأمـــن

وجـــدالدب مـــلجـــأ آمـــنا في الطلـــول

الـــــــــــوحوش عانت من ألم البطن

خرجت الـــــرعـــى مـــن في المـــواش

وقد عدد الشاعر في الأبيات المذكورة أنواع الوحوش والسباع من الحيوانات، وقرر بأن كلا منها يخاف من الجرذان حتى أن الأسد رغم كونه ملك الغابة يفرمنها فما بال الوحوش الأخرى دونه.

وبعد أن رسم الشاعر صورة خوف الوحوش من الجرذان، توجه إلى بيان غلبة الجرذان على حشرات الأرض، وبين هنا أن الحشرات الكبرى الضارة المهيبة كلها تخاف منها، يقول:

ان سے بس کھیرا مانگتا ہے اماں سانپ ہونٹوں پہ پھیرتا ہے زباں

منہ سے ہر چند کچھ نہ بولے ہے بس پڑا اپنے جی میں گھولے ہے

زہرہ وحشیاں زخوف است آب جگر ماہی از غم است کباب (1)

فرط سوراخ سے لب دریا اک نمونہ ہے خاک تو دے کا

سوس کے پیٹ میں پڑا پانی گگی بن مانسوں کو حیرانی

تین دوا توڑ رشتہ تدبیر دام میں غم کے ہو رہا ہے اسیر

چھوڑ بھاگا خطر سے مینڈک دم کچھوے نے دست و پا کیے ہیں گم

کہتے ہیں مل کے سارے اود بلا نکلو باہر نہ چھوڑ کر دریا

القرمزية وحدها تريد التخلص منـــها

تـهـتـز الأفـــعـــــى خوفاً منها

رغم أنها (القرمزية) لاتتفوّهَ كلمة

ولكن تذوب فى نفسها صامتة

بسبب الثقبة الكبيرة على ضفّة النهر أصبحت (الضفّة)

نمـوذجـــا لـلـجـلاف والحمـأة

امتلأت بطن البقة بالماء وتحيرت القردة

يهرب الـضـفـدع مـنـها بـالغرر

[1] - حذفت بيتاً فارسياً من القصيدة لكونه خارجاً عن الموضوع. الباحث

احتفت السلحفاة في درعها

تتكسر عزائم السرطانات وتذوب فى ثرى الأحزان

وتنادى بصوت واحد معا يا أعجاف

تعال إلى الخارج واترك البحر

يذكر الشاعر في الأبيات المذكورة بعض أنواع الحشرات التى تخاف من الجرذان مع كبرها في الجسم والشأن،لاحظنا من الأبيات السابقة أسماءها من القرمرزية والأفعى،السمك، والبقة، والضفدع،والسلحفاة والسرطان وما إلى ذلك.

وضح الشاعر بأن كلا منها تخضع للجرذان وتخدمها.وبعد ذلك لجأ الشاعر إلى بيان صورة النباتات من الزراعة والحقول، وتذلل الزراع أمام الجرذان،ورسم هنا صورة تدمير الجرذان الحقول وحرمان الفلاحين والزُرّاع من أعمالهم وجهودهم في حرثهم،وبكائهم على عدوان الجرذان وظلمها لهم فيقول:

جو زمیندار کھیت بوتا ہے ہاتھ دھر سر پہ اپنے روتا ہے

شاخ باہر جو سر نکالے ہے یک قلم چوہاکاٹ ڈالے ہے

جاکے دیکھو اگر زراعت ماش اور ڈھونڈ و بصد ہزار تلاش

نظر آتی نہیں پھلی یا پھول اڑتی ہے کھیت بیچ خاک اور دھول

گر کہیں کچھ جوار مکی ہے پیٹ میں ان کے کچی پکی ہے

کرتے ہیں، گر کہیں ہے چھوٹی جوار شام کو نقل اور سحر کو نہار

اور دیکھو جو کھیت شالی کا ہے بچھونا بچھا پرالی کا

باجرے کی جو کے بالی ہے کاٹ کر سب بلوں میں ڈالی ہے

کنگنی شانا خ کا جہاں تھا کھیت نہیں وہاں خاک بھی کہیں جز ریت

تھا جو دہقاں نے کچھ بویا چینا ان کے دادا کا تھا گویا دینا

کھیت جس جا پہ نیشکر کا ہے مال ان کے گویا پدر کا ہے[1]

وملاك الأرض الذى يزرع

بشكل يائس

حينما يظهر الفرع من الزرع

يقطعه الجرذ بالسرع

إذا يفتش أحد حقل العدس

مراراً وتكراراً

لا يرى أية فاصولية ولا فاكهة

لكنه يدرك فقط الغبار والقذارة

وإذا كان هناك بعض الهُجَاج أو الذرة

هي في بطونها(الفئران)ناضجة كانت أوغيرناضجة

1- نامہ مراد، ص: 37.

لو كان الهجاج صغيرا

تتحرك(الفئران) مساء وتستقر صباحا

وإذا نظرت إلى مزرعة الأرز

وجدتها فراش القش فحسب

إذا كانت هناك سنبلات الدخن أو الشعير

هـي مخـزونـة في جـحـورها

حيثما كانت مزرعة الفول السودانى

لم تبق هناك دون تراب ورمل

كـلما زرعه الفلاح عثيا بلديا

كأنه كان مليكة أجدادها(الفئران)

أينما وجد الحـقـل المـصون

كأنه كان مليـكـة آبـائـهـم

وقد فصل الشاعر في الابيات المذكورة أنواع الزراعة وتصرف الجرذان فيها بدون أى تردد أو خطرعن أصحابها كأنها قد ورثتها من آباءها وأجدادها، وكانت تحرم الفلاحين من حقولهم حتى لا يجدون منها سنبلة، لا فاصولية ولا فاكهة، ولا يجلبون من جهودهم شيءاًويُواجهون الحرمان والخسران بدل الربح والنفع.

ثم ذكر شياء من أحوال الفلاح وأفراد أسرته بعد حرمانهم من حقولهم يقول:

جب ہے دہقاں بچے کو لگتی بھوک دیکھتا ہے ہرے ہرے ہی روکھ

منہ زمیندار کا چڑاتے ہیں ہنستے ہیں تالیاں بجاتے ہیں

ہووے ہے پھر کے کھیت بیچ خجل نہیں اتا جو مل کے چابے تل

کھیت کے دیکھنے کو دہقاں گر آوے ہے سربلوں سے کر باہر

تب وہ لاچار ان سے جھن جھلا کر بیٹھ رہتا ہے گھر کے بیچ آکر[1]

عندما يحس ابن المزارع بالجوع

يكرى أشجاراً خضراء

وتسخر (الفئران) من المزارع

وتضحك عليه وتصفق

ويصبح خجلان عندما يتجول في المزرعة

ولا يجد شياء هناك حتى بقدر الحبة

عند مايأتى الفلاح لرؤية المزرعة

تخرج رؤسها من أحجارها

فهو يتغيظ عليها معجزا

1- نامہ مراد، ص: 38.

ويرجع إلى البيت ويجلس فى وسطه يائسا

إن الشاعر قد رسم في الأبيات المذكورة صورة حرمان الفلاحين من حقولهم حتى لا يجدون شياء فى مزارعهم مثقال حبة من خردل، ويموت أبناؤهم من الجوع، بالإضافة إلى سخرية الجرذان وضحكها على الفلاح.

ثم بين بعد ذلك بعض المواطن الاجتماعية التى تجرى حيث الناس يفكرون فى تحول الأحوال ويبكون على حرمانهم فيقول:

عورتیں جب اکٹھی ہوتی ہیں جان کو چوہوں کی ہی روتی ہیں

جبکہ چنے کپاس چلتی ہیں کف افسوس مل کے ملتی ہیں[1]

عند ما تجتمع النساء في مــوطــن

يــلــعنّ الــجــــــــــرذانا

وإذا ذهبت النساء لقطف القطن

يرجعن بالحرمان والأسفإلى بيوتهن

ذكر الشاعر هنا أن الرجال والنساء إذا اجتمعوا في مكان يتحدثون عن أحوال الجرذان ويفكرون فيها.

1 – نامہ مراد، ص. 38.

وإذا ذهبت النساء إلى مزرعة القطن ليجمعنها يعدن إلى البيوت بأيادٍ خاليةٍ ويحرمن منها.

وبيَّن الشاعر بعض الاعتداءات للجرذان على لسان الجمادات كما نلاحظها فيما يأتي:

درد اکھلی کو اٹھا جی سے ہے	چکی غصے سے دانت پیسے ہے
چھاج دانے نہیں پھٹکتا ہے	گویا اس دکھ سے سر پٹکتا ہے
آسیا کے جگر میں ہے یہ سلاخ	چھلنی کے دل میں پڑ گئے سوراخ[1]

يحـــــس الـــهـــــــــــــاون بالتألم

كأن الطاحونة تغضب على الجرذان غضبا شديدا

والـــمـــنـــســفـــة لا تَـــــــــذرّي

كأنها تُـــسـرعُ الـــرأس حـــــــــــزنا

في كبد حجر الرحى هناك ترباس

كأن قلب الـــمنخـــــل مثـــــــــــقوب

واعتقد الشاعر بأن الجمادات المذكورة من الطاحونة والمنسفة، وحجر الرحى، والمنخل تعمل كل منها بسبب غضبها على الجرذان وبالآلام التى أصابتها من قبلها.

---

1 – نامہ مراد، ص: 38.

وفي نهاية القصيدة يتوجه الشاعر إلى الله عزوجل ويدعو على الجرذان ويتمنى عودة مدينته إلى صورتها الأولى، والقضاء على الفساد والنقمة كلها والحصول على الراحة والسلوان يقول:

یہی کہتے ہیں روز و شب سارے — حق تعالیٰ چوہوں کو اب مارے

ایسا مینہ برسے اور پڑے بوچھاڑ — بیخ و بنیاد ان کی دیوے اکھاڑ

مانگ تو بھی مراد اب یہ دعا — ہو بھلا جس سے ساری خلقت کا

آسماں سے نزول باراں ہو — ملک میں امن غلہ ارزاں ہو

محو خاطر سے کرکے خطرہ موش — آٹھکانے لگیں طیور و وحوش(1)

يدعو الناس كلهم أجمعون في الصباح والمساء

ربنا أذهب عنا عذاب الجرذان

افتح أبواب السماء بماء منهمر

امسح منها الأرض كلها

يا مراد ادع الله

دعاء يعم الخلق عامة

وأن يغيث (الله) البلاد

1- نامہ مراد، ص: 38.

وأن يـــكون هــذا البلد آمـــــــنا ومرزوقا

وأن تنسى الطيورخوف الجرذان من قلوبـــــها

وترجع الوحوش إلى مساكنها

وقد أنهي الشاعرقصيدته هذه مثل السابقة بالدعاء الجميل النافع له ولجميع الناسبل للخلق كلهم، وسأل الله أن يعيد المدينة إلى حالتها الأولى من الأمن والرخاء، والراحة والسلوان وأن يقضى على الظالمين الطاغين وأن يعيدزمام الأمر إلى أيدى المسلمين.

ولا بد ألا ننسى أبداً أن مراد الشاعر بالذبان والجرذان هنا أمراء السيخ الذين فروا إلى الكهوف والأغوارعند ماجاءت الجيوش الإسلامية أحمد شاه الأبدالي ونادرشاه الدرانى وغيرهمالإنجاد المسلمين ولم يحاربوها.

والشاعر قد نجح في رسم صورة الأحوال وصعوبة الأيام بلغة سهلة مفهومة لجيمع الناس بالإضافة إلي حرز نفسه من المشاكل التي كانت تتوقع من تلك الطائفة الطاغية بسبب قصيدتيه هاتين، ربما كان الناس يقرأون هاتين القصيدتين في مواطن جمعهم من الحفلات والأسواق والمقاهي ومالى ذلك وكانوايخففون خفقات قلوبهم ويجدون الراحة والسلوان عندما يتحدثون عن اعتداءاتهم بالحرية التامة.وقد أبدع الشاعر قصيدتيه باللغة الأردية باستثناء بعض الأبيات الواردة باللغة الفارسية وكان

ذلكبداية للكتابة بهذه اللغة الجميلة كماذكرنا عند ترجمة الشاعر بأنه هوأول من استخدم كلمة "اردو" في معنى اللغة. لذلك ترى في بعض الأماكن الركاكة والغرابة في التعبير، ومع ذلك لا تقل فائدتهما ولا أهميتهما فى رسم صورة أحوال زمانه والمصائب والآلام التى واجهها الناس.

والقصيدتان سهلتا الأسلوب واضحتا المرامى والأهداف بعيدتان عن الخيال والصورالمعقدة، وقد أحسن مراد شاه في نظم قصيدتيه في صورة الرمز إبراز العوامل التى تؤثر في نفوس المخاطبين والقارئين.

وللشاعر مزية في إنابته إلى الله سبحانه وتعالى والتضرع إليه للتخلص من جميع المشاكل التى لها سيطرة على المجتمع الإنسانى في تلك الأيام.

المبحث الثاني: في رثاء"دلهى"

اخترت للدراسة في هذه الأطروحة قصيدتين من القصائد الرثائية التي أُبدِعَتْ في رثاء دهلي وهمالـــ: مرزا داغ الدهلوى في رثاءمدينته الجميلة على دمارها وخرابها بسبب هجمات البريطان أعداء الإسلام والمسلمين في العقد الأول من النصف الثانى للقرن التاسع عشر، وهو كان واحداً من أولئك الذين أصيبوا النكبة مباشرة وشاهدوها بعين رأسهم.

وقد شاهد "داغ" هذه النكبة لأنه قدعاش في "دهلي" زمنا من الحياة وتَرَبّى في القصرالأحمر الملكي (1) في "دلهى" تحت عناية الأسرة الملكية، حتى حبس هناك في "دلهى" خلال الفتنة كما مر في ترجمته.

وقدنظم إحداهما في هيكل المسمط وثانيتهما في الهيكل المثنوى.

على أن مسمطه يحتوى اثنتين وعشرين مقطوعة من شكل المسمط،وبدأ قصيدته هذه بمدح "دلهى" وأطنب فيه، ثم ذكر بعض أسباب الفتنة، بعضها مباشرة وأخرى غير مباشرة، وبعد ذلك دخل في صلب الموضوع للقصيدة واستغرق فيه معظم قصيدته إلى أن ختمها بالدعاء إلى الله- سبحانه وتعالى- والإنابة إليه للقضاء

---

1 – شاہی لال قلعہ دہلی. الباحث

على الفتنة والفساد، ولإعادة المدينة إلى ما كانت عليه من السعادة والراحة، وتمنى لهاكثيراً أن تملأ بالأمن والسلام لينعم فيها أهلُها بالسعادة والسرور.

ويفتتح القصيدة بذكر فضلها وجمالها وبشاشتها وبوصف معالمهافيقول:

فلک زمین ملائک جناب تھی دِلّی — بہشت وخلد میں بھی انتخاب تھی دِلّی
جواب کا ہے کو تھا لاجواب تھی دِلّی — مگر خیال سے دیکھاتوخواب تھی دِلّی
پڑی ہیں آنکھیں وہاں جو جگہ تھی نرگس کی — خبر نہیں کہ اسے کھا گئی نظر کس کی

****

یہ شہر وہ ہے کہ ہر انس وجان کا دل تھا — یہ شہر وہ ہے کہ ہر قدر دان کا دل تھا
یہ شہر وہ ہے کہ ہندوستان کا دل تھا — یہ شہر وہ ہے کہ سارے جہان کا دل تھا
رہی نہ آدھی یہاں سنگ وخشت کی صورت — بنی ہوئی تھی جو ساری بہشت کی صورت

***

یہاں کی شام تھی مانند صبح نورانی — یہاں کے ذرہ میں تھی مہر کی درخشانی
یہاں کے سنگ سے تیرہ تھا لعل رمانی — یہاں کی خاک سے ہوتا تھا آئینہ پانی
یہ شہر وہ ہے کہ سایہ بھی نور تھا اس کا — چراغ رشک تجلی طور تھا اس کا[1]

كَانت مدينة دلهي السماء الأعلى

وكانت نخبة بين الجنة والفردوس

1-کلیات داغ، ص. 392.

من أين يأتى مثلها، هي حيث لانظيرلها

ولكن عندما رأيتها بعين الخيال أصبحت حلما

تراكمت العيون حيث النرجس

ولا أعْرفُ عيون من أصابتها

***

هـــي كَانتْ قلبا لكُلّ إنســـان وجني

وكَانتْ حبة القـلـــب لكُلّ جَـــهبَذ

وكانت في الحـــقيقـــــة قلبَ الهـــند

بل كانت هي قلب المعمورة كلها

فلم يبق هنا إلا أطلا لها

بعد أن كانت صورة للفردوس

***

مساءالمدينـــة كَانَصباحاً مضـــــــيئاً

تَضَـــن ذرهتا تألق الشـــمـــسِ

الياقوتة كَانتْ داكنة البشرة أمَامَ حجارتِها

غُـــــبارها قـــد حولَ الـــمرآة إلى الماء

ظِلُّ هذه الـــمدين كان ضِـــيَـــــــاءً

مِصباحُها كَانَ مُحاكاة لمعانِ طور سيناء

إن الشاعر قد امتدح المدينة، ووصف طبيعتها وذكر معالمها، وهويحسب أن "دلهى" هي مثل السماء في العلو والمنزلة وهي ليست مثل الجنة فحسب بل نخبة عالية منها، إلى أن قال بأن هذه المدينة كانت عديمة المثال في جميع العالم، وخلال هذا الوجد والعاطفة توقفت عيونه على المشاهد الجميلة التى ظلت فاقدة الجمال حتى حزن الشاعر عند ما رأى المشاهد المتغيرة والحدائق الخربة.

وأسند هذا التغير والفساد إلى النحس وصنعة العين الحاسدة وعاد بقلب متألم جريح إلى بيان منزلة دلهى من بين المدن الأخرى الإسلامية.

وهو يعتقد أنها كانت قلباً للهند بأسرها، بل هي كانت قلباً لكل من الجن والإنس، حتى لجميع العالم. وهي ثُمِّرَتْ تدميراً هائلاً ونُكِّتْ حُصُونُها وطُمِسَتْ معالمها حتىإنها لم تبق منها لبنة واحدة كاملة .

ثم عاد مرة ثالثة إلى بيان مزاياها وأخذ في رسم جمالها وبالغ فيه حتى قال كأنه كان مساؤها كصباحها في الأنوار والأضواء، وترابها مشرقاً كالشمس، وكانت ظلالها نوراً،وتغبطها لمعان طورسيناء على سُرُجِها وتخجل المرآة أمام غبارها.

ونشعر من هذا الوصف لمدينته صدق عاطفته للمدينة وحزنه على خرابها، ربما وجد الشاعر بهذا سلواناً وراحة وتخفيفاً لخفقات قلبه.

ويأتى بعد ذلك إلى ذكر بعض أهم الأسباب لدمار المدينة فبعضها مباشر وأخرى غيرمباشرة ومن غير المباشر الفلك الذى أراد به القوة الخفية القاهرة وأسند إليه جميع التقلبات في مجتمع مدينة "دلهى" فقال:

فلک تھاخوبی حسنو جمال کا دشمن صباح عشرت وشاموصال کا دشمن

عدوئے اہل کمال اور کمال کا دشمن غرض کہ اب توہوا جان و مال کادشمن

یہ مفت برجوتلاشی ہیں نقد جاں کے لیے حضر بھی روئیں گے اب عمر جاوداں کے لیے

فلک نے قہروغضب تاک تاک کر ڈالا تمام پردہنا موس چاک کر ڈالا

یکا یک جہاں کو ہلاک کر ڈالا غرض کہ لاکھ کا گھر اس نے خاک کر ڈالا

جلیں ہیں دھوپ میں شکلیں جو ماہتاب کی تھیں کھچیں ہیں کانوں پہ جو پتیاں گلاب کی تھیں[1]

كانت السماء عدو للحسن والجمال

وصباح السرور ومساء الوصل

عدوا للكمال وأهله وقصارى القول

أصبحت الآن عدواً للمال و النفس

1-کلیات داغ ص 392، 493، فغان دہلی، تفضل حسین کوکب، مرتب محمد اکرام چغتائی، 2007 مسٹک میل پبلی کیشنز لاہور، ص: 52، 53.

وهؤلاء الطفيليون يفحصون عن أثمن شيء

وسيبكي الحضور في طلب الحياة الأبدية

قد غضبت السماء وأصابت الهدف

هتكت الحرمات كلها

دمرت العالم كله فجأة

وحولتالبيوتالثمينةإلى تلمن الرماد

احترقت الوجوه الهلالية بحرارة الشمس

خدشت رقاقات الآذان الوردية

إن الشاعر قد أسند جميع الفساد والدمار وهلاك الناس وتحول البيوت الثمينة إلى الأطلال، إلى السماء، وما صرح بالظالمين الطاغين من البريطان وحلفائهم من بعض خونة المسلمين ومردة الهنود. وذكر المشاكل والمحن التى أصابته هو وكل من يحب الإسلام، والوطن، وبين شدة النقمة. واعتقد أنه ربما لا يأمن من ظلمهم سيدنا الخضر رحمه الله الذى له قوة خارقة فما بال العامة من الناس المساكين.

وفي بعض الأبيات نجد التصريح بالسبب المباشر أى الأوربيين الغادرين كما نلاحظه فيما يلى:

خداپرستی کے بدلے جفا پرستی ہے جو مال مست تھے اب ان کو فاقہ مستی ہے

بجائے ابر کرم مفلسی پرستی ہے ہنگ جینے سے ہیں ایسی تنگدستی ہے

غضب میں آئی رعیت بلا میں شہر آیا یہ پوربین ہیں آئے خدا کا قہر آیا[1]

حل الظلم محل التقوى

وأصاب الأثرياء جوعا قارسا

يغلب الفَـقْـر بـدلاً مـن الـسخـاء

وملوا من الحياة المليئة بالبأساء

ابليت المدينة وأهلها

وجاءَ هؤلاء الأوربيون هنا كغضب الله

إن الشاعر عندما رسم صورة الفوضى التى طرأت في المجتمع صرح بأن الأوربيين الذين هجموا على المدينة واعتدوا على سكانها وساموها سوء العذاب هم سبب أساسى للفساد في المدينة وعذاب أهلها كما اتضح تبدل أساليب الحياة هناك في نواحى الحياة كلها،وتحول كل شيء إلى ضده،وكذلك رسم الشاعر صورة خيانة العدو في المقطوعة الآتية :

زباں سے کہتے ہوئے دین دین آئے لعیں جو ماتا دین تھا کوئی تو کوئی گنگا دیں

یہ جانتے ہی نہ تھے چیز کیا ہے دین متیں کیے ہیں قتل زن و بچہ کیسے کیسے حسیں

1- کلیات داغ، ص: 392.

روانہ تھا کسی مذہب میں جو وہ کام کیا غرض وہ کام کیا، کام ہی تمام کیا[1]

جـــاءَ الملعـــونـــون مكررين الكلمـــة "الدين"

كان الدين"ماتا"في مكان وكان"گنگا" في مكان آخر

وفي الحقيقة لَمْ يَعْرِفُـــوا ماهـــو الدينَ المتيـــــن

وقَتَـــلوا الأبرياءَ مـــن النِـــساء والأطفال الدسماء

ارتكبوا كل ما كان محرما في جميع الأديان

وأبـــادوا كُلّ شيء وهتكوا جميع شعائر الد ين

بين الشاعر في هذا البند خيانة الأعداء المهاجمين على مدينته بأنهم صنعوا كل ما صنعوا باسم الدين وخدعو الناس بهذه الكلمة المقدسة في العالم كله رغم أنهم لم يعرفوا حقيقة الدين.

طبعاً أراد الشاعربهؤلاء الخائنين المنافقين تلك الطوائف من سكان الهند من الهنود والسيخ وغيرهم الذين تحالفوا مع الأوربيين ضد إخوانهم من أهل الهند.

دخل الشاعر بعد هذه المقدمة، في صلب الموضوع وهو بيان أحوال الحادثة وشدة وقعها، واستمر فيها إلى نهاية القصيدة يقول في وصف سيطرة النكبة التى

1-كليات داغ، ص: 393.

أصابت كل شيء من النباتات والحيوانات من الطيور والوحوش بالإضافة إلى الإنسان:

عجیب شکل گلو گلستاں نظر آئی پڑیں جدھر کو نگاہیں خزاں نظر آئی

جب نظر اٹھاکے ہر طرف خون چکاں نظر آئی تو کوئی عیش کی صورت نہیاں نظر آئی

وہ گل رخان سمن بر کے قہقہے نہ رہے وہ بلبلان خوش الحاں کے چہچہے نہ رہے

***

کھلایا زہر ستم گر نے پان کے بدلے پلایا خون جگر پیچوان کے بدلے

نصیب دار ہوئی ہے نشان کے بدلے ملا نہ گور گڑھا بھی مکان کے بدلے

عداوت فلک کی نہ ساز تو دیکھو اور اس پہ اس ستم آرا کے ناز تو دیکھو

***

لہو کے چشمے ہیں چشم پر آب کی صورت شکستہ کاسہ سر ہیں حباب کی صورت

لٹے ہیں گھر دل خانہ خراب کی صورت کہاں یہ حشر میں توبہ عذاب کی صورت

زبان تیغ سے پرسش ہے داد خواہوں کی رسن ہے، طوق ہے گردن ہے بے گناہوں کی[1]

ظهرت صـــورة مُـــدهِـــشـــة للحدائق والورد

أيـــنما رَأيـــتُ وجـــدت الـــخـــريفِ مسيطراً

عندما رَأيتُ جميع الأطراف برزت العيون مليئة بالدم

1- کلیات داغ، ص: 393.

فلم تظهر بقعة للأمل و الحياة

ما بقى ضحك الدواب ذات الوجوه التى كالزهرة والنهود مثل الياسمين

وانعم تغريد العنادل الرخيمة

***

أهدَى الظالم السمَّ للأكْل بدلاً عَن التُنبُول

وقدم دم الكبد للشُرْب بدلاً عَن النرجيلة

أعطى الصليب بدلا عن علامة الامتياز

ولم يعط قبراً بدلا من البيت

انظرُوا عداوة السماء الحاقدة

وانظروا في نفس الوقت، تَذَلُّل المستبدّ

***

يجرى الدمّوع كماء المَعِينِ

إنّ الرؤوسَ مَكْسُورة كالفُقَاعَات

والبيوتَ مَسْرُوقة كما حُطّمتْ القلوب

والله لايكون العذاب مثل هذا يوم الحساب

يَسْألُ المُتَظَلِّمون لسانَ السيفِ

و حبال وسلاســـل فى رقبـــــة الأبْرِيَاء

إن الشاعر قد وصف الخراب والفتك الذى أصاب المدينة على يد الأوربيين بأن هذه المدينة لما بلغت أوجها وغدت محط الأنظار والآمال رمتها الأيام بقوارعها وفتنها المظلمة فما بعد الارتفاع إلا الهبوط وكان ذلك على يد أولئك الفاتكين المتوحشين الغاصبين الذين لا يعرفون عهدا ولا ميثاقا ولا يحترمون جوارا، ولا يرحمون ضعاف المسلمين وتشتد عاطفة الحزن عند الشاعر عند ما يتحدث عما نال أهل "دلهى" من الشدة والعنف ومن الذل والصغار فهم بين معذب حائر أسير يصرخ مستغيثا فلا يجاب وبين جريح وقتيل من الرجال والنساء ومن الولدان والشبان واعتقد أن أهوال القيامة والحشر ستكون أقل مما أصابتنا.

وينتقل بعدها إلى وصف تشرد أهل المدينة ومغادرة وطنهم ومواجهتهم صعوبات الغربة والهجرة :

زمیں کے حال پہ اب آسمان روتا ہے — ہر اک فراق مکیں میں مکان روتا ہے
نہ طفل و عورت و پیر و جوان روتا ہے — غرض یہاں کے لیے ایک جہان روتا ہے
جو کہیے جو شش طوفاں نہیں کہی جاتی — یہاں تو نوح کی کشتی بھی ڈوب ہی جاتی

***

برنگ بوئے گل اہل چمن چمن سے چلے — غریب چھوڑ کے اپنا وطن وطن سے چلے

نہ پوچھ زندوں کو بے چارے کس چلن سے چلے قیامت آئی کہ مردے نکل کفن سے چلے

مقام امن جو ڈھونڈا تو راہ بھی نہ ملی یہ قہر تھا کہ خدا کی پناہ بھی نہ ملی

***

یہ خاصیت تو نہ رکھتی تھی زہر کی گرمی یہاں تھی شعلہ عذرانِ شہر کی گرمی

نہ دیکھیں جو نگہ خشم و قہر کی گرمی اٹھائیں ہائے وہ جلتی دوپہر کی گرمی

تپش سے ریگ بیاباں آفتاب ہوئی زمیں مگر کہ ہنار کا جواب ہوئی[1]

تَـبْـكي الآن السـماءُ عـلى حالة الأرضِ

ويبكى البيت على كل مغادرله

لايبكي هناك طفل،وامرَأة،وشاب، وعجوزفقط

بل يبكى العـالم كـله على هذه النكبـة

إن أريد بـيان شـدة النكبـة لا يمكن بيانها

لو كانت سفينـة نوح لـغرقت فيـها

***

رحل أهل الحديقة مثل رائحة الورد منها

ورحل البؤسـاء يفارقـون أوطـانهم

لا تَسْألْ عن السجناءَ المُعسرين كلفة الحياة

1-کلیات داغ، ص 394.

فقامت القيامة وارتحلت الجثث من أكفانها

بحثت عن مأوى السلام دون جدوى

وا أسفاهل هذا غيضا فحتى لَمْ أجدْ ملجأ إلى الله

***

ما كانت حرارة السم تتسم بهـــــذه الميــزة

فأصبحت المرارة مثل شعلة!

فالذين لا يتحملون حرارة النظرة الصارمــة

فيأسفاً يتحملون نار الشمس

أصبح رمل الصحراء بالحـــــــرارة شمسا

حتــى أصــبحت الأرض كــرة النـــــار

وقد رسم الشاعر في الأبيات المذكورة صورة تشرد الناس، وزعم أن الأرض تغيرت إلى أسوء حال حتى تبكى عليها السماء،وكل بيت يبكى على حال أصحابه بدلاً عن بكائهم على البيوت وهناك يبكى العالم كله على حال "دلهى" وذلة أهلها، وكانت الآلام والمشاكل مثل الطوفان الذى يمكنه إغراق على مركب نوح.

وكان مغادرة سكان "دلهى" في أشد حزن وألم، وكان خروجهم من البيوت أثقل عليهم من خروج الأموات من القبور وجمعهم إلى الحشر.

وما كان هناك ملجأ لهم في العالم كله، وأجبروا للعيش تحت ظلال قهر المهاجمين وظلمهم وإلا فيحرمون من جميع أسباب العيش ويخرجون من البيوت، ويتركون في الذل والصِغارِ في الشمس، والشمس لا تقل من النار والأرض كلها مثل كرة النار.

وقد توجه الأوربيون إلى إصلاح الأراضى الميتة وأعدوا هناك طائفة من الفلاحين لهم، وكان لأولئك الفلاحين مكانة عالية في المجتمع بين الناس وكانوا يظلمون سكان الهند لاسيما المسلمين وقد أشار الشاعر إلى ذلك في الأبيات الآتية :

جگہ جگہ تھے زمیندار دار کی صورت — چڑھے ہی آتے تھے سر پر بخار کی صورت

بلا سے کم نہ تھی ہر ایک گنوار[1] کی صورت — چھپی نہان سے پر اہلِ دیار کی صورت

کسی جگہ جو کوئی ہو کے بے قرار آیا — تو اہل قریہ یہ بولے کہ لو شکار آیا[2]

كان الملاك الأراضى مثل الشنق في كل مكان

سيطروا على الناس مثل الحمى

فلم يكن الحمقاء (ملاك الأرض) من الآفة

وما اختفت عليهم حالة أهل الديار

1 – الفلاح، الأحمق، الجاهل، القروى. فيروزاللغات، ص: 1110.

2– كليات داغ، ص: 394.

إذا رأوا شخصا مضطرا آتيا إلى القرية

هتف أهل القرية "خذوا" الفريسة

بين الشاعر هنا اعتداءات ملاك الأراضي بحيث أنهم ضيّقوا الأرض على أهل المدن والقرى بما رحبت إليهم،ورسم هناك صور تشبيهية بأن الفلاحين ركبوا على رؤس الناس كالشنق المعلق، ومرة الثانية شبه سيطرتهم على أهل المدن بالحمى وأراد منه سيطرة تامة، وصرح بأن الأعراب والفلاحين كانوا مثل الآفات والبليات وكانوا يجلبون المنافع من الناس عند ضيق أحوالهم، وهو فكرغير إسلامي وغير إنساني.

وبعد ذلك رسم الشاعر صورة النكبة وعظمها واستمر فيه إلى آخر القصيدة وإن كانت هناك مشاهد متعددة وذكر في مقطوعات متلاحقة بأن الأوربيين خصواالمسلمين بالظلم والقتل، والأخذ، والحبس، وأن المسلمين لا يمكن لهم الاختفاء والفرارعنهم لظهور شعائرهم الإسلامية ولشدة بغضهم للأوربيين الكافرين بالنسبة إلى الهنود لكون الهنود مشركين كافرين، والكفر ملة واحدة :

زبان بدليں توصورت بدل نہيں آتی ملیں جو خاک بھی منہ پر تو ملن ہیں آتی

کسی طرح کسی پہلو سے کل نہیں آتی پکارتے ہیں اجل کو اجل نہیں آتی

جو سر کو پھوڑیں تو پتھر پرے سرکتے ہیں جو لوٹیں کانٹوں پہ کانٹے الگ کھسکتے ہیں[1]

لا يتــغــيّــرُ الوضع وإن تغيرت اللغة

حتى ولو غبّرنا وجوهنالن يزيدها سوءاً

وكلما سعينا للراحة تبتعد

ونتمنى الموت ولكنه لايأتى

إن أردنا أن نكسر رؤوسنا فالأحجار تَنزلقُ

وإذا أردنا أن نتمرّغَ على الأشواكِ، فالأشواك تَبتعد

إن الشاعر قد ذكر بأن لا سبيل إلى الفرار من المصائب والآلام ولا فائدة في تغيير اللغة لأن الوجوه لا تتغير ربما أراد الشاعر من عدم الوجوه تغيير الشعائر الإسلامية التى لا يمكن التغيير فيها عند المسلم الموحد المؤمن.

ويشتد ألمه عند ما يتمنى الموت للتخلص من الأحزان فلا يأتيه الموت حتى الأحجار تنزلق عنه إذا أراد بها كسر رأسه، والأشواك تبتعد عنه إن أراد التمرغ عليها.

ثم رسم الشاعر صورة البؤس والفقر يقول:

بنا ہے خال کسی ہر نگ مہ جمالوں کا دوتا ہوا ہے قدر است نو نہالوں کا

1 – کلیات داغ، ص: 394.

جو زور آہوں کا لب پر تو شور نالوں کا عجیب حال دگر گوں ہے دلی والوں کا

کوئی مراد جو چاہی حصول بھی نہ ہوئی دعائے مرگ جو مانگی قبول بھی نہ ہوئی[1]

أصبحَ لــونُ الوجوهِ الهلالية شَــامَــة ســوداء

تقوس الأطفال الذين كَــانوا لــهم قوام رفــيع

ترقص الآهات على الشفا وتعلو الضجة

وصار أهل دلهى فى ظروف سيئة للغاية

كلماحــاولــتُ تحقــيق أملـــي أخفقت

طلبتُ الموتَ لــكن دعائي لم يُــقبَــلْ

يوضح الشاعر أن الوجوه الهلالية قداسودت من شدة البؤس وعظم المصيبة، وأصبح الشبان الذين كانوا أهل القامات المستقيمةمقوسين، وهناك آهات وأنينات لكل ساكن من سكان "دلهى".

وفي هذه الظروف الصعبة لايمكن تحقيق الآمال ولا رفع الأدعية إلى السماء للإجابة في حضرة الله سبحانه وتعالى.

وفي الأبيات دلالات على شدة حزن الشاعر وفزعه بل على يأسه.

وأضافمعبراً عن تغير الأحوال وانقلابها بقوله:

1-كليات داغ، ص: 395.

پیادہ پاہوں رواں شہ سوار صد افسوس لہو کے گھونٹ پئیں بادہ خوار صد افسوس

ذلیل و خوار ہوں اہل وقار صد افسوس ہزار حیف دل بیقرار صد افسوس

جھکے ہیں بار الم سے تنے ہوئے کیسے بگڑ گئے ہیں یکایک بنے ہوئے کیسے[1]

أسـفـا على مـشي الفرسان حـفاة

وأسفا على شرب السكير دما في الغيظ

وأسـفا عـلى صيرورة الأعزة أذلة

وأسـفا على القلب الكـئيب البـرم

كم رأينا الأجسام المستقيمة مكتئـبة

كَمْ من الجديرين بالثقة أصبحوا مُتَحلّلين

رسم الشاعر صورة تقلب الأحوال وضيق الأيام في غاية الجد والصدق بحيث وضّح بأن الفرسان أصبحوا مشاة حفاة والسكير يشرب الدم بالغيظ والغرق في الأحزان وغدا الأعزاء أذلاء بل علامة الذل والصغارواحتمل أصحاب العزم والثقة أحمال الآلام. حتى جرى الزوال في كل شيء من المدينة مجرى الدم.

وبين فيما يلي من الأبيات حالة الفنانين الممارسين في فنونهم يقول:

پئے محاسبہ پرسش ہے نکتہ دانوں کی تلاش بہر سیاست ہے خوش زبانوں کی

1- کلیات داغ، ص: 395.

جو نوکری ہے تو اب یہ ہے نوجوانوں کی کہ حکم عام ہے بھرتی ہے قید خانوں کی

یہ اہل سیف و قلم کا ہو جب کہ حال تباہ کمال کیوں نہ پھرے دربدر کمال تباہ[1]

ويجري استجواب الفُطْن

الدُرْب مطلوب في كُلّ سياسة

إنّ خدمة الشابِ أن يملأوا السجون

كلما تدحرج المحاربون والأدباء

أصبح البارعون عديمي القيمة

إن الشاعر قد صرح بأن الأعداء قد تعرضوا للرجال الأذكياء ذوى الفطنة، والشبان للحبس والقتل، كى يقضوا على الناس المتأهلين لتنبيه غفلة القوم ضدهم، ولترغيب قومهم في القتال والجهاد.

ثم تناول التفنن في البكاء والتفجعي الأبيات المتلاحقة:

غضب ہے بخت بد ایسے ہمارے ہو جائیں کہ ہیں جو لعل و گہر سنگ پارے ہو جائیں

جو دانے چاہیں تو خرمن شرارے ہو جائیں جو پانی مانگیں تو دریا کنارے ہو جائیں

پئیں جو آب بقا بھی تو زہر ہو جائے جو چاہیں رحمت باریتو قہر ہو جائے

***

1- کلیات داغ، ص: 395.

جہاز ایسا تباہی میں آ گیا اپنا ملا نہ تخت ثریٰ تک کہیں پتا اپنا

رہا نہ آہ زمانے میں آشنا اپنا بجز خدا کے نہیں کوئی ناخدا اپنا

کسی سے ڈوبے ہوئے ایسے کب نکلتے ہیں یہاں سے حضرت الیاس بچ کے چلتے ہیں

***

یہ وہ جگہ ہے کہ عبرت پہ عبرت آتی ہے یہ وہ جگہ ہے کہ شامت پہ شامت آتی ہے

یہ وہ جگہ ہے کہ آفت پہ آفت آتی ہے یہ وہ جگہ ہے کہ حسرت پہ حسرت آتی ہے

یہ وہ جگہ ہے جہاں بے کسی بھی ڈر ڈر جائے یہ وہ جگہ ہے اجل خوف کھا کے مر مر جائے[1]

عجباً أصبحنا سيئي الحظ

حتى تُصبحُ اليَواقيت والجوهرات حصْباء

و تُصبحُ الحَصائد جمرات

تُصبحُ الأنهار ضَفّات إذا أريد الماء

إذا شربنا ماء الحياة يتحول سمّاً

وإذا طلبنا رحمة الله تنقلب قهراً

***

سفينتنا مُحاطة بالكوارثِ من كل جهة

ولم نجد أنفسنا في مانحت الثرى

1- کلیات داغ، ص: 396.

لم يعد خليلاً صميما لنا في الكون

ولم نجد ملجـــــــــــــأ سوى الله

من ينجي الغرقى هنا أمثالنا

ويحذر هنا نبي الله إلياس ويجتنب

***

تنزل هنا العبرة تلو العبرة

وتلى المصيبة مصائب

وتتحاكم الآفات هنا

وتتجثم الحسرات

يتَخَوَّفُ البؤسَ هنا

ويَمُوتُ الموتُ هــنا خوفاً

نلاحظ غلبة اليأس والحزن على مشاعرالشاعر في هذه الأبيات فقد شعرالنكص في كل شيء وتغيره إلى ضده ونجد عنده عبارات رائقة دالة على تلك المشاعر مثل تبدل الجواهر واليواقيت حصباء، والحصائد جمرات، وابتعاد الأنهار، وتحول ماء الحياة إلى السم والشعور بالحرمان من رحمة الله. واشتد عليه هذا اللون شيءا فيشيءا حتى يحس عدم النجاة من الكوارث وفقد الخلة والأخلاء من العالم كله،

وانعدام الملجأ إلا إلى الله تعالى،وبالغ في بيان شدة النقمة بحيث شبه حزنه بالطوفان ثم اعتقد بأنه لو كان هناك سيدنا إلياس عليه السلام فلا بد من أن يتجنب هذا الطوفان، حتى بلغ الشاعر إلى حالة الفزع، اعتبر المدينة بأنها ظلت مكانا مخيفا مليئا بالمصائب، زاخرا بالعوارض إلى أن يتخوف منه البؤس ويموت هنا الموت.

رغم أنه تناول النكبة وشدتها فيما تحدثنا عنه إلا أنه يظن أنه ما وَفي حق تناولها وماستوعب جميع جهاتهاويخاطب نفسه قائلا:

کہاں تک آہ لکھوں اس کا حال بربادی لکھوں کہاں تلک اس آسماں کی جلا دی

کسی کو قید محن سے نہیں ہے آزادی کہ داغ داغ ہے ہر دل ہر ایک فریادی

الٰہی پھر اسے آباد و شاد دکھلا دے الٰہی پھر اسے حسب مراد دکھلا دے[1]

أسفاً إلى أي حـدٍ أسجّل تدميرها(دلهى)

وإلامَ أكْـتبُ قَـصْـوَةَ الـسماء

لا يُمْكِنُ لأحد أنْ يَهْربَ مِنْ هذا السجنِ المُؤْلِم

القـلـب ممـزّق والباكى منكسر

الـلّهـم أعد عمران هـذ الـبلـد

الـلهـم أرنـا هـذ البلد كما يرام

1- کلیات داغ، ص: 396.

ويحسب الشاعر أن المنطقة كلها أصبحت مثل السجن المؤلم، وكل ذى كبد رطب ممزق، وناظراً إلى شدة النكبة يظن أن وصفهالا يمكن حتى فكر في ترك وصفها.

وأناب إلى حضرة الله تعالى وسأله أن يجعل بلده آمنا مطمئنا مأهولا ومسكونا كما كان في الماضى.

ولاحظنا أن الشاعر قد وفق كل التوفيق في رسم صورة حزينة بائسة لفناء قومه وزوال بلدهم ومجدهم، وقد أشرك نفسه معهم في الصورة وله عاطفة من الصدق بمكان، فابتعد عن التكلف والزخرفة اللفظية والمعنوية وشعره كله ينساب سهلا جزلا رصينا ينفعل فيه، وتشعربما فيه من هموم سوداء لما لحق مدينته من دمار هائل.

القصيدة الثانية:

والقصيدة الثانية لشاعرنا مرزا داغ الدهلوى في رثاء "دلهى" على الحادثة الكارثة نفسها، تحتوى خمسة عشر بيتاً، وهي على نمط القصيدة الأولى مفعمة بالمفردات والمعانى والصور التى تدل على عاطفته الجياشة الحزينة مرة، وأخرى على شدة النقمة وعظم البلاء الذى أُفتُتِنَ به أهلُ المدينة إلا أنها تبدأ بوصف فساد المدينة والحسرات عليه مباشرة يقول:

یوں مٹا جیسے کہ دہلی سے کہیں دہلی تھا مرا نام و نشاں نام و نشان دہلی

لے گئے لوٹ کے اب شوکت و شان دہلی پورب کے پہلے اڑاتے تھے زبان دہلی[1]

محيت دلـــهى بـــتـــمامها حتى أصبحت كأنها

لم تكن وما كان هناك وجودى إلا بوجود دلهى

قد نهـــب الأوربيـــيون روعـــــــــة دلهى

وهـــم كـــانـــوا يـــــستهزؤون بلغـــــة دلهى

إن الشاعر قد دخل في الموضوع مباشرة، فهو يرى أن المدينة قد تغيرت وطمست معالمها لم يصبرعلى ذلك فأخذ في وصف حالتها وصرح بأنها مُحِيَتْ وقضى الأمر عليها وأصبحت كأنها لم تكن هناك مدينة بهذه الهيئة وبهذا الاسم، وهذا يُوْحِي إلى الدمار المخوف للمدينة.

1-کلیات داغ، ص: 310.

وصرح فيما يلي بسبب الدمار حيث سماهم "هم الأوربيون" الذين سرقوا كل شيء من مدينته حتى اسمها وصيتها.

ونلاحظ أن الشاعر قد تأول دمار المدينة أحسن تاويل وتفاعل حيث ذهبت بها الملائكة كهدية كريمة :

دلی والوں کے لیے تازہ بنے گی جنت لے گئے سر پہ ملک تحفہ مکان دہلی[1]

ستجهزُ الجنة الجديدة لسكان دهلي حَملتهاالملائكة كهدية كريمة

نرى الشاعرأنه تأول هذه النكبة أحسن تاويل،ويعتقد أن مدينة "دلهى" ذهبت بها الملائكة كهدية كريمة لأنهم كانوا يحبونها حُبًّا جَمًّا ـ والآن ستعد الجنة الجديدة لسكان "دلهى".وأشار به إلى أهمية "دلهى" وقدرها عند الخلق السماوى.

ثم أشار إلى مؤامرات جمعيات البنجاب التى تعمل على حكم أمراء السيخ ويزعجون إخوانهم لإرضاء أعدائهم وأعداء الإسلام والمسلمين:ـ

گرم ہنگامہوے لالہ رخان[2] پنجاب گل کھلائے ہیں نئے تو نے خزان دہلی[3]

قام الناس الحسناء في البنجاب الهاوية يا خريف دلهى عملت أعمال غير المرجوة

يصرح الشاعر في البيت المذكور بالسبب المباشر لإزعاجهم وفساد مدينتهم في أسوء صورة إلى أن تحول ربيعها إلى خريف وإلى حالة لم تتوقع حدوثها عند الشاعر في أى وقت في حياته لذلك يتحسر على هذه الكوارث التى حدثت في مدينته.

1- كليات داغ،ص: 310

2 - مُحْمَرُّ الْوَجْهِ يراد به المعشوق، فيروز اللغات، ص: 1144.

3- كليات داغ،ص. 310.

ثم امتدح الشاعر فيما يلي سكان المدينة ومظاهرها الهامة من الأسواق وغيرها:

رشک شمشاد[1] تھا ہر خوش قد و ہر خوش رفتار سرو[2] آزاد تھا ایک ایک جوان دہلی

عارض صاف تھا ایک ایک مصفا بازار چشم پُر جلوہ تھی ایک ایک دوکان دہلی[3]

كان الشباب يشبهون شجرة " شمشاد" الطويلة

وكل شاب دلهى كان مثل السرو المتمتع بحرية

وكل سوق دلهى كانت متهدبة وأنيقة

كل دكان دلهى كان مثل العين المتلألئة

إن الشاعر قد ذكر هنا بعض ميزات شبان المدينة من قوامهم ونبلهم فشبههم بالشجرة الجميلة المستقيمة وكذلك امتدح الأسواق والدكاكين بصفائها وجمالها وذكر بعد ذلك عظم المصيبة وكثرة ذكرياتها:

اس سے بڑھ کر کوئی محشر میں نہیں طول حساب بس یہی ہوگا کہ ہم اور بیان دہلی[4]

لا يكون هناك حساب أطول يوم الحشر من حكاياتنا وحكايات دلهى

---

1 – الشجرة الطويلة الجميلة المستقيمة، تُشَبَّهُ بها قامة المعشوق. فيروز اللغات، ص: 747.

2 – أيضا نوع من الشجرة الطويلة الجميلة المستقيمة، فيروز اللغات، ص: 797 .

3– كليات داغ، ص: 310.

4–كليات داغ، ص:310

كأن الشاعريعتقد أن يوم الحشر إذا كان حساب الناس ويحشر كل ذى كبد رطب للحساب والجزاء فتستغرق تفاصيل نكبة "دلهى" ذلك اليوم الطويل الذى يعدل خمسين ألف سنة.

ثم تحسر بعد ذلك على ضياع خزائن دلهى قائلا:

دے دیا فوج کو حکام نے انعام میں سب گنج قاروں سے فزوں گنج نہان دہلی[1]

أعطى الحكام كل شيء إلى الجيش كهبة إن كنوز دلهى أكثر حجماً منْ كنز قارون

وقد بين الشاعر في البيت المذكور كثرة كنوز دلهى ثم ذكر حزنه وحسرته على ضياعها وتقسيمها بين جيوش الأعداءلتكون جوائز لقيامهم بتخريب " دهلي ".

وتحسر الشاعر في نهاية القصيدة على بعض مشاهد "دلهى" غارقا في الحزن والأسى:

قلعہ میں بارکیں لوہے کی بنیسیں کیاخوب نہیں کلکتہ غرض اب تو بسان دہلی

قلعہ کی بیچ کا میدان پھر اس میں وہ سڑک کہ بدل کہیے جسے دل وجان دہلی

گر یہ میدان نہ ہوتا تو ٹھکانا ہی نہ تھا تنگ ہی رہتی سدا روح و روان دہلی

روکش سد سکندر اسے کہیے تو بجا فتح گڑھ ہے جو پہاڑی پہ قران دہلی[2]

1- کلیات داغ، ص: 310.

2-کلیات داغ، ص 310

يجذب القلوب جمال العمود الحديدية للحصن

قاليقوط ليس نظيراً لدلهى أمام عشاقها (دلهى)

وميدان فى وسط الحصن وشارعه

لنعتبره بصدق أنه هو قلب دلهى وحياتها

لو لم يكن هذا الميدان لما وُجد مستقر

ولضاقت الحياة أبداً على سكان دلهى

لايكون مخطئاً إذا سمى أحد هذا الممرأنه الجدارالأسكندرى

بجوار دلهى هضبة صغيرة تسمى "فتح گڑھ"

قد وصف الشاعر في هذه الأبيات الحصن الملكى بجميع مشاهدها من الميادين والأبواب الحديدية والشوارع والجبال التى وقعت في قرب دلهى الذى يدل على حبه الصادق للوطن والحنين إليه دائماً.

ويختم قصيدته هذه بالدعاء لمدينته خاصة لبقاء المسجد الجامع كى يرتفع منه صوت الأذان أبداً الذى يسمعه جميع العالم:

یا خدا مسجد جامع کا رہے نام بلند کعبہ والے کہیں، وہ آئی اذانِ دہلی[1]

اللهم أبق اسم مسجد الجامع مرتفعاً ليسمع منه أناس مكة أذانِ دلهى

1-المصدر السابق، ص: 310.

ويظهر ما فى البيت من عاطفة إسلامية جياشة حيث يتمنى بقاءالمسجد ورفع صوت الأذان منه أبداً وإن دمرت المدينة بأكملها ليدل هذا الصوت "صوت الأذان" على كون دلهى مدينة الإسلام والمسلمين.

وهذه القصيدة لا تخرج أفكارها ومعانيها عمَّا تقدم في القصيدة الأولى فهي توضح ما شعر به الشاعر من شدة النكبة التى بدَّلَتْ ضوء حياته ظلاماً بعد أن أجدب الحِمى الذى كان يرتع فيه آمناً ودَمَّرَتْ الحصونَ والقصور التى كانت تزدحم دائماً بالوفود والجيوش، لذلك نراه دائم الحزن والبكاء.

المبحث الثالث: تحليل رثاءداكا

يتناول هذا المبحث دراسة شعر ظهور الحق أديب سُهيل في الحادثة الكارثة الأليمة أى سقوط داكا التى كانت نتيجة مؤامرات اليهود والهنود من أعداء الإسلام والمسلمين الذين يريدون من أول يومٍ القتالَ بين المسلمين وتقسيهم إلى دويلات وتفريقهم رغم كونهم أمة مسلمة واحدة، لإضعافهم ضد القُوَى الطاغوتية الطاغية.

وللشاعر ديوان كامل يتناول هذه الحادثة المؤلمة كما ذكرنا التفاصيل فى ترجمته . واخترت قصيدتين من ديوانه تعدان من أرق قصائده وهما: "مدينتى" ميرا شهر "و" طوفان نوح" وكلتاهما قد أبدعهما الشاعر في أسلوب النظم الحر الذى سيأتى تفصيله في الفصل الثاني وقت دراسة الموسيقى للقصائد بإذن الله تعالى.

على أن القصيدة الأولى المسماة بـــ: "مدينتى" تدخل في الموضوع مباشرة إذ الأمر لا يحتاج إلى مقدمات، وتمهيد فدخل في صلب الموضوع بالحيرة والحزن على تغير الأحوال فجأة بأسلوب الاستفهام سائلا عن الأحبة والأصدقاء قائلا:

میرے شہر کو دوستو کیا ہوا ہے؟

نہ چہرے کو لمس صبا ہے میسر

نہ شاخوں پر اسکی کہیں فاختہ ہے

ہر اک لمحہ خدشات کے کالے بادل سروں پر تنے ہیں

ہر اک دل میں دہشت کا دشنہ[1] گڑا ہے

جو اک پل ہے آزاد تو دوسرے پل

سلاخوں کے پیچھے مقید پڑا ہے

رہائی اسیری کے مابین کا فرق بھی کالعدم ہو چکا ہے[2]

أخبرونى أصدقائي، ماذا حدث بمدينتى؟

لم تعد الوجوه تتمتع بالصبا

ولم يبق الحمام على الغصون

وظلال الخوف والعزلة تسيطر

وقد تجذر خنجر فى كل قلب

فالإنسان الحر فى لحظة

يصير مسجونا وراء القضبان

إنالفرق بين الحرية والعبودية قد انعدم

1 – خنجر، فیروز اللغات، ص: 629.

2 ـــــ بکھراؤ کا حرف آخر، ص: 32.

إن الشاعر قد بدأالكلام بالحزن والأسى على أحوال مدينته المنقلبة تماما، وقد سيطر الخريف على كل شيءفيها من الإنسان والحيوان والنبات وغيرها، وغلب اليأس على وجوه الناس من سكان مدينته، وفقدت الحمامات والطيور التى كانت تجمل الحدائق وانعدمت أصواتها التى كانت تلذذ آذان النظار والزوار.

ثم يتحدث عن سيطرة الخوف والوحشة على سائر المجتمع الإنسانى وكون كل واحد من الناس غارقا في الآلام والمشاكل، لقد انتهي الثبات في الأحوال إذا كان الرجل حراً طلقاً في لحظة يكون في اللحظة الأخرى في صعوبات العبودية مقيداً في قعر مظلم من السجن حتى انتهي الفرق بين الحرية والعبودية من المجتمع بسبب كثرة الأحزان والآلام والخوف والوحشة.

ثم يلحق بهذه المقدمة الوجيزة المباشرة بيان شدة الغم وعظم البوس يقول:

یہ ہے مرگ انبوہ میں غم کا عالم

کہ کہسار بھی سر پہ خاشاک سا ہے

جو گھر بار رکھتے تھے گھر سے نکل کر

بھلا کر سبھی حال وماضی کے سپنے

کھلے آسماں اور درختوں کے نیچے بسیرا کیئے ہیں

درختوں کے پتوں ہی پہنچی رہے ہیں[1]

هذه هى حالة الحزن فى موت الحشد

كأن الجبل فوق الرأس فتيلة

وقدأخرج أصحاب البيوت والعوائل

ناسين أحلامَ الحال و الماضى

لاجئين تحت السماء والأشجار

ويعيشون على أوراق الأشجار

أبدع الشاعر في وصف عظم الآلام وشدة البؤس وتشرد الناس وحرمانهم عن البيوت والعوائل ويأسهم من الحصول على تمنياتهم وأمانيهم، حتى أَجبرَتْهم النقمة للعيش تحت الأشجار والسماء الفسيحة وفي البؤس والفقر حتى أصبحوا مضطرين إلى أن يتغذوا بأوراق الأشجار والحشيش.

وبعد ذلك ذكر ضياع أمتعة الناس وإحراق بيوتهم ودكاكينهم ونهب أموالهم وما إلى ذلك يقول:

دکانوں کے مالک

دکانوں کی خاکستروں پر کھڑے ہیں

1ـــ بکھرا دکا حرفا آخر، ص: 32.

جلے ادھ جلے سب اثاثے پڑے ہیں

سر صبح ہر کارخانے کی سیٹی بھی بجتی ہے

مزدور بھی کام پر جا رہے ہیں

مگر ان کی محنت کئی ماہ سے بے صلہ ہے

خبر گشت ہے چاکری مشتبہ ہے

عجب سلسلہ ہے

چڑھاوے کے زیور

جہیزوں کا ساماں

بدن کے لباس بچھانے کے بستر

پلنگ میز، کرسی، پنگوڑے

گھڑی ریڈیو، وینٹی بیگ، شالیں

کتابیں، قلم، آبرو، مامتا، دودھ دانی، کھلونے

غرض اونے پونے زمانے کے ماروں ہر چیز بازار میں بک رہی ہے[1]

أصحاب الدكاكين

يقفون الآن على رماد دكاكينهم

أكلت النار جميع ما ملكت أيديهم

1- بکھرا ذکا حرف آخر، ص: 33.

يصفر جرس كل مصنع صباحاً

ويذهب العمال إلى العمل كذلك

دون جزاء جهدهم لشهور كثيرة

الخدمة مريبة ، خبر على كل لسان

الوضع عجاب

حلي النذر

و متاع المهر

ولباس الأجساد وأفرشة النوم

السرير، والمنضدة ، والمرآة، والمهود

الساعة،والراديو، والحقيبة، والأردية

الكتب،والقلم، والسمعة،والمودة الأمومية،وقدر الحليب، واللعب

فكل شيء لأناس الحظ يُبَاعُ في السوق بثمن بخس

وقد فصل الشاعر القول في ضياع أموال الناس وأحوالهم السيئة بأن دكاكينهم قد أحرقت ــ وكان عملهم في المصانع بدون أجر وأشياءهم العادية التى تستخدم في الحياة اليومية من السرر وأفرشة النوم، والملابس، والكتب والأقلام وآنية اللبن وكذلك

عَدَّدَ الشاعرُ الأشياء الأخرى الكثيرة كلها كانت على مقربة في السوق للبيع بعد نهبها وسرقتها.

طبعاً إذا كانت الأحوال مثل المذكور وصعبت الظروف إلى هذا الحد، وأصبحت الحياة ضيقة بدأ يُفَضِّل كلُ رجلٍ الموتَ على الحياة يقول الشاعر:

پریشان ہے ہر شخص جینے کے ہاتھوں

یہ جینا بھی اک مسئلہ بن گیا ہے

مقامی، کئی دوست صورت

عجب اجنبی سے ہوئے ہیں

کئی جانے پہچانے چہرے

جو شیء ے چاہتے ہیں گھروں سے اٹھا کر لے جا رہے ہیں

کہ رسم دره آشنائی یہی ہے

شب و روز ہر رہ گذر میں

ہر اک عمر کے سیکڑوں ہاتھ پھیلے ہوئے ہیں

بجھے طفل، مایوس باپ اور خزاں بخت مائیں

سوالی بنے ہیں

جسے ناز تھا اپنے نقد ہنر پر

ہنر کا وہ راجا بھکاری ہوا ہے

یہ شہر ہنر ور کہ شہر گدا ہے

میرے شہر کو دوستو کیا ہوا ہے؟[1]

كل رجل يمقت الحياة

أصبحت الحياة مأزقاً صعب التحمل

وأصبح الجيران والأصدقاء غرباء يا للعجب!

الكثيرمن الوجوه المألوفة

تسلب ما يريدون من البيوت

كأنه عرف ممنونية

في كل ممر ليلاً ونهاراً

الأيدى الكثيرة لكل سنٍّ مبسوطة

الأطفال يائسون، الآباء مثبطون، والأمهات سيئات الحظ

يتسولون

من كان فخوراً بفنه

أصبح بائساً فقيراً

أهذه مدينة الفنَّانين أم مدينة المُتَسوِّلِيْن

1- بکھراوکا حرف آخر، ص. 34، 33.

أخبرونى أصدقائى! ماذا حدث بمدينتى؟

إن الشاعر يتحدث هناعن مرارة نكبة المدينة عامة طامة التى ذاقها مع غيره من الناس، وهو يشعر بالقلق الدائم والتوجس من الناس الذين عاش بينهم ولا يَرى فيهم إلا أعداءً خائنين حاقدين يطلبون ثأرهم ونهب أموالهم.

ويرى الشاعرأن مصابيح حضارتهاالزاهرة قدانطفأت وصورتهاالمشرقة قد تغيرت، فغدت المدينة موحشة تنفرمنها القلوب، وتتجاوب في نواحيها الأصداء وتعدو بها الرياح حيث لا صديق ولا أنيس فيها، والأحوال والظروف قد تغيرت تماماً،وأصبح الفنانونُ متسولين، وصار الأغنياءُ فقراء والأخلاءُ أجانبَ، إلى أن رجع الشاعر في نهاية القصيدة إلى ما كان في بدايتها من الحيرة واليأس بعاطفته الجياشة المتلونة بالحزن المشحوب.

وقد برع الشاعر في وصف النكبة وصعوباتها، وأتى بما يناسبها من القول مع تجنبالغلوفي أنواع الزخرفة اللفظية والمحسنات البديعية وكذلك التحى عن اللجوء إلى الاستعارات الصعبة والتشبيهات المعقدة وما إلى ذلك.

القصيدة الثانية "طوفان نوح"

وهناك قصيدة ثانية لشاعرناظهورالحق أديب سهيل حول نكبة سقوط داكا" وتغير الأحوال العامة لحياة الإنسان العادية وتبدلها فجأة حين خيم على المدينة بأجمعها شبحُ الكوارث المحرقة التى أصابت كل شيء وانتهت هذه المحن بالقضاءعلى حياة كثيرمن السكان وتشردالآخرين الذين بقواأحياء ونجوا من الموت منهم شاعرناالذى هاجرمن داكا إلى باكستان سنة 1971م بسبب هذه الحادثة مرة ثانية لأنه كان قدهاجرمن الهند إلى الباكستان وقت تقسيم الهند سنة 1947م.

وذكرفي هذه القصيدة كسابقتهاالآلام والمشاكل التى واجهها جميع الناس.

وقد عَبَّر الشاعر عن هذه النكبة بالطوفان ثم اختار من الطوفان طوفان نوح الذى أصاب كل رطب ويابس إلا من ركب سفينة سيدنا نوح (عليه السلام)وربما أراد الشاعر من ترك الأسباب الظاهرة للنكبة، والتوجه إلى القُوى الخفية الطاغية التى لا مرد لها تجنباًلأى عتاب من قبل الأمراء والحكام.

والقصيدة بأجمعها صورة للحزن والأسى والبكاء على مظاهرالمدينة وجمالها وهي تبدأ:

ہنستے بستے گھر، چہکتے جال

مانجھی(1) کا غرور

پکی فصلیں، جگمگاتی بالیاں، کھیت اور کھمار

دھقاں کا پیار

سن رسیدہ بیبیاں

پیڑ کے شانے پہ پھیلائے ہوئے پٹ سن[2] کے تار

دلھنیں اور کنواریاں

بید[3] کی شاخوں کی لچکیلی بہار

کھیت کی مینڈوں[4] پہ میدانوں میں، برگد[5] کے تلے

ننھے اور نوخیز راکھالوں کے کرتب، کھیل، خوشیاں

اور دھمار

ساحلوں کی بستیاں

ماں کی صورت

رات کے بستر پہ آنکھوں میں لیئے سارے مناظر سو گئیں[6]

---

1 – السفان/قائد السفينة. فرہنگ آصفیہ مولوی سید احمد الدہلوی 2002م سنگ میل پبلی کیشنز لاہور، ص: 270/4.

2 – نوع من الحقل الذي يفتل منه الحبل. فيروز اللغات،ص: 325.

3 – شجر من الأ شجار الجميلة لها أغصان ملينة حمراء. فيروز اللغات، ص: 254.

4 – حواجز الحرث. فرہنگ آصفیہ،ص: 510.

5 – الأثاب، شجرة التين. نور اللغات، مولوی نور الحسن نیر، 1989م سنگ میل پبلی کیشنز لاہور

6 ـــــ بکھراوکا حرف آخر، ص: 53، 54.

إن البيوت السعيدة، والشبكة المشرقة

وفخر البَحَّار

والحصاد الجاهزة، والسَنَابل المتلألئة، والمزارع والخزاف

وحب الفلَّاح

والنساء العجائز

وخيوط نبات الجوت على كتف الشجرة

والعرائس والفتيات

وربيع فروع الصفصاف اللينة

وعلى حواجز المزرعة ، وتحت البانيان

والحركات البهلوانية للصغار واللعب والسرور

والضجيج

وقرى الشواطئ

مثل صورة الأم

نامت على فراش الليل حافظة للمناظر

بدأ الشاعر بهذه المقدمة الحزينة التى ذكر فيها أن الحياة قبل النكبة كانت تسير آمنة ومطمئنة إلى أن نام جميع الناس ليلاً بكل خيروعافية بجميع الأمانى والتمنيات

وترتيب الأعمال والأمور التى سيقومون بهاغداً بعد ما يستيقظون صباحاً، ولكن عند ما استيقظوا صباحاً كانت الأحوال متغيرة والظروف منقلبة إلى ضدها كما ذكر شاعرناحالجميع الأشياءقبل الثورة والنقمة مثل الذكريات التى تحزن الشاعروتؤلمه إذا ذكرها.

وصرح بالبيوت السعيدة، والشبكات المشرقة، والمحاصيل الجاهزة والحقول الناضجة، والأحبال المعلقة على أكتاف الشجرة،والنسوة العجائزوالعرائس والفتيات،وربيع الأشجار، حتى الأعمال البهلوانية للأطفال في الحقول وتحت الأشجار،وماإلى ذلك من وصف طبيعة المدينة. ويُفهم من ذلك أن الشاعركان مغرما بطبيعة مدينته.

ثم يدخل بعد هذا التمهيد في تفاصيل هذه الحاثة المروعة التى أصابته مع جميع الناس الآخرين، وأثارت مشاعره وأحصى كل صغير وكبيرمن الحادثة لكن برمز" طوفان نوح ".

والطوفان قد احتل المدينة مع المدن والقرى الأخرى بقسوة شنيعة فَدَكَّ البيوتَ وخَرَّبَها يقول الشاعرفيه:

صبح آئی تو نگاہوں سے تھیں اوجھل بستیاں

ساحلوں سے بستیوں تک سرکشیدہ تھی فقط دیوار آب

ہر طرف تھی بازگشت صور اسرافیل لہرائی ہوئی

زندگی جس سے عبارت تھی وہی آب وہوا

ناگنوں کی طرح بل کھائی ہوئی

سامعہ سے صرف ٹکراتا تھا کالی روپ شب کا قہقہہ

گیند تھی لڑھکی ہوئی۔

چاہ سے اس کو اٹھا کر کھیلنے والے نہ تھے

پیڑ بھی پانی کے قدموں کے تلے روندے گئے

ساحلوں کی ہنسی کاتی بستیاں عشتار کی مانند روتی ہی رہیں

روند کر انکو روانہ ہو گیا کہسار آب[1]

وعندما طلع النهارتلاشت القرى عن العيون

وجدار المياه فحسب يتمرد على الشواطىء والقرى

وانتشر الضجيج فى كل مكان مثل صور إسرافيل

والطقس والهواء المكونان الحياة أصبحا ملفة الأفاعى

وقهقهة الليل السوداء تدقّ الآذان

والكرة مدحرجة

لا أحد لمسكها بالولع

1 ـــــــ بکھراؤ کا حرف آخری، ص. 54.

سحقت الأشجار تحت أقدام الماء

وقرى الشواطئ الغانية السعيدة ظلت تبكى مثل عشتار

و قد سحقها ثم مشى جبل الفيضان

إن الشاعر قد رسم في الأبيات المذكورة صورة مرعبة للطوفان الذى ارتجتله القرى والمدن بعد ما نام الناس ليلاً وأهلك الحرث والنسل، وكان الماء مثل الجدران والجبال الذى وَطِئ كُلَّ شيء حتى الأشجار والجبال، وبَيَّن هناك عجز المظاهر من المدن وغيرها التى تضرعت أمام الماء مثل التضرع وبكاء عشتار أمام الإله آ دو وكما ما منع بكاءُ عشتار المسكينة آدو عن إرادته، حتى دمر قرية "شورى بك" أى المدينة الآشورية في الزمن القديم، كذلك ما منع فيضانَ الماء بكاءُ المدنِ والقرى أمامه إلى أن احتلها.

وأخذ الشاعرهذهالصورة التى رسمها في الأبيات المذكورة من الثقافة التاريخية بحيث ذُكِرَهناك في التاريخ القديم بأن هناك كانت مدينة قديمة على شاطئ نهر الفرات باسم: شورى بك وأراد إله تلك المنطقة السمائى المسمى "آدو" الذى كان وزراءه نيبو، وشارو، بدمارتلك المدينة فَنَبَّه آلهة الأرض سكان هذه المدينة بأن يجعلوا السفينة الكبيرة ويحملوا فيها معهم زوجا من كل نوع من الحيوان وبذوركل شيء.

ومن ناحية أخرى قد سألت عشتارالتى كانت هى إلهة الحب والرحمة آدو أن يمتنع عما أراد من دمارالمدينة وهلاك أهلها وتضرعت وبكت، ولكن رغم ذلك ما امتنع "آدو" حتى نفذ إرادتَه وأمْرَه ودمرالمدينة وأهلك أهلها(1)ربما يكون المذكورأيضاًإشارة إلى طوفان زمن سيدنا نوح عليه السلام.

ويُعقِّبُ الشاعر بأبيات تدل على أن هذا الطوفان كان بدون أى خبروإعلاميس كماأخبر آلهة الأرض مدينة " شورى بك "، ثم أثبت الشاعر بأن نكبة مدينته كانت أشد وأعظم من نكبة المدينة الآشورية لأن آلهة شورى نبهت أهلها عن الحادثة والنقمة قبل وقوعها وأرشدوهم إلى بعض طرق النجاة من الغرق وأماهنا فما نَبَّهَ أحدٌ أهلَ المدينة عن الحادثة بل هم ناموا ليلاً بسلام آمنين وأصبحوا مصابين بالحادثة ومفاجئين بها ويقول:

ساحل بنگال میں

دیوتا کوئی نہ آیا انتباہ زور طوفان کیلئے

اپنے منتوں کیلئے

دھاکر مچھلی کا روپ

کوئی وشنو بھی نہ آیا لے کے یہ چیتاؤنی

اپنے گھر کو توڑ کر

1ـــــ بکھراؤکا حرف آخر، ص: 57.

سارے اثاثے چھوڑ کر

اپنی ہستی کے بچانے کے لئے کشتی بنا

ساتھ ہر اک نیچ لے، ذی روح جوڑے کو بٹھا[1]

على شاطئ البنغال

ما جاء أحد من الآلهة للتحذير من العاصفة

للمحافظة على عبدته

ما جاء أحد في صورة السمك

ولم يأت "وشنو" بهذا الخبر

حتى ينصح، اكسروا بيوتكم

اُتركوا أمتعتكم

إصنعوا مركباً لإنقاذ أنفسكم

إجمعوا كل نوع من البذرة وخذ زوجا من كل حي.

ونجدعند الشاعر عاطفة جياشة مشحونة بالحزن والأسى بحيث يبكي ويفزع عند بيان حالة مدينته والحادثة التي أصابت المدينة وأهلها، وهو يشعر بفقد من يستغاث منهفالمنذر ليس موجوداً، لوكان موجوداً لَأَخْبَرَهم عن النكبة مثل الآلهة

1- المصدر السابق، ص: 55.

السابقين وشنو، وعشتار وغيرهما الذين نبهوا قومهم الحادثة وطلبوا النجاة لهم وإذا ينسوا عن الحصول على النجاة الكامل فبيَّنُوا لهم بعضَ طرق الحفظ والسلامة مثل إعداد السفينة والركوب فيها خلال الحادثة وما إلى ذلك.

ثم تناول الشاعر أحوال مدينته بعد نهاية الطوفان فيقول:

بچ گئے طوفان سے جو چند اک نفوس

اپنے حلیے میں وہ اپنے جد امجد آدم و حوا سے کچھ بھی

کم نہ تھے

کچھ کے رخساروں کی دولت تھیں عجب سی وحشتیں

کچھ کی آنکھوں کا مقدر تھیں خلا کی گروشیں

کچھ تھے پانی میں کھڑے

کچھ تھے پتوں ہی کو اپنے جسم کا محرم کیے

اور کچھ کا بے لباسی ہی لباس

سب کے چہرے پہ لکھا تھا خدایا کیا ہوا؟

سب کے چہرے تھے عجب حیرانیوں کے آئینے

ہر کوئی تھا اپنا غم بھولا ہوا

حلقہ ہائے آب میں بے آب مر جاتا ہوا[1]

1- بکھراؤ کا حرف آخر، ص: 56، 55.

بعض الناس الذين نجوا من الطوفان

كانوا مثل جدهم آدم وحواء

سيطرالرعب على وجه كل شخص

والتفكر على وجه كل شخص

البعض منهم كانوا واقفين في الماء

والبعض الآخر كان لباسهم أوراق الأشجار

والبعض منهم لبسوا لباس التعرى

كان مكتوبا على وجه كل شخص!إلهي ماذا حدث؟

وكان الناس كلهم غارقين في الحيرة واليأس في موجات الماء

ونسى الكل همه

يموت فى دائرة الماء دون الماء

إن الشاعر قد فصل في الأبيات المذكورة البؤس والفقروالبطالة التى طرأت على المدينة بأكملها من قلة الأغذية والملابس وفقدها وسيطرة البؤس والحيرة وبسبب شدة النقمة والفزع والقلق، والناسُ قد نسوا أنفسهم وأموالهم وأولادهم إلى أن ماتوا عطشاً رغم كونهم غارقين في الماء، وكل ذلك دال على شدة فزعهم وذهولهم.

ويلحق بهذا يقظة الآلهة بعد هذه النكبة وتفكرهم في المدينة وأهلها ولكن الشاعر لايطمئن بيقظتهم هذه لأنه لايرى فيها ثباتهم وإخلاصهم يقول:

بعد از طوفان سارے دیس کے

دیوتاؤں میں ہے واویلا مچا

مسئلے کی پھنگیوں سے ان کی ہمدردی بجا

مسئلے کی جڑ تلک پہنچے اگر انکی نظر

سوچتا ہوں قبل طوفان کے زمانوں میں انھیں

کون سے آدو کی دہشت نے کیا گردوں نشیں

شہر واویلا میں جو اس جوش سے آئے

اور اپنے دیس باشی دیوتا تو بعد از طوفان بھی جگمگاتے ہیں سر بالائے بام

کچھ کو جنبش بھی ہوئی ہے تو برائے نام ہی[1]

في نهاية الطوفان وفي البلد كله

إن الآلهة متلهفة

تعاطفهم مع فروع القضية جيّد

ولكن إذا هم أدركوا جوهر المشكلة

أنا أفكر، قبل عصور الطوفان

1- بکھراؤ کا حرف آخر، ص: 56، 55.

أىَ "آدو" خوَّفهم

وتدفقوا إلى المدينة الخربة

بينما تتلألأ آلهة بلدنا فى ارتفاعها السماوى

وقد اهتزالبعض منها أيضاً ولكن دون جدوى

إن الشاعرقد تحدث هناعن كيفية الآلهة وأراد من الآلهة ولاة الأمور والناس الكبار، الذين صحوا من النوم والسكر ولكن بعد ما مضى الماء من فوق الرؤس، وسأل الشاعر عن المانع الذي منعهم من التفكر فى دفع أسباب الدمار والهلاك قبل الطوفان، ويظهر من كلامه أن الآلهة لم تكترث ولم تحزن لما وقع، وهو يدل على أن الشاعر لايثق فى قيام الآلهةبدورهافى صدى الكوارث والنكبات.

وفي الأخير يبين الشاعر القلق والحزن على فقد الوحدة بين سكان المدينة ويتمنى أن يرى جميع أهل المدينة متحدين ومتآخين، وأن يشعر كل واحد منهم بألم الآخرين ويسر بسرورهم حيث يقول:

میں تو دیوتا بھی نہیں

دیوتا کے بھگتوں میں نہیں

میرا غم یہ ہے کہ برسوں بیشتر

اک کا غم سب کا غم ہوتا تھا سب

ایسے عالم میں نظر آتے تھے یکسر احتجاج

آج کیوں یہ اپنا سرمایہ نہیں

میرا غم بس اس قدر ہے ساحلی بستی پہ ٹوٹا جو صعوبت کا پہاڑ

کیوں میرے احساس پر اس کا اثر رائی برابر بھی نہیں(1)

إني لست إلهاً

ولست من أتباع الآلهة

وحزني أنني قبل سنوات طوال

كدرواحد كان كدر كل شخص

في هذه الحالة كل شخص كان يظهر صورة الاعتراض

لماذاتركنا هذاالتعامل بيننا

حزني الوحيد هو أنه أصابت الأحزان قرية الشاطىء

فَلِمَ لَمْ أحس بذلك.

إن الشاعرقد صرح بحسراته وتمنياته الصالحة لأن يرى قومه في التآخى والتوافق التام بينهم،ويرى أن هذا الفساد والدمار وغيرها من المشاكل التى واجهوها قد أصابتهم بسبب تفرقهم وعدم توافقهم واختلافاتهم فيما بينهم فى الشؤن والأحوال،

1-بکھراؤ کا حرف آخر، ص: 57، 56.

وعنده بعض الإيحاءات على أنه يتمنى من جميع قومه الدفاع عن الوطن وإن كانوا مختلفين حسب الأفكار والعقائد والأديان.

ونلاحظ صدق العاطفة في قصيدتي شاعرنا "أديب سهيل" الذى دمعت عيناه بسبب الحادثة الكارثة، ربما لذلك لا نجد عنده الزخارف اللفظية والمحسنات المعنوية.

ولا نجد عنده تعنيفاً أو لوماً للذين قاموا بالأفعال الشنيعة وإفساد المدينة وذكر جميع ما ذكر في رمز "طوفان".

الفصل الثاني: البناء الفني لقصائدرثاءمدن شبه القارة الهندية الباكستانية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: دراسة شكل قصائد الرثاء

المبحث الثاني: دراسة موسيقى القصائد

المبحث الأول: دراسة شكل قصائد الرثاء

وفيه ثلاث مطالب

المطلب الأ ول: مطالع القصائد

المطلب الثاني: خواتيم القصائد

المطلب الثالث:أسلوبالقصائد

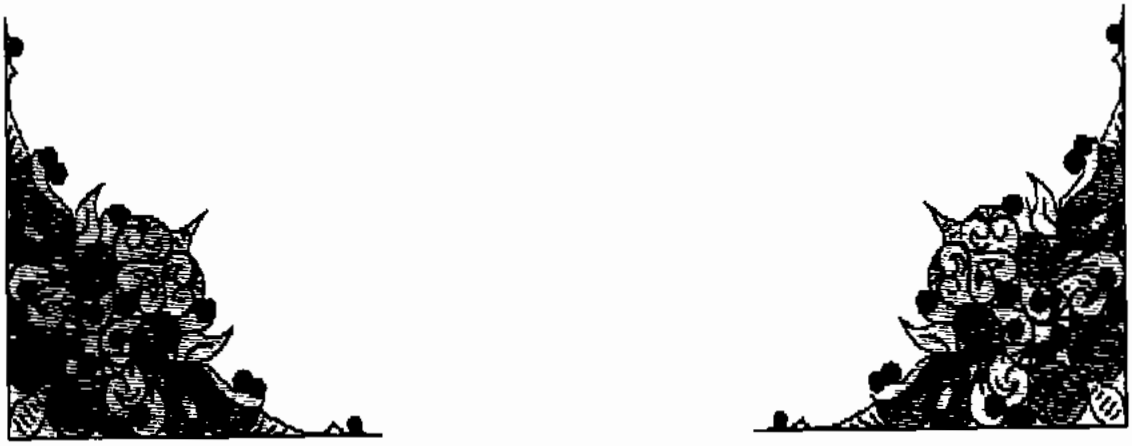

المطلب الأول: مطالع القصائد

تحدثنا عن أهمية المطلع في القصيدة ومكانتها بين أجزائها في الباب الأول عند الحديث في مطالع القصائد الرثائية باللغة العربية فلا داعي لإعادتها هنا لذلك ندخل في ذكرالمحاوروالأفكارالتي يدورحولها شعراؤنابااللغة الأردية في بداية قصائدهم المختارة للدراسة في هذه الأطروحة.

وأهم الأفكارالتي تحتوي عليها قصائدرثاء المدن باللغة الأردية: مدح المدينة ووصف جمالها، والبكاء على فناء سطوتها وما إلى ذلك، والتفصيل فيما يلي:

المطلع المدحي للمدينة :

أما بداية القصيدة بمدح المدينة فنجده عند شاعرين من شعراءنا وهما مراد شاه في رثائه للاهور. ومرزا داغ الدهلوى في رثائه لدلهى.

ونَظَمَ شاعرُنا مراد شاه قصيدتين في رثاء مدينة "لاهور" باسم "مگس نامه" أى حالة الذبان و"موش نامه" أى حالة الجرذان فقصيدته الأولى أى "مگس نامه" تحتوى عشرين بيتاًفي بدايتها فى مدح المدينة تناول الشاعرالنواحى المختلفة من وصفها من حيث كون "لاهور" مركز الإسلام ومئذنته، ومساواتها للمدن الإسلامية الأخرى مثل

"أصفهان" وغيرها، وإحكام قصورها الشاهقة وجمالها، حتى اعتقد أنها قطعة من الجنة على الأرض،ثم انتقل بعد ذلك إلى مدح أهلها وأطنب فيه فقال:

شہر لاہور قبہ اسلام — روشن آفاق میں ہے جس کا نام

خوبی اس کی تھی شہر آفاق — حسن کا اس کے تھا جہاں مشتاق

اصفہاں ہے جو ایک نصف جہاں — خوبیوں میں نہ تھا کچھ اس کے کلاں

تھا عمارت سے یہ قوی بنیاد — ربع مسکوں میں افتخار بلاد

تھا بہشت برین بروئے زمیں — عجب انسان تھے اس مکاں کے مکیں

ایک سے ایک تھے دو صد چنداں — سب ملائک صفت والے انساں

شہر تھا یہ کہ کان علم و ادب — کان کیا بلکہ جان علم و ادب

رشک آبادی جہاں تھا یہ — الغرض خوب ہی مکاں تھا یہ[1]

إن مدينة "لاهور" مئذنة الإسلام

اسمها يشرق في الآفاق

كانت مستجمعة للحسن في الدنيا

كل العالم كان مغرماً بجمالها

"أصفهان" فيها جمال نصف العالم

1-نامہ مراد،ص 32، 33.

في الاستحسان مـــا كانت أكـــبر منهـــا

كانـــت جـــــنـــــة عالية في الأرض

ســـكانها كانـــوا أعـــجـــوبـــــة الزمان

فالذى زار العالم كله

لم يرحل إلى أى بلد بعده

هذه المدينة كانت سبب الحسد من المدن

باخـــتصـــار كانت مـــثالا نموذجيـــا لها

كانت جنـــة عالـــــــية في الأرض

سكانها كانوا أعجوبـــة الزمـــــــــان

كل شخص كان جذابا مدهـــــــــشا هنا

كل إنسان كان مُحلًّى بالصفات المـــلكـــية

وكان الأولياء والمشائخ والسادة فيها

وعلمائها كانوا متخلقين بألأخلاق الرفيعة

وكانت المدينة كنز الفنون والآداب

بل كانت روح العلـــــوم والآداب

إن الشاعر قد افتتح قصيدته هذه بهذا المطلع الجميل واستوعب فيه شتى أنواع المدح للمدينة من مكانتها في نشرالإسلام،وكون صيتها وسمعتها في الآفاق، وكونها مثل الجنة على الأرض تحت السماء، وينبوع العلوم والفنون، ومفخرة العالم، ومثاراً لحسد المدن الأخرى.

وهذا يدل على حبه العميق لمدينته الجميلة وصدق عاطفته إليها، ووفرة الذكريات لديه من ماضيها، وكثرة الآهات على حاضرها.

وكذلك نجد هذا المطلع عند شاعرنا مرزا داغ الدهلوى في رثائه لدلهى فقد افتتح إحدى قصيدتيه بمدح المدينة ووصف بهاءها وصفاءها، واحتوى هذا المطلع على ثلاثة بنود من مسمطه حيث بدأ:

فلک زمین ملائک جناب تھی دلی بہشت وخلد میں بھی انتخاب تھی دلی

جواب کا ہے کو تھا لاجواب تھی دلی مگر خیال سے دیکھا تو خواب تھی دلی

پڑی ہیں آنکھیں وہاں جو جگہ تھی نرگس کی خبر نہیں کہ اسے کھا گئی نظر کس کی

***

یہ شہر وہ ہے کہ ہر انس و جان کا دل تھا یہ شہر وہ ہے کہ ہر قدردان کا دل تھا

یہ شہر وہ ہے کہ ہندوستان کا دل تھا یہ شہر وہ ہے کہ سارے جہان کا دل تھا

رہی نہ آدھی یہاں سنگ وخشت کی صورت بنی ہوئی تھی جو ساری بہشت کی صورت

***

یہاں کی شام تھی مانند صبح نورانی یہاں کے ذرہ میں تھی مہر کی درخشانی

یہاں کے سنگ سے تیرہ تھا لعل رمانی یہاں کی خاک سے ہوتا تھا آئینہ پانی

یہ شہر وہ ہے کہ سایہ بھی نور تھا اس کا چراغ رشک تجلی طور تھا اسکا[1]

كَانت مدينة دلهي السماء الأعلى

وكانت نخبة بين الجنة والفردوس

من أين يأتى مثلها،هي حيث لانظيرلها

ولكن عندما رأيتها بعين الخيال أصبحت حلما

تراكمت العيون حيث النرجس

ولا أعْرفُ عيون من أصابتها

***

هي كَانتْ قلبا لكُلّ إنســان وجنــي

وكَانتْ حبة القــلب لــكُلّ جَــهبَذ

وكانت في الحقيقـــة قلبَ الهــند

بل كانت هي قلب المعمورة كلها

فلم يبق هنا إلا أطلالها

1-کلیات داغ، ص: 392.

بعد أن كانت صورة للفردوس

***

مساءالمدينـــة كَانَصباحاًمضـــــــيئاً

تَضَـــمَّنَ ذرتـــها تألـــق الشـــــمـــسِ

الياقوتة كَانتْ داكنة البشرة أَمَامَ حجارتِها

غُـــبارها قـــد حولَ الـــمرآة إلى الماء

ظِـــلُّ هـــذه المدينة كان ضِـــيَاءً

مِصباحُها كَانَ مُحاكاة لمعانِ طور سيناء

بدأ الشاعر قصيدته بمعان تقتربمن المعانى التى مرت في القصيدة السابقة إلا أنه ركز على بيان حسن المدينة فقط،ونجح في تحسينهاولميتجه إلى بيان صفات أهلها.

واعتقد الشاعرأن "دلهى"نخبة نهائية من بين بقاع الجنة،هي ما كانت قلب الهند فحسب بل قلب العالم كله، وكان مساؤها كصباحها، وكان غبارها أنظف من المرآة ومالى ذلك. والأبيات توحى بحب الشاعرالصادق لمدينته ولوطنه المألوف وهي عاطفة فطرية في قلب كل ذى كبد رطب.

مطلع البكاء على فناء المدينة :

ونلاحظ هذاالنوع من المطلع عند شاعرنا مرزا داغ في القصيدة الثانية الرثائية يقول:

یوں مٹا جیسے کہ دہلی سے گمان دہلی تھا مرا نام ونشاں نام ونشان دہلی

لے گئے لوٹ کے اب شوکت وشان دہلی پورب پہلے اڑاتے تھے زبان دہلی

دلی والوں کے لیے تازہ بنے گی جنت لے گئے سر پہ ملک تختہ مکان دہلی[1]

محيت دلـــهى بـــتـــمامها حتى أصبحت كأنها

لم تكن وما كان هناك وجودى إلا بوجود دلهى

قـــد نهـــب الأوربـــيـــيون روعـــــــة دلهى

وهـــم كانـــوا يـــتحدثون قبل ذلك لغـــة دلهى

ستجهزُ الجنة الجديدة لسكان دلهي

حَملتها الملائكة كهدية كريمة

قد بين الشاعرفي الأبيات المذكورة فناء المدينة ودمارهاالكاملبشتى الأساليب.

والأبيات مع كونها مطلع القصيدة تدل على شدة النقمة وعظم المصيبة، وأنا معجب بحسن تأويل الشاعر في البيت الثالث حيث أوّلَ دمارَها باحتياج بنائها من

1- كليات داغ، ص 312.

جديد،بأن مدينة "دلهى" كانت جنة ولكن أصبحت قديمة فحملتهاالملائكة على رؤسهم بالاحترام الكامل مثل الهدية الكريمة لتُجَدَّد لأهلها.

3 - المطلع المباشر:

ونجد هذا اللون من المطلع عند شاعرنا مراد شاه لاهورى في القصيدة الثانية التى أبدعها باسم "موش نامه" أي حالة الجرذان فقد بدأ الشاعر مباشرة بذكرالجرذان يقول:

موش اس افراط سے ہوئے امسال — کہ زمیں ہے بصورت غربال

ہر جگہ موشکا ٹھکانہ ہے — یہ زمین ہے کہ موش خانہ ہے

لیکے جموں سے تاحد لاہور — ہے زمیں رشک خانہ زنبور

اوفتادہ زمیں سے لے تاگشت — ان سے خالی نہیں ہے اک بالشت[1]

ترى كثرة الجرذان في هذه السنة

قدأصبحت الأرض مثل المنـــخل

لايُرى في كل ناحية غيرُ الجرذان

الأرض كلها أصبحت بيت الجرذان

1- نامہ مراد، ص 35.

من حـــدود الجمون إلى لاهـــور

الأرض كلـــها مثل بيـــت الزنابير

الأرض سواءكانت مزروعة أوغيرمزروعة

ليس هناك قطعة منها إلا وفيها الجرذان

وقد بادر الشاعر بذكرالجرذان التى استعارها لبيان جبن أمراء السيخ ونفاقهم ودورهم في المؤامرات والاعتداءات كدورالجرذان. وذكرهنا كثرتها ووفرتها، وأشارفي الأبيات إلى المدن والقرى التى كانت تحت حكمهم وهي كانت من حدود الجمون (الكشمير المحتلة) إلى لاهور.

مطلع الحزن والحيرة :

بدأ شاعرنا أديب سهيل قصيدته "ميرا شهر" أى مدينتى بهذا المطلع الحزين في أسلوب الاستفهام يقول:

میرے شہر کو دوستو کیا ہوا ہے؟

نہ چہرے کو لمس صبا ہے میسر

نہ شاخوں پر اسکی کہیں فاختہ ہے

ہر اک لمحہ خدشات کے کالے بادل سروں پر تنے ہیں

ہر اک دل میں دہشت کا دشنہ گڑا ہے

جو اک پل ہے آزاد تو دوسرے پل

سلاخوں کے پیچھے مقید پڑا ہے

رہائی اسیری کے مابین کا فرق بھی کالعدم ہو چکا ہے[1]

أخبرونى أصدقائي، ماذا حدث بمدينتى؟

لم تعد الوجوه تتمتع بالصبا

ولم يبق الحمام على الغصون

وظلال الخوف والعزلة تسيطر

وقد تجذر خنجر فى كل قلب

فالإنسان الحر فى لحظة

يصير مسجونا وراء القضبان

إنالفرق بين الحرية والعبودية قد انعدم

إن الشاعر قد افتتح القصيدة بالحزن والأسى سائلا الأصدقاء والزملاء عما أصاب مدينته فجأة من الزوال والتراجع، ووجد كل شيء متغيرا عما كان عليه من الأمن والسلام. واستخدم أسلوب الاستفهام في مبدأ القصيدة ربماأراد به أن يشارك

1- بکھراؤ کا حرف آخر، ص: 32.

الآخرين في أحزانه وآلامه ــ ويجد به السلوان والراحة من المشاكل التى أصابته بسبب فساد المدينة ودمارها.

5 – مطلع الوصف للطبيعة :

نجد هذا اللون عند شاعرنا ظهور الحق أديب سهيل في قصيدته الثانية المسماة بـــ "طوفان نوح" وقد أطنب الشاعر في وصف الطبيعة يقول:

ہنستے بستے گھر، چمکتے جال

ماںجھی کا غرور

پکی فصلیں، جگمگاتی بالیاں، کھیت اور کھمار

دھقاں کا پیار

سن رسیدہ بیبیاں

دلھنیں اور کنواریاں

بید کی شاخوں کی لچکیلی بہار

کھیت مینڈوں پہ میدانوں میں، برگد کے تلے

ننھے اور نوخیز رکھالوں کے کرتب، کھیل، خوشیاں اور دھمار

ساحلوں کی بستیاں

ماں کی صورت

رات کے بستر پہ آنکھوں میں لیئے سارے مناظر سو گئیں

صبح آئی تو نگاہوں سے تھیں اوجھل بستیاں[1]

إن البيوت السعيدة، والشبكة المشرقة

وفخر البَحَّار

والحصاد الجاهزة، والسَنَابل المتلألئة، والمزارع والخزاف

وحب الفلَّاح

والنساء العجائز

وخيوط نبات الجوت على كتف الشجرة

والعرائس والفتيات

وربيع فروع الصفصاف اللينة

وعلى حواجز المزرعة ، وتحت البانيان

والحركات البهلوانية للصغار واللعب والسرور

والضجيج

وقرى الشواطئ

مثل صورة الأم

1- بکھراوکا حرف آخر، ص: 53، 54.

نامت على فراش الليل حافظة للمناظر

تناول الشاعر في هذا المطلع أحوال المدينة،ورسم صورة المجتمع قبل مجئ الطوفان غارقا في الحسرة واليأس، وذكرالبيوت والشبكات والمحاصيل الجاهزة، وسنابل المحاصيل المشرقة والمزارع والخراف.

ومن أنواع المستضعفين من النساء العجائز، والعرائس والفتيات، وربيع فروع الأشجار، ولعب الأطفال تحت الأشجاربالتراب ومايلى ذلك.

لعل الشاعريريد بإحصاء هذه المظاهر والمشاهد أن الحياة الفطرية كانت تسير بطريقة عادية بجميع ما يلزمها، فجاء الطوفان من كل جانب فجأة ومَحَا كل شيء في طرفة عين.

وهذا المطلع وإن كان في وصف المجتمع ولكن مع ذلك يظهر منه حرقة قلب الشاعر على فساد مدينته وخرابها.

المطلب الثاني: أسلوب القصائد

نلاحظ في القصائد المقترحة من قصائد رثاء المدن باللغة الأردية أن الشعراء كلهم كانوايعيشون في أحوال الاضطراب والقلق النفسى، وكل شيءعما يألفونه قد طُمِسَ، وبدأوا يواجهون أقواما لاعهد لهم من حيث الصحبة، والخُلة،حتى يتجه كل واحد منهم نحو مغانيه الأولى من حصون المدينة، وحدائقها، وميادينها ووديانها وصباحها، ومسائها، حتى طيورها ووحوشها وحقولها وزروعها ومالى ذلك.

وإذا لا حظنا حنين الشعراء، نجد أنهم يتخذون طابعًا مُمَيّزاً من حيث رهافة الشعورودقة الإحساس، فالشاعرعندما يشتد به الشوق يدفعه إلى تصوير وطنه بصورة تعكس حنينه وتحتوى جميع الخيرات ومعانى الجمال، فيعتقد بأن تربته أطيب من المسك والكافور، وماءه أحلى من العسل إلى غير ذلك مما يجعله يتمنى أن يستنشق هواءه ويشرب ماءه ويكتحل بترابه.

أما أسلوب القصائد فهو سهل، واضح المرامى والأهداف، ونشاهد فيها لوعة الشعراء وحنينهم إلى أيامهم السابقة التى أمضوها في ربوع وطنهم من خلال استرجاعهم لسجل حياتهم الماضية ومقارنتها بما آلوا إليه الآن من الفرقة والتشرد ومما أصابهم من الأحزان والآلام.

والقصائد غنية بالمفردات والتراكيب التى تظهر مدى إحاطة الشعراء باللغة الأردية وأساليبها، وعبقريتهم، وطول نفسهم وحسن تصرفهم في المواقف الشعرية المختلفة.

ويمكن أن ننظر إلى هذه القصائد من منظورين، وكل منظور ينقسم إلى أقسام مختلفة .

أما المنظور الأول فهو بالنظر إلى أسلوبها حسب الشكل الفنى أو البناء الفنى من حيث بَدْؤها بمقدمة وتمهيد، أو بدون مقدمة وتمهيد ودخول أصحابها في الموضوع مباشرة.

وأما المنظورالثانى فهو تقسيم القصائد بالنظر إلى أسلوب أصحابها في بيان أفكارهم وإبداع عواطفهم، هل أبدعوها بطريق عادية مباشرة أو لجأوا في بيانها إلى أسلوب بياني أوفي صورة حيوان من الحيوانات أوالتعبير عن عواطفهم من خلال آفة من الآفات السماوية من الطوفان والفيضان وغيرها.

فبحسب المنظور الأول تنقسم قصائدنا إلى ثلاثة أقسام أولها، القصائد التى تبدأ بمقدمة طويلة التى تناول فيها أصحابها وصف المدينة، وجمالها وصورتها التى كانت عليها قبل الحادثة إلى أن دمرت.

ونجد هذا اللون في رثاء لاهور في إحدى القصيدتين التى تسمى."مگس نامه" وتحتوى مقدمتها على عشرين بيتا في وصف طبيعة "لاهور" ومنها:

شہر لاہور قبۂ اسلام روشن آفاق میں ہے جس کا نام

اصفہاں ہے جو اک نصف جہاں خوبیوں میں نہ تھا کچھ اس سے کلاں

تھا بہشت بریں بروئے زمیں عجب انساں تھے اس مکاں کے مکین

رشک آبادیٔ جہاں تھا یہ الغرض خوب ہی مکان تھا یہ[1]

إن مدينة "لاهور" منذنة الإســـــلام

اسمها يـــشـــرق فـــــــــــي الآفاق

"أصفهان" فيها جمـــال نصـــف العالـــم

في الاستـــحـــسان مـــا كانت أكـــبر منها

كـــانت جـــنـــــــة عالية فى الأرض

سكانهـــا كانـــوا أعـــجـــوبـــة الزمـــان

هذه المدينة كانت سبب الحسد من المدن

باختصار كانت مـــثـــالا نـــموذجيا لها

1 –نامہ مراد، ص: 32.

وقد تحدث الشاعر بعد هذه المقدمة المدحية عن بعض أسباب الفساد ثم تناول الموضوع إلى أن ختم القصيدة بالدعاء لمدينته ولأهلها.

ونحدالأسلوب نفسه عند مرزا داغ في قصيدته الطويلة "شهر آشوب" فثلاث مقطوعات متتالية في بداية قصيدته في مدح "دلهى" وصف طبيعتها قبل الحادثة،وبعد ذلك ذكر بعض أسباب الدمارالذى أصاب المدينة، ثم دخل في تفاصيل النكبة ورسم صورة مؤلمة لتقلبات أحوال "دلهى" حتى ختمها بالدعاءإلى الله تعالى ليعيدها سيرتها الأولى وقد مر تفصيل ذلك في الفصل الأول من هذا الباب ومن مدحه للمدينة :

یہ شہر وہ ہے کہ انس وجان کا دل تھا یہ شہر وہ ہے کہ ہر قدردان کا دل تھا

یہ شہر وہ ہے کہ ہندوستان کا دل تھا یہ شہر وہ ہے کہ سارے جہاں کا دل تھا[1]

هـــي كَانتْ قلبا لكُلّ إنـســـان وجنـــي

وكَانتْ حبة القـلـــــب لـــكُلّ جَـهبَذ

وكانت في الحـــقـيـقـــة قلبَ الهـــند

بل كانت هي قلب المعمورة كلها

فلم يبق هنا إلا أطلالها

بعد أن كانت صورة للفردوس

1- کلیات داغ، ص 392.

والقسم الثاني: القصائد التى تدخل في الموضوع مباشرة دون مقدمة وتمهيد، وباشر أصحابها تفاصيل النقمة وعظم المصيبة إلى أن خرجوا منها بالدعاء للمدينة أن تعود فيهاالأيام الماضية ليعيشوا فيها بالخير والعافية وبكل سعادة وراحة.

وهذا ما نلاحظه عند شاعرنا مراد شاه في قصيدته الثانية التى سميت بـــ: (موش نامه) أى حالة الفئران وهي تبدأ بذكر الفئران مباشرة بقوله:

موش اس افراط سے ہوئے امسال کہ زمین ہے بصورت غربال

ہر جگہ موش کا ٹھکانہ ہے یہ زمیں ہے کہ موش خانہ ہے[1]

ترى كثرة الجرذان في هذه السنة

قدأصبحت الأرض مثل المنـــخل

لايُرى في كل ناحية غيرُ الجرذان

الأرض كلها أصبحت بيت الجرذان

وكذلك نجدهذاالأسلوب عند شاعرنا مرزا داغ الدهلوى في قصيدته الثانية في رثاء "دلهى" التى تبدأ بقوله:

یوں مٹا جیسے کہ دھلی سے گماں ولی تھا مرا نام وشان نام وشان ولی

لے گئے لوٹ کے شوکت وشان ولی یوربی پہلے اڑاتے تھے زبان ولی[1]

1- نامہ مراد، ص 35.

محـــيت دلـــهى بـــتمامها حتى أصبحت كأنها

لم تكن وما كان هناك وجودى إلا بوجود دلهى

قـــد نهـــب الأوربـــيـــيـــون روعـــــة دلهى

وهـــــم كـــانـــوا يستهزؤون بلغـــــــة دلهى

والقسم الثالث القصائد التى تبدأ بالحزن واليأس وبالحيرة والحسرة على تغير المدينة فجأة ثم يلحقها بعض تفاصيل التقلب وصورهاالمدهشة إلى أن تنتهي بالحيرة والحسرة مثلما بدأت وهذا ما نلاحظه عند شاعرنا أديب سهيل في رثاء "داكا" في قصيدته المسماة "مدينتى" وهي تبدأ بقوله:

میرے شہر کو دوستوں کیا ہوا ہے؟

نہ چہرے کو لمس صبا ہے میسر

نہ شاخوں پر اسکی کہیں فاختہ ہے۔

أخبرونى أصدقائي، ماذا حدث بمدينتى؟

لم تعد الوجوه تتمتع بالصبا

ولم يبق الحمام على الغصون [2]

1 – کلیات داغ، ص 312.

2–بکھراؤکا حرف آخر، ص 32.

إلا أنه ختم قصيدته الثانية المسماة بـــ "طوفان نوح" بالحزن على افتراق قومه واختلافهم فيما بينهم، وبكى على فقدالوحدة والاتحادفيقول:

میرا غم یہ ہے کہ برسوں بیشتر

اک کا غم سب کا غم ہوتا تھاسب

ایسے عالم میں نظر آئے تھے یکسر احتجاج

آج کیوں یہ اپنا سرمایہ نہیں[1]

وحزني أنني قبل سنوات طوال

كدرواحد كان كدر كل شخص

في هذه الحالة كل شخص كان يظهر صورة الاعتراض

لماذاتركنا هذاالتعامل بيننا.

كأنه دعا بهذا الأسلوب في خاتمة قصيدته قومه إلى توحيد صفوفهم.

وأما المنظورالثانى فهو ثنائى يتناول القسمين الآتيين أولهما: القصائد التى نظمها أصحابها بطريقة مباشرة.

وهذا يتمثل فى ثلاث قصائد من قصائدنا الستة، قصيدتان لشاعرنا مزا داغ في رثاء "دلهى" فمطلع القصيدة الأولى:

1- بکھراؤکا حرف آخر، ص: 57، 56.

فلک زمین وملائک جناب تھی دلی بہشت وخلد میں بھی انتخاب تھی دلی[1]

مدينة "دلهى"

انت مدينة دلهي السماء الأعلى

وكانت نخبة بين الجنة والفردوس

كما بدأت القصيدة الثانية بقوله:

یوں مٹا جیسے کہ دہلی سے تمادہلی تھا مرانام ونشان نام ونشان دہلی[2]

محيت دلـــهى بـــتمامها حتى أصبحت كأنها

لم تكن وما كان هناك وجودى إلا بوجود دلهى

والقصيدة الثالثه لشاعرنا السيد ظهورالحق أديب سهيل في رثاء "داكا" التى سميت: "ميرا شهر" فهي وقعت بأسلوب تلقائى مباشرلسان الإنسان الذى يخاطب إنساناً آخر.

وثانيهما: القصائد التى اختارأصحابها لبيان عواطفهم وإرسال أفكارهم دورالحيوان.

وهذا ما نلاحظه عند شاعرنا مراد شاه في رثاء "لاهور" فلجأ لذكرمفاسد المدينة وأحوال النقمة التى حلت بها إلى ذكر دورطيرمعروف بالخسة واللؤم وهو

1 ـــــ كليات داغ، ص: 392.

2-كليات داغ، ص 310.

الذباب، الذى يزعج الناس إزعاجا مع صغره وضعفه حتى أنه أطلق عليها اسم "مگس نامه" أى حالة الذباب

وتبدأ بالمقدمة الطويلة ثم تتناول بعض أسباب فساد المدينة.

إلى أن دخل في صلب الموضوع بقوله:

اب مکھیوں سے ہیں سب ناچار ہیں یہ گردن پہ آہ سب کی سوار

نہیں آرام ان سے رات اور دن کھا گیئں کان سب کے کر بھن بھن[1]

كل شخص كان عاجزا أمام الذبابة كل شخص كان يشتكى

ليس هناك راحة في اليوم ولافي الليل طنين الذباب قد ضيقت الحياة

وفي القصيدة الثانية التى سماها الشاعر "موش نامه" بدأ بذكر الجرذان مباشرةوختمها بالدعاء وطلب التخلص من الجرذان وتحدث في تفاصيل الأحوال المتغيرة في المدينة طيلة القصيدتين في صورة الذباب والفأر ولا يعلم أحد من نص القصائد وشكلها بأن الناظم قد استعارهذا الحيوان لبيان عمليات أمراء السيخ الذين كانوا مثل الحيوان المذكور في الدناءة والنفاق. والقصيدة الثالثة لشاعرنا أديب سهيل الذى أبدعها على اسم آفة من الآفات السماوية وهي الطوفان وليس طوفان عام فحسب بل "طوفان نوح" المعروف في التاريخ البشرى.

1–نامہ مراد، ص. 33.

والقصائد سهلة الألفاظ والتراكيب مع حسن الانتقال والترابط المحكم بين أجزائها على الرغم من طولها، وهي واضحة المعاني، ورصينة السبك، بعيدة عن الاغراق في الخيال.

ونلاحظ في قصائدنا ما يوحيبأن مبدعيها كانوا موجودين في المدن المدمرة وقت الحوادث وشاهدوا ما حدث لها عن قرب، وحزنوا عليها حزناًعظيماً. ويشعرمن يقرأ القصائد بصدقهم في العاطفة واللوعة لمدنهم وهذا هو المقصود من الإبداع الشعرى.

المطلب الثالث: خواتيم القصائد باللغة الأردية

قد فَصّلنا القول في أهمية الخاتمة من أجزاءالقصيدة عندماتحدثناعن شكلالقصيدة في الباب الأول، والآن ندخل في الموضوع من غيرتمهيد أومدخل.

فخواتيم قصائد اللغة الأردية التى اخترناها للدراسة في هذه الأطروحة تنقسم إلى ثلاثة أقسام، وهي خاتمة القصيدة بالدعاء، وخاتمتها بالدعوة إلى تحقيق الوحدة بين صفوف المسلمين، وخاتمها بالحزن والبكاء والحيرة واليأس كمانفصلها فيما يلى بالنماذج.

خاتمة القصيدة بالدعاء:

وإن ذهب بعض النقادإلى أن خاتمة القصيدة بالدعاء علامة العجز والضعف، فإننا نجد مع هذا أن ثلثى الخواتيم في قصائدنا كانت تنتهى بالدعاء وهذا ما نلاحظه في قصيدتى شاعرنا مراد شاه لاهورى في رثاء لاهور، وفي خاتمة قصيدتى مرزا داغ الدهلوى في رثاء "دلهى".

يقول مراد شاه في خاتمة قصيدته الأولى "ماتم نامہ" أي حالة الذبان:

بس کر آگے نہ کہہ کچھ ان کی بات کہ مراد اب یہ ہے دعا دن رات

مکھیوں سے نجات پاویں سب رغبت دل سے کھاویں پیویں سب

شہر پر پھر وہی سماں ہووے شکل بسنے کی پھر وہاں ہووے

نہ رہے کوئی فتنہ اور فساد بے خلل شہر میں رہیں آباد

اختر نحس کا عمل جاوے سعد اختر کا دور پھر آوے

شہر میں ہو سراسر آبادی پھر وہی رونق اور وہی شادی

اور رہے اس کو تا قیام جہاں فتنہ آخر الزماں سے اماں

تا بر آوے سبھوں کے دل کی مراد قید سے رنج و غم کے ہوں آزاد[1]

تَوَقَّفْ ، لا تقل شيئا

ادعُ اللهَ يَا مُرَادُ في آناء الليل وآناء النهار

أن يـتخلص كـل شـخص مـنها

وأن يـأكل ويشرب الكل ما يُحِـبُّ

وتـعود أيـام الـمدينـة الـخالية

وتـرجع بسكانها إلى التحضر

ويمسح كليا اسـم الشغب والفـساد

ويسـتريح أهـلها من الظلـم والكساد

1–نامہ مراد، ص: 35.

ويختفي تأثـــيـــر النجم الســـئ الحـــظ

وترجع الأيـــام المحظوظة والســـعادة

وتصبح المدينة مليئة بالعمران والسكان

وتصبح معمـــورة بالروعة والابتهاج

ويبقى ثباتـــها إلـــى يـــوم القيامـــة

واحفظها من فتن الساعة،وأهـــوالها

ويحقق الكل ما يرضيه

ويتكسر أغـــلال الأحـــزان والآلام

إن الشاعر قد دعى الله سبحانه وتعالى أن يعيد مدينته إلى حالتها الأولى بجميع ما كان فيها إلى قيام الساعة وتمنى أن يمسح منها اسم الشغب والفساد ويأمن كل شخص من سكانها من الخوف والوحشة بجميع أنواعها.

إن الشاعر قد بالغ فى الدعاء وأكثر فيه،وهذا يدل على حبه الصادق لمدينته الجميلة.

وقال شاعرنا مراد شاه في نهاية قصيدته الثانية المسماة بـــ " موش نامه "أى حالة الجرذان:

یہی کہتے ہیں روز و شب سارے حق تعالیٰ چوہوں کو اب مارے

ایسا مینہ برسے اور پڑے بوچھاڑ بیخ و بنیاد ان کی دیوے اکھاڑ

مانگ تو بھی مراد اب یہ دعا ہو بھلا جس سے ساری خلقت کا

آسماں سے نزول باراں ہو ملک میں امن غلہ ارزاں ہو

محو خاطر سے کرکے خطرہ موش آٹھکانے لگیں طیور و حوش[1]

يدعو الناس كلهم أجمعون في الصباح والمساء

ربنا أذهب عنا عذاب الجرذان

افتح أبواب السماء بماء منهمر

امسح منها الأرض كلها

يا مراد ادع الله

دعاء يعم الخلق عامة

وأن يغيث (الله)البلاد

وأن يكون هذا البلد آمنا ومرزوقا

وأن تنسى الطيورخوف الجرذان من قلوبها

وترجع الوحوش إلى مساكنها

1- نامہ مراد، ص 38.

رسم الشاعر صورة إزعاج الجرذان للناس بأن يدعو كل منهم أن يذهب الله بها، ويرسل السماءعليها بماء منهمر، ويعيد البلاد آمنةً مطمئنةً مرزوقةً مأهولةً حتى ترجع الطيور والوحوش إلى مساكنها.

وكذلك تختم القصيدتان لشاعرنا مرزا داغ الدهلوى في رثاء "دلهى"

أما خاتمة قصيدته الأولى أى المسمط فيختمهابقوله:

اللّهم أعد عمران هــذ الــبلــد

اللهم أرنا هــذ البلد كما يرام[1]

اللهم أرنا هذه البلدة معمورة مأهولة

اللهم أرِنا هذه البلدة في صورة مرجوة

لقدأوجزالشاعر في دعائه ولكن رغم إيجازه فهوشامل لجميع الجوانب التى لا بد منها،لأنها عند ما ترجع إلى الحالة المرجوة للشاعر تحتوى كل ما يدعوبه الرجل منفردا، كأنه دعا لها بكل شيء في هذا الدعاء الموجز.

وسلك الأسلوب نفسه في نهاية القصيدة الثانية و أوجزفي الدعاء حيث قال:

یاخدامسجد جامع کارہے نام بلند کعبہ والے کہیں،وہ آئی اذان دہلی[2]

اللهم أبق اسم مسجد الجامع مرتفعاً ليسمع منه أناس مكة أذانِ دلهى

1–کلیات داغ، ص: 393.

2- کلیات داغ، ص: 246.

إن الشاعر قد ختم قصيدته هذه أيضا بالدعاء وركز الدعاء على بقاء المسجد الجامع واستمرار صوت أذانه حتى يُسمع صداه في جميع أنحاء العالم.

خاتمة القصيدة بالحزن والأسى:

نجد هذا اللون عند ظهور الحق أديب سهيل في قصيدته "ميرا شهر" أى مدينتى بأنه قدختم القصيدة ببيان الأحوال المتقلبة غارقا في الحسرة والحيرة يقول:

جسے ناز تھا اپنے فنِ ہنر پر

ہنر کا وہ راجا بھکاری ہوا ہے

یہ شہر ہنر ور کہ شہر گدا ہے

میرے شہر کو دوستوں کیا ہوا ہے؟[1]

من كان فخوراً بفنه

أصبح بائساً فقيراً

أهذه مدينة الفنّانين أم مدينة المُتَسَوِّلِين

أخبرونى أصدقائى! ماذا حدث بمدينتى؟

ويظهرمن الأبيات المذكورة صورة أحوال أهل المدينة بأنها تغيرت تماماً حتى أصبح أعزة أهلها أذلة والفنانون والصناع أصبحوا عاطلين متسولين.

1- بکھراؤ کا حرف آخر، ص: 34، 33.

قد أحاط الشاعرَ هذا الموقفُ وأمثالُه بالحيرة حتى عاد إلى ما بدأ به القصيدة قائلا:

أخبرونى ما ذا حدث بمدينتى؟.

خاتمة القصيدة بالدعوة إلى الوحدة والاتحاد.

وانتهاءالقصيدة بالدعوة إلى الوحدة الاتحاد، والحزن على الفرقة والاختلاف ونلاحظهعند شاعرنا أديب سهيل في قصيدته الثانية (طوفان نوح) فهو يظهر القلق والحزن على فرقة القوم واختلافهم فيما بينهم ويتمنى أن يرى القوم جميعهم متحدين مجتمعين على كلمة واحدة وفكرة واحدة يقول:

میرا غم یہ ہے کہ برسوں بیشتر

اک کا غم سب کا غم ہوتا تھا سب

ایسے عالم میں نظر آئے تھے یکسر احتجاج

آج کیوں یہ اپنا سرمایہ نہیں

میرا غم بس اس قدر ہے ساحلی بستی پہ ٹوٹا جو صعوبت کا پہاڑ

کیوں میرے احساس پر اس کا اثر رائی برابھی نہیں[1]

وحزنى أننى قبل سنوات طوال

1-بکھراؤکا حرف آخر، ص: 57، 56.

كدرواحد كان كدر كل شخص

في هذه الحالة كل شخص كان يظهر صورة الاعتراض

لماذاتركنا هذاالتعامل بيننا

حزنى الوحيد هو أنه أصابت الأحزان قرية الشاطىء

فَلِمَ لَمْ أحس بذلك.

وقد تفرد شاعرنا بهذه الخاتمة الفكرية الداعية إلى توحيد الصفوف والابتعاد عن الفرقة والاختلاف وقد أظهر الشاعر حزنه العميق على تشتت قومه، وسبب هلاك قرى الشاطىء وتفرقهم، واتباعهم الأهواء المختلفة وجهد كل رجل منهم لنفسه فقط، والشاعر يريد أن يعتبر قومه بهذه الحادثة الكارثة، وأن يوحدوا كلمتهم ويجمعوا شملهم كماكانوا يعيشون قبل بضع سنوات.

المبحث الثاني: موسيقى القصائدالمختارة

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: وزن القصائد

المطلب الثاني: قافية القصائد

المطلب الثالث: روي القصائد

المطلب الأول: وزن القصائد

يتناول هذا المبحث أوزان القصائد المختارة للدراسة في هذه الأطروحة مع توضيح ملائمتها للموضوع الأساسي وبيان مناسبتها لمواطن الرثاء وكذلك يبحث عن روى القصائد وتوافقه وعن القافية ومناسبتها للدلالة على أحاسيس قائليها.

وقد تحدثنا بالتفصيل في الباب الأول عن أهمية الوزن ووظائفه، ومعنى القافية والروي لغة واصطلاحاً مع تفصيل أقسامهما وأهميتهما في العمل الأدبي، في المبحث الذى يتناول موسيقى القصائد هناك، فلا حاجة إلى تكرار تلك التفاصيل هنا، فندخل مباشرة في الموضوع.

فالبحور التي استخدمها شعراؤنا في إبداع القصائد الستة التي اخترنا ها للدراسة في هذا البحث أربعة وهى: بحر الخفيف، وبحر الرمل، وبحر المجتث،وبحر المتقارب.

وقدأُبدِعَتِ قصيدتانِ من قصائدنا على البحر الخفيف[1]وهما قصيدتا

---

1 – سمي خفيفا لأن الوتد المفروق فيه اتصلت حركته الأخيرة بحركات الأسباب فخفت، وقيل سمّي خفيفا لخفته في الذوق والتقطيع، لأنه يتوالى فيه لفظ ثلاثة أسباب، والأسباب أخف من الأوتاد. انظر علم العروض التطبيقي، د نايف معروف، ود/عمر الأسعد الدكتور نايف معروف، الدكتور عمر الأسعد طبعة سنة 1407ه، دارالنفائس، بيروت.، ص: 278.

شاعرنا مراد شاه في رثاء لاهور أي "مگس نامہ" و"موش نامہ" ومطلع القصيدة الأولى:

شہر لاہور قبۂ اسلام روشن آفاق میں ہے جس کا نام

خوبی اس کی تھی شہرہ آفاق حسن کا اس کے تھا جہاں مشتاق[1]

إن مدينة "لاهور" مئذنة الإسلام

اسمها يشرق في الآفاق

كانت مستجمعة للحسن في الدنيا

كل العالم كان مغرماً بجمالها

ومطلع القصيدة الثانية :

موش اس افراط سے ہوئے امسال کہ زمیں ہے بصورت غربال

ہر جگہ موشکا ٹھکانہ ہے یہ زمین ہے کہ موش خانہ ہے[2]

ترى كثرة الجرذان في هذه السنة

أصبحت الأرض مثل المنخل

لايرى في كل ناحية غير الجرذان

ووزن البحر الخفيف:

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

1 - نامہ مراد، ص: 32، 33.

2- نامہ مراد، ص: 35.

الأرض كلهاأصبحت بيت الجرذان

ربما استخدمه الشاعرفي قصيدتيه لخفته وسهولته في الذوق.

والبحر الثاني: الرمل [1] وقيلت عليه أيضاً قصيدتان وإحداهما لشاعرنا مرزا داغ الدهلوى في رثاء " دهلي " ومطلعها:

یوں مٹا جیسے کہ دہلی سے کہاں دہلی تھا مرانام ونشاں نام ونشان دہلی

لے گئے لوٹ کے اب شوکت وشان دہلی پورے پہلے اڑاتے تھے زبان دہلی[2]

محيت دلـــهى بـــتـــمامها حتى أصبحت كأنها

لم تكن وما كان هناك وجودى إلا بوجود دلهى

قـــد نـــهـــب الأوربـــيـــون روعـــــة دلهى

وهـــم كـــانـــوا يستهزؤون بلغـــــــة دلهى

والقصيدة الثانية لشاعرنا السيد ظهورالحق أديب سهيل في رثاء داكاالتي سماها "طوفان نوح" ومطلعها:

ہنستے بستے گھر، چہکتے جال

---

1 - الرمل في اللغة: الإسراع في المشي وهو سمى بهذا الاسم لسرعة النطق به لتتابع تفعيلته فيه، وهو بحر يمكن من فصيلة الرجز لانسيابه على اللسان والارتجاز به في المعارك. وأكثر يجود هذا البحر في التعبير عنه حالات الحزن والزهد وغيرها. انظر: علم العروض التطبيقي، د/ نايف معروف، ود/عمر الأسعد، ص: 2، 3.

2- کلیات داغ، ص: 310.

ماتجھی کا غرور

پکی فصلیں، جگمگاتی بالیاں، کھیت اور کھمار

دہقاں کا پیار

سن رسیدہ ببیاں[1]

إن البيوت السعيدة، والشبكة المشرقة

وفخر البَحَّار

والحصاد الجاهزة، والسَنَابل المتلألئة، والمزارع والخزاف

وحب الفلَّاح

والنساء العجائز

والبحر الثالث: المتقارب[2] وقال عليه شاعرنا السيد ظهورالحق أديب سهيل في رثاء داكا قصيدته التي سماها"میراشہر" ومطلعها:

میرے شہر کو دوستو کیا ہوا ہے؟

نہ چہرے کو لمس صبا ہے میسر

1 ـــــ بکھراؤ کا حرف آخر، ص. 53.

2 – سمي متقاربا لتقارب أوتاده بعضها من بعض لأنه يصل بين كل وتدين سبب واحد فتتقارب الأوتاد، فسمي لذلك متقاربا.ويصلح المتقارب للموضوعات التى تتسم بالشدة والقوة أكثر من صلاحه لمواطن الرفق واللين.. انظر علم العروض التطبيقي، ص: 275.

ووزن البحر المتقارب:

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن

نہ شاخوں پر اسکی کہیں فاختہ ہے[1]

أخبروني أصدقائي، ماذا حدث بمدينتي؟

لم تعد الوجوه تتمتع بالصبا

ولم يبق الحمام على الغصون

والبحر الرابع: المجتث[2]، فأبدع عليه شاعرنا مرزا داغ الدهلوى قصيدته الطويلة "مسمط شہر آشوب" في رثاء "دہلی" ومطلعها:

فلک زمین ملائک جناب تھی دلی — بہشت وخلد میں بھی انتخاب تھی دلی

جواب کا ہے کو تھا لاجواب تھی دلی — مگر خیال سے دیکھا تو خواب تھی دلی

پڑی ہیں آنکھیں وہاں جو جگہ تھی نرگس کی — خبر نہیں کہ اسے کھا گئی نظر کس کی[3]

***

كَانت مدينة دلهي السماء الأعلى

وكانت نخبة بين الجنة والفردوس

من أين يأتى مثلها،هي حيث لانظيرلها

1- بکھراؤکا حرف آخر، ص: 32.

2 – سمي هذا البحر بهذا الاسم ؛ لأن الاجتثاث في اللغة الاقتطاع كالاقتضاب، ويقع في هذه الدائرة الخفيف وهو: فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن، ويقع المجتث: مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن فلفظ أجزاءه يوافق لفظ أجزاء الخفيف بعينها، وإنما يختلف من جهة الترتيب فكأنه اجتث من الخفيف. انظر: موسعة العروض والقافية، د – سعد، ص: 81.

3- کلیات داغ، ص: 392.

ولكن عندما رأيتها بعين الخيال أصبحت حلما

تراكمت العيون حيث النرجس

ولا أعْرِفُ عيون من أصابتها

النظم الحر

والأمرالجديد عندنا في هذاالبحث ما تفرد به شاعرنا السيد ظهورالحق أديب سهيل في رثاء داكا في قصيدتيه فقد أبدع القصائد على نمط النظم الحر فلا بد لنا من ذكر بعض التفاصيل الضرورية للنظم الحر ليساعدنا على فهم شعره فنتحدث هنا عن نشأة النظم الحر وتطوره ومفهوم النظم الحر، وحقيقته، وأهم البحور التي تستخدم في إبداع هذا النظم في أغلب الأحيان:

نشأته وتطوره:

ظهرت حركة التطور والتجديد للقصيدة العربية في شتى الجوانب، ومنها الجانب العروضي والموسيقى الشعرية وبلغت هذه الحركة مرحلة متقدمة في هذاالجانب عند شعراء "مدرسة الشعر الحر، ومدرسة شعراء التفعيلة أو الشعر الحديث، وترسخت بصورة رائعة في جميع البلدان بدأ بِقُبَيْلِ نازك الملائكة، والسياب، والبياني في العراق في الأربعينيات، ثم ما لبثت هذه الدائرة إلى أن اتسعت في

الخمسينيات فضمت إليها شعراء مصريين آخرين مثل صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي، وفي لبنان ظهر أحمد سعيد (أدونيس)وخليل حاوي، ويوسف الخال، وكذلك فدوي طوقان، وسلمى الخضراء في فلسطين، وبرزفي الأفق نجم كل من الفيتوري،وصلاح محمد إبراهيم في السودان"[1]

مفهوم النظم الحر:

إن النظم الحرنوع شعري يعتمدعلى الشطرالواحد، ولايتقيدأشطره بعدد معين من التفعيلات، قد يرد الشطرفى تفعيلتين يليه شطرذوأربع تفعيلات، وثالث ذوتفعيلة واحدة وهكذا كما يذكر فى كتب العروض والنقد. قالت نازك الملائكة "هو شعر ذو شطر واحد ليس له طول ثابت، وإنما يصح أن يتغير عدد التفعيلات من شطر إ لى شطر ويكون هذا التغيير وفق قانون عروضي يتحكم فيه"[2]

وقال الأستاذ يوسف أبو العدوس "إن الشعر الحر شكل من أشكال الشعر العربي الحديث وليس خارجاًعلى أصوله أومطلقاً على أصوله كل الإطلاق، فهو موزون، ويجري على موازين العرب الشعرية، والفرق هو أن الشعرالقديم يعتمد على

1-نشأة الشعر العربي السعودى واتجاهاته الفنية، د/ مسعد محمد زياد انظر الموقع: www.islamcountry.com، ص: 1/ 56.

2 - قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة الطبعة الأولى 1962م، دار النهضة، بغداد، ص: 50.

البيت ذي الشطرين، في حين يعتمد الشعر الحر على التفعيلة،والقافية ركن مهم في موسيقته لأن القافية تكسب الشعرجمال الوقع وعلو النبرة، ولكنها ليست رتيبة كما هي في الشعر العمودي، ولايشترط أن تكون موحدة"[1]

حقيقة النظم الحر:

أما حقيقة النظم الحر وجوهره فهو التعبيرعن معاناة الشاعرللواقع الذي تعيشه الإنسانية المعذبة، وموضوعاته هي موضوعات الحياة عامة، تلك الموضوعات التي تعبر عن لقطات عادية تتطور بالحتمية الطبيعية لتصبح كائناً عضوياً يقوم بوظيفة حيوية في المجتمع،ومن أهم تلك الموضوعات ما يكشف عما في الواقع من الزيف والضلال، ومواطن التخلف والجوع والمرض، ودفع الناس على التغييرإلى الأفضل.[2]

1- موسيقى الشعر وعلم العروض، د- يوسف أبو العدوس، الطبعة الثانية سنة 1998 م، المكتبة الأهلية للنشر والتوزيع، ص: 165.

2 – نشأة الشعر العربي السعودى واتجاهاته الفنية، د/ مسعد محمد زياد، ص:61/1.

أهم البحور التي كتب النظم الحر عليها:

ويبدع النظم الحر في ثمانية بحور عموماً وهى: الكامل، الرمل، الهزج، الرجز، المتقارب، المتدارك، السريع، الوافر، وتسمى البحور الستة الأولى: البحور الصافية وهي التي يتألف شطرها من تكرار تفعيلة واحدة ثلاث مرات وهى:الكامل وتفعيلته: متفاعلن متفاعلن متفاعلن، والرجز وتفعيلته: مستفعلن مستفعلن مستفعلن،والرمل وتفعيلته: فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن،والهزج وتفعيلته:مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن،أو من تكرار تفاعيل أربعة، وهي المتقارب وتفعيلته: فعولن فعولن فعولن فعولن، والمتدارك وتفعيلته: فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن، أما البحران السابع والثامن(السريع والوافر) فهما من ضمن البحور الممزوجة التي يتألف الشطر فيها من تفعيلتين الأولى منها مكررة والثانية مفردة، فشطرالسريع: مستفعلن مستفعلن فاعلن، وشطرالوافر: مُفَاْعَلَتُنْ مُفَاْعَلَتُنْ فعولن.

وهناك مباحث كثيرة عن النظم الحر من دوافع نشأته وخصائصه وميزاته، ومسمياته ومالإلى ذلك ممالاداعي لعرضه هنا.

ونتوجه إلى دراسة النظم الحرلشاعرنا أديب سهيل الذي قال شعره على هذا النمط الشعري الحديث.

وقد أبدع هذا الشاعر الحر الحديث معظم القصائد من ديوانه "*بکھراؤ کا حرف آخر*" على هذا النوع الشعري الجديد، ومن بين تلك القصائد القصيدتان اللتان تناول دراستهما هذا البحث.

أماالقصيدة الأولى منهما، قصيدته التي سماها "*میراشہر*" أى مدينتي، فهي على البحر المتقارب، وهو من البحورالتي يتألف شطرها من تكرار تفعيلة واحدة كمامر. ربما اختار الشاعرهذاالبحر لأنه كان في شدة الحزن والأسى، غارقاً في الصعوبات والآلام، ومنغمساً في المشاكل لدمارمدينته ومشاهدة فسادها فكان هذا البحر أوفق البحور لهذه الحالة النفسية لكونه ذا تفعيلات قصيرة متتالية.

والوزن الأساسي للقصيدة الثانية "*طوفان نوح*" هو البحر الرمل،وهو أيضاً من البحور التي يتألف شطرها من تكرار تفعيلة واحدة.

فهذا البحر أيضاً كان ملائماً لحالة الشاعر النفسية، لأن الرمل في اللغة: الإسراع في المشي[1] وهو سمى بهذا الاسم لسرعة النطق به لتتابع تفعيلته فيه، وهو بحر يمكن من فصيلة الرجز لانسيابه على اللسان والارتجاز به في المعارك. وأكثر

1 – لسان العرب، ابن منظور، تحقيق:أمين محمد عبد الوهاب – محمد الصادق العبيدي، الطبعة الثانية 1997م، دار إحياء التراث العربى، بيروت انظر: مادة رمل.

ما يجود هذا البحر في التعبيرعن حالات الحزن والزهد وغيرها[1]. لذلك كان هذاالبحرمناسباً لحالته الداخلية.

1 – علم العروض التطبيقي، د/ نايف معروف، د/عمر الأسعد، ص: 34.

المطلب الثاني: قافية القصائد

إن الهيكل الفني للقصائد الأردية يختلف عن هيكل القصائد العربية. فقصائدنا العربية كلها كانت على هيكل القصيدة العمودية القديمة وكانت قافيتها موحدة كما هو شأن القصيدة العمودية حيث تكون القافية واحدة في جميع القصيدة كما مر في الباب الأول.

أما قصائدنا باللغة الأرديةفتتناول الأشكال الفنية المختلفة لذلك يختلف نظام القافية هنا عما سبق والقافية عند شعراء العجم عبارة عن مجموع ما يتكرر من الألفاظ المختلفة بحسب اللفظ والمعنى، أو بحسب اللفظ فقط، أو تبعا للمعنى فقط. تلك الألفاظ الواقعة في أواخر مصاريع الأبيات أو ما هو بمنزلتها، وذلك بشرط أن تكون مجموعة من حروف وحركات معينة مثل: روى، وتأسيس وإشباع فيقال للكلمة كلها قافية، ويقول بعضهم فقط حرف الروى بطريق المجاز بناء على قول الجمهور[1].

أما القصيدتان في رثاء لاهور لشاعرنا مراد شاه فكلاهما على هيكل المثنوى، فيحمل كل بيت من أبياتها قافية منفردة عن الآخر.

1- موسوعة كشاف اصلاحات الفنون والعلوم ــ محمد بن على التارونى الحنفى، تحقيق: د/على دحروج ــ الطبعة الأولى 1996م ــ مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ص: 1298/2.

أبدع مرزا داغ الدهلوي إحدى القصيدينعلى هيئة المسمط يعنى كل قطعة منها يتضمن ثلاثة أبيات وستة أشطرفيتحدالبيتان الأولان في القافية حينمايختلف البيت الثالث الأخير في القافية فجميع القصيدة على هذا النمط.

وقصائد رثاء داكا هي تختلف تماما عن جميع القصائد لأنها قيلت على نمط النظم الحر.

أما قافية قصائد مرزا داغ الدهلوى من حيث الإطلاق والتقييد فقافية قصيدته العمودية هي مطلقة تماما من البداية إلى النهاية حيث يقول:

یوں مٹا جیسے کہ دہلی سے گمان دہلی — تھا مرا نام ونشاں نام ونشان دہلی

دلی والوں کے لیے تازہ بنے گی جنت — لے گئے سر پہ ملک تخفہ مکان دہلی[1]

أما قافية القصيدة الثانية أى مسمط شهر آشوب فهي أيضا مطلقة في معظم المقطوعات، يمكن أن نقول:إن القافية المطلقة تساوى التسعين من المائة تقريبا بالنسبة إلى المقيدة ومنها الأمثلة الآتية :

فلک زمین ملائک جناب تھی دلی — بہشت وخلد میں بھی انتخاب تھی دلی

جواب کا ہے کو تھا لاجواب تھی دلی — مگر خیال سے دیکھا تو خواب تھی دلی

پڑی ہیں آنکھیں دہاں جو جگہ تھی نرگس کی — خبر نہیں کہ اسے کھا گئی نظر کس کی[2]

1 – کلیات داغ، ص: 310.

2-کلیات داغ، ص: 392.

زمیں کے حال پہ اب آسمان روتا ہے ہر اک فراق مکین میں مکان روتا ہے

نہ طفل و عورت و پیر و جوان روتا ہے غرض یہاں کے لیے ایک جہان روتا ہے

جو کہیے جوشش طوفاں نہیں کہی جاتی یہاں تو نوح کی کشتی بھی ڈوب ہی جاتی[1]

ولكن استخدم الشاعر في بعض المواطن القافية المقيدة ومنها:

رہی نہ آدھی یہاں سنگ و خشت کی صورت بنی ہوئی تھی جو ساری بہشت کی صورت

لٹے ہیں گھر دل خانہ خراب کی صورت کہاں یہ حشر میں توبہ عذاب کی صورت[1]

وأما قصيدتا مراد شاه فتدوران بين الإطلاق والتقييد بالتساوى،ومن القافية المطلقة أبياته:

اصفہاں ہے جو ایک نصف جہاں خوبیوں میں نہ تھا کچھ اس کے کلاں

تھا بہشت بریں بروئے زمیں عجب انسان تھے اس مکاں کے مکیں[2]

دن کو کیا کہئیے بات کھانے کی اٹھ گئی رسم ہی پکانے کی

خشک روٹی کہیں پکاتا ہے کس مصیبت سے وہ بھی کھاتا ہے[3]

ہر جگہ موشکا ٹھکانہ ہے یہ زمین ہے کہ موش خانہ ہے[4]

ومن القافية المقيدة : أبياته، مطلع القصيدة الأولى "مگس نامہ"

1-المصدر السابق، ص: 393.

2 - نامہ مراد، ص 32.

3 - نامہ مراد، ص: 33.

4 - المصدر السابق ص: 35

شہر لاہور قبۂ اسلام روشن آفاق میں ہے جس کا نام

خوبی اس کی تھی شہرہ آفاق حسن کا اس کے تھا جہاں مشتاق[1]

وكذلك مطلع القصيدة الثانية، موش نامة

موش اس افراط سے ہوئے امسال کہ زمیں ہے بصورت غربال

لیکے جموں سے تاحد لاہور ہے زمیں رشک خانہ زنبور

او فتادہ زمیں سے لے تاگشت ان سے خالی نہیں ہے اک بالشت[2]

والقافية المطلقة هي أنسب وأولى للموضوع الأساسى أى الرثاء والبكاء لكونها مساعدة على رفع الصوت وتمديده وقت الصراخ والاستغاثة والبكاء الذى يتسبب عن الأحزان، وأيضاً يحمل على تخفيف الخفقات النفسية الداخلية .

وأما قافية قصائد شاعرنا أديب سهيل في رثاء داكافهي مختلفة عن التى سبقت لأن هذه القصائد قيلت على نظام الشعر الحر فقافية النظم الحر مختلفة عن قافية النظم العمودى القديم كما قال دــ عز الدين إسماعيل "فالقافية في الشعر الجديدــ بباسطةــ نهاية موسيقية للسطر الشعرى هي أنسب نهاية لهذاالسطر من الناحية الإيقاعية، ومن هنا كانت صعوبة القافية في الشعر الجديد وكانت قيمتها الفنية كذلك... فهي في الجديد لا يبحث عنها في قائمة الكلمات التى تنتهي نهاية واحدة

1 - المصدر السابق، ص 32.

2 - المصدر السابق، ص: 35.

وإنما هي كلمة "ما" من بين كلمات اللغة يستدعيها السياقان المعنوى والموسيقي للسطر الشعرى، لأنها هي الكلمة الوحيدة التي تضع لذلك السطر نهاية ترتاح النفس للوقوف عندها"[1]

وهذا مانلاحظه في الأبيات الآتية من قصيدة أديب سهيل المسماة "ميرا شهر" فقد وقف عند الكلمة التي مالت طبيعته إلى الوقوف عليها:

شب وروز ہر رہ گذر میں

ہر اک عمر کے سیکڑوں ہاتھ پھیلے ہوئے ہیں

بچے طفل، مایوس باپ اور خزاں بخت مائیں

سوالی بنے ہیں

جسے ناز تھا اپنے نقد ہنر پر

ہنر کا وہ راجا بھکاری ہوا ہے

یہ شہر ہنر ور کہ شہر گدا ہے

میرے شہر کو دوستوں کیا ہوا ہے؟[2]

ومن القصيدة الثانية : "طوفان نوح" يقول الشاعر :

بچ گئے طوفان سے جو چند اک نفوس

1- نشأة الشعر العربى السعودى واتجاهاته الفنية د/مسعد محمدزياد، ص: 63/1.
2- بکھراوکا حرف آخر، ص: 34، 33.

اپنے حلیے میں وہ اپنے جد امجد آدم وحوا سے کچھ بھی

کم نہ تھے

جیسے وہ اس دور کے آدم نہ تھے [1]

1- بکھراؤ کا حرف آخر، ص: 55-

المطلب الثالث: روى القصائد الأردية

الروي في الشعر: هو حرف القافية الذي يلتزم الشاعرإعادته من أول القصيدة إلى آخرها كما قال حازم القرطاجني : إن الروي هوآخرحرف صحيح في البيت تبنى عليه القصيدة.[1]

وصوت الروي يكشف عن نفسية صاحبه، وتكرر فيه ظلال من نفسية الشاعر وأحاسيسه.[2]

فالدلالة الصوتية تعكس ملامح الشخصية خلال صفات الحروف من جهر وهمس وغيرها[3] التي لها دور في دلالة الكلمات على جوالشاعر الذي قال فيه والحالة الداخلية التي لحقته لأي حادثة من الحوادث.

وحرف الروي عندنا في القصائد الأردية مجموعة من حروف الهجاء الساكنة وجميع حروف اللين. ومن الأصوات الساكنة المجهورة : "ب ج د ر ل م ن "[1]

1- منهاج البلغا ء وسراج الأدباء، حازم القرطاجنى، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، 1966م المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، ص: 34/1.

2 - الصورة في شعر الرثاء في العصر الجاهلي، ص: 268.

3 - المرجع السابق، ص: 274.

والأصوات المجهورة أوفق لحالة البكاء والرثاء وكذلك للصراخ والاستغاثة.ولذلك يكثر مجيئها روياً فى هذه الأغراض.

ومن نماذج ورودها فى القصائدالمذكورة ما نجده في أبيات مرد شاه التالية :

شہر تھا یہ کہ کان علم و ادب کان کیا بلکہ جان علم و ادب

آتش جوع نے کیا جگر کو کباب جس کے دل کو کیا سو ہو بیتاب [2]

والباء من حروف القلقلة وهى مجهورة، لذلك كان اختيارها لتكون روياًمناسباً لحالة الرثاء البكاء الذى يحتاج إلى رفع الصوت وإبرازه.

والنون أيضاً من الحروفالمجهورة وقداستخدمها شاعرنا مرزا داغ الدهلوى في الأبيات الآتية :

فلک تھا خوبی حسن و جمال کا دشمن صباح عشرت و شام وصال کا دشمن

عدوئے اہل کمال اور کمال کا دشمن غرض کہ اب تو ہوا جان و مال کا دشمن [3]

ونكتفي بهذين النموذجين للأصوات المجهورة،والآن ننتقل إلى الأصوات المهموسة، فالأصوات المهموسة لها دور هام في إبراز ما في داخل نفس القائل من

1- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس طبعة سنة 1990م مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة، ص: 21.

2 - نامہ مراد، ص: 32،33.

3 -كليات دہلی ص، وفغان دہلی، ص: 52.

أحوال الحزن والألم التي تتولد من الإحساس للضعف واليأس من الخروج من تلك الأحوال.

والأصوات الساكنة التي وقعت كحرف الروى في قصائد نا هى:" ت ح خ س ش ف ق ك "[1]

فإليكم نماذج لبعض الأصوات المهموسة:

وقدجاء السين روياً في الأبيات التالية:

پیادہ پاہوں رواں شہ سوار صدافسوس لہوکے گھونٹ پئیں بادہ خوار صدافسوس

ذلیل وخوار ہوں اہل وقار صدافسوس ہزار حیف دل بیقرار صد افسوس[2]

ومن مجئ الشين رويا قول الشاعر:

کھیت کھا کھاکے ہیں پلے کیاموش کہ ہیں غالب بہر طیوروو وحوش

محو خاطر سے کرکے خطرہ موش آٹھکانے لگیں طیور ووحوش[3]

وأمابالنسبة إلى أصوات اللين أوحروف اللين المستخدة روياً في قصائدنا باللغة الأردية فهي توجد بنسبة ثمانين فىالمائة تقريباًوقد لجأ الشعراء إلى

1- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: 21.

2 - فغان دہلی، ص: 55.

3 - نامہ مراد، ص: 36، 38.

استخدامها بهذه الكثرة البارزة لوضوح صوتها بالنسبة إلى صوت الحروف الساكنة مع مساعدتها على تمديد الصوت الذي يحتاج إليه المبدع عند البكاء الرثاء.

"فأوضح الأصوات هي أصوات حروف اللين"[1]

وأذكر لكل حرف من حروف اللين نموذجاً من قصائدنا المختارة:

الروى: الألف من حروف اللين كما نلاحظه عند مرزا داغ الدهلوي يقول:

فلک نے قہر و غضب تاک تاک کر ڈالا تمام پردہ ناموس چاک کر ڈالا

یکایک ایک جہاں کو ہلاک کر ڈالا غرض کہ لاکھ کا گھر اس نے خاک کر ڈالا[2]

الروى: الواو من حروف اللين: أيضاً نلاحظه عندمرزاداغ كما يقول:

عداوت فلک کینہ ساز تو دیکھو اور اس پہ اس ستم آرا کے ناز تو دیکھو[3]

الروى: الياء وهو كما نراه عند مراد شاه في قصيدته "مگس نامہ":

لے کے کاغذ پہ کلک جب رکھی لکھتے لکھتے ہی یک قلم مکھی

1 - الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: 27.(بتصرف)

2 - فغان دہلی، ص: 53.

3 - المصدر السابق نفسه.

سطر کی سطر ساری چاٹ گئی اڑ کے پھر آنکھ پر بھی کاٹ گئی

کوئی حالت نہیں ہے انساں کی اور نہ صورت کوئی ہے حیواں کی[1]

1 - نامہ مراد، ص: 34، 35.

الفصل الثالث:

الخصائص الفنية لقصائد رثاء مدن شبه القارة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: الصور البلاغية وفيه مطلبان:

المطلب الأول:الصور التي تتعلق بالمعاني

المطلب الثاني:الصور التي تتعلق بالبديع

المبحث الثاني: الصور الفنية من حيث الكلية والجزئية

وفيه مدخل ومطلبان:

المدخل: مصادر الصورة الفنية في شعر رثاء المدن الأردية

المطلب الأول: الصور ة الجزئية

المطلب الثاني: الصورة الكلية

المبحث الأول: الصور البلاغية

المطلب الأول: الصور البلاغية التي تتعلق بالمعاني

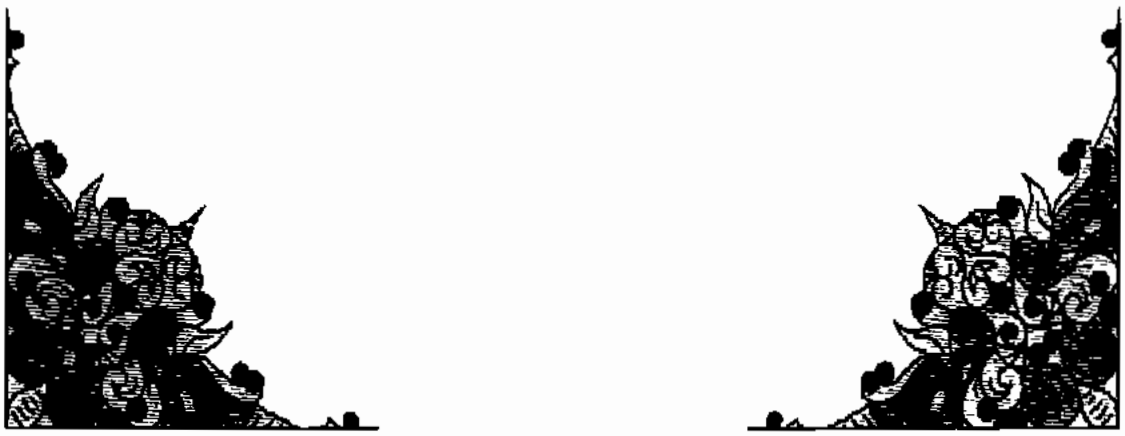

النكتة الأولى: الأساليب الخبرية

نبدأ هذا المطلب ببيان الأساليب الخبرية، ونتناول أكثرها وروداً في قصائدنا المختارة ثم نتناول الأساليب الإنشائية، ثم الصور البديعية، ومن الأساليب الخبرية :

القصر:

وقد تحدثنا عن معنى القصر لغة واصطلاحاً وأقسامه في الباب الأول فلا نكرره هنا، والآن نتعرض فقط لتحليل أهم النماذج للقصر من المادة المختارة من شعر اللغة الأردية.

ومن شواهد القصر الواردة في هذه القصائد قول: شاعرنا مرزا داغ الدهلوى.

جو کہیئے جوشش طوفاں نہیں کہی جاتی یہاں تو نوح کی کشتی بھی ڈوب ہی جاتی[1]

إن الشاعر يتحدث في البيت المذكور عن شدة النكبة وكثرة المشاكل والمصائب التى كانت مثل الطوفان، وهو يعتقد أن طوفان مصائبه كان أكبر وأشد من طوفان نوح، لأن سفينة نوح لم تغرق في ذلك الطوفان بينما يؤكد الشاعر أن نكبة بلده التى شبهها بالطوفان فى غاية الشدة لدرجة أنه لو كانت هنا سفينة نوح التى يضرب بها المثل فى النجاة ـــــــ لغرقت فيه.

1- فغان دہلی، ص: 54.

وقد بَيَّنَ الشاعرهذا المعنى بأسلوب القصر، والكلمة الدالة على القصرهنا قوله "ما" في الشطرالثانى من البيت وقصرالسفينة على الغرق لبيان صعوبة الظروف وضيق الأيام.

النكتة الثانية :الأساليب الإنشائية

الأمر:

ومن أساليب الإنشاء:الأمر: والأمر في معناه الحقيقي طلب الفعل على وجه الاستعلاء وقد يخرج عن معناه الأصلي إلى معاني أخرى تستخرج من سياق الكلام مثل الإباحة والإرشاد والدعاء والالتماس والتمني والتخييروالتسوية والتعجيزوالتهديد.[1]

وأما استعمال الأمر في قصائدنا الأردية فهو في غير معناه الأصلي في جميع المواطن.

وأذكر هنا بعض النماذج بالشرح والتحليل فيما يلي:

الأمر للدعاء: ونلاحظ استعمال الأمر للدعاء عند شاعرنا مرزا داغ الدهلوى قوله:

الٰہی پھر اسے آباد وشاد دکھلادے الٰہی پھر اسے حسبِ مراد دکھلادے[2]

اللّهـم أعد عمران هـذ البلـد

اللهم أرنـا هـذ البلد كما يرام

1- البلاغة الواضحة، ص: 179.

2 - فغان دہلی، ص: 56.

إن الشاعرقد أنهي قصيدته الطويلة "مسمط شہر آشوب" بهذا الدعاء الجميل حيث دعاالله سبحانه وتعالى أن يعيد مدينته الطيبة إلى صورتها الأولى مأهولة معمورة ومسكونة واستخدم فيه صيغة الأمر "دکھلادے" في كلا الشطرين من البيت في غير معناها الأصلى أى الدعاء الذى يفهم من سياق الكلام.

وكذلك قال في نهاية قصيدته الثانية :

یاخدا مسجد جامع کا رہے نام بلند کعبہ والے بھی کہیں وہ آئی اذان دہلی [1]

اللهم أبق اسم المسجد الجامع مرتفعا حتى يسمع أذانه أهل الكعبة

والأمر هنا أيضا مستعمل في غير معناه الأصلى لأن الشاعر استعمله في معنى الدعاء.

الأمر للإرشاد: والمعنى الثانى الذى استخدم فيه الأمر من بين استعمالاته في قصائدنا هو الإرشاد، ونجد هذا المعنى عند شاعرنا أديب سهيل في رثاء داكا وهو يقول:

دھار کر مچھلی کا روپ

کوئی وشنو بھی نہ آیا لے کے یہ چیتاونی

اپنے گھر کو توڑ کر

1–کلیات داغ، ص: 311.

سب اثاثے چھوڑ کر

اپنی ہستی کو بچانے کیلئے کشتی بنا

ساتھ ہر اک بیج لے، ذی روح جوڑے کو بٹھا[1]

إن الشاعر يتحسر لجهله بأمرالطوفان ويتمنى أنه لوأخبره به أحد من أهل الخبرة والمعرفة مثلما أخبر بعض الآلهة أتباعهم عن الحوادث والنكبات مثل وشنو الذى جاء قومه مخبرا عن الحادثة الكارثة في صورة السمك، ويتمنى الشاعر أن يأتيه أحد و يأمره بالأعمال الآتية :

اكسر بيتك

واترك الأموال والأمتعة

واصنع مركبا لنفسك

وخذ معك بذركل شيء، واركب معك زوجين من جميع أنواع الحيوان.

وصيغة الأمر المستخدمة في العبارات كلها خارجة عن معناها الأصلى أى الوجوب والمقصود منها الإرشاد والنصح كما هو ظاهرمن سياق الكلام.

النهى

ومن أساليب الإنشاء النهى: النهي هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء وهو أيضا يخرج عن معناه الأصلى إلى معان أخرى تستفاد من السياق.

1-بکھراؤ،حرف آخر، ص: 55.

واستخدم أسلوب النهي في قصائدنا مرة واحدة وهو عند شاعرنا مراد شاه في رثاءلاهور في نهاية قصيدة "مگس نامہ" حيث يقول:

بس کر آگے نہ کہہ کچھ ان کی بات کر مراد اب یہی دعا دن رات

مکھیوں سے نجات پاویں سب رغبت دل سے پیویں کھاویں سب[1]

إن الشاعر قد جمع هنا كلا من الأمر والنهي في شطر واحد، الأمر قوله "بس کر"أي اقتنع والنهي "نہ کہہ کچھ"أي لا تقل شيءاً، والشاعريخاطب هنا نفسه.فيمكن لنا أن نحمل نهيه هذا على المعنى غير الأصلي،ربما أراد منه التحقير لأنه ذكر ازعاج العدو في دور الذباب لحقارتهم وصغارهم ودناءتهم وإرادة التحقير من معانى النهي غيرالحقيقية هذاأقرب إلى الأسلوب والسياق.

الاستفهام

ومن أساليب الإنشاء الاستفهام:وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل[2] وهوأيضاً يخرج عن معناه الأصلى إلى معان أخرى تفهم من سياق الكلام مثل النفي والإنكار، والتقرير، والتوبيخ، والتعظيم، والتحقير، والتعجب، والتسوية، والتمنى، والتشويق.[3]

1- نامہ مراد، ص: 34.

2- البلاغة الواضحة، ص: 194.

3- المرجع السابق، ص: 199.

وأنا أتناول هنا بعض النماذج مما ورد من أسلوب الاستفهام في قصائدنا المختارة واخترت من مواطن الاستفهام معنيين فقط وهما "التعجب والتوبيخ".

الاستفهام للتعجب:

ونلاحظ هذا المعنى للاستفهام عند شاعرنا أديب سهيل الذى استهل قصيدته "ميراشهر" أى مدينتى بأسلوب الاستفهام التعجبى كما هو يقول:

میرے شہر کو دوستو کیا ہوا ہے؟

إن الشاعر قد افتتح قصيدته بهذا المطلع الاستفهامى وكذلك اختتمها بنفس بالعبارة والأسلوب نفسيها، كأنه كان متحيرا ومتعجبا على تغير الأحوال وتبدل الظروف إلى غاية التعجب حتى سأل الأصدقاء عن تقلب الأيام قائلا أخبرونى أصدقائى ما ذا حدث لمدينتى؟

ثم استمر في ذكر حدوث التقلبات في جميع الأشياء بالتعجب إلى أن وقف في نهاية القصيدة في مقام من الحيرة مما بدأ منه قائلا:

میرے شہر کو دوستو کیا ہوا ہے؟

ومنه قوله في قصيدته الثانية "طوفان نوح"

سب کے چہرے پر یہ لکھا تھا خدایا کیا ہوا!

سب کے چہرے تھے عجب حیرانیوں کے آئینے[1]

يذكر هنا أن الذين نجوا من الطوفان واجهوا مشاكل أكثر وأعظم ممن هلكوا فيه فرسم صورة حيرتهم ويأسهم في أسلوب الاستفهام التعجبى المذكور حيث صرح بأنه هناك كان مكتوبا على وجه كل واحد منهم ما ذا حدث في المدينة ياالله؟ وهذا الاستفهام تعجبى كما يدل عليه سياق الكلام.

الاستفهام للتوبيخ:

ومن معاني الاستفهام غير الأصلية استعماله للتوبيخ ونجد هذا المعنى عند أديب سهيل أيضاً في خاتمة قصيدته "طوفان نوح" وهو يقول:

میرا غم یہ ہے کہ برسوں بیشتر

ایک کا غم سب کا غم ہوتا تھا سب

ایسے عالم میں نظر آتے تھے یکسر احتجاج

آج کیوں یہ اپنا سرمایہ نہیں

میرا غم بس اس قدر ہے

ساحلی بستی پہ جو ٹوٹا صعوبت کا پہاڑ

کیوں میرے احساس پر اس کا اثر رائی برابر بھی نہیں

1- بکھراؤ کا حرف آخر، ص: 56.

وكلمة الاستفهام هنا "كيوں" أى "لماذا" واستخدم الشاعر هنا الاستفهام في معنى التوبيخ، لأنه يدعو المخاطبين إلى التفكير في أخطائهم من ترك الوحدة والاتحاد، وكذلك الإعراض عن النصح والإيثار وما إلى ذلك من الأخلاق الحسنة التى أدت إلى هذه النكبة وأمثالها فهو أسلوب التوبيخ والزجر. وهذا الأسلوب للاستفهام متوفر في قصائدنا باللغة الأردية وأنا أكتفي بهذا القدر من عرض النماذج.

المطلب الثاني: صورالبديع

وفيه نكتتان:

النكتة الأولى:

المحسنات اللفظية

النكتة الثانية:

ومن المحسنات اللفظية :

النكتة الأولى: المحسنات اللفظية

ومن المحسنات اللفظية :

الجناس: وهوأن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى[1]

ومن الجناس التام قول شاعرنا أديب سهيل وهويقول:

بچ گئے طوفاں سے جو چند اک نفوس

اپنے جلیے میں وہ اپنے جد امجد آدم و حوا سے کچھ بھی

کم نہ تھے

جیسے وہ اس دور کے آدم نہ تھے

فجانس الشاعر بين كلمة "آدم وآدم" و أراد من كلمة "آدم" الأولى سيدنا آدم أبا البشر عليه السلام بينما أراد من كلمة "آدم" الثانية آدمى أى واحد من أبناء آدم.

ويريد أن يبين بأن الناس الذين أصابتهم النقمة كانوا في الظاهر مثل آدم ولكن بسبب البؤس والفقر والتخلف والبطالة لا يعرف بأنه هو واحد من رجال هذا الزمان الحاضر المتقدم بل هو من أناس الأزمنة الماضية المتخلفة.

1- البلاغة الواضحة، ص: 265.

الاقتباس

ومن المحسنات اللفظية الاقتباس:وهو تضمين النثرأو الشعرشيءأمن القرآن الكريم أوالحديث الشريف من غير دلالة أنه منهما ويجوزأن يغير في الأثر المقتبس قليلاً.[1]

وأنا وجدت نموذجاً واحداً من هذه الصنعة اللفظية الفنية عند شاعرنامراد شاه في رثاء لاهور حيث يقول:

سو زمانے نے ایسی زشتی کی خوبیاس قطعہ بہشتی کی

لے کے دوزخ میں ڈال دی یکبار "وَقِنَا رَبَّنَا عَذَابَ النَّار"[2]

لما تعرض الشاعر في مقدمة قصيدته "مگس نامه" لوصف طبيعة المدينة وجمالها وفخامتها بهذه الأبيات حيث أسند دمارها وخرابها إلى الزمن الذى ألقى حسنها في جهنم فجأة واستعاذ من الله تعالى من عذاب النار مقتبساًمن الدعاء القرآني" رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ".[3]

1- البلاغة الواضحة، ص: 270.

2-نامہ مراد، ص: 33.

3- البقرة ، 201.

النكتة الثانية : المحسنات المعنوية

الطباق

ومن المحسنات المعنوية الطباق: وهو الجمع بين الشيء وضده في الكلام[1]

وقد توفر طباق الإيجاب عند شعرائناباللغة الأردية كما نلاحظه في النماذج الآتية، يقول أديب سهيل:

شب وروز کے ہر رہ گزر میں

ہر اک عمر کے سینکڑوں ہاتھ پھیلے ہوئے ہیں

جسے ناز تھا اپنے نقد ہنر پر

ہنر کا وہ راجا بھکاری ہوا ہے۔[2]

وقد طابق الشاعر هنا بين "شب" الليل" و "روز" اليوم وكذلك بين "راجا" السيد" و"بھکاری" التابع والمتسول

حسن التعليل

ومن المحسنات المعنوية حسن التعليل: وهو أن ينكر الأديب صراحة أو ضمناً علة الشيء المعروفه ويأتي بعلة أدبية طريفة تناسب الغرض الذى يقصد إليه.[3]

1- البلاغة الواضحة، ص: 281.

2- بکھرا ہوا کاحرفِ آخر، ص 34.

3- البلاغة الواضحة، ص: 288.

وقد تفرد باستعمال هذه الصنعة البديعية شاعرنا مرزا داغ الدهلوى حينما علل دمار مدينته "دلهى" حيث يقول:

دلّی والوں کیلئے تازہ بنے گی جنت لے گئے سر پہ ملک تحفہ مکان دہلی[1]

إن الشاعرقدعلَّل دمارمدينته "دلهى" وحَسَّن في التعليل وترك العلة الظاهرة المعروفة وأتى بعلة جديدة غيرمعروفة ولكن تدل على القضاء على المدينة بأسرها حيث جعل الملائكة تأخذ المدينة كما تؤخذ الهدية الثمينة محفوظة موضوعة على رؤوسها مما يؤدى إلى بناء مدينة جديدة تكون جنة لسكانها

1- كليات داغ، ص: 310.

المبحث الثاني: الصور الفنية من حيث الكلية والجزئية

وفيه مدخل ومطلبان:

المدخل: مصادر الصورة الفنية في شعر رثاء المدن الأردية

المطلب الأول: الصور ة الجزئية

المطلب الثاني: الصورة الكلية

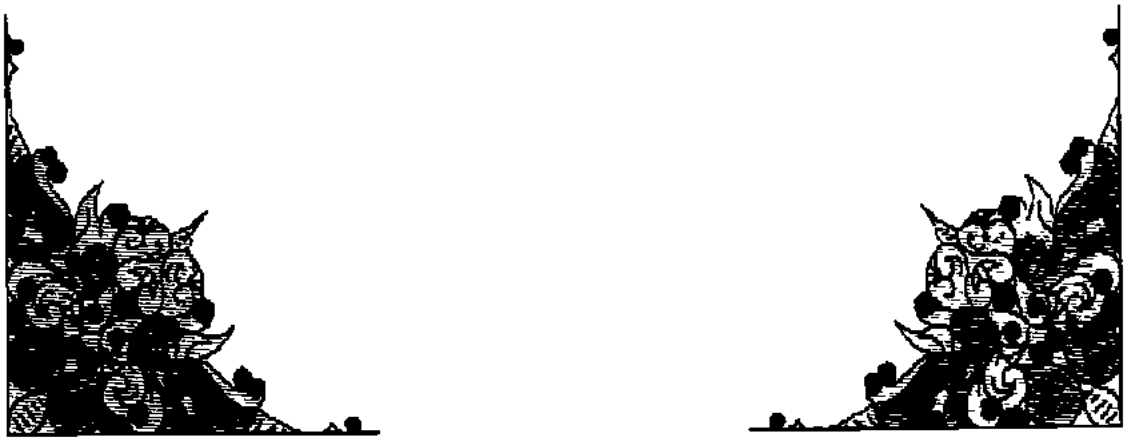

المدخل: مصادر الصورة الفنية لشعراء اللغة الأردية

لابد لنا أن نتحدث عن مصادر الصورة قبل البدء في دراستها ليسهل علينا الدخول في تفاصيلهاويتضح لناأنواعها، فلاشك أن مصادر الصورة الفنية تكون رحبة الجوانب، فسيحة الأرجاء، تجعل الشاعر يتأمل فيما حوله من أسرار هذا الكون العجيب بكل ما فيه و"يستمد الشعراء المادة الأولية لصورهم من مصادر شتى بعضها مما يعايشونه في بيئتهم كالطبيعة التى تحيط بهم، والناس الذين يتعاملون معهم والحيوانات التى يربونها أو يصطادونها، وبعضها من فعاليات الحياة الإنسانية التى ينغمسون فيها، والأنشطة التى يقوم بها المرء في حياته اليومية مثل الأطعمة والأشربة وغيرها، وبعضها من الأدوات التى يصنعهاالإنسان كالسيف والآلات الحربية الأخرى، وبعضها من الأنشطة الفكرية والحضارية كالكتابة والرسم والديانات والمعتقدات[1]

لذلك يتناول هذا المبحث صورالتعبيرالمختلفة التى صاغها الشعراء في تجاربهم الشعرية متخذين من ذاتهم ومن بيئتهم الطبيعية ما يحيط بهم من خصائص جغرافية وأنماط سلوكية شكلت حياتهم، وهم يعبرون عن تجاربهم من خلال مراثيهم

1- الصورة الفنية فى المضليات للجهنى، ص: 617/2.

الشعرية فينطلقون من ذاتهم إلى الطبيعة ليترجموا من خلالها معاناتهم النفسية والفكرية والاجتماعية،ويتخذون من بيئتهم الخاصة والعامة مصادر تصويرهم الفنى، ربما هذه المصادر أيقظت مشاعرهم وأحاسيسهم،[1]

وأعانتهم على رسم صورة مجردة لنفسهم وحياتهم. وأهم مصادر الصور الفنية عند شعراءنا في رثاء المدن تكون كالتالى:

الطبيعة :

الطبيعة مصدر رحب من مصادر الصورة الفنية التى أخذ منها الشعراء صورهم وهي تنقسم إلى قسمين الطبيعة الصامتة والطبيعة الصائتة أوالمتحركة والتفاصيل فيما يأتي:

الطبيعة الصامتة :

ومن الطبيعة الصامتة قول شاعرنا مراد شاه:

کیا بہار اس کی میں کروں تحریر شہر تھا یا مرقع تصویر

گل عزاروں پہ حسن کی تھی بہار گل تھے ہر ایک کے گلے کے ہار

رشک آبادی جہاں تھا یہ الغرض خوب ہی مکاں تھا یہ

1- الصورة الفنية فى شعر الخنساء، ص: 67(بتصرف).

جو عالم تمام دیکھ آتا سو نہ دیکھا اس کو پھر کہیں جاتا[1]

لايـمـكن وصـــف ربـيـعـها

أكانت مدينة أم كانت مجموعة صورة مرسومة

كان ربيـــع الـجـــمـــال على الزنبق

الـزهـور كـانت أكـالـيـــل كل عنق

هذه المدينة كانت سبب الحسد من المدن

باخـتصـار كانـت مـثالا نموذجيـا لها

فالذى زار العالم كله

لم يرحل إلى أى بلد بعده

لما رأى الشاعر سيطرة الخريف على الحدائق خلال النكبة بعد ما كان قد رأى ربيعها وجمالها وبهاءها وحسن مبانى المدينة وصفاءها، حتى كانت المدينة كلها مثل الصورة المرسومة، فلم يستطع أن يصبرعلى هذا السقوط والزوال، إلا أنه وصل من الماضى البهي فجأة وبدأ يحزن ويتحسر على حاضرها وحالتها الخربة، كأن طبيعة المدينة الجميلة المتحولة إلى القبح والكراهة حملته على رسم صورتها التى أتى بها في الأبيات المذكورة.

1- نامہ مراد، ص: 32، 33 .

اللون ذاته نجده عند شاعرنا مرزا داغ الدهلوى حيث يقول:

یہاں کی شام تھی مانند صبح نورانی یہاں کے ذرہ میں تھی مہر کی درخشانی

یہاں کے سنگ سے تیرہ لعل رمانی یہاں کی خاک سے ہوتا تھا آئینہ پانی

یہ شہر وہ ہے کہ سایہ بھی نور تھا اس کا چراغ رشک تجلیٔ طور تھا اس کا[1]

كان مساء هذه المدينة مثل الصباح المضئ

وكانت ذرتها تتضمنتألق الشمس

كانت الياقوتة الرومانية داكنة البشرة أمام حجارتها

كان غبارها يحول المرآة إلى الماء لخجلتها

كان ظل هذه المدينة ضياء ونورا

كان مصباحها محاكاة لمعان طورسيناء

رأى الشاعر معالم مدينة محولة ومعكوسة إلى ضدها فبدأ يصف طبيعتها الجميلة التى رآ ها قبل فسادها والمعالم الجميلة التى كانت ثابتة في عينه وهو لايكاد ينساها لأنه تربى فيها، فهويبكى على تحول طبيعة المدينة في الحاضربذكر جمالها في الماضى حيث يجعل المساواة بين صباحها ومسائها فى الضياء والنور و يعتقد أن ذرات أرضها كانت تتألق مثل الشمس، وكانت الياقوتة واللآلى الرومانية متحيرة أمام

1- کلیات داغ، ص: 334.

حجارتها، والمرآة خجلة أمام غبارها.ربما وجد الشاعر الراحة والسلوان بهذه الذكريات لطبيعة مدينته الحميلة.

الطبيعة الصائتة المتحركة :

كما اتخذ الشعراء الطبيعة الصامتة الجامدة مصدراً لصورهم الفنية كذلك اتخذوا الطبيعة المتحركة مصدرا آخر لهذه الصور الفنية.ومن الطبيعة الصائتة قول شاعرنا مراد شاه في رثاء لاهور يقول:

درد اکھلی کو اٹھا جی سے ہے چکی غصے سے دانت پیسے ہے

چھاج دانے نہیں پھٹکتا ہے گویا اس دکھ سے سر پٹکتا ہے

آسیا کے جگر میں ہے یہ سلاخ چھلنی کے دل میں پڑ گئے سوراخ[1]

يحس الهـــــــــــاون بالتألم

إن الطاحونة عضت الأنامل من الغيظ

والـمنـســـفـــة لا تـــــــذرى

بل تـــــسـرع الـرأس بـالحـزن

في كـبد الـرحى هـنـاك كرباس

إن قلـــب المـنـخـل مـثـقوب

1- نامہ مراد، ص: 38.

إن الشاعر قد اعتقد أن الجرذان لها سيطرة على طبيعة المدينة بأكملها حتى تخاف منها الأشياء الجامدة مثل الرحى والمنسفة حيث حجر الرحى يعض الأنامل من الغيظ وقت تحوله والمنفسة تُسرع الرأس وقت التذرى، وأثقاب المنخل، وترباس الطاحونة كلها بسبب الإنزعاج والخوف من الجرذان.

كأن الشاعريريد أن يوضح شدة الأحوال وكثرة الجرذان التى وصلت اعتداءاتها إلى الجمادات مثل الرحى والمنسفة والمنخل وغيرها فما بال الناس والحيوانات.

عالم الحيوان:

وعالم الحيوان ينبوع من ينابيع الصورة الفنية وميدان فسيح لها وقد توفر هذا المصدر في رثاء مراد شاه في قصيدتيه وأذكرهنا نماذج منها، وهو يقول:في الحيوانات المتوحشة :

دیکھ جنگل میں انکا یہ دنگل وحشی اب چھوڑ بھاگے ہیں جنگل

شیر سے ہیں یہ مستعد بجنگ ان کے حملے سے اب تنگ پلنگ

خوف کھاتا ہے دیکھ انکی چھیڑ بھیڑیے سے ڈرتی ہے جیسے بھیڑ (1)

وقال فى الحشرات:

1- نامہ مراد، ص: 36.

ان سے بس کھیرا مانگتا ہے اماں سانپ ہونٹوں پہ پھیرتا ہے زباں

چھوڑ بھاگا خطر سے مینڈک دم کچھوے نے دست و پا کیئے ہیں گم[1]

بعد رؤية مباراة الجرذان الفروسية

الحيوانات البرية قد تركت الغـــــابة

هـــي متأهـبـة لشن الحرب على الأسد

النمر مفـجـوع بسبب اعـتداءاتـهـا

جبنـه ظاهرومـــدرك بيسيـــــر

وهو مثـل الضـــــأن أمام الـــذئب

خدعـــت أبـــــنـــاء آوى

واستأمنت منهاالـــثـعـــالـــب

تـهـــرب الضـــــفدع منها بالغرر

الســلحفــاة اخـــتـــفت في درعها

قد استخدم الشاعر عالم الحيوان من السباع والحشرات لرسم صورة النكبة ومافيهامن شدة ونقمة.

1-المصدر السابق، ص: 36.

كأن الشاعر يريد أن يبين الفظاعة والخذلان الذى حدث بسبب الجرذان حيث إن السباع مثل الأسد والنمر والذئب كلها تخاف منها وتريد التخلص منها. الضفدع قد فقد عنه ذنبه لما هرب خوفا منها، وكذلك السلحفاة قد لبست الدرع بل تحولت إلى صورة الدرع خشية اعتداءاتها وقد نجح الشاعر في السقى من هذا الينبوع لرسم صورة الجو الحزين.

الثقافة الدينية :

إن الثقافة الدينية مصدر هام من مصادر الصورة الفنية لدى الشعراء ونلاحظ هناك ألوانا دينية متنوعة تكونت منها شتى الصور الفنية عند شعراءنا أذكر هنا بعضاً منها يقول شاعرنامراد شاه :

شہر لاہور قلعۂ اسلام — روشن آفاق میں ہے جس کا نام

خوبرو تھے حیاء سے سب موصوف — اور عاشق وفا سے تھے معروف[1]

سو زمانے نے ایسی زشتی کی — خوبی اس قطعۂ بہشتی کی

لے کے دوزخ میں ڈال دی یکبار — و قتار بنا عذاب النار[2]

1 – نامۂ مراد، ص. 32.

2 – المصدر السابق، ص: 33.

وقال أيضاً:

اور رہے اس کو تا قیام جہاں فتنۂ آخر الزمان سے اماں[1]

إن مـــدينة "لاهور" هي مـــئذنة الإسلام

اســـمها يشرق في آفـــاق العـــالـــم

وكان كل ساكن منها وسيما ومتواضعا

وكان معـــروفا بـــالإخلاص والوفاء.

انظر شناعـــة الأقـــســـومـــــة

أخـــذت جمال هـــذه المنطقة السماوية

ونبـــذتـــها فـــي الجـــحـــيم فـــجأة

وقـــنـــا ربـــنـــاعـــذاب الـــنـــار

قد تناول الشاعر في الأبيات المذكورة بعض الملامح الدينية وصرح بأن مدينة لاهور ليست مدينة إسلامية فحسب بل هي مركز الإسلام والمسلمين.وكذلك ذكربعض أوصاف سكانها الإسلامية مثل الحياء والوفاء بالعهد والصدق والأمانة، وأيضا اعتقد أن هذه المدينة الجميلة هي قطعة سماوية وروضة من رياض الجنة وذكر طرحهافي الجحيم وطبعاً كلمات: الجنة والجحيم من الكلمات الإسلاميةكذلك اقتبس من الدعاء

1- نامہ مراد، ص: 35.

القرآني: "وقنا ربنا عذاب النار" كذلك دعا لثبات المدينة وبقائها إلى قيام الساعة وحفظهامن الفتن حتى آخر الدهر. فنهاية الدنيا وفناؤها ووقوع الزلازل والفتن في آخر الزمان فكرة من الأفكار الإسلامية الدينية.

وكذلك نجده عند شاعرنا مرزا داغ الدهلوى في رثاء "دلهى" في نهاية القصيدة الرثائية حول نكبة 1857 م حيث يقول:

یاخدا مسجد جامع کا رہے نام بلند کہیے والے کہیں وہ آئی آذان دہلی[1]

اللهم أبق اسم المسجد الجامع مرتفعاً ليستمع أناس العالم آذان دلهى

ويدل هذا البيت بصراحة تامة على هوية الشاعر الإسلامية حيث يتمنى بقاء المسجد الجامع وارتفاع صدى الإعلان الإسلامي كل يوم خمس مرات المسمى بالآذان،وهذا البيت أيضاًيدل على عاطفة الشاعر الدينية الجياشة حتى ينسى كل شيء من معالم مدينته الجميلة ولا ينسى المسجد والصلاة والآذان.

وكذلك ما أهمل شاعرنا أديب سهيل في رثائه الثقافة الدينية كما يقول:

ہر طرف تھی بازگشت صور اسرافیل لہرائی[2]

أى: كان هناك صوت صور إسرافيل موجود في كل ناحية

1- کلیات داغ، ص: 395.

2- بکھراوکا حرفِ آخر، ص: 54.

والفناء الكامل لهذا العالم والقضاء عليه قضاء شاملا،وكذلك نفخ صور سيدنا إسرافيل عليه السلام عقيدة من عقائد الإسلام استعان به الشاعر فى رسم صورة الفناء والدمار الكامل بسبب النكبة التى شاهدها في حياته بعين رأسه.

الثقافة الزراعية :

قد استقى الشعراء من ينابيع الثقافة الزراعية في تكوين صورهم الفنية خلال رثاء مدنهم وأذكر بعض النماذج لسقيهم من هذه العين الجارية، قال شاعرنا مراد شاه في رثاء لاهور:

جو زمیندار کھیت بوتا ہے — ہاتھ دھر سر پہ اپنے روتا ہے
شاخ باہر جو سر نکالی ہے — یک قلم جو ہے کاٹ ڈالی ہے
جاکے دیکھو اگر زراعت ماش — اور ڈھونڈو بصد ہزار تلاش
نظر آتی نہیں پھلی یا پھول — اڑتی ہے کھیت میں خاک اور دھول
گر کہیں کچھ جوار مکی ہے — پیٹ میں انکے کچی پکی ہے
تھا جو دھقان نے بویاں چینا — ان کے دادا کا تھا گویا دینا
کھیت جس جا پہ پنشن کا ہے — مال ان کے گویا پدر کا ہے[1]

1- نامہ مراد، ص 37.

إنكل ما يــزرعـــــــه الفلاح

يحرم منه ويبكى بــشكل يــائس

الفرع الــذى يظـــهـــــــــر

الــجـــــرذان تــقطــعه فـــوراً

إذا تنظر هـــــناك حقل العدس

وتبحث عنه مـــــرارا وتكــرارا

لاتــجـد ســــــــنبلة منه ولاحبة

حتى تجدها محولة إلى الغبار والقذارة

إذا كان هناك بعض الذرة أوالحنطة

هي في بطونها ناضجة كانت غير ناضجة

كــل شيء يزرعه الفــلاح حيثما

كان يتــصــــرفن فيه كملكية أجــدادها

يتصرفــن في حــقـــــــل المــصان

كأنه كان مــوروثالهــا مــن آبــائها

إن الشاعر قد ذكر صورة الزراعة الخربة بسبب كثرة الجرذان لبيان سيطرة الفساد على جو المدينة كلها كأنه يريد أن تقاس أحوال المدينة الصعبة بصورة أحوال

الزراعة المفسدة بسبب اعتداءات الجرذان، إن الشاعر قد رسم صورة رائعة لعدوان الجرذان في الزراعات والحقول، حيث لا يكاد يظهر فرع من الزراعة حتى تقطعه الجرذان، وتحول حقل العدس إلى الغبار والقذارة وهي تتصرف في حقول الناس كمايتصرف أحد في الملكية الموروثة من الآباء والأجداد.

الثقافة التاريخية :

الثقافة التاريخية مصدرمن مصادرالصورة الفنية لدى الشعراء وقداستمدوا صورهم من الحوادث التاريخية كما نلاحظه عند شاعرنا أديب سهيل يقول في قصيدته "طوفان نوح "

ساحلوں کی ہنستی کاتی بستیاں عشتار کی مانند روتی ہی رہیں

روند کران کو روانہ ہوگیا کہسار آب

آدو و نیبو وشارو کاعتاب برلب رودِفرات

شہر شوری بک کی طرح[1]

وقرى الشواطئ الغانية السعيدة ظلت تبكى مثل عشتار

و قد سحقها ثم مشى جبل الفيضان

جاء غضب آدو نيبو وشارو مثل المدينة الآشورية.

1- بکھراؤکاحرف آخر، ص. 54.

قد استمد شاعرنا صورته من الثقافة التاريخية وقاس نكبة مدينته على الحادثة التاريخية القديمة حيث قال إنه لما أراد الإله المطلق دمار مدينة آشورية استغاثت منه عشتارالتى هي الربة اليمانية البابلية وإلهة الحب والرحمة والأنسال لمنعه عن إرادته ولكن ما منع عما أراد إلى أن دمر المدينة بأكملها فأصاب عشتار حزنٌ شديدٌ وبكت عليه بكاء[1] وكوّن شاعرنا من هذه الحادثة الأسطورية صورته الفنية ربما أراد منها السلوان وشحن الأحزان لأن التاريخ يكرر نفسه. و نابو، وشاروا أيضا من أسماء الآلهة.

وكذلك استعانبحادثة تاريخية أخرى قوله :

ساحل بنگال میں

دیوتا کوئی نہ آیا انتباہ روز طوفان کیلئے

اپنے منّوں کیلئے دھار کر مچھلی کا روپ

کوئی وشنو بھی نہ آیا لے کے یہ چیتاؤنی

اپنے گھر کو توڑ کر سب اثاثے چھوڑ کر

اپنی ہستی کے بچانے کیلئے کشتی بنا[2]

1- الموسوعة العربية العالمية، ص: 82/6 والأديان والمذاهب مادة من مواد الماجستير لجامعة المدينة العالمية، ص: 413/1.

2- بکھراؤکا حرفِ آخر، ص 55.

على شاطئ البنغال

ما جاء أحد من الآلهة للتحذير من العاصفة

للمحافظة على عبدته

ما جاء أحد في صورة السمك

ولم يأت "وشنو" بهذا الخبر

حتى ينصح، اكسروا بيوتكم

أتركوا أمتعتكم

إصنعوا مركباً لإنقاذ أنفسكم

إجمعوا كل نوع من البذرة وخذ زوجا من كل حي.

إن الشاعر يأسف لأنه لم يأت أى مخبر ومنبه على الحوادث مثلما فعل:"وشنو" الذى أحد آلهةالآشوريين، حفظ العالم من الفتن والآفات وأنقذ الأكوان.[1]

ربماأراد الشاعرمن ذكر" وشنو" النجدة والغوث من الفئة الحاكمة للخروج من المشاكل والصعوبات التى أصابته وجميع الناس خلال نكبة مدينته.

1- مجلة المقتبس ــ إصدار محمد عبدالرزاق بن محمد كرد على العدد 54 ،ص: 8 بتصرف.

مواطن اجتماع الناس: وقد استخرج الشعراء بعض الصورمن مواطن الاجتماع التي يجتمع الناس فيها لغرض من الأغراض من حفلات الزواج أولأيّ عمل من الأعمال.

وقدذكر بعض شعراءنا بأن تلك الاجتماعات تحولت إلى النياح والبكاء على فساد المدينة وأحوالها ــ وهذا ما نلاحظه عند مراد شاه في رثاء لاهورحيث يقول:

ناچتی ہیں کہیں جو کنچنیاں دیکھنے جاکے ٹک وہاں کا سماں

ہے دھیان ان کو بھی یہ تانوں میں مکھیاں پڑنہ جائیں کانوں میں

اور پاؤں کی گت سے ہے منظور مکھیاں ہوں کسی طرح دور

ناچنے کا غرض بہانہ ہے مدعا مکھیاں اڑانا ہے[1]

إن العاهـرات يـرقـصـن هـنـاك

لاحـظ بـعـين رأسـك هـذا المنظر

الـرقـص ادعـــاء فـقـــط

الداعـــي دفـــع الذبـاب فـقـــط

هن معقلات عند الغناء بين حين وآخر

لـئلا يـصـل الـذبـــاب في الآذان

1- نامہ مراد، ص: 34.

والهدف من حركة الأقـــدام المتـتالية

كانت (حركة الأقدام) حيلة لدفع الذباب

إن الأبيات المذكورة تدل على أن الشاعر قد استقى من المواطن الإجتماعية في رسم الصورة الفنية فرقص العاهرات وغناء المغنيات أمر معتاد في المجتمع الهندى في حفلات الزواج والولادة وأمثالها من مواطن الفرح والسرور، فأخذ الشاعر من تلك المواطن صورته في هذه الأبيات، وكذلك رسم صورة اجتماع النساء لجمع القطن من المزرعة وحرمانهن من القطن ثم بكائهن على اعتداءات الجرذان وإفسادها زراعة القطن حيث يقول:

عورتیں جب اکھٹی ہوتی ہیں جان کو چوہوں کی ہی روتی ہیں

جبکہ چننے کپاس چلتی ہیں کف افسوس مل کے ملتی ہیں[1]

عند ما تجتمع النساء في مـــوطـــن

يـلـعـــنُ الـــجـــــــرذانا

وإذا ذهبت النساء لقطف القطن

يرجعن بالحرمان والأسف إلى بيوتهن

1-المصدر السابق: 38.

يريد الشاعر أن يوضح بأن النساء عندما يحتمعن في موطن من المواطن من الفرح أو التعزية يتذكرن اعتداءات الجرذان ومؤامرتها، وإفسادها محاصيل الناس وأمتعتهم وما إلى ذلك.

المطلب الأول:الصورالجزئية

النكتة الأولى:التشبيه

ومن الصور الجزئية : التشبيه،ويتناول هذا المطلب أهم شواهد التشبيه وأنواعه التى استخدمها الشعراء في قصائدهم الرثائية دون التعرض لبيان معانيه وأقسامه وبلاغته ووظائفه فقد تحدثناعنها في الباب الأول فلا نكررها هنا.

ومن أنواع التشبيه الواردة في قصائدنا:

التشبيه المرسل:

ومن شواهد التشبيه المرسل قول مرزا داغ الدهلوى يقول:

یہاں کی شام تھی مانند صبح نورانی یہاں کے ذرہ میں تھی مہر کی درخشانی (1)

إن الشاعر قد تحدث عن جمال مدينته وضيائها واستخدم هنا أسلوب التشبيه المرسل، وهذا التشبيه تام أيضاً لأنه استجمع أركان التشبيه الأربعة من الطرفين وأداة التشبيه والوجه فالمشبه هنا قوله "شام" أى المساء والمشبه به "صبح" الصباح وأداة التشبيه "مانند"أى مثل، ووجه الشبه "نورانى" أى المنسوب إلى النور.

---

1 – نغمان دہلی، ص: 52.

كأن الشاعر يعتقد أن مساء دلهى كان مثل الصباح في النور والضياء، والغرض منه بيان حال المشبه مع تحسينه.ومنه قول أديب سهيل في رثاء داكا:

یہ ہے مرگ انبوہ میں غم کا عالم

کہ کہسار بھی سر پر خاشاک سا ہے[1]

إن الشاعر يتحدث هنا عن هجوم المصائب على مدينته وما أحدثته من القتل والنهب وما إلى ذلك حتى يرى الشاعر الجبال مثل الغبار والهباء المنثور أمام أثقال الهموم والأحزان. واستخدم الشاعر هنا أسلوب التشبيه المرسل ــ المشبه هنا "کہسار" الجبل والمشبه به "خاشاک" وحرف التشبيه "سا" أى مثل، وهذا هو التشبيه المرسل والغرض منه بيان تقرير حال المشبه.

التشبيه البليغ: ومن شواهد هذا النوع من التشبيه قول شاعرنا مراد شاه في رثاء لاهور:

شہر لاہور قبۂ اسلام روشن آفاق میں ہے جس کا نام

تھا بہشت بریبر روئے زمین عجب انساں تھے اس مکان کے مکیں[2]

1- بکھراؤ کا حرف آخر، ص. 32.

2- نامہ مراد، ص 32.

يتحدث الشاعر عن أوصاف مدينته بأسلوب التشبيه البليغ، لأنه ذكرالمشبه والمشبه به وحذف الأداة ووجه الشبه، المشبه هنا "شہرلاہور" والمشبه به "قبۂإسلام" والأصل: مدينة لاهور مثل القبة للإسلام في التحفظ وكذلك في البيت الثانى شبه الشاعرمدينة لاهوربالجنة بأسلوب التشبيه البليغ حيث اقتصر على ذكرالمشبه والمشبه به وترك أداة التشبيه ووجه الشبه.

وأرى أن الغرض هنا من التشبيه هو بيان مقدار حال المشبه.

التشبيه التمثيلى:

ومن أنواع التشبيه الواردة في المادة الشعرية المختارة من الشعر الأردى التشبيه التمثيلى وهوما نلاحظه في قول شاعرنا مراد شاه في رثاء لاهورحيث يقول:

شیر سے ہیں مستعد بجنگ ان کے حملے سے اب تنگ پلنگ

خوف کھاتا ہے دیکھ ان کی چھیڑ بھیڑیئے سے ڈرے ہے جیسے بھیڑ[1]

اختار الشاعر في البيت المذكورأسلوب التشبيه التمثيلى لبيان اعتداءات الجرذان وسيطرتها على جميع أنواع الحيوان حتى الأسد والذئب والفهد حيث

1- نامہ مراد، ص: 34.

يقول:إن الجرذان في استعداد للحرب مع الأسد وهوملك الغابة وسباعها، ويخاف منها الفهد ويفر منها بعد ما رأى جمعها كما يفر الضأن من الذئب.

وبَيَّنَ الشاعر فرارالفهد من الجرذان بأسلوب التشبيه التمثيلى لأن وجه الشبه هناليس بشيء واحد بل هوصورة منتزعة من متعدد مثل الخوف، السعى للفرار وغيرها من الأشياء التى انتزع منها وجه الشبه.والغرض من هذا التشبيه هو تقرير حال المشبه.

النكتة الثانية : الاستعارة

نتحدث هنا عن بعض الشواهد لأنواع الاستعارة في القصائد المقترحة ونحلل الأهم منها ومن أنواع الاستعارة الواردة في المادة الشعرية الأردية :

الاستعارة المكنية :

ومن نماذجها قول شاعرنا أديب سهيل وهو يقول:

پیڑ بھی پانی کے قدموں کے تلے روندے گئے[1]

بين الشاعر كثرة ماء الطوفان في أسلوب الاستعارة بأن شبه ماء الطوفان بالحيوان الكبير الذى يطأ الأشياء بالأقدام ثم حذف المشبه به ورمز له بما يلازمه أى الأقدام وهوعلىسبيل الاستعارة المكنية والقرينة المانعة عن إرادة المعنى الأصلى لفظية وهوإثبات الأقدام للماء.

الاستعارة المصرحة :

ومن شواهد هذا النوع قول شاعرنا مرزا داغ الدهلوى حيث يقول:

دلی والوں کیلئے تازہ بنے گی جنت لے گئے سر پہ ملک تحفہ مکان دہلی[1]

1- بکھراؤکا حرف آخر، ص: 54.

إن الشاعر قد شبه دلهى بالجنة بجامع الحسن والبهاء ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به وهو الجنة للمشبه وهو مدينة دلهى على سبيل الاستعارة التصريحية والعلاقة المشابهة والقرينة المانعة إرادة المعنى الأصلى لفظية وهونسبة الجنة إلى أهل دلهى أى"دلى والوں كيلئے"

الاستعارة الترشيحية :

ومما ورد من هذا النوع من الاستعارة قول شاعرنا أديب سهيل في رثاء داكا حيث يقول:

سامعہ سے صرف ٹکراتا تھاکالی روپ شب کا قہقہہ [2]

قد استخدم الشاعر في الشطرالمذكورأسلوب الاستعارة لبيان شدة النكبة وأهوال المصائب التى واجهها هو وجميع أهل داكافقد شبه النكبة أوالحادثة التى استعار له الفظ طوفان على الأسلوب الرمزى بالليل المظلم ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به وهو الليل المظلم للمشبه وهو طوفان ورشح الاستعارة بقوله: قهقه التى من ملائمات اليل المظلم الطوفانى.

1- كليات داغ، ص: 310.

2- بكھراڈكاحرف آخر، ص: 54.

النكتة الثالثة : الكناية

ومن الصور الفنية الجزئية الكناية ونتعرض هنا لتحليل بعض النماذج من الكناية الواردة في المادة الشعرية المختارةبصورهاالثلاثة :

كناية عن الموصوف

وكناية عن الصفة

وكناية عن النسبة

ونتناولها على نفس الترتيب

الكناية عن الموصوف:

ومن شواهد الكناية لهذا القسم قول أديب سهيل:

بعد از طوفان سارے دیس کے

دیوتاؤں میں ہے واویلا مچا

اور اپنے دیس باشی دیوتا تو بعد از طوفان بھی

جگمگاتے ہیں سر بالائے بام[1]

1- بکھرا وکا حرفِ آخر، ص: 56.

يتحدث الشاعر هنا في الأبيات المذكورة من نظمه الحر عن انشغال الأمراء والصناديد عن مشاكل الجماهير واستخدم له الأسلوب الكنائى حيث استعمل كلمة "ديوتا"أى الإله وأراد منها ولاة الأمور من الرؤساء والسلاطين لكونهم مثل "ديوتا" الإله في رعيتهم وهو كناية عن الموصوف وقال أيضاً:

کچھ تھے پانی میں کھڑے

کچھ تھے پتوں ہی کو اپنے جسم کا محرم کیئے[1]

والمراد من كلمة "محرم" هنا اللباس وهو كناية عن الموصوف ــ ومن شواهد هذا النوع من الكناية عند شاعرنا أديب سهيل قوله:

ساحلوں سے بستیوں تک سرکشیدہ تھی فقط دیوارِ آب

ہر طرف تھی بازگشت صورِ اسرافیل لہرائی ہوئی[2]

فالكلمة التى أجرى فيها الكناية هي "صور إسرافيل" فأطلق هذا اللفظ وأريد منه لازم معناه وهو الموت فظلت هذه الكناية، كناية عن الموصوف.

الكناية عن الصفة :ــ ومن شواهد الكناية عن الصفة قول مراد شاه في رثاء لاهورخلال بيان وفرة الذبان يقول:

1- بکھراوکا حرف آخر، ص: 55.

2- بکھراوکا حرف آخر، ص: 54.

اب ہیں پر مکھیوں سے سب ناچار ہیں یہ گردن پہ سب کی سوار[1]

وأجرى الشاعر الكناية في الشطر الثانى من البيت أى" ہیں یہ گردن پہ سب کی سوار" أى الذبان يركبن على عاتق جميع الناس المراد منه لازم معناه وهو غلبتهم وسلطانهم على جميع أفراد الناس وهو كناية عن الصفة ومنه قول مرزا داغ الدهلوى:

غضب ہے بخت بد ایسے ہمارے ہو جائیں کہ ہیں جو لعل و گوہر سنگ پارے ہو جائیں

جو دانے چاہیں تو فرمیں شرارے ہو جائیں جو پانی مانگیں تو دریا کنارے ہو جائیں[2]

وموضع الشاهد هو قوله "دریا کنارے ہو جائیں" إذا نطلب الماء من البحر يبعدعنا، وكون البحر على الطرف كناية عن بعده وهو كناية عن الصفة.

الكناية عن النسبة : ومن شواهد الكناية عن النسبة قول شاعرنا مرزا داغ الدهلوى :

جہاز ایسا تباہی میں آ گیا اپنا ملا نہ تخت ثری تک کہیں پتا اپنا[3]

يتحدث الشاعر في هذا البيت عن حشد المصائب والآلام في الأسلوب الكنائى بأنه نسب الغرق والهلاك إلى سفينته لا إلى نفسه وهو مثل قولك المجد بين ثوبك فإذا غرقت السفينة غرقت بما فيها فغرق السفينة غرق راكبيها فهو كناية عن النسبة.

1- نامہ مراد، ص: 33.

2- کلیات داغ، ص 332.

3- نغان دہلی، ص: 56.

ومنه قول مراد علی شاه في رثاء لاهور

یہی کہتے ہیں روز و شب سارے حق تعالیٰ چوہوں کو اب مارے

ایسا مینہ برسے اور پڑے بوچھاڑ بیخ و بنیاد انکی دیوے اکھاڑ[1]

إن الشاعر يدعو الله سبحانه و تعالى أن ينزل من السماء ماء ويقلع به بذر الجرذان وأساسها والمراد من قلع البذر وهدم الأساس قلع أنفسها فهو كناية عن النسبة.

1- نامہ مراد، ص 38.

المطلب الثاني:الصورة الكلية فى شعر رثاء المدن باللغة الأردية

قد تحدثتُ عن تعريف الصورة الفنية وفائدتها في العمل الأدبى، وكذلك تناولتُ أهمية الصورة وقيمتها في فهم النصوص الأدبية في الباب الأول.والآن أدخل مباشرة في عرض أقسامها التى استقرأتها من المادة الشعرية المختارة وتحليل نماذجها بقدرالكفاية، فأهم أقسام الصورة الفنية الكلية التى استخرجتها فيما يلى:

النكتة الأولى:الصورة الممتدة

أماالصورة الممتدة فهي التى تتكون من عدد من الصور الجزئية التى تنتمى إلى صورة كلية ويعبر فيها الشاعر عن موقف من المواقف. [1]

وهي تمتد لتشمل مجالاً واسعاً من المشهد الذى تنقلنا إلى طبيعته حيث يستغرق الشاعر في تفاصيل هذا المشهد، ويتتبع عالمه، ويرصد حركاته، فتمتد الصورة خلاله امتدادا مطردا لتصل في النهاية إلى صورة متكاملة. وقد يقتصرامتداد الصورة على بيتين أو ثلاثة وقد يمتد حتى يشمل أغلب أبيات القصيدة أو المقطوعة.[2]

1- الشعر الجاهلى قضاياه وظواهره، ص: 31/8 .

2- الصورة الشعرية فى شعر بشر بن أبى خازم الأسدى. إعداد عالى سرحان القرشى ــ جامعة أم القرى كلية اللغة العربية رسالة الدكتور،ص :207.

ومن الصور الممتدة صورة مشاعر الناس الذين نجوا من الهلاك والموت وواجهوا الصعوبات من البؤس والمرض وغيرها وهوما يلاحظ عند أديب سهيل حيث يقول:

بچ گئے طوفان سے جو چند اک نفوس

اپنے حلئے میں وہ اپنے جد امجد آدم وحوا سے کچھ بھی

کم نہ تھے

جیسے وہ اس دور کے آدم نہ تھے

کچھ کے رخساروں کی دولت تھیں عجب سی وحشتیں

کچھ کی آنکھوں کا مقدر تھیں خلا کی گردشیں

کچھ تھے پانی میں کھڑے

کچھ تھے پتوں ہی کو اپنے جسم کا محرم کیئے

اور کچھ کا بے لباسی ہی لباس

سب کے چہرے پر یہ لکھا تھا خدایا کیا ہوا!

سب کے چہرے تھے عجب حیرانیوں کے آئینے

ہر کوئی تھا اپنا غم بھولا ہوا

حلقہ ہائے آب میں بے آب مر جاتا ہوا[1]

1- بکھراؤ کا حرف آخر، ص: 55.

بعض الناس الذين نجوا من الطوفان

كانوا مثل جدهم آدم وحواء

سيطرالرعب على وجه كل شخص

والتفكر على وجه كل شخص

البعض منهم كانوا واقفين في الماء

والبعض الآخر كان لباسهم أوراق الأشجار

والبعض منهم لبسوا لباس التعرى

كان مكتوبا على وجه كل شخص!إلهي ماذا حدث؟

وكان الناس كلهم غارقين في الحيرة واليأس في موجات الماء

ونسى الكل همه

يموت فى دائرة الماء دون الماء

إن صورة الحزن والأسى وشدة النكبة والبكاء تمتد مع الشاعر حيث بدأ صورته بسيطرة الرعب ووفرة ثروة التأمل على كل شخص في المجتمع الإنسانى، ثم ذكر فقرهم وبؤسهم بأنهم كانوا بدون ألبسةحتى لجأوا إلى الأوراق لتغطية فروجهم بل اختارالبعض التعرى لباسا لهم، ثم ذكر حيرتهم إلى أن أنهي صورته بنهاية سلبية حيث أدركت كل واحد منهم موجات الماء ومات قبل موته.

وكذلك نجد وفرة الصورة الممتدة عند شاعرنا مرزا داغ الدهلوى فكل مقطوعة من مسمطه تعد صورة ممتدة. وأذكر بعضاً منها حيث يقول:

غضب ہے بخت بد ایسے ہمارے ہو جائیں کہ ہیں جو لعل و گہر سنگ پارے ہو جائیں

جو دانے چاہیں تو خرمن شرارے ہو جائیں جو پانی مانگیں تو دریا کنارے ہو جائیں

پئیں جو آپ بقا بھی تو زہر ہو جائے جو چاہیں رحمت باری تو قہر ہو جائے[1]

عـــجـــباً أصـــبحنا سيـــــئى الحـــظ

حتى تُصبحُ اليَواقيت والجوهرات حصْباء

و تُـــصـــبحُ الحَصائد جـــــمرات

تُصبحُ الأنهار ضَفّات إذا أريد الماء

إذاشربنا ماء الحياة يتحول سمّاً

وإذا طلبنا رحمة الله تنقلب قهراً

هذه المقطوعة صورة ممتدة قد رسم الشاعر فيها عظم المصيبة وصعوبة الأحوال وتقلب الأيام حيث يتعجب الشاعر على التغير الذى حدث. وامتدت الصورة فبدأ الشاعر بالحيرة على كونهم سيئى الحظ ثم ذكر تحول اليواقيت والجواهر إلى الحصباء والحصائد والمحاصيل الجاهزة إلى الجمرات إلى أن ماء الحياة أصبح سما

1- فغان دہلی، ص 56.

ورحمة الله حنقاً. ربما تندرج هذه الصورة تحت الصور النفسية حيث يستخرج منها يأس الشاعر عن رؤية المدينة على سيرتها الأولى.

النكتة الثانية :الصورة النامية

وهي صورة واحدة تتدرج في النمو حتى تصل إلى نهاية إيجابية أو سلبية ولا بد أن يكون هذا النمو يشبه بالذى يكون في النبتة التى تحيا إلى أن يدركها عهدالزوال وكذلك يجب أن يكون النمو عضويا، وإلا أصبحت صوراً تفسيرية لا نحس فيها بالحياة الداخلية[1]

وفي شعر رثاء المدن اتجهت أغلب الصور النامية إلى نمو نهايته الفناء والزواللأن الطبيعة التى يعتمد عليها شعر الرثاء طبيعة حزينة متشائمة.[2]

ومن الصور النامية في قصائدنا المختارة قول شاعرنا مرزا داغ الدهلوى حيث يقول:

جہاز ایسا تباہی میں آ گیا اپنا ملا نہ تخت ثری تک کہیں پتا اپنا
رہا نہ آہ زمانے میں آشنا اپنا بجز خدا کے نہیں کوئی ناخدا اپنا
کسی سے ڈوبے ہوئے ایسے کب نکلتے ہیں یہاں حضرت الیاس بچ کے چلتے ہیں[3]

سفينتنا مُحاطة بالكوارثِ من كل جهة

ولم نجد أنفسنا فى ماتحت الثرى

1- فن الشعر، د/ إحسان عباس، 1979م دار الثقافة، بيروت، ص: 250.

2 – المرجع السابق، ص: 250.

3- کلیات داغ، ص 395.

لم يعد خليلاً صميما لنا فى الكون

ولم نجد ملـــجـــــــأ سوى الله

من ينجى الغرقى هنا أمثالنا

ويحذر هنا نبى الله إلياس ويجتنب

يبدأالشاعرصورته في الأبيات المذكورة بإحاطة سفينته بالكوارث الشديدة حيث غرقت في المكان المخيف الذى فقد فيه نفسه حيث قام بالبحث عنها تحت الثرى فلم يجدها،وذكر عدم المساعدة وقطع الآمال من الأخلاء والأصدقاء حيث لم يكن له خل حميم في جميع العالم يساعده في هذه الصعوبة.

ولكن الشاعر أحسن هنا حيث لم ييئس من روح الله فقد رأينا خلال لتماذج الصورة الممتدة من شعره حيث تدرج الشاعر في صورته وبيَّن أمرًا يوضّح شدة أمره وقعر الحفرات التى وقع فيها بأنه وقع في المكان الذى يتجنبه سيدنا إلياس عليه السلام رغم كونه أكبر الغواصين.

وقال أيضا.

یہ وہ جگہ ہے کہ عبرت پہ عبرت آتی ہے　　یہ وہ جگہ ہے کہ شامت پہ شامت آتی ہے

یہ وہ جگہ ہے کہ آفت پہ آفت آتی ہے　　یہ وہ جگہ ہے کہ حسرت پہ حسرت آتی ہے

یہ وہ جگہ ہے کہ جہاں بے کسی بھی ڈر ڈر جائے یہ وہ جگہ ہے کہ اجل خوف کھاکے مر مر جائے[1]

تنزل هنا العبرة تلو العبرة

وتلى المصيبة مصائب

وتتحاكم الآفات هنا

وتتجثم الحسرات

يــتَخَوّفُ البؤسَ هنا

ويَمُوتُ المــوتُ هــنا خوفاً

إن الشاعر قد بين في المقطوعة المذكورة شدة الآلام وكثرة الأحزان وضيق الأيام بأسلوب رائع، وقد أتى بالتكرار الذى يفيد التوكيد. وتدرج في صورته في بيان شدة الخوف وضيق المكان حيث هو مليئ بالمصائب والعوارض موضع الأحزان والآلام حتى يخاف منه الخوف ويموت هنا الموت كما هو شأن الصورة النامية.

1- کلیات داغ، ص:393.

النكتة الثالثة :الصورة المتقابلة :

ويقصد بالتقابل هنا ما يظهر من مقابلة بين صورة وأخرى عن طريق مباينة إحدى الصورتين للأخرى مثل السلب أوالإيجاب[1]

ويعمل هذا التقابل على إظهار الشكل العام للصورة التى أراد أن ينقلها شاعر رثاء المدن.

وقد كثرت الصورة المتقابلة في شعررثاء المدن حيث يكون تدبر الحياة والموت معاً. وكذلك البقاء والفناء وهكذا وظهر أكثرُ صور الرثاء من خلال ثنائيات عدة من أمل ويأس، قوة وضعف،ومن الرخاء والشدة والسخاء والبخل وما إلى ذلك ومن هذه المقابلات قول شاعرنا مرزا داغ الدهلوي:

خداپرستی کے بدلے جفاپرستی ہے جو مال مست تھے ان کو فاقہ مستی ہے

بجائے ابر کرم کے مفلسی برستی ہے تنگ جینے سے ہیں ایسی تنگدستی ہے[2]

الإخــلاص مفقود والجــفاء مألوف أصــبح الأغنياء فقراء

وهناك الفقر بدلا عن السخاء والحياة مليئة بالفاقة والبؤس.

---

1 – الصورة لشعرية فى شعر بشر بن أبى خازم الأسدى، ص: 217.

2– کلیات داغ، ص: 393.

لقد رسم الشاعر في الأبيات المذكورة صورة الأيام الصعبة وسيطرة المشاكل والآلام على جميع المجتمع الإنسانى في صورة متقابلة بين بعض الثنائيات، فقابل بين أحوال سكان المدينة قبل الحادثة وبعدها حيث إنهم كانوا يعيشون في المدينة بالمحبة والأخوة والمواساة، وبتقوى الله والإخلاص له إلى أن تغيرت في أيام الحادثة وبعدها إلى الأوصاف والأخلاق المضادة حيث بدأ يعيش كل واحد منهم لنفسه فحسب يرى أن يريح نفسه ولا يحاول أن يريح الآخرين.

وكذلك يرى الشاعرالأحوال معكوسة فيما بين الناس، أما الذين كانوا في الرخاء والعيش المترف والحياة المرضية فالآن أصيبوا بالشدة والعيش الضيق والحياة غيرالمرضية إلى أن يفضل الناس الموت على الحياة.

وكذلك رسم الشاعر الصورة المتقابلة في المقطوعة الأخرى حيث يقول:

کھلایازہر ستم گرنے پان کے بدلے　　پلایاخون جگر پیجوان کے بدلے

نصیب دار ہوئی ہے نشان کے بدلے　　ملا نہ گور گڑھا بھی مکان کے بدلے[1]

أهدَى الظالم السمَّ للأكْل بدلاً عَن التَنْبُول

وقدم دم الكبد للشُرْب بدلاً عَن النرجيلة

أعطى الصليب بدلا عن علامة الامتياز

1- کلیات داغ، ص: 393.

ولم يعط قبراً بدلا من البيت

يذكر الشاعرهنا في الأبيات التى ذكرناها بعض المشاهد الأليمة التى لاحظها في المجتمع في أسلوب التقابل. فقد رسم الشاعر الصورة المتقابلة البديعة بين أحوال الناس بأنهم كانوا قبل النكبة يعيشون فى عزة وسيادة بينما تحولوا إلى الذل والصغار بعد النكبة،ومع ذلك أشار الشاعر إلى خدعة العدو الذي قَدَّم الأشياء الضارة في قالب مألوف متعود كما قابل بين السم والتنبول، وبين وجع القلب وماء النرجيلة، وكذلك بين الزنبق وعلامة الامتيازوالافتخار، والشطر الأخير من البيت الثاني يدل على شدة بغض العدو بحيث أنه ما رضى بإعطاء اللحد أوالقبر بدلا من البيت الثمين.

النكتة الرابعة : الصورة الكلية النفسية

هذه الصورة لا تختلف عن غيرها من الصور حسب أدوات التصوير التى يعبر بها، وهي تأتى في جميع قوالب الصورة من المباشرة أو البيانية أو الرمزية. ولكنها تختلف في تعبيرها عن المشاعر التى تنطوى عليها نفس الأديب وترسمها في صورة فنية تجسد خفاياها وتعرضها في قالب أدبى.[1]

ومن الصور النفسية التى وقعت في قصائدنا المختارة قول شاعرنا أديب سهيل:

ساحل بنگال میں

دیوتا کوئی نہ آیا انتباہِ روزِ طوفان کیلئے اپنے منّوں کیلئے

دھار کر مچھلی کا روپ

کوئی وشنو بھی نہ آیا لے کے یہ چیتاؤنی

اپنے گھر کو توڑ کر

سارے اثاثے چھوڑ کر

اپنی ہستی کے بچانے کیلئے کشتی بنا۔[2]

1- لقصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجرى، ص: 397/2.

2- بکھراوکا حرفِ آخر، ص: 55.

على شاطئ البنغال

ماجاء أي إله لتخليص عبدته من العاصفة

ما جاء أحد مثل "وشنو " في صورة السمكة

اكسر بيتك

اترك كل شيء عندك

اصنع مركباً لإنقاذ نفسك.

إن الشاعر يشكو الآلهة الذين ماأخبروهم عن العاصفة والطوفان الموبق حتى يحفظوهم منه كما فعلت الآلهة فى الأسطورةالآشورية الذين نبّهوا عبدتهم من الآفات والعواصف حتى انتبهوا ونجوا منها بسبب انتباههم، وهذا كله يدل على عاطفته الداخلية الحزينة الشاكية الغاضبة على ولاة الأمور.

وتنطق نفسية الشاعر الداخلية بأن الآلهة قد تسببت فى الهلاك والغرق والدمار والفساد.

وقال في القصيدة الأخرى:

ہر اک لمحہ خدشات کے کالے بادل سروں پر تنے ہیں

ہر اک دل میں دہشت کا دشنہ گڑا ہے

جو اک پل ہے آزاد تو دوسرے پل

سلاخوں کے پیچھے مقید پڑا ہے

رہائی اسیری کے مابین کا فرق بھی کالعدم ہو چکا ہے[1]

هناك في كل مكان ظلال الخوف

هناك في كل قلب خنجر الوحشة متجذر

وفي اللحظة الإنسان حر.

وفي لحظة أخرى خلف قضبان السجن

إن الفرق بين الحرية والعبودية قد انعدم

إن الشاعر قد رسم صورة الدهر وتقلبه، وقد عبَّر عمَّا يعانيه من الأيام كما أنه عبر عن طريقة تعامل الدهر ومعرفته الدقيقة لنفوس البشر.واعترف تقلب الدهرومداولة الأيام وعدم استقرارها للحظة حتى إن شخصاًإن كان حراً في لحظة يصبح عبداً في لحظة ثانية ويقيد خلف قضبان السجن حتى انعدم الفرق بين الحرية والعبودية، وهذه الصورة اليائسة الحزينة صورة نفسية تدل على نفسية الشاعر الداخلية.

1- بنجمر اوکا حرف آخر، ص: 32.

النكتة الخامسة :الصورة الرمزية

وهي الصورة التى تتجاوز حدود الدلالة الحسية الضيقة[1] وتعتمد على الإيحاء الرحب وليس تقديرالأفكارأوبسطها، وتتضح قيمة الرمز بفرضه للشيء كأمر واقع، فيحقق فينا مفعولاً أقوى وتأثيراً أعمق.[2] كما تبدوقيمته بما يفتحه على النص من تصورات مختلفة وإيحاءات متعددة نقف بها على أفكار ووجدانات ومواقف إنسانية، فنفهم كيف أن الرمزيحطم أطر اللغة.[3]

ويتخذ الشاعر في الصورة الرمزية في شعر الرثاء من اللغة والموروث ما يوضح به عن مشاعره وألمه وقلقه، ويفصح عما يجول في أعماق نفسه سواء أكان الرمزمعجمياً أو تاريخياً.

الرمز المعجمي: المعجم اللغوى هو المنبع الأول الذى يستخرج منه الشاعر مادة رمزه. فمفردات اللغة بأجمعها تحمل مادة جديرة بأن تصبح رمزاً دون أى مفاضلة فيما بينها.

---

1 -الرمز والرمزية فى الشعر المعاصر ــ محمد فتوح أحمد ــ الطبعة الثانية، 1978م دار المعارف القاهرة، ص: 306.

2- ديلان توماس ــ مجموعة مقالات نقدية ــ إيلدراولسون ترجمة، إبراهيم جبران، 1982م العراق دارالرشيد للنشر، ص: 82.

3- الصورة الشعرية فى الكتابة الفنية الأصول والفروع ــ د/صبحى البستانى الطبعة الأولى 1976م، دار الفكر اللبنانى، بيروت، ص: 188.

ويعود الدور في ذلك للشاعر بأنه ينـــزع اللفظة من المعجم أى من معناها الإصطلاحى ويحولها إلى رمز تتحرربه من مدلولها الضيق لتكتسب معانى جديدة وفي تأويلات لا محدودة.[1]

وفي قصائد رثاء المدن الأردية استخدم شاعرنا مراد شاه في قصيدتيه "مگس نامہ"أى حالة الذبان و"موش نامہ"أى حالة الفئران رمزاً لدناءة الأعداء ونفاقهم في عملياتهم. حتى سمى قصيدتيه بهذا الإسم الرمزى وطبعاً كلمة "الذبابة" لها دلالة معجمية حيث أطلقت على هذهالحشرة الصغيرة، فاستخرج الشاعر من تلك الدلالة رمزاً للعدو نظراً إلى دناءته وذله وصغاره، ونزعها من معناها الاصطلاحى المعجمى المعروف وأطلقها على الناس الذين كانوا يتحملون تلك الدناءة.

ولكن الشاعرقد سلك أحوط المسالك حيث إنه لم يصرح في موقف من المواقف بأنه قدأراد من هذه اللفظة معنى غير معجمى، بل تناول جميع ما تناوله لبيان أحوال المدينة الخربة في رمز الذبابة من البداية إلى النهاية إلا أن كتب التاريخ والنقد تنطق بأن الشاعر قد استخدمها رمزا لبيان أحوال عصره كما مر في التمهيد عند ترجمة الشاعر. وبين كثرة الأعداء ودناءتهم في رمز الذبابة بقوله:

اب ہیں پر مکھیوں سے سب ناچار ہیں یہ گردن پہ آہ سب کی سوار

1–الصورة الشعرية فى الكتابة الفنية (الأصول والفروع)، ص: 188.

سب پرندے خطر سے بھول گئے اور درندوں کے پاؤں پھول گئے

کوئی حالت نہیں ہے انساں کی اور نہ صورت کوئی ہے حیواں کی[1]

كل شخص كان عاجزا أمام الذبابة

هي غالبة على كل رجل

لحق الطيور النسيان لخوفها تورمت

أقدام السباع بسبب لسعها

ليس هناك صورة لحياة الإنسان

ولا سبيل لبقاء الحيوان

إن الشاعر قد بين شدة الخوف وعظم المصيبة واضطراب أحوال الناس وتقلبها، وكدر جو المجتمع وما إلى ذلك في رمز الذبابة ولا يستطيع القارئ في أول وهلة وفي بادئ النظر التمييز بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازى الرمزى الذى أراده الشاعر هنا دون أن يرجع إلى كتب التاريخ والنقد التى تبين أحوال ذلك الزمان وتحدد دلالات المفردات والتراكيب التى استخدمها الشاعر. وقد اختار الأسلوب نفسه في القصيدة الثانية التى سماها ب:" موش نامه " أى حالة الجرذان، وقد أورد جميع

1- نامہ مراد، ص: 23، 35.

التفاصيل لفساد الأحوال وخراب المدينة في بسبب الجرذان، ووضح غلبة الأعداء بأسلوب رمزی رائق كما قال:

ہوش کھوئے انہوں نے انسان کے دانت کھٹے کیئے ہیں حیواں کے

درد ہے پیٹ میں درندوں کے گھاس منہ سے گراچرندوں کے

اور حیواں سے تابہ آدم زاد کرتے ہیں ان کے ہاتھ سے فریاد

یہی کہتے ہیں روز و شب سارے حق تعالی چوہوں کو اب مارے[1]

إن الجـــرذان قـد أذهـلت كل إنـسان

وأحـبـطـت كـل حـــــــــيوان

قد عانت السباع والوحوش من عسر الهضم

وقد خرج الرعى من فم المواشى

كـل مـن الحـيوان والإنـســان

يـظهر مشاعـر الخوف والأحزان

جميع الناس يدعـون صباحا ومساء

ربنـــــا أذهب عنا عذاب الجرذان

1-نامہ مراد، ص: 36-37.

وقد ذكر الشاعر في الأبيات المذكورة سيطرة الأعداء على جميع معالم المجتمع من الإنسان والحيوان ومن السباع والوحوش وعجز الجميع أمامها ولم يكن أمامهم إلا أن يدعو الله تعالى للقضاء عليها.

الرمز التاريخي:

وهي صورة مأخوذة من المادة التاريخية مشحونة بطاقات شعورية جديدة بالإضافة إلى موروثها المعنوى وتبدو قيمة الرمز التاريخى في إسقاط إيحاءاته وأحداثه على النص الشعرى.

طبعاً قد وجد الشعراء في الموروث التاريخى وما انتهي إليه من فناء ودمار وإحباط ما يتغذى به شعرهم فمزجواالحقيقة بالأسطورة والواقع بالخيال ويؤكد هذه الفكرة قول أرسطو: "الشاعر صانع حكايات وخرافات أكثر منه صانع أشعار"[1]

وقد استقى شاعر من شعراءنا أديب سهيل من المورث التاريخى وهو"طوفان نوح" حيث سمى قصيدته بهذا الاسم وقد استمد الشاعر من هذا الرافد رمزاً لسيطرة الموت والفناء والدمار الكامل على المجتمع، وهذا ما نلاحظه فى قوله :

ساحلوں سے بستیوں تک سرکشیدہ تھی فقط دیوار آب

1- فن الشعرأرسطاطاليس ــ ترجمة: عبد الرحمن بدوى، طبعة سنة 1919م مكتبة النهضة المصرية، ص: 21.

ہر طرف تھی بازگشت صور اسرافیل لہرائی ہوئی

زندگی جس سے عبارت تھی وہی آب وہوا

ناگنوں کی طرح بل کھائی ہوئی

ساحلوں کی ہنستی گاتی بستیاں عشتار کی مانند روتی ہی رہیں

روند کران کو روانہ ہوگیا کہسار آب [1]

وقد ارتفع جدار الماء من السواحل إلى القرى

كان هناك صوت صور إسرافيل من كل ناحية

مكونات الحياة أصبحت ملفات كالأفاعى

قرى الشواطئ الغنية السعيدة راحت تبكى مثل عشتار

حتى سحقتها جبال الماء.

عندما ننظر فى العصر الذى حدثت فيه النكبة وهو سقوط مدينة " داكا " لانجد طوفاناًبهذا الشأن،وإنما هو رمز تاريخى استخدمه الشاعر للتعبير عن شدة النكبة وعن الفناء والدمار الذى أصاب كل شيء مستمداً ذلك من الموروث التاريخى.

1-بکھراوکاحرفآخر،ص: 54.

الباب الثالث: دراسة مقارنة بين الشعرين العربي والأردي

وفيه مدخل وفصلان:

المدخل: الشعر العربي والأردي في رثاء المدن بين التأثروالتأثير

الفصل الأول: مواطن التشابه بين الشعرين العربي والأردي

الفصل الثاني: مواطن الاختلاف بين الشعرين العربي والأردي

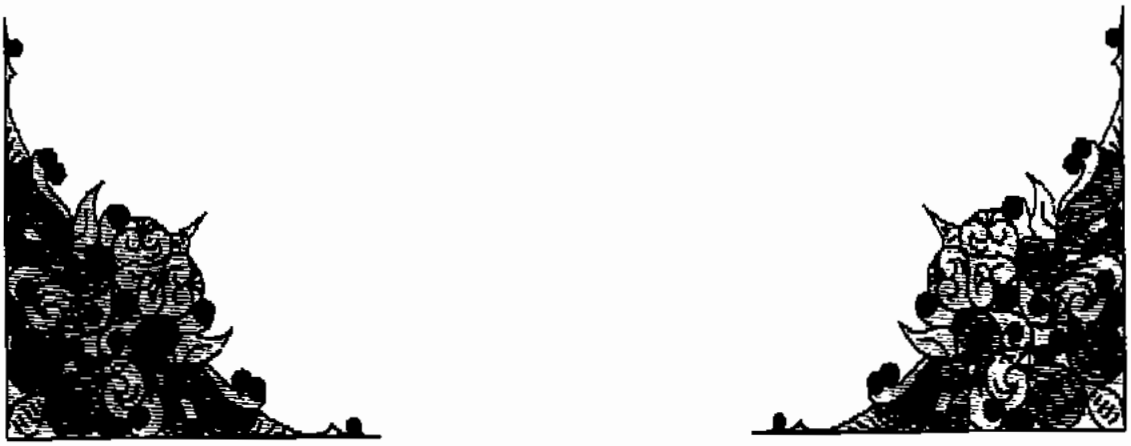

المدخل: الشعر العربى والأردى في رثاء المدن بين التأثير والتأثر

إن فضل السبق للشعر العربى على الأردى في هذا الغرض الشعرى مسلم به ولا مناص للفرار منه، إذاللغة الأردية أحدث من اللغة العربية وهى قديمة غارقة فى القدم .

لذلك أرى تأثر شعراء اللغة الأردية في هذا الموضوعبالشعرالعربى في أهم المعاني والأفكار، وإن كان الشعرالأردى أخذ اسمه الفني أى" شهر آشوب " ومعظم ألوانه من الشعر الفارسى ولكن الشعر العربى أقدم من الشعر الفارسى أيضاً في هذا الغرض الشعرى، يضاف إلى هذا أنه توجد القصائد باللغة العربية فى رثاءالمدن وقت ظهورالشعرالأردى فى شبه القارة الهندية فى هذا الغرض الشعرى فيما نراه عند الشيخ فضل الحق الخير آبادى القصائد الطويلة الرائعة باللغة العربية في رثاء المدن الهندية الخربة بسبب هجمات الإنجليزعليها، وأذكر بعض الأبيات من إحداها:

هجم الشرور وفاجأت فتن بهـا

ذهب السرور و ولت السراء

كـم خربوا بلداً ولـم بذروا بـه

بلداً فـصار كأنـه بـيداء

هدوا المساجـــد والقـصور كأنها

لم يبن لم يك ثم قـــط بـــــناء

بخست بخستهم زروع الأرض من

شـــؤم فلا ربع لـــــها ونـــماء

قدرواعلى الناس المعاش فقدرهـــم

أن لا غذاء لديهم و عشاء[1]

ونجد تأثرهذا الشاعربالشعربى واضحاً قوله:

ما ناح أورق في أوراق أشجانى إلا وهيج أشجانى وأشجانى[2]

نجد التأثر واضحاً بشعر شاعرنا شمس الدين الكوفي الذى يقول:

حتى رثى لى كل من لا وجده وجدى ولا أشجانه أشجانى[3]

وكذلك يدل على تأثر شعراء اللغة الأردية بالشعراء العرب في الغرض المذكورماسنراه في الصفحات الآتية عند الحديث عن المعانى والصور المشتركة بين الشعرين العربى والأردى.

1- الثورة الهندية باغئى هندوستان، فضل الحق الخير آبادى، ترجمه: محمد عبد الشاهد شيرانى، الطبعة الرابعة سنة 1984م، المجمع الاسلام ى فيض العلوم محمد آباد كوهنة، الهند، ص:94.

2- ديوان فضل الحق الخيرآبادى دراسة و تحقيق: سلمى سهول رسالة الدكتوراه جامعة پنجاب لاهور- پاكستان، ص: 18/2.

3- فوات الوفيات للكتبى، ص: 234/2.

ومن حيث الشكل نجد شعراء الأردية قد نوعوا نظمهم بين المسمط والمثنوى والنظم الحر بينما جاء إيداع القصائد العربية على الشكل المعهود للقصيدة .

الفصل الأول: مواطن التشابه بين الشعرين

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: أسباب التشابه

المبحث الثانى: تشابه المعانى

المبحث الثالث: تشابه الصور

المبحث الأول:أسباب التشابه بين الشعرين

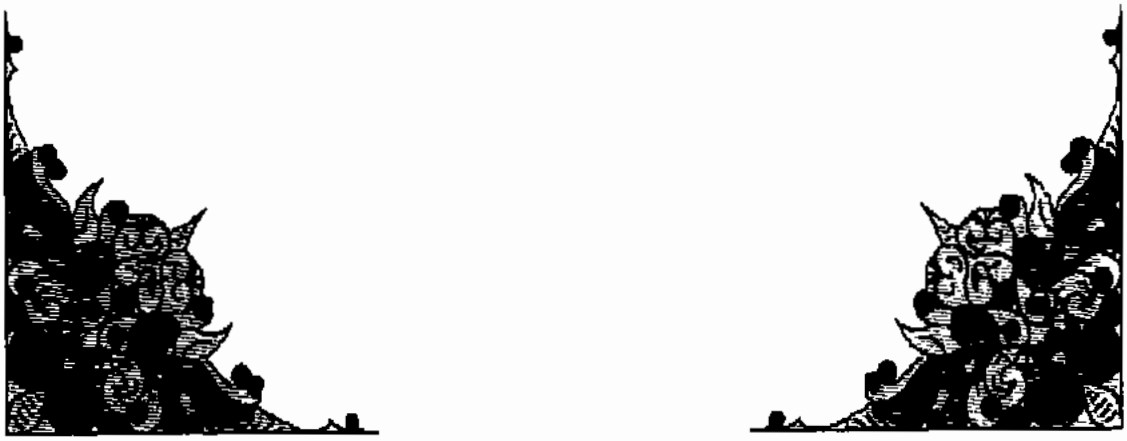

المبحث الأول:أسباب التشابه بين الشعرين

وإذا تأملنا في أسباب التشابه بين الشعرين نجد على رأسها ما يلى منها:

1. **وحدة الموضوع:** فوحدة الموضوع لكل من الشعرين من أهم أسباب التشابه بينهما لأنه إذا كان هناك كتابان في موضوع واحد أو مقالان في موضوع واحد فلا بد من التشابه بينهما من حيث الأفكاروالمعانى الأساسية والجذورالهامة وإن وجد الاختلاف في فروعهما لذلكلابد من التشابه بين الشعرين العربى والأردى.
2. **تشابه النكبات المختارة:** السبب الثانى للتشابه بين الشعرين هو التشابه بين النكبات المختارة للدراسة في هذه الأطروحة لأنهامن حيث أسبابهاالأصلية الحقيقية كلهاكانت من الكفاروالمشركين مباشرة أومن اعتداءاتهم ومؤامراتهم وراء الأسباب الظاهرة، لذلك لامناص من التشابه بين الشعرين اللذين قيلا في تلك النكبات.
3. **تشابه الظروف:** إذا نظرنا في الظروف والأحوال التى قيل فيها الشعران العربى والأردى نجدهما متشابهة من حيث الصعوبة والشدة وكثرة القتل والنهب والغربة والمغادرة، والبعدعن الأحبة والأخلاء

والأعزاء والأصدقاء ومن دمار المدن وزوال الثقافات وخراب جمال الطبعية للبلاد وما إلى ذلك.

4. وحدة المعايير لاختيار للشعراء

المعاصرة: هى المعيار الأساسى فى اختيار القصائد، بمعنى أن يكون الشاعر قدعاصر النكبة وواجه مشاقها وعايش أحداثها وركب أخطارها وابتلى بصدمتها تلك الصدمة التى تحتاج منه إلى الصبروالجلد المضاعف كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ! (إنما الصبرعند الصدمة الأولى) فى هذه الحالة تكون الأحاسيس صادقة والعواطف متأججة فيأتى الشعر صادقاً نابعاً منه تجربة حقيقية معايشة، مما يؤدى إلى تقارب الأفكار وتشابه المعانى الهامة وهو ما لاحظناه فى القصائد التى تمت دراستها وبالإضافة إلى فى التشابه إلى البحور التى نسجت عليها القصائد وكذلك القافية والروى وغيرها

المبحث الثاني: تشابه المعاني بين الشعرين

المبحث الثاني: تشابه المعاني بين الشعرين

إذا تأملنا في المعاني التي ركز عليها كل من الشعرين نجد التشابه في كثير منها ونلخصها فيما يلي:

1. **المقارنة بين الماضي والحاضر:** من السمات المشتركة بين الشعرين!التركيزعلى المقارنة بين ماضي المدينة وحاضرهاالذي يثيرُالهَمَّ في نفوس المخاطبين من سكان تلك المدن وغيرهم لمواجهة الأخطار والأحزان التي أصابتهم من النكبات، ويدعوالنفوس إلى اجتناب تلك الأخطاء التي ارتكبوها في أمسهم حتى أصيبوا بتلك المشاكل.
2. **شدة الحزن على طمس المعالم الدينية** : ومن المعاني المتشابهة بين الشعرين صدق التعبيرعن عواطفالحزن والألم لطمس معالم الحضارة الدينية من هدم المساجد وإحراق الكتب وقتل العلماء وضياع أدوات العلوم.
3. **شدة الحنينإلى المعالم الحضارية التي تغيرت** : وقد وجدنا معظم تركيزشعرائنا على الحنين إلى المعالم الحضارية التي أصابها التدمير

وذلك منتشر في ثنايا القصائد من وصف طبيعتها وبيان مفاتنها بالتفاصيل.

4. **البكاء على فراق الأحبة والأعزاء:** ومن السمات المشتركة إظهار شعراء اللغتين الحزن الشديد والبكاء على فراق الأحبة والأعزاء الذى يضاعف أحزانهم بحيث لايبقى لهم إلا الأنين والحسرة بعد فراقهم وهلاكهم. فهم لا يستطيعون نسيانهم ولا يمكنهم أن يعيشوابعدهم حياة مرضية طبيعية بل نراهم يُحَرِّمون علي أنفسهم تلك الحياة بعد رحيل أحبتهم عنهم.

5. **تعرضهم لبيان مشاكل الهجرة والمغادرة :** ونجد هناك حظاً وافراً لبيان مشاكل المتشردين المغادرين أوطانهم ومولدهم حتى رسمها بعضهم فى صورة تشبه يوم القيامة وآخرون يصورونها فى صورة تشبه النشر من القبور.

6. **رسم صورة الجيش:** اتفق الشعراء في رسم الجيش المهاجم فى صورة الظالم المتوحش الذى لايرعى حرمة ولايقدرالمبادئ، وكذلك رسموا الجيش المهزوم فى صورة واقعية تصف مدى الهوان وتعطى فكرة صادقة عن الواقع المرير.

7. **إسناد النكبات إلى أسباب غيرحقيقية** : ومن المعاني المشتركة لجؤهم إلى إسناد تلك النكبات إلى الأسباب غيرالحقيقية، وقد لاحظنا عند الحديث عن الأسباب بأنهم أسندوها إلى الأسباب غيرالحقيقية من الفلك، والعين الحاسدة والقضاء والقدر ولم يتعرضوا لكشف الغطاء عن أسبابها الظاهرة الحقيقية المباشرة.

المبحث الثالث: تشابه الصوربين الشعرين

المبحث الثالث: تشابه الصوربين الشعرين

إذا فكرنا في الصور التى ركز عليها كل من الشعرين وجدنا معظمها متشابهة إلا في صورة أو صورتين أمابالنسبة إلى الصور الجزئية من صورالتشبيه والاستعارة والكناية فقد وجدناها متوفرة في كل من الشعرين.

وأما بالنسبة إلى الصورالكلية فوجدناهاأيضا متفقة في ثلاث صوروهي الصورة الكلية النامية والصورة الكلية النفسية والصورة الكلية المتقابلة ولكن تفرد شعراللغة الأردية بالصورة الممتدة والصورة الرمزية حسب ماظهرلى .

الفصل الثاني: مواطن الاختلاف بين الشعرين

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: أسباب الاختلاف بين الشعرين

المبحث الثاني: المعاني التي ركزعليها شعراء اللغة العربية.

المبحث الثالث: المعاني التي ركزعليها شعراء اللغة الأردية.

المبحث الرابع: الصور التي ركزعليها شعراء اللغة العربية.

المبحث الخامس: الصور التي ركزعليها شعراء اللغة الأردية.

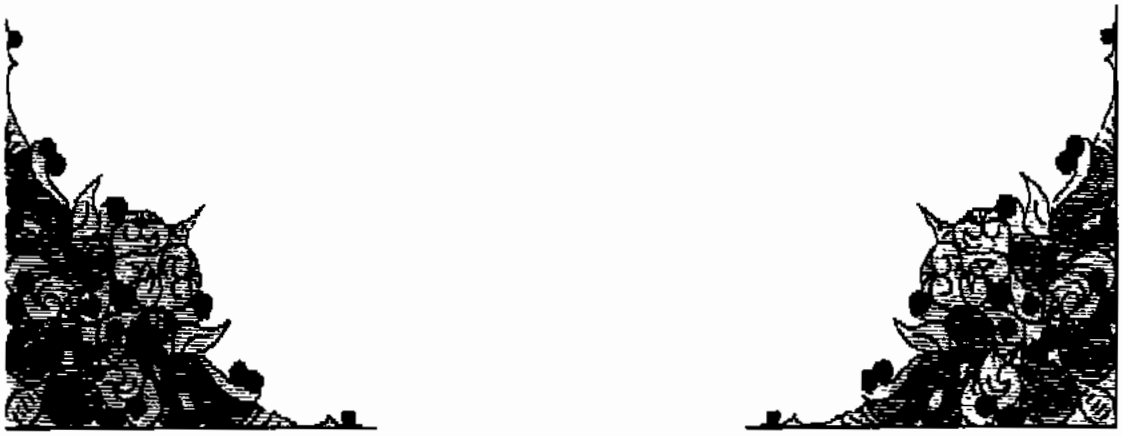

المبحث الأول:أسباب الاختلاف بين الشعرين

إذا فكرنا في أسباب الاختلاف الواقع بين الشعرين من المادة المختارة نجدعدة أسباب نتعرض لأهمها فيما يأتى.

1. **اختلاف اللغة** : من أبرزوجوه الاختلاف بينهما اختلاف اللغة لأن لكل لغة ميزات وخصائص تتفرد بها فلابد من وجود الاختلاف بينهما في بعض النواحى لذلك فإننانجد الاختلاف بين قصائدنا في بعض المعانى والصور.
2. **اختلاف البيئة** : اختلاف البيئة سبب من أسباب الاختلاف بين الشعرين في بعض الجوانب لأن هناك بُعداً كبيراً بين المدن المرثية، وبُعد المسافة يُؤدى إلى اختلاف الحضارة والثقافة وإلى اختلاف طرق الحياة حتى فى الأطعمة والأشربة فلابد من تأثيرهذا الاختلاف في المادة الأدبية التى أبدعتها قرائح الرجال الذين يعيشون في البيئات المختلفة.
3. **البعد الزمنى:**هناك زمن بعيد يفصل بين النكبات التى قيلت فيها تلك الأشعارتقدر بالقرون. فعملية التغير جارية عبر الزمن فى أساليب وطرق الحياة حتى في أنواع الأغذية وأوضاع الملابس والمراكب

وأنواع السلاح وماإلى ذلك يومأبعد يوم وهذا يؤدى إلى الاختلاف في التعبيرعن المعانى والأفكار،ورسم الصورلها فتأثير البعد الزمنى على هذه الأشعار فى معانيها وأفكارها وصورها أمرطبيعى.

4. **البعد الجغرافى:** فهناك بُعد كبير بين المدن المختارة مثل قرطبة ودمشق وبغداد وكذلك لاهور، ودلهى ، وداكا فلا تتصل حدود كل واحدة منها بالأخرى وهذاالبعد الجغرافى له تأثير واضح على هذه الأشعار حيث يؤدى هذا البعد إلى الاختلاف فى اللغة والبيئة وطبيعة الحياة وهذابدوره يؤدى إلى الاختلاف فى الأفكار والمعانى والصور وطريقة التناول والأسلوب والألوان.

المبحث الثاني: المعاني التي ركزعليها شعراء اللغة العربية.

يتناول هذا المبحث أهم المعانى والأفكارالتي ركزعليها شعراء رثاء المدن باللغة العربية والتى استخرجتهامن هذه القصائد وهى كالآتى:

1. **البقاء على عهد المحبة للظاعنين:** نجد هذه الفكرة بوضوح تام عند شاعرنا شمس الدين الكوفي في رثائه لبغداد الذى صرح بهذه العاطفة الجياشة فقال:

وَحَيَاتِكُمْ إِنِّـــيْ عَلَـــى عَهْدِ الْهَـــــوَى

بَاقٍ وَلَـــمْ يَخْفُرْ لَـــدَيَّ ذِمَـــــامُ[1]

فَنَمِـــيْ حَـــلَالٌ إِنْ أَرَدتُّ سِـــــــوَاكُمْ

وَالْعَيْشُ بَعْدَكُمْ عَلَـــيَّ حَـــرَامُ[2]

إن الشاعر قد صرح بأنه على عهد الوفاء والمحبة للأحبة باق، وهولا يستمع إلى العاذلين، ولا يريد أن يُحِلَّأحداًمحلهم رغم ظعنهم وارتحالهم من بلده أومن هذا

---

[1]- لم يخفر لدى نمام : معناه لم ينقض لدى عهد فأنا باق على عهدى . فى المعجم الوسيط : خفر العهد ونحوه أو به نقضه، ص: 361.

2- فوات الوفيات للكتبى، ص: 232/2.

العالم إلى العالم الآخر، حتى أنه يجعل دمه حلالاً مستباحاً إن فكر مجرد تفكير فى غيرهم .

2. **الاعتقاد بأن جمال الديار كان بسبب أصحابها:** نلاحظ في شعر رثاء المدن باللغة العربيةبأن جمال الدياروبهاؤها وبهجتها، كلها كان بسبب من سكن فيها، وكان حب الشاعر للأماكن والمنازل لعيش أحبته فيها، وحينما فارقوا الديار فقد أعرض عنها الجمال والرونق، لذلك أعرض الشاعر عنها، وهذه الفكرة متوفرة عند شاعرنا شمس الدين الكوفي حيث يقول:

وَالدَّارُ مُذْعَدَمَتْ جَمَالَ وُجُوْهِـكُمْ
لَمْ يَـبْـــــقَ فِيْ ذَاكَ الْمَقَامِ مَقَامُ
يَا دَارُ مُذْ أَفَـلَتْ نُجُوْمُـــكِ عَمَّنَا
وَاللهِ مَــنْ بَعْــدِ الضِّـــيَاءِ ظَلَامُ
فَلِبُعْدِهِمْ قَرُبَ الرَّدَى وَلِفَقْــدِهِـــمْ
فُقِدَ الْهُـــدَى وَتَـــزَلْزَلَ الْإِسْلَامُ
فَمَتَىَ قَبِلْتِ مِنَ الْأَعَادِيْ سَاكِـــنًا
بَعْــدَ الْأَحِـبَّـــةِ لَا سَقَاكِ غَمَامُ

أَعْرَضْتُ عَنْكِ لِأَنَّهُمْ مُذْ أَعْرَضُوْا

لَمْ يَبْقَ فِيْــكِ بَشَاشَةٌ تُسْــــــتَامُ[1]

يوضح الشاعرما كان في قلبه من الحقيقة المسلمة بأن الأزمنة والأمكنة كلها متساوية بحد ذاتها ولايفضل بعضها بعضا إلا بما يقع أو يحل فيها من الرجال أوالحوادث ثم ذكر الشاعر بعض وجوه فساد الديار وفقدها الجمال والبهجة، وهو انعدام جمال وجوه أحبته وشيوع الظلام بعد الضياء والنور لفقد من كان فيها. ويعتقد الشاعر بأن بُعدَ من كان في الديار من الساكنين سبب لقرب الردى والهلاك والخسران، وفقدهم سبب لِتَزلزُلِ أسس الإسلام إلى أن يدعو الشاعر على الديارباالجدب وعدم السقى والمطر لأنها قبلت سكنى الأعداء فيهاإلى أن صرح أنه أعرض عن الديار لافتقاد أحبته الذين كانوا يعيشون فيها، لأنه لايجد هناك بهجة ولا بشاشة بعدهم.

ولله در من قال:

أَمُرُّ عَلَى الدِيَارِ دِيَارِ لَيْــلَى

أُقَبِّلُ ذَا الْجِدَارَ وَذَا الْجِدَارَا

وَمَا حُبُّ الدِيَارِ شَغَفْنَ قَلْبِى

1- فوات الوفيات للكتبى، ص: 2/ 232، 233.

وَلَكِن حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِيَارَا[1]

وقال أيضا:

سِرْتُمْ فَلَا سَرَتِ النَّسِيْمُ وَلَازَهَـا

زَهْرٌ وَلَا مَاسَتْ غُصُوْنُ الْبَانِ[2]

إن الشاعر لا يرى الجاذبية في شيء بعد ظعن الأحبة ولا يروقه النظر إلى الملاعب والحدائق، لأنه لا تجرى النسيم ولا الصبا كى تزهو الزهور ويعود الربيع والبهاء في الحدائق لان ذلك كان يحدث بوجود الأخلاء والأصدقاء فإذا ذهبوا وأعرضوا عن تلك الأماكن والمنازل انقطع جمالها وبهاؤها وسناؤها.

3. **الاستغاثة وطلب النجدة:** من المعانى والأفكار التى تناولها شعر رثاء المدن من قصائدنا االمقترحة طلب الغوث والبحث عن المجير والمفدى الذى ينجيهم من النكبات وشدائد الأسر ويريحهم من الحزن والجزع ويكشف عنهم ما مسهم من الضر، ونجد هذا اللون عند شاعرنا "الأوتارى" في رثاء مدينة "دمشق" حيث لم يجد نصيراً ولا مجيراً من الملوك وولاة الأمور من بين الناس الأحياء فالتهبت مشاعر الشاعر

1- انظر الموقع: www startimes.com/f aspx?t=27972776 .2015/8/24

2- فوات الوفيات للكتبى، ص: 235/2.

والتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشفع به في لون من الوجد الصوفي حيث يقول:

يَا تَرَى هَلْ لِكُـرْبِنَا مِـنْ مُـجِـيْـرِ
أَمْ لِتَـشْدِيْدِ أَسْـرِنَا مِـنْ مُـفَـادِيْ
لَسْـتُ أَرْجُـوْ غَـيْـرَ الْبَشِيْرِ شَفِيْعًا
عِـنْدَرَبِّيْ فِـي الْـمَـنِّ بِالْإِنْجَادِ[1]

إن الشاعر وهو يشاهد النكبة رأى الفساد والقتل ونهب الأموال والأولاد ففكر في المجير النصير ونظر إلى الملوك والقواد وناداهم ولم يجد الرد من قبلهم فتركهم وتوجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه لتخفيف الآلام والأحزان فقال:

يَا حَـبِيْبَ الْإِلَـهِ لَا تَـتَـخَـلَـى
عَـنْ عُصَـاةٍ غَـمَرَتْهُمْ بِالْأَيَادِي
يَا حَبِيْـبَ الْإِلَهِ قَدْ مَسَّـنَا الضُّـرُ
فَجُـدْ بِالْإِسْـعَـافِ وَالْإِسْعَادِ
يَا حَـبِيْـبَ الْإِلَـهِ تُبْـنَا إِلَى اللهِ

1- نهاية الأرب فيفنون العرب للنويرى، ص: 226/5

وَأَنْتَ الْعِمَادُ حَتَّى الْمِعَادِ[1]

إن الشاعر قد افترضه حاضرا فخاطبه بأن أياديه على العصاة وطلب منه ألا يتخلى عنهم في ساعة العسرة، وشكى إليه من مس الضر والأسر. وصرح بالتوبة والإنابة إلى الله ثم يستمر الشاعر في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم إلى نهاية القصيدة فيقول:

فَلَأَنْتَ الرَّحِيْمُ قَلْبًا ولُبًّا

ولَأَنْتَ الْهَادِي لِسُبُلِ الرَّشَادِ

ولَأَنْتَ الْبَدِيْعُ خَلْقًا وَخُلُقًا

ولَأَنْتَ السَّمِيْعُ لِلْإِنْشَادِ

ولَأَنْتَ الطِّرَازُ فِيْ كُلِّ مَعْنًى

ولَسَيْفُ الْمَقَالِ شِيْمَةَ النِّجَادِ

ولَأَنْتَ الْحَاوِيْ فُنُوْنَ صِفَاتٍ

دُوْنَ حَصْرٍ لَهَا فَنَاءُ الْمِدَادِ

ولَأَنْتَ الْمَمْدُوْحُ مِنْ فَوْقِ عَرْشٍ

بَعْدَ مَاذَا يَقُوْلُ قَسُّ الْإِيَادِي

1- المرجع السابق، ص: 227/5.

فَـإِذَا كَـانَ مُـنْـشِئُ الْمَـدْحِ رَبِّيْ

عَـادَ مَـدْحُ الْفَـصِيْحِ جَمْعَ سَـوَادِ[1]

إن الشاعر قد ذكر بعض صفات النبى صلى الله عليه وسلم من رحمته وكونه هاديا إلى سبل الرشاد وبديعا خلقاً وخلقاً وأخذ يعدد من صفاته حتى صرح بعجز عن حصر صفاته وأداء الحق لمدحه.

4. **شدة الحزن على فراق الأحبة** : إن تشرد الناس وهلاكهم خلال النكبات الكبرى أمر لا ينكره أحد، ثم اللوعة والحنين إلى أولئك الأحباب المتشردين والهالكين الذين لايمكن العثور عليهم بأية وسيلة من وسائل الاتصال أمر طبيعى وهذا اللون من الحزن والألم متوفر جدا في القصائد المختارة للدراسة وهوما نلاحظه عند الكوفي حيث يقول:

عِنْـدِيْ لِأَجَـلِ فِـرَاقِـكُمْ آلَامُ

فَـإِلَامَ أُعْـذَلُ فِـيْـكُمْ وَأُلَامُ

مَـالِيْ أَنِيْسٌ غَـيْرَ بَيْتٍ قَـالَـهُ

صَبٌّ رَمَـتْـهُ مِنَ الْفِرَاقِ سِهَامُ[2]

1- نهاية الأرب فى فنون العرب للنويرى، ص: 228/5.

2- فوات الوفيات للكتبى، ص: 228/2.

يَا لَيْتَنِيْ قَـدْ مِـتُّ قَبْلَ فِرَاقِـكُمْ

وَلَسَـاعَـةُ التَّوْدِيْـعِ لَا أَحْـيَانِيْ

مَالِيْ أَنِيْـسٌ بَعْـدَكُمْ إِلَّا الْبُكَاءُ

وَالـنَّوْحُوَالْحَـسَرَاتُ وَالْأَحْزَانُ[1]

إن الشاعر يتحدث هناعن حُزنَيْنِ حزن وألم على فراق الأحبة وحزن على عذل الناس له بسبب الفزع وشدة الألم ويجعل الشاعر إبداع الأبيات في ذكريات الأخلاء الهالكين الظاعنين ــ أنيسا له، بعد أن رماه الفراق بسهام الوحدة والوحشة، ويتمنى أيضاً أنه لوكان ميتا قبل ساعة التوديع لأخلائه.

5. إسناد النكبات إلى الأسباب غير المباشرة :

وقد فصلنا القول في هذه الفكرة عند االحديث عن أسباب نكبات المدن ودمارها في هذا البحث، فجميع الشعراء الذين اخترنا شعرهم للدراسة قد لجأوا إلى الأسباب غيرالمباشرة وذكرنا هناك الدواعى لعدولهم عن الأسباب المباشرة إلى غيرهاونذكر هنا نموذجاً واحداً من أبيات قصيدة ابن شهيدوحيث يقول:

جَارَ الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ فَتَفَرَّقُوْا

فَيْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَبَادَ الأَكْثَرُ

1-المرجع السابق، ص: 234/2.

جَرَتِ الْخُطُوْبُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ

وَعَلَيْهِـــــمْ فَتَغَيَّرَتْ وَ تَغَيَّرُوْا[1]

قد ذكر الشاعر جور الزمان وجرى الخطوب كَسَبَبٍ من أسباب الدمار والخراب، ولاخفاء في كونهما سببا غير حقيقي، لأنه لابد أن يكون الفساد من جور أهل الزمان من أعداء الإسلام والمسلمين، والمؤتمرين بين صفوف المسلمين، وكذلك جرى الخطوب كان من الذين استولوا عليها.

ولم يلجأالشعراء إلى بيان الأسباب الحقيقية من سطع الأعداء المهاجمين والتركيزعليهم صراحةً أوإسناد ذلك إلى خيانة الأمراء والحكام الضعفاء أو الخطأ في وضع خطة الحرب، أو جبن العساكر أوقواد الجنود، إلا إشارة عابرة وجدناها عند شاعرنا الأوتارى خلال رثائه لدمشق حينما ذكر اسم العدو المهاجم على المدينة وهم المغول حيث يقول:

أَبَنِيْ أُمَيَّـــةَ أَيْـــنَ يُـــمْـــنُ وَ لِيْـــدِ كُمْ

وَالْمُـــغْلُ تَـــفْتِـــلُ فِيْ ذُرَى الْأَرْكَـــانِ

وَقَعَتْ كِلَابُ الْمُـــغْـــلِ فِـــيْ غُزْلَانِهَا

وَتَـــحَكَّمَـــتْ فِيْ الْحُـــوْرِ وَالْوِلْدَانِ[1]

1- ديوان ابن شهيد، ص: 90.

6. الحزن على ضياع أدوات العلوم وهلاك العلماء:

إذاكان الشعراءقد بكوا على ضياع المدينة بأكملهافإن حزنهم تركز على تلف كتب العلوم المختلفة التى كانت "دمشق" منارا يشع بها إلى العالم وكذلك نص بحزنه على كل من له حظ في إصلاح المجتمع من العلماء والحماة والرواة وغيرهم. يقول:

لَهَفِيْ عَلَى كُتُبِ الْعُـلُوْمِ وَدَرْسِـهَا

صَارَتْ مَعَانِيْهَابِـغَـيْـرِبَيَـانِ[2]

وقال ابن شهيد الأندلسى:

حَزَنِيْ عَلَى سَرَوَاتِهَا وَرُوَاتِـهَا

وَثِقَاتِهَـا وَحُمَاتِهَا يَتَـكَرَّرُ

كَـبَدِيْ عَلَى عُلَمَائِهَا حُلَمَائِـهَا

أُدَبَائِـهَا ظُـرَفَائِـهَا تَتَفَـطَّرُ[3]

7. الحسرة على زوال الرونق والجمال:

هذه الفكرة من الأفكار الأساسية لشعر رثاء المدن ونلاحظ وفرتها عند بعض الشعراء كشاعرنا الأوتارى في رثائه "دمشق" حيث يفتتح القصيدة بهذه الفكرة فيقول:

1-خطط الشام، ص: 172/2، 173.

2- المرجع السابق، ص: 173/2.

3- ديوان ابن شهيد، ص: 92.

لَهَفِيْ عَلَى تِلْكَ الْبُرُوْجِ وَحُسْنِهَا

حَفَّتْ بِهِـنَّ طَـوَارِقُ الْحَدَثَانِ

لَهَفِيْ عَلَى وَادِيْ دِمَشْقَ وَلُطْفِهِ

وَتَبَدُّلِ الْـغُزْلَانِ بِالـنِّـيْـرَانِ[1]

إن الشاعر يتحسر على زوال الرونق والجمال من مدينته ويتلهف على خراب بروج مدينته وحسنها التى أحاطتها طوارق الحدثان ويحزن على ضياع وادى دمشق وفقده لطفه،وهويبكى حينما يلاحظ تبدل الغزلان منه بالثيران.

وتوفرت هذه الفكرة عند ابن شهيد حيث يقول:

نَفْسِيْ عَـلَى آَلَائِـهَا وَصِفَائِـهَا

وَبَهَائِهَا وَسَنَائِـهَا تَتَحَـسَّرُ

ورياح زهرتها تلوح عليهم

بروائح يفتر منها العنبر[2]

إن الشاعر يتحسر على ضياع طبيعة مدينته من صفائها وبهائها والروائح التى تجرىمن زهورها وتمس غصون أشجارها. فلما رأى الشاعر تبدل طبيعة المدينة

1- خطط الشام، ص: 172/2.

2- ديوان ابن شهيد الأندلسى، ص: 92.

بأكملها فلم يبق منها شيء، بدأ يبكي ويتحسر عليهامما يدل على حبه الصادق لمدينته وحرقة قلبه على خرابها.

8. **قدسية المدينة واحترامها:** حب الوطن، وقدسيته، واحترامه في قلوب المتوطنين عاطفة لايخلو منها أحد من البشر ونلاحظ هذه العاطفة عند الشعراء متوفرة، يقول على بن عبيد الله البهائى الغزولى الدمشقى في وادى دمشق:

لَهَـفِيْ عَلَيْكِ مُنَـازِلًاوَمَنَازِهَـا

وَمَقَامَ فِـرْدَوْسٍ وَبَـابَ جِنَـانِ[1]

والشاعر يتلهف على منازل مدينته التى يراها فى مقام الفردوس في الأرض،والفردوس هو أعلى الدرجات من الجنة، وهذا يدل على قداسة الوطن عنده.

وقال ابن شهيد في قرطبة :

يَاجَـنَّةً عَصَـفَـتْ بِهَـا وَبِأَهْـلِـهَـا

رِيْـحُالنَّـوَى فَـتَـدَمَّـرَتْ وَتَنَمَّرُوْا

كَانَـتْ عِـرَاصُـكِ لِـلْمُـيَمِّمِ مَكَـةً

يَـأْوِىُ إِلَـيْـهَا الْخَائِـفُونَ فَيُنْصَرُوْا[1]

1- خطط الشام، ص: 173/2.

إن الشاعر قد صرح في هذا البيت بجعله الوطن جنة، وفي البيت الثانى بأن عراص الوطن كانت كعراص الحرم يلجأ إليها الخائفون فيأمنون من الخوف.

9. المقابلة بين حاضر المدينة وماضيها

وقد توفر هذا الأسلوب في شعر رثاء المدن عند جميع شعرائنا وأذكر هنا بعض النماذج ليتضح أن هذه الفكرة موجودة في القصائد المقترحة كماقال ابن شهيد الأندلسى:

أيامَ كَا نَتْ عَـيْنُ كُلِّ كَـرَامَـةٍ
مِـــنْ كُلِّ نَاحِـــيَةٍ إِلَـيْهَا تَنْظُرُ
أيامَ كَانَتْ كَـــفُّ كُـلِّ سَلَامَـةٍ
تَسْمُو إِلَيْهَا بِالسَّـــــلَامِ وَتَبْـدَرُ
عَهْدِىْ بِهَا وَالشَّمْلُ فِيهَا جَامِعٌ
مِنْ أَهْلِهَا وَالْعَيْشُ فِيْهَا أَخْضَرُ[2]

إن الشاعر قد رسم صورة ماضى مدينته "قرطبة " الخضراء بأنها كانت كعبة العلماء والشعراء والأدباء، وكانت تذخر بالمدارس والجامعات والمكتبات لذلك كانت عين كل كرامة تنظر إليها، وكان الأمن والسلام متوفرا في كل ناحية فيها، والشمل

1- ديوان ابن شهيد ، ص: 92.
2- ديوان ابن شهيد ، ص: 91.

يجمع أهلها،وكان العيش أخضر فيها. ولكن الأحوال قد تغيرت تماماكما يصورها الشاعرفى البيت الآتى :

وَمَسَالِكُ الْأَسْوَاقِ تَشْهَدُ أَنَّهَا

لَا يَسْتَقِلُّ بِسَالِكِيْهَا الْمَحْشَرُ[1]

ففى هذا البيت يصور الشاعر حال الناس فى المدينة وكأنهم يساقون إلى المحشر يعلوهم الخوف والفزع والوحشة .

ومن أبدع المقابلات قول علاء الدين الأوتارى:

عَوَّضُوْا عَنْ سُرُوْرِهِمْ بِغُرُوْرِ

وَقُصُوْرِ الْبِلَادِ سُكْنَى الْبَوَادِيْ

وَبِأَهْلِ الْوِدَادِ شَرُّ أُنَاسٍ

وَبِلِيْنِ الْمِهَادِ شَوْكُ الْقَتَادِ[2]

إن الشاعر قد قابل هنا في البيتين المذكورين بين أشياء كثيرة بين سرور وغرور، وبين قصورالبلاد وسكنى البادية، وبين الناس أهل المحبة والمودة وشر أناس، وبين لين المهاد وشوك القتاد.

1-المرجع السابق، ص: 92.

2- نهاية الأرب فى فنون العرب للنويرى، ص: 228/5.

10. بيان عظم المصيبة وشدة النكبة

إن شعر رثاء المدن يرسم فى المعتاد صورة المصائب والنكبات وتقلبات الأحوال ووقع الحوادث عامة حيث تتوافق هذه الأشياء مع موضوعه الأساسى، وما أريد أن أركز عليه هنا هووقع هذه المصائب على النفوس ومايصيبها من فزع وهلع، ومايبديه الشاعر من حرقة ولوعة على ماأصاب مدينته من هلاك وتدمير، ويظهر هذا من قول الكوفى:

وَيُـذِيْبُ رُوْحِيْ نَوْحُ كُلِّ حَمَامَةٍ

فَكَأَنَّمَا نَوْحُ الْحَمَّامِ حِمَامُ

وَلَقِيْتُ مِنْ صِرَفِ الزَّمَانَ وَجَوْرِهِ

مَا لَمْ تُخَيِّـــلْهُ لِـــيَ الْأَوْهَـامُ[1]

يتحدث الشاعر في الأبيات المذكورة عن حرقته ولهفه وشدة النكبات، ووقع الحوادث بحيث يتصور كل صوت أنينا وبكاء حتى يذيب روحه، ويعتقد أن المشاكل والمصائب التى لاحظها وواجهها خلال النكبة لا ترى في الأحلام ولا يصل إليها خيال.

وقال ابن شهيد:

1- فوات الوفيات للكتبى، ص: 2/ 232.

وَمَسَـالِـكُالْأَسْـوَاقِ تَـــشْهَدُ أَنَّهَا

لَا يَسْتَقِـلُّ بِسَـالِـكِـيْـهَا الْمَحْشَرُ[1]

كأن الشاعر يوازن النكبة بيوم الحشر من شدة الأهوال وعظم المصائب والآلام.

وقال علاء الدين الأوتارى في بيان شدة الأحوال خلال هجوم التتر على مدينته "دمشق"

طَرَقَتْهُمْ حَوَادِثُ الـدَّهْرِ بِالْقَـتْـلِ

وَنَهْـبِا لْأَمْـــوَ الِوَالْأَوْتَادِ

فَالْغَـلَا وَالْجَـلَا مَعَ الْجُـوْعِ وَالْعُرِيْ

وَنَهْـبِ الْأَقْـــــــوَاتِ وَالْأَزْوَادِ

وَالْحِـصَارِ الشَّدِيْدِ وَالْحَبْـسِ وَالْخَوْفِ

مَعَ السَّـــادَةِ الْـعُـرَاةِ الْمُـــكَادِي[2]

رسم الأوتارى في الأبيات المذكورة ضيق الأحوال خلال النكبة التى كان لها سيطرة على جميع فئات البشر من السادة والجماهير ومن الرجال والنساء ومن

1- ديوان ابن شهيد ، ص: 91.

2- نهاية الأرب فى فنون العرب للنويرى، ص: 227/5.

الشباب والأطفال، فقد عمهم الجزع، والخوف والحصار والحبس وقد سلط عليهم القتل والنهب وما إلى ذلك من الشدائد.

11. التركيز على بيان ألوان الثقافة الحضرية

نلاحظ في شعر رثاء المدن عند شعرائنا بعض الكلمات لها دلالات على الثقافة الحضرية، وإيحاءات بالترف والغنى والرخاء والعيش الأخضر لسكان المدن. يقول في ذلك شاعرنا البهائى:

لَهَفِيْ عَلَى تِلْكَ الْبُرُوْجِ وَحُسْنِهَا

حَفَّتْ بِهِنَّ طَـوَارِقُ الْحَدَثَـانِ

لَوْ عَا يَنَتْ عَيْنَا كَ جَا مِعَ تَنَكِّز

وَالْبَرْكَتَيْـنِ بِحُسْـنِهَـا الْفَتَّانِ

وَتَعَطُّشَ الْمُرْجِيْنَ مِنْ أَوْرَادِهَا

وَتَهَدُّمِ الْمِـحْـرَابِ وَالْإِيْـوَانِ

فكلمات: البروج، جامع تنكز، والبركتين، المرجين والمحراب والإيوان كلها لها دلالات على الثقافة الحضرية المترفة والحياة الرغيدة وعلاقة الشاعر بهذه المعالم البارزة من المدينة.

وكذلك نجد هذا اللون عند ابن شهيد الأندلسى فيقول في ذلك:

يَا طِيْـــبَهُمْ بِقُصُـــوْرِهَاوَخُدُوْرِهَا

وَبُـدُوْرِهَا بِقُصُـوْرِهَا تَتَـــخَـدَّرُ

وَالْجَامِعُ الْأَعْـلَى يَغُـصُّ بِـكُلِّ مَنْ

يَتْلُـو وَيَـسْـمَـــعُ مَا يَشَاءُوَيَنْظُرُ

وَمَـسَـالِـكُ الْأَسْـوَاقِ تَـشْهَدُ أَنَّهَا

لَا يَسْتَـقِـلُّ بِسَـالِكِـيْهَا الْمَحْشَرَ[1]

فقدأتى الشاعر هنا بكلمات تدل على الرغد والرخاء من المبانى الكبيرة الفاخرة، وحسن أهلها الذين كانوا مثل القمر ليلة البدر وهي القصور والخدور والبدور والجامع الأعلى، والتلاوة والسماع ومسالك الأسواق.

وقال الأوتارى في ذلك:

وَقُصُـوْرٌ مُـشَـيَّـدَاتٌ تَـقَـضَّـتْ

فِـيْ ذُرَاهَـا الْأَيَّـامُ كَالْأَعْـيَـــادِ[2]

إن الشاعر فى هذا البيت يصف القصور العالية الفاخرة حيث كانت الحياة فيها خضرة مفعمة بالسعادة والسرور كأيام الأعياد.

1- ديوان ابن شهيد، ص: 91.

2- نهاية الأرب فى فنون العرب للنويرى، ص: 226/5.

11- صورة الجيش: رسم الشعراء صورة جيش العدو المهاجم، وكذلك صورة الجيش المهزوم.

أولاً: صورة جيش العدو المهاجم:

نلاحظ صورة جيش العدو المقاتل في شعر شاعرنا الغزولى في رثاء "دمشق" دون غيره من قصائد رثاء المدن باللغة العربية، فوصف الغزولى جيش المغول المهاجم بحالة الظالم الطاغى القاسى الناهب، وصور سكان المدينة فى صورة الضعيف والعاجز، حيث يقول:

كَرِهَتْ جَدَاوِلُهَـــا حَوَا فِرَ خَيْلِهِمْ

فَتَسَـــابَقَـــتْ هَـــرَبًا كَخَيْلِ رِهَـــانِ

وَقَعَتْ كِلَابُ الْمُـــغْـــلِ فِيْ غُزْلَانِهَا

وَتَحَـــكَّمَتْ فِـــيْ الْحُوْرِ وَالْوِلْدَانِ[1]

إن الشاعر قد وصف في البيت الأول سرعة وصول الجيش المهاجم إلى المدينة المقدسة "دمشق" بعد تدمير المدن والقرى التى كانت في جوارها، بأن أرض "دمشق" المقدسة وجداولها لم تقبل حوافر خيل الأعداء ورفضتها وكرهتها فلم تسمع

1- خطط الشام، ص: 173/2.

لهذه الحوافر أن تلمسها مما أدى إلى طيرانها فى الهواء كأنها فى سباق، فتصل إلى الغاية المقصودة في أقل مدة، ودخلوا في بيوت الناس، وشربوا الخمور في أفنائهاحتى انتشوا ثم أخذوا يعتدون على النساء والولدان كأنهم كلاب وقعت على قطيع من الغزلان.

ربماشبه الشاعر جنود الأعداء بالكلاب لشدة بطشهم سكان المدينة والسيطرة التامة على الضعفاء من الناس من النساء والولدان، ولتحقيرهم وإهانتهم وأيضا ربما عبر عن النساء بالغزلان والحور لحسنها ولعجزها.

ثانياً: صورة الجيش الوطنى المهزوم:

ونجد الشاعريبكى ويحزن على الجيش المهزوم من عساكر "دمشق" التى انهزمت مع كثرة عددهم يقول:

لَهَفَ نَفْسِيْ عَلَى جُيُوْشٍ تَوَلَّتْثُمَّ
وَلَّتْ جَرِيْحَةَ الْأَكْبَادِكُلُّتَدْبَعَضْبٍ
حَمَىكَمِي أَمْجَدِأَصِيْدِ شُجَاعٍ جَوَّادِ
مَنْ لِأَسْرَى كِسْرَى حَيَارَى دَهَتْهُمْ
دَهَمَتْهُمْ جِيَادُ أَهْلِ الْعِنَادِ

وَاضِـــعُ اللَّـــقْطِ فِي الْحِسَـــا بِ عَنَاهُ

لَـــوْ يَعِشْ حَصْـــرَ كَثْرَةِ الْأَعْدَادِ[1]

وقدصور الشاعر في الأبيات المذكورة أحزانه وحسراته التى أصابته بسبب هزيمة العساكر الوطينة بأيدي جنود الأعداء رغم كثرة عددهم واتصافهم بالصفات الفروسية من شجاعتهم وغيرها ووفرة الآلات الحربية.

وتضاعف أنينه عند ما سمع بأسر وحبس الكثير من العساكر الوطنية ومن سكان المدينة بعد ما قتل عدد كبير من الجنود وعامة الناس حتى أن من أراد أن يحصى عدد الهالكين في هذه الحرب أصابه العناء والتعجب الشديد،حتى نراه يائسا من إطلاق الأسارى ولايجد من يفديهم ويحررهم من حبس الأعداء.

1- نهاية الأرب فى فنون العرب للنويرى، ص: 226/5.

المبحث الثالث: المعاني التي ركزعليها شعراء اللغة الأردية

إن أهم المعاني التي ركزعليها شعراء رثاء المدن باللغة الأردية التي استخرجتُها من المادة الشعرية المختارة تكمن فى ما يأتى مع تحليل بعض النماذج:

1. **وصف الطبيعة** : من تلك المعاني وصف طبيعة المدينة وبيان مبانيها وقصورها الشامخة وحدائقها الجميلة وميادينها الواسعة وأرضهاالخصبة والتحدث عن أخلاق سكانها وأساليب حياتهم وجوانب حياتهم وما إلى ذلك. ولا شك في أن هذا كله يدل على حبهم لوطنهم وميلهم إليه.

ونجد هذه الفكرة عند شاعرنا مراد شاه في قصيدته التي أبدعها باسم "مگس نامہ" أي حالة الذبان دون غيره من الشعراء حيث أتى فيها بمقدمة مدحية طويلة احتوت على عشرين بيتاًومنها:

خوب یاس کی تھی شہرہ آفاق — حسن کا اس کے تھا جہاں مشتاق

تھا عمارت سے یہ قوی بنیاد — ربع مسکوں میں افتخار بلاد

تھا بہشت برین بروئے زمیں — عجب انسان تھے اس مکاں کے مکیں

شہر تھا یہ کہ کان علم و ادب — کان کیا بلکہ جان علم و ادب

کیا بہار اس کی میں کروں تحریر — شہر تھا یا مرقع تصویر

گل عذاروں پہ حسن کی تھی بہار گل تھے ہر ایک کے گلے کا ہار

جو کہ عالم تمام دیکھ آتا سو نہ دیکھے اس کو پھر کہیں جاتا

رشک آبادی جہاں تھا یہ الغرض خوب ہی مکاں تھا یہ[1]

كانت جامـــــعة لحســـن جميع الدنيا

كل العالم كان مـــغـــرماً بجمالهـــا

مـــؤســـســـته كانت صلبة مثل بنائه

كانت مفـخـرة لبـــــلاد العالم كلـــه

كانـت جـنـــــة عاليةعلـــى الأرض

ســـكانـــها كانوا أعـــجوبة الـــــزمان

وكانت المدينة منجم الفـــــنون و الآداب

بل كانت روح العـــلـوم والـمعـــرفـة

كان ربـيـع الجمـــال عـــلى الزنـبـق

الـزهـــور كانت أكاليل كل عنـــــق

لايـمـــكن وصـف ربـــيـعـهـــا

كـأنهـا كانت صورة مرتسمـــــــة

1- نامہ مراد، ص: 33/32.

فالذى زار العالم كله

لم يرحل إلى أى بلد بعده

هذه المدينة كانت سبب الحسد من المدن

باختصار كانت مثالا نموذجيا لها

وقداقتصرنا على نقل الأ بيات المذكورة خشية الإطالة وإلاكان كل بيت من المقدمة جديراً بالذكر.

ولايقل مدح مرزا داغ الدهلوى لمدينته "دهلي" في الأهمية عن ذلك، وقد استغرق مدحه هذا ثلاث مقطوعات من مسمطه أذكربعض الأبيات منها حيث يقول:

فلک زمین ملائک جناب تھی دلی بہشت وخلد میں بھی انتخاب تھی دلی

جواب کاہے کو تھالاجواب تھی دلی مگر خیال سے دیکھاتو خواب تھی دلی

***

یہ شہر وہ ہے کہ ہر انس وجان کادل تھا یہ شہر وہ ہے کہ ہر قدردان کا دل تھا

یہ شہر وہ ہے کہ ہندوستان کادل تھا یہ شہر وہ ہے کہ سارے جہان کادل تھا

یہاں کی شام تھی مانند صبح نورانی یہاں کے ذرہ میں تھی مہر کی درخشانی

یہاں کے سنگ سے تیرہ تھالعل رمانی یہاں کی خاک سے ہوتا تھاآئینہ پانی [1]

1- کلیات داغ، ص 392.

كَانت مدينة دلهي السماء الأعلى

وكانت نخبة بين الجنة والفردوس

من أين يأتى مثلها، هي حيث لانظيرلها

ولكن عندما رأيتها بعين الخيال أصبحت حلما

تراكمت العيون حيث النرجس

ولا أعْرفُ عيون من أصابتها

***

هـــي كَانتْ قلبا لـــكُلّ إنـــســـان وجنـــي

وكَانتْ حبة القـــلـــب لـــــكُلّ جَـــــهيَذ

وكانت في الحـــقـــيـــقـــــــة قلبَ الهـــند

بل كانت هي قلب المعمورة كلها

فلم يبق هنا إلا أطلالها

بعد أن كانت صورة للفردوس

***

مساءالمدينـــة كَانَ صباحاًمضـــــــيئاً

تَـــضَـــمَّـــنَ ذرتـــها تألـــق الـــشمسِ

الياقوتة كَانتْ داكنة البشرة أَمَامَ حجارتِها

غُـبارها قـــد حولَ الـمرآة إلى الماء

ظِـــلُّ هــذه الـــمـــديـــنة كان ضِـيَاءً
مِصباحُها كَانَ مُحاكاة لمعانِ طور سيناء

إن الشاعر قد برع في مدح مدينته الجميلة إلى حد أنه جعل كل لفظة من كلامه ينضح لوعة وحنينا إلى وطنه حتى نجده مفضلاً حجارة وطنه على ياقوتة غيرها، ومرجحاً غبار مدينته على مرآة وزجاج غيرها في الصفاء. واعتقد الشاعر أن منزلة "دهلي" بين بلاد العالم مثل منزلة القلب بين أعضاء الجسد.

ولاشكأن الشاعر قد بالغ في مدح مدينته، وهذا شأن الشعراءفى هذا الغرض الشعرى(المدح) من بين الأغراض الشعرية الأخرى.

2. **شرف المكان بشرف السكان:** قدصرح الشعراءبأن شرف المكان يكون بشرف السكان نلاحظ هذه الفكرة الجادة عند شاعرنا مراد شاه في قصيدته الأولى "مگس نامه" وهويقول:

ہے مکاں کو شرف مکینوں سے نہ کہ دوں ہمتوں کمینوں سے[1]

المكان موقر بالسكان لابالجبناء ولا دنآء

1- نامہ مراد، ص: 33.

يدل هذا البيت على صدق عاطفة الشاعر للمدينة ولسكانها، فهو يصرح بما في قلبه من حبه لسكان مدينته"لاهور" وشرفهم وكرامتهم لديه.

وهذه الحقيقة مسلمة بأن شرف المكان يكون بشرف السكان لا بالأفنية والجدران إلا بعض الأماكن المقدسة مكة المكرمة وغيرها.

3. **عظم المصيبة وشدة النكبة** :تعد هذه الفكرة من أهم الأفكار فى قصائد هذا الموضوع، وهي سائدة فى قصائدنا باللغة الأردية خاصة عند "داغ" وهو يقول:

جو کہیے جو شیش طوفان نہیں کہی جاتی یہاں تو نوح کی کشتی بھی ڈوب ہی جاتی[1]

لايمكن التعبير عن الأ حزان بالألفاظ يغرق كل مركب هنا حتى مركب نوح

إن الشاعر قد تحدث عن شدة النكبة،واعتمد لبيانها على ثقافة تاريخية حيث يظن أن هذه النكبة هي أشد من ذلك الطوفان الذى جاء في عهد سيدنا نوح عليه السلام لأن مركبه الوحيد الذى نجامن ذلك الطوفان ولكن الشاعريظن أنه لو كان ذلك المركب في هذا الطوفان أوفي هذه الحادثة الكارثة التى واجهها الشاعر وسكان "دلهى" لغرق فيه.

ثم تناول ناحية أخرى لبيان شدة النقمة حيث يقول:

1- كليات داغ،ص: 393.

کسی طرح کسی پہلو سے کل نہیں آتی پکارتے ہیں اجل کو اجل نہیں آتی

جو سر کو پھوڑیں تو پتھر پرے سرکتے ہیں جو لوٹیں کانٹوں پہ کانٹے الگ کھسکتے ہیں[1]

لا يمكن النجاقمن هذه الأحزان دون الموت

يدعو الإنسان الموت لكنه لا يأتيه

إذا أراد الإنسان أن يكسر راسه فالأحجار تنزلق

إذا أراد الإنسان أن يتمرغ على الأشواك فالأشواك تبتعد

إن الشاعر قد رسم صورة الشدة وعظم المصيبة في الأبيات المذكورة. حيث يتمنى أن يمضي اليوم الحاضر ويأتي الغد بالسرور والفرح ولكن لا يكون كذلك فيدعو الموت لينجومن هذه الأحزان ولكن لا يأتيه الموت إلى أن يحس الشاعر العداوة في كل شيء لا في الأشياء المؤلمة الضارة فحسب بل أصبح الجو بتمامه مخالفاً له وهو باق لمواجهة الآلام والأحزان فقط.

وقال في القصيدة نفسها:

یہ وہ جگہ ہے کہ عبرت پہ عبرت آتی ہے یہ وہ جگہ ہے کہ شامت پہ شامت آتی ہے

یہ وہ جگہ ہے کہ آفت پہ آفت آتی ہے یہ وہ جگہ ہے کہ حسرت پہ حسرت آتی ہے

یہ وہ جگہ ہے جہاں بے کسی بھی ڈر ڈر جائے یہ وہ جگہ ہے اجل خوف کھاکے مر مر جائے[1]

1- کلیات داغ، ص: 393.

هــذا المــكان مُـــخيف جداً

هــذا المــكان ملئ بالمصائب

هذا المكان زاخر بالعوارض

هذا المكان يسحق الإنسان بالحزن

هذا المكان يتخوف البؤس منه

هذا المكان يموت فيه الموت لخوفه

إن الشاعر قد رسم صورة النكبة وشدتهابأسلوب بديع في الأبيات المذكورة،وقرّربأن دهلي أصبحت مكاناً مخيفاًومليئاً بالمصائب والعوارض حتى يتخوف منه البؤس ويفر منه الموت

ثم ذكر أصعب المواقف وأشدها حيث يقول:

جہاز ایسا تباہی میں آ گیا اپنا ملا نہ تخت ثری تک کہیں پتا اپنا

رہا نہ آہ زمانے میں آشنا اپنا بجز خدا کے نہیں کوئی ناخدا اپنا

کسی سے ڈوبے ہوئے ایسے کب نکلتے ہیں یہاں سے حضرت الیاس بچ کے چلتے ہیں[2]

ســفينتـــــــامحاطة بالكوارث من جميع جهاتها

بحثتُ عن نفسي حتى تحت الثرى ولكن ماوجدتها

1- کلیات داغ، ص: 395.

2- کلیات داغ، ص: 395.

لـــيس هـــناك خـــل حـــميـــم لنا في العالم كله

ليـــس لنـــا مـــلجـــأ إلا الـــلـــه وحـــــــــده

إذا غـــمـــس الإنســـــان هـــنا فلا يبـــــقى حيا

حـــتـــــــى إن سيدنا إلياس يتجنب هذا المكان

إن الشاعر قد بين في المقطوعة المذكورة شدة النقمة حيث يئس من جميع الناس ، ويقرر أنه لا ملجأ إلا إلى الله،ويذكر أن من يلج هذا المكان هالك لا محالة، ولذلك يتحاشاه سيدنا إلياس (عليه السلام) رغم كونه غواصاًمدرباً على الأمورالعظام.

وتوفر هذا المعنى عند شعرائنا الآخرين كما نلاحظه عندأديب سهيل حيث يقول:

ہر طرف تھی بازگشت صور اسرافیل لہرائی ہوئی

زندگی جس سے عبارت تھی وہی آب وھوا

ناگنوں کی طرح بل کھائی ہوئی[1]

وانتشر الضجيج فى كل مكان مثل صور إسرافيل

والطقس والهواء المكونان الحياة أصبحا ملفة الأفاعى

1- بکھراوکا حرفِ آخر، ص: 54.

وقد عبر الشاعر عن أحزانه بتعبيرات رائقة تدل على سيطرة الهلاك والزوال على جميع الناس.

4. **البكاء على فساد المدينة :**

وقد تناول معظم الشعراء هذا المعنى في قصائدهم الرثائية، ونلاحظ هناك علاقة التلازم بين الرثاء والبكاء، لذلك نجد هذا المعنى عند أغلب الشعراء، وأقتصر هنا على ذكر بعض النماذج التي تدل على شدة البكاء وكثرته ومن ذلك قول شاعرنا مرزا داغ الدهلوى:

زمین کے حال پہ آسماں روتا ہے ہر اک فراق مکین میں مکان روتا ہے

گداوشاہ ضعیف اور جواں روتا ہے غرض یہاں کیلئے اک جہاں روتا ہے[1]

تبكى السماء على ظروف الأرض

يبكى له في كل ساكن مغادر هناك

يبكي غنى، فقير، شاب، و عجوز

حتى يبكى العالم كله على حال "دلهى"

إن الشاعر قد تحدث عن البكاء على فساد "دلهى" ودمارها وبيّن أن السماء تبكى على حال الأرض والبيوت تبكى على سكانها المغادرين، ويبكى جميع الناس من

1- كليات داغ، ص: 393.

الرجال والنساء، ومن الفقراء والأغنياء، ومن الأطفال والشباب إلى أن اعتقد الشاعر أن جميع العالم يبكى على الحادثة الأليمة التى وقعت في المدينة. والشاعر قدرأى من المشاكل مالم يره النائم فى النوم لذلك أصابته الأحزان فيرى كل شيء باكيا وحزيناً. ويقول في القصيدة الثانية :

آسمان پر سے بھی نوح کی صدا آتی ہے کیا فرشتے بھی ہوئے مرثیہ خواں دہلی[1]

يسمع صدى النائحات من السماء

هل ترثى الملائكة لدمار دلهى

إن الشاعر يحسب بسبب حالته الداخلية الحزينة كل صوت وصدى نوحاًوبكاءً حتى يسمع الأصوات منأصحابهاويظن أنها تأتى من السماء ويخيل إليه أنها للملائكة ثم يسأل متحيراً هل الملائكة تبكى وترثى على فساد "دلهى" . وقد رسم شاعرنا أديب سهيل صورة البكاء وهو يقول:

ساحلوں کی ہنسی گاتی بستیاں عشتار کی مانند روتی ہی رہیں

روند کران کو روانہ ہو گیا کہسار آب[2]

وقرى الشواطئ الغانية السعيدة ظلت تبكى مثل عشتار

و قد سحقها ثم مشى جبل الفيضان

1- کلیات داغ، ص: 310.

2- بکھرا ہوا کاجر فاخر، ص: 54.

يذكر الشاعر هنا بكاء قرى الشواطئ في أسلوب التشبيه،وشبه القرى بـــ " عُشْتار" التى كانت إلهة الحب من آلهة الضالين في العهد القديم، وهي شفعت عند "آدو" الإله الأكبر ليمنع الطوفان، ولكن ما قَبِلَ آدو شفاعتَها حتى جاء الطوفان من كل ناحية إلى أن سحقت المدينة الآشورية بتمامها. فبكت عشتار على تلك الحادثة بكاء حتى أصبح مثلا إلى الآن:

وقد أشار الشاعر في الأبيات المذكورة إلى تلك النكبة وبكاء عشتارعليها.

5. شدة الحزن والأسى:

الحزن والأسى صفات ملازمة للقصائد الرثائية و لكن أنا أقصد منه هنا مبالغة الشاعر فيه وشدته التى ترشح من كلمات القصائد وتعبيراتها كما نلاحظه عندشاعرنا مرزا داغ الدهلوي في قوله:

غضب ہے بخت بد ایسے ہمارے ہو جائیں کہ لیں جو لعل گوہر سنگ پارے ہو جائیں

جو دانہ چاہیں تو خرمن شرارے ہو جائیں جو مانگیں پانی تو دریا کنارے ہو جائیں

پئیں جو آپ بقا بھی تو زہر ہو جائے جو چاہیں رحمت باری قہر ہو جائے[1]

عجباً أصبحنا سيئى الحظ

حتى تُصبحُ اليَواقيت والجوهرات حصْباء

1- کلیات داغ، ص: 395.

و تُـــصـــبحُ الحَصائد جـــــمرات

تُصبحُ الأنـــــهار ضفّات إذا أريد الماء

إذاشربنا ماء الحياة يتحول سمّاً

وإذا طلبنا رحمة الله تتقلب قهراً

إن الشاعر قد أحس حزناً شديداً بسبب الحوادث والتقلبات في المجتمع الهندى خلال الهجومات والاحتلال الاستعمارى عندماوجد كل شيء منعكساً منقلباً إلى ضده، إلى أن تحيروأبدعت قريحته المقطوعة المذكورة وقالها تحسراً على ماواجهه فقد وجد الشاعراليواقيت والجواهرمنقلبة إلىحصباء، والحصائد إلى جمرات، والأنهار بعيدة عن المنال، وماءالحياة إلى سم والرحمة إلى نقمة وماإلى ذلك، وهذا يدل على مافي قلب الشاعر من الحزن الشديد.

وقال شاعرنا أديب سهيل في رثاء داكا متحدثا عما أصابه من الحزن والألم بصورة رائعة:

پریشان ہے ہر شخص جینے کے ہاتھوں

یہ جینا بھی اک مسئلہ بن گیا ہے[1]

كل رجل يمقت الحياة

1- بکھرا ہوا کاحرفِ آخر، ص: 33.

أصبحت الحياة مأزقاً صعب التحمل

بين الشاعر ما أصابه من الأحزان والآلام حيث قال: قد صعبت الظروف هناك إلى غاية الصعوبة حتى بدأ يفضّل كل رجل من سكان " داكا " الموت على الحياة وسقطت عليهم جبال الآلام والأحزان حتى لا يريدون الحياة في مثل تلك الآلام،وقال في القصيدة نفسها:

یہ ہے مرگ انبوہ میں غم کا عالم

کہ کہسار بھی سر پہ خاشاک سا ہے[1]

هذه حالة الحزن على حشدالأموات

أصبح الجبل على الرأس مثل الهباء المنثور

إن الشاعرقد اشتد عليه الحزن والهم لكثرة الأموات،وغلبت عليه أثقال الأحزان حتى يحسب الجبال أخف عليه من تلك الآلام.

1- المصدر السابق، ص: 32.

أصبحت الحياة مأزقاً صعب التحمل

بين الشاعر ما أصابه من الأحزان والآلام حيث قال: قد صعبت الظروف هناك إلى غاية الصعوبة حتى بدأ يفضّل كل رجل من سكان " داكا " الموت على الحياة وسقطت عليهم جبال الآلام والأحزان حتى لا يريدون الحياة في مثل تلك الآلام،وقال في القصيدة نفسها:

یہ ہے مرگ انبوہ میں غم کا عالم

کہ کہسار بھی سر پہ خاشاک سا ہے[1]

هذه حالة الحزن على حشدالأموات

أصبح الجبل على الرأس مثل الهباء المنثور

إن الشاعرقد اشتد عليه الحزن والهم لكثرة الأموات،وغلبت عليه أثقال الأحزان حتى يحسب الجبال أخف عليه من تلك الآلام.

1- المصدرالسابق،ص: 32.

6-اليأس من الأمن والسلام:

وإذا انقطعت أسباب الصلاح الظاهرة للمجتمع البشرى في نكبة من النكبات تختار الطموحات والأمانى لون اليأس أحيانا، ونلاحظ هذا اللون عند شعرائنا في بعض المواطن.

كما نلاحظه عند شاعرنا داغ الدهلوى حيث يقول:

مقام امن جو ڈھونڈا تو راہ نہ ملی یہ قہر تھا کہ خدا سے پناہ بھی نہ ملی[1]

کوئی مراد جو چاہی حصول ہی نہ ہوئی دعائے مرگ جو مانگی قبول ہی نہ ہوئی[2]

بحثت عن مأوى السلام دون جدوى

وا أسفاهل هذا غيضا فحتى لَمْ أجدْ ملجأ إلى الله

كلماحاولـتُ تـحـقـيـق أمـلـــي أخفقت

طلبتُ الـموتَ لـكـن دعـائـي لـم يُـقْبَلْ

الشاعر قد يئس من الحصول على الأمن والسلام، وتحقيق طموحاته وجد جميع الطرق مسدودة أمام تحقيقها إلى أن يئس من حصول الملجأ من الله. وفي هذه

1- كليات داغ، ص: 394.

2-المصدر السابق، ص: 395.

الأحوال يدعو الموت ولكن دعاءه لم يقبل.وكذلك بعض الأبيات في هذا اللون عند شاعرنامراد شاه في رثاء لاهور عندما تحدث عن كثرة الذبان وشدة إزعاجها يقول:

سب پرندے خطر سے بھول گئے اور درندوں کے پاؤں پھول گئے

کوئی حالت نہیں ہے انسان کی اور نہ صورت ہے کوئی حیوان کی[1]

إن الطيوركلها ذهلت من الخطر

السباغ كلها أصبحت خائفة

ليس هنا صورة الحياة للإنسان

ولاســــــــبيل إلى بقاء الحيوان

عند مارأى الشاعر كثرة الذبان وسيطرتها على كل شيء من الإنسان والحيوان ولا يرى إمكان التخلص منها كأنه يئس من الحياة وعودتها إلى بهائها فأبدعت قريحته هذه الأبيات التى تدل على تمكن اليأس منه، وأنه لا سبيل للحياة فى هذه المدينة لا للإنسان ولا للحيوان.

1- ناممراد، ص: 35.

حسن التأويل:

نرى في قصائد الرثاء باللغة الأرديةمن استخدم أسلوب حسن التأويل لدمار المدينة وهو ما نلاحظه عند شاعرنا داغ الدهلوى في رثاء "دلهى"وهو يقول:

دلی والوں کیلئے اب تازہ بنے گی جنت لے گئے سر پہ ملک تحفہ مکان دہلی[1]

ستجهزُ الجنة الجديدة لسكان دلهي

حَملتها الملائكة كهدية كريمة

ربما نظر الشاعر إلى الفوائد التى تعقب الدمار والخراب في تجديد المنازل وتحسينها، لذلك أوّله بهذا التأويل كأنه يريد أن يوضح أن أمكنة "دلهى" قد ظلت قديمة محتاجة إلى تجديد، فحملتها الملائكة مثل الهدية الكريمة المباركة المقدسة إلى السماء وتُعَدُّ لسكان "دلهى" جنة جديدة مثقفة ومهذبة وقد ندر هذا اللون في القصائد الرثائية غاية الندرة.

أسباب الدمار:

وقد مر البحث عن أسباب الدمار كمدخل لهذا الباب وألخصهاهنا.

فأسباب الدمار التى تحدث عنها شعراؤنا باللغة الأرديةتنقسم إلى قسمين، مباشرة وغير مباشرة ومن الأسباب المباشرة ما تفرد به شاعرنا مرزا داغ الدهلوى

1- كليات داغ ص: 310.

حيث صرّح بذكر الأروبيين المهاجمين على الهند، ثم بين أن ملاك الأراضى كانوا ظالمين للضعفاء من سكانها. ومن أهم الأسباب غير المباشرة التى اختارها شعراؤنا: عدواة الفلك، والعين الحاسدة، والطوفان، والذبان، والقنران، والنماذج قد مرت فيما سبق فلاحاجة لإعادتها هنا.

الهجرة والمغادرة وبيان مشاكلها:

قد تشتد الأحوال والظروف بسبب النكبات إلى حد يضطر السكان إلى مغادرة الوطن والنـــزوح عن المدينة وترك الأموال والبيوت والفراق عن الأعزاء، والأخلاء، وترك المكان الذى تتعلق به ذكرياتهم من عهدالطفولة والصبا وهوليس بسهل،وتعرض بعض الشعراء لرسم العواطف والأحاسيس التى أخذوها عن المغادرين وقت المغادرة،كما نلاحظه عند شاعرنا مرزا داغ الدهلوي يقول:

برنگ بوئے گل اصل چمن چمن سے چلے
غریب چھوڑ کے وطن وطن سے چلے
نہ پوچھ زندوں کو بے چارے کس چلن سے چلے
قیامت آئی کہ مردے نکل کفن سے چلے
مقام امن جو ڈھونڈا تو راہ بھی نہ ملی

یہ قہر تھا کہ خدا کی پناہ بھی نہ ملی[1]

رحل أهل الحديقة مثل رائحة الورد منها

ورحل البؤساء يفارقون أوطانهم

لا تَسألْ عن السجناءَ المُعسرين كلفة الحياة

فقامت القيامة وارتحلت الجثث من أكفانها

بحثت عن مأوى السلام دون جدوى

وا أسفاهل هذا غيضا فحتى لَمْ أَجدْ ملجأ إلى الله

إن الشاعر قد رسم صور مغادر سكان "دلهى" عن وطنهم في أسلوب التشبيه كأن السكان كانوا في دلهى مثل الزهور في الحديقة وطبعاً لا قيمة للحديقة بدون الزهور كذلك "دلهى" لا قيمة لهابدون أولئك السكان المغادرين.

ثم رسم حالة خروجهم من الوطن حيث كان خروجهم من "دلهى" مثل خروج الأموات من القبور، وذكر ذلهم خلال الهجرة والمغادرة حيث لم يجدوا ملجأ، حتى وصل الشاعرمن اليأس إلى الغاية قدأحس الحرمان من اللجوء إلى الله.

وقد هاجر شاعرنا مراد شاه من مدينة لاهورعندكثرة الذبان وذهب إلى قرية قريبة من لاهور واستوطنها وكتب هناك قصيدته "مگس نامه" هذه حيث يقول:

1- المصدر السابق، ص 394 .

لے کے کاغذ پہ کلک جب رکھی لکھتے لکھتے ہی یک قلم مکھی

سطر کی سطر چاٹ گئی اڑکے پھر آنکھ پر بھی کاٹ گئی

شہر میں دیکھ میں یہ ہنگامہ گاؤں میں آ لکھا مگس نامہ

متصل شہر کے اٹاری نام ہے مریدوں کا جس میں اپنا مقام[1]

عندما يُوضع القلمُعلى الصفحـــــة

يأتي الــذباب فــجــأة خلال الكتابة

ويلعق منها سطرا كاملا في طرفة عــين

وعندمايطير من السطر يلسع العـــــين

عــنــدما حــدثَتْ البلبلة في المــدينــة

كــتــبتُ فــي الــقريــة هــذه القصيدة

القرية تقع في جوار لاهور اسمها"إتارى"

لأتباعــنــا هــناك مكانــة عاليــــة

1- نامہ مراد، ص: 34.

الموازنة بين ما ضى المدينة وحاضرها:

إن هذه الفكرة سائدة فى معظم القصائد لهذا الموضوع لأن الأحوال تتغير بسبب الدمار والهجوم حيث يتبدل الأمن بالخوف والغنى بالبؤس لذلك يبدع الشعراء قصائدهم على فساد الأحوال ويبكون على خراب مدينتهم ويذكرون جمالها قبل الدمار وهوما توضحه بعض النماذج من القصائد المختارةيقول شاعرنا مراد شاه في الموازنة بين أحوال لاهور قبل النقمة وبعدها:

رشک آبادئ جہاں تھا یہ الغرض خوب ہی مکان تھا یہ

کوئی اس میں پڑا جو یوم قدم ہے اب اسکا وجود رشک عدم[1]

هذه المدينة كانت سبب الحسد من المدن

باختـــصار كانت مثـــالا نـــموذجيا لها

قد وقعت فيـــها الرجـــل الناحـــــــس

حتى أصبح وجودهامغرم بالعدمالآن

إنها كانت قبل النكبة مثالا نموذجيا تحسدها المدن الأخرى عليه وبعد النكبة أصبح وجودها مغرما بالعدم والفناء.

1- ناصمراد، ص 33/32 .

وكذلك قارن بين أوصاف السكان قبل الحادثة وبعدها في الأبيات التالية:

ایک سے ایک تھے وہ صد چنداں سب ملائک صفت و بے انساں

خوبرو تھے حیا سے سب موصوف اور عاشق وفا سے تھے معروف

ہے مکاں کو شرف مکینوں سے نہ کہ دوں ہمتوں کمینوں سے[1]

كل شخص كان مدهشا جذابا هنا

كل إنسان كان محلى بالصفات الملكية

كل رجل كان وسيما متواضعا

والإخلاص كان مبدأ أساسيا

المكان موقر بالسكان

لابالجبناء ولا دنآء .

إن الشاعر قد تحدث عن أخلاق الناس الحسنة التى كانوا يتحلون بها قبل النكبة من التواضع والإخلاص واتصافهم بالصفات الملكية ثم ذكر تغيرهم إلى الأخلاق السيئة من الجبن والدناءة وما إلى ذلك.

وكذلك توفر هذا اللون عند شاعرنا مرزا داغ الدهلوى وهوما نلاحظه فى الأبيات التالية يقول:

1- المرجع السابق، ص: 32/33.

خدا پرستی کے بدلے جفا پرستی ہے جو مال مست تھے اب انکو فاقہ مستی ہے

بجائے ابر کرم مفلسی برستی ہے تنگ جینے سے ہیں ایسی تنگدستی ہے

غضب میں آئی رعیت بلا میں شہر آیا یہ پوربی نہیں آئے خدا کا قہر آیا(1)

حل الظلم محل التقوى

وأصاب الأثرياء جوعا قارسا

يغلب الفقْر بدلاً من الـــسخـــاء

وملوا من الحياة المليئة بالبأساء

ابليت المدينة وأهلها

وجاءَ هؤلاء الأوربيون هنا كغضب الله

وقد وازن الشاعر هنا في بعض معالم الحياة في مدينة "دلهى" قبل النقمة وبعدها وتغير الأحوال إلى ضدها بأسلوب رائع.

الدعاء:

قدتفرد شعراؤنا باللغة الأرديةبختم معظم قصائدهم بالدعاء والرجوع إلى الله وهذا ما نجده عندشاعرنامراد شاه، ومرزا داغ الدهلوى:

1- كليات داغ، بتقديم خواجه محمد ذكريا، 2011م المحمد پبلى كيشنز لاهور ، ص: 394.

وقد مر الحديث المفصل عن هذا عند تناول خواتيم القصائد وأكتفي هنا بذكر نموذج واحد من خاتمة قصيدة داغ الدهلوى حيث يقول:

الٰہی پھر اسے آباد و شاد و کھلا دے الٰہی پھر اسے حسب مراد و کھلا دے[1]

اللّهم أعد عمران هـذ الـبلـد

الـلـهـم أرنـا هذ البلد كما يرام

إن الشاعر قد دعا الله سبحانه تعالى أن يعيد بلدته إلى حالتها الأولى مأهولة مسكونة، آمنة مطمئنة.

صورة الجيش الغازى الهاجم:

وقد تحدث شعراءنا عن جيش العدو المهاجم بأساليب مختلفة مباشرة وغير مباشرة.

وقد مر التفصيل عند البحث عن أسباب النكبة وذكرنا أن شعراءنا قد تحدثوا عن الجيش في معظم المواطن بأسلوب غير مباشر وهو ما نلاحظه في رثاء لاهور عند مراد شاه حيث أبدع قصيدتيه متخذا رمز الذباب والفئران،وكأنه اعتقد بأن

1- كليات داغ، ص: 395.

الأعداء الهاجمين على مدينته ومُدَمِّرِيها هم مثل الذباب في الذل والصغار واللؤم والدناءة، ومثل الفئران في النفاق والجبن.

وكذلك أبدع شاعرنا أديب سهيل إحدى قصيدتيه باسم الطوفان، فالظاهر أن الشاعر يريد أن الهجومات كانت مثل الطوفان الذى له سيطر على سكان مدينة الشاعر وما أبقى شيءا منها.وتناول مرزا داغ الدهلوى صورة جيش العدو المهاجم بأسلوب تقريرى مباشر واستنبطت من قصائده صورتين

أولاهما:صورة المنافق:

وهي نلاحظها في الأبيات التالية،

زبان سے کہتے ہوئے دین آئے لعین جو ماتا دین تھا کوئی تو کوئی گنگا دیں

یہ جانتے ہی نہ تھے چیز کیا ہے دین متین کیئے ہیں قتل زن وبچہ کیسے کیسے حسین

روانہ تھا کسی مذہب میں جو وہ کام کیا غرض وہ کام کیا، کام ہی تمام کیا[1]

جـــاءَ الـــملعـــونـــون مكررين الكلمـــة "الدين"

كان الدين " ماتا " في مكان وكان "گنگا" في مكان آخر

وفي الـــحـــقيقة لَمْ يَـــعْـــرِفُـــوا ماهـــو الدينَ المتين

وقَتلوا الأبـــرياءَ مـــن الـــنِـــساء والأطفال الدسماء

1- كليات داغ، ص: 393.

ارتكبوا كل ما كان محرما في جميع الأديان

وأبادوا كُلّ شيء وهتكوا جميع شعائر الد ين

صرح الشاعر في المقطوعة المذكورة بنفاق الناس الذين بذلوا جهودهم في تلك الحرب باسم الدين حيث كان الهنود والنصارى يحاربون لحفظ دينهم ولنشردعوتهم في أرض الهندويسمون هذه الحرب عملاً دينياً وكذلك المفسدون من الفئات الطاغية الباغية الذين قتلوا الأبرياء من الولدان والنساء باسم الدين وماجَوَّزَهذا العمل أي دين من الأديان و لا أي نظام من النظم في جميع العالم.

ثانيتهما:

صورة الحمى ــ وقد عبر الشاعر عن تسلط جيش العدو الغازى على سكان "دلهى" بالحمى.كما يقول:

جگہ جگہ تھے زمیندار کی صورت چڑھتے ہی آتے تھے سر پر بخار کی صورت

بلا سے کم نہ تھی ہر ایک گنوار کی صورت چھپی نہ ان سے پر اہل دیار کی صورت[1]

كان ملاك الأراضى مثل الشنـــــق في كل مكان

ســيــطروا عــلــى الــناس مثــل الحــمى

فلم يكن الحمقاء (ملاك الأرض) من الآفة

1-كليات داغ، ص: 394.

وما اختفت عليهم حالة أهل الديار

إذا رأوا شخصا مضطرا آتيا إلى القرية

هتف أهل القرية "خذوا" الفريسة

إن الشاعر قدعرض جيش العدو في صورة الحمى ربما جعل ذلك لسيطرتهم على دلهى وأهلها ولبطشهم الشديد مثل سيطرة الحمى على جميع أعضاء صاحبها، وكذلك شبه الفلاحين بالشنق والآفة وكل ذلك يدل على شدة بطشهم.

بيان البؤس والفقر:

ومن الطبيعى أن يوجد البؤس والفقروالبطالة ونحوها من المشاكل الاجتماعية نتيجة الهجمات والدمار والفساد والقتل والنهب وما إلى ذلك.وقد تناول شعراء رثاء المدن هذه الفكرة في قصائدهم بكثرة ملموسة مثلما نلاحظه عند شاعرنا ظهور الحق أديب سهيل حيث يقول:

جو گھر بار رکھتے تھے گھر سے نکل کر

بھلا کر سبھی حال وماضی کے سپنے

کھلے آسماں اور درختوں کے نیچے بسیرا کیئے ہیں

درختوں کے پتوں ہی پہ جی رہے ہیں[1]

وقدأخرج أصحاب البيوت والعوائل

ناسين أحلامَ الحال والماضى

لاجئين تحت السماء والأشجار

ويعيشون على أوراق الأشجار

قد رسم الشاعر في الأبيات المذكورة صورة بديعة للبؤس والفقر السائد على المجتمع كله بحيث قد حرم السكان من البيوت والأمتعة وظلوا مضطرين للعيش تحت الأشجار وللأكل من أوراق الأشجار عند فقد الأطمعة وأسبابها وهو غاية البؤس والشقاء.

وقال الشاعر مرزا داغ الدهلوى:

بنا ہے خال سیہ رنگ مہ جمالوں کا دوتا ہوا ہے قد راست نونہالوں کا

جو زور آہوں کا لب پر تو شور نالوں کا عجیب حال دگرگوں ہے دلی والوں کا[2]

أصبحَ لونُ الوجوهِ الهلالية شَامَة سوداء

تقوس الأطفال الذين كَانوا لهم قوام رفيع

ترقص الآهات على الشفا وتعلو الضجة

1- بکھرا ادکا حرفا آخر، ص: 32.

2-کلیات داغ، ص: 394.

وصار أهل دلهى فى ظروف سيئة للغاية

كلماحـــاولتُ تحقـــيـــق أمـــلـــي أخفقت

طلبتُ الموتَ لكن دعـــائي لـــم يُـــقْبَـــلْ

إن الشاعر قد تناول بعض المشاهد للبؤس والفقر في الأبيات المذكورة فقد صرح بأن الوجوه المقمرة الهلالية قد اسودت بسبب الجوع، وأصبح الشبان ذووالقامة الرفيعة مقوسين.

وأصوات الشكاوى والآهات رفيعة من جميع سكان المدينة،

إحراق الأموال والأمتعة،

قصائد رثاء المدن قد احتوت على كثير من مشاهد الإحراق والضياع للأموال من البيوت والدكاكين وأكتفي بذكرنموذج واحدمن رثاءداكا يقول الشاعر:

دکان کے مالک دکانوں کی خاکستروں پر کھڑے ہیں

جلے ادھ جلے سب اثاثے پڑے ہیں[1]

أصحاب الدكاكين

يقفون الآن على رماد دكاكينهم

أكلت النار جميع ما ملكت أيديهم

1- بکھرا دکاخر فاخر، ص: 33.

إن الشاعر قد بين في هذه الأبيات إحراق الدكاكين وضياع الأمتعة وتحولها إلى الرماد وحرمان أصحابها من ملك أيديهم كله وحسراتهم على ذلك.

المبحث الرابع: الصورالتى ركزعليها شعراءاللغة العربية

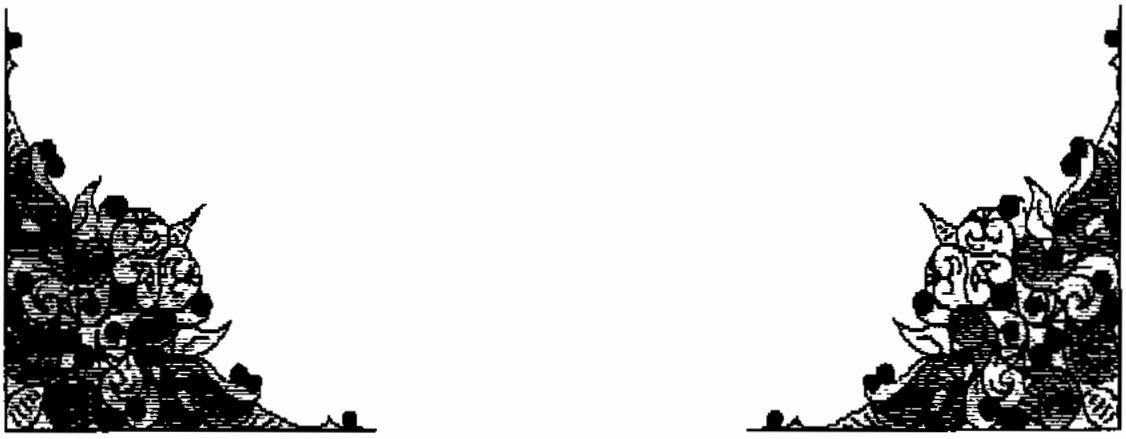

المبحث الرابع: الصورالتى ركزعليها شعراءاللغة العربية

وقد فصلنا القول في الصور الفنية في الفصل الثالث من الباب الأول والثاني عند التحدث عنها وتناولنا هناك أهمية الصورة الفنية بين العمل الأدبى وأقسامها من الكلية والجزئية مع بيان تعريفاتها وتحليل نماذجها.

وأما هنا فنوجزالقول فيها لخوف الطول الممل والتكرار الذى لا داعى له ونقتصر على إحصاء عدد الصور التى استقريناها من المادة الشعرية المختارة مع عرض النماذج لبعضها.

أما الصور الجزئية : التى يتضمها هذا البحث الوجيز فهي صور التشبية والاستعارة والكناية وقد قدمنا الشواهد لكل صورة من الصورالمذكورة من القصائد المختارة بالبسط والتفصيل ومنها:

التشبيه: ومن شواهد التشبيه المرسل قول شاعرنا علي بن عبد الله البهائى العزولى:

قَطَرَاتُ جَفْنِيْ تَرْجَمَتْ عَنْ حُرْقَتِـــــــيْ

فَكَأَنَّــهُــنَّ قَــلَائِــدُ الْــعَــقْــــــيَانِ[1]

1- خطط الشام، ص: 172/2.

وقد بين الشاعر في بيته هذا كثرة دموعه ومزجها بالدم في أسلوب فنى تشبيهي: حيث شبه قطرات جفنه أى دموعه بـ "قلائد العقيان" أى قلائد الذهب الخالص في اللون وجريانها واحدة بعد واحدة متصلاً، وأداة التشبيه هنا "كأن"

الصور الكلية : وأما الصورة الكلة التى تتبعناها من قصائدنا فهي ثلاثة مثل التالى:

الصورة الكلية النامية،والصورة الكلية النفسية،والصورة الكلية المتقابلة ومن شواهدالصورة النامية الواردة في قصائدنا العربية :

قول شاعرنا علاء الدين على الأوتارى الدمشقى الذى رثى به الهالكين خلال نكبة دمشق يقول:

فَالْغَـلَا وَالْجَـلَا مَعَ الْجُـوْعِ وَالْـعُرِيْ

وَنَـهْـبِ الْأَقْـوَاتِ وَالْأَزْوَادِ

وَالْحِصَـارِ الشَّدِيْدِ وَالْحُـبْـسِ وَالْخَوْفِ

مَعَ السَّـادَةِ الْـعُـرَاةِ الْمُـكَادِيْ

طَرَقَتْـهُـمْ حَوَادِثُالـدَّهْرِ بِالْقَـتْـلِ

وَنَـهْـبِ الْأَمْـوَالِ وَالْأَوْلَادِ[1]

1- نهاية الأرب فى فنون العرب للنويرى، ص: 226/5.

يبكي الشاعر على الأحوال الضيقة الصعبة التي حدثت خلال النكبة، ورسم هنا صورة حزينة نامية تبدأ بالحصاروالحبس والخوف ثم ارتقت إلى الغلاء والجلا ونهب الأقوات والأمتعة إلى أن انتهت بالنهاية السلبية وهي القتل ونهب الأموال والأولاد والقضاءعلى جميع الأشياء.

المبحث الخامس: الصورالتى ركزعليها شعراءاللغة الأردية

المبحث الخامس: الصورالتى ركزعليها شعراءاللغة الأردية

نسلك في هذا المبحث نفس الأسلوب الذى سلكناه في المبحث الماضى حيث اقتصرنا على إحصاء عدد الصورالواردة في مادتها الشعرية لكل من الصورالجزئية والصورالكلية، وعرضنا نموذجاً واحداً من الصورالجزئية وواحداً من الصورالكلية : أداء لحق المقام.

الصور الجزئية : وأما الصور الجزئية الواردة التى نتتبعها من قصائدنا الأردية فهي مثلما تتبعنا من قصائدنا العربية من صور التشبيه والاستعارة والكناية وقد فصلناها في الفصل الثالث من الباب الثانى ونقتصرهنا على عرض نموذج واحد كالتالى:

ومن أنواع التشبيه المتتبعة من الشعرالأردى التشبيه التمثيلى كما نلاحظه في قول شاعرنا مراد شاه في رثاء لاهور وهو يقول:

شیر سے ہیں مستعد بجنگ ان کے حملے سے اب تنگ پلنگ

خوف کھاتا ہے دیکھ ان کی جھپٹ بھیڑیئے سے ڈرے ہے جیسے بھیڑ[1]

هـــي متأهـبـــة لشن الحرب على الأسد

1–نامہ مراد، ص 34.

النمر مفجوع بسبب اعتداءاتها

جبنه ظاهرومدرك بيسير

وهو مثل الضأن أمام الذئب

اختار الشاعر في البيت المذكور أسلوب التشبيه التمثيلى لبيان اعتداءات الجرذان وسيطرتها على جميع أنواع الحيوان حتى الأسد والذئب والفهد كما يظهر من البيتين المذكورين حيث يقول إن الجرذان في استعداد للحرب مع الأسد وهو سيد السباع ويخاف منها الفهد ويفر منها بعد ما رأى جمعها كما يفر الضأن من الذئب ــ وبين فرار الفهد من الجرذان مستخدما أسلوب التشبيه التمثيلى بأن وجه الشبه هنا ليس بشيء واحد بل هو صورة منتزعة من متعدد مثل الخوف، السعى للفرار وغيرها من الأشياء التى انتزع منها وجه الشبه.والغرض من هذا التشبيه هو تقرير حال المشبه.

الصور الكلية : وأما الصور الكلية التى استقريناها من قصائدنا فهى: الصور الكلية النامية والصورة الكلية النفسية والصورة الكلية المتقابلة، والصورة الكلية الممتدة والصورة الكلية الرمزية بنوعيها الرمزالمعجمي والرمزالتاريخى.

وقد تفرد شعر اللغة الأردية من بين الصور المذكورة بالصورة الكلية الممتدة والصورة الكلية الرمزية بنوعيهاالرمزالمعجى والرمزالأسطورى.

وأكتفي هنابعرض نموذج واحد للصورة الممتدة التي توفرت عند شاعرنا مرزا داغ الدهلوى الذى تعد كل مقطوعة من مسمطه صورة ممتدة،ومنها قوله:

غضب ہے بخت بد ایسے ہمارے ہو جائیں کہ ہیں جو لعل وگہر سنگ پارے ہو جائیں

جو دانے چاہیں تو خرمن شرارے ہو جائیں جو پانی مانگیں تو دریا کنارے ہو جائیں

پئیں جو آپ بقا بھی تو زہر ہو جائے جو چاہیں رحمت باری تو قہر ہو جائے[1]

عـجـبـاً أصـبحنـا سيـئى الحـظ

حتى تُصبحُ اليَواقيت والجوهرات حصْباء

و تُـصـبحُ الحَصائد جـمرات

تُصبحُ الأنـهار ضفّات إذا أريد الماء

إذاشربنا ماء الحياة يتحول سمّاً

وإذا طلبنا رحمة الله تتقلب قهراً

هذا المقطوعة صورة ممتدة قد رسم الشاعر فيها عظم المصيبة وصعوبة الأحوال وتقلب الأيام حيث يتعجب الشاعر على التغير الذى حدث. وامتدت الصورة

1- نغان دہلی، ص: 56.

حيث بدأ الشاعر بالحيرة على كونهم سيئى الحظ ثم ذكر تحول اليواقيت والجواهر إلى الحصباء والحصائد والمحاصيل الجاهزة إلى الجمرات حتى ماء الحياة أصبح سما ورحمة الله حنقاً. ربما تتدرج هذه الصورة تحت الصور النفسية حيث يستخرج منها يأس الشاعر عن رؤية المدينة على سيرتها الأولى والثبات لأحوالها.

خلاصة البحث

واحتوت هذه الأطروحة على مقدمة وتمهيدوثلاثة أبواب على نحو التالى :

تحدثت المقدمة عن تحديد الموضوع ، وأهميته، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة ومنهج، وخطته.

وتحدث التمهيد عن منزلة الوطن فى الشعر العربي والأردي من الحب والبكاء على فراق الوطن والبُعد عنه، ووصف طبيعة الوطن، ومدح مظاهر جماله، وإثبات أوصاف الجنة للوطن وتفضيله على كل ما سواه، وإرسال التحايا الروحية من البعيد إلى الوطن بالصبا أوغيره لإطفاء نار الفراق مع عرض النماذج من الشعرين العربي والأردي.

وفيه أيضاً معنى الرثاء لغة واصطلاحاً مع نظرة تارخية سريعة لشعر رثاء المدن من العصرالجاهلى إلى العصر الحديث، ونشأته وتطوره بذكرالشعراء البارزين فى هذا النوع من الشع، وتوضيح مصطلح شهر آشوب في اللغة الأردية الذي يعدل مصطلح رثاء المدن في اللغة العربية وبيان الشعراء المشهورين فى النوع المذكور من الشعر، ونبذة عن حياة الشعراء المختارين مع التركيز على بيئتهم الاجتماعية التي عاشوا فيها وجهودهم الأدبية .

وجاء الباب الأول بعنوان (رثاء المدن العربية) وتألف من مدخل وثلاثة فصول وتناول المدخل نكبات المدن العربية وأسبابها واكتفيت بذكر الأسباب التى تناولها شعراءنا المختارون، وأهمها : الذنوب والمعاصي ، القضاء والقدر، وجورالزمان وصنعة الأيام وما إلى ذلك.

ناقش الفصل الأول عرضاتحليليا لقصائد رثاء المدن العربية من خلال ثلاثة مباحث .

وناقش الفصل الثاني البناء الفني للقصائد السابقة من حيث الشكل من بيان مطالع القصائد وبينت هنا أهمية المطلع فى البناء الفنى للقصيدة وأقسامه من المطلع الطللي ومطلع الحزن والأنين و مطلع شكوى الزمان والدعوة إلى الاستعبار منه .

وخواتيمها وذكرت هناأهمية الخاتمة وأنواعها من خاتمة الدعاء والاستغاثة وخاتمة الحزن الألم . وأسلوبها والموسيقى.

وناقش الفصل الثالث الخصائص الفنية لقصائد الرثاء من خلال الأساليب البلاغية والصور الفنية.

وجاء الباب الثاني بعنوان (رثاء مدن شبه القارة الهندية – الباكستانية)فى مدخل وثلاثة فصول، تحدث المدخل عن نكباب مدن شبه القارة .

وعرض الفصل الأول تحليلا لقصائد رثاء مدن شبه القارة من خلال ثلاثة مباحث، كما

ناقش الفصل الثاني البناء الفني للقصائد السابقة من حيث الشكل والموسيقى .

ناقش الفصل الثالث الخصائص الفنية لقصائد الرثاء من خلال الأساليب البلاغية ، والصور الفنية

وعقد الباب الثالث مقارنة بين الشعر العربي والشعر الأردي حول رثاء المدن من خلال مدخل وفصلين ، درس المدخل قضية التأثير والتأثر،

ووضح الفصل الأول مواطن التشابه بين الشعرين، و أسباب التشابه بين الشعرين وحدة الموضوع، تشابه النكبات المختارة، تشابه الظروف وحدة المعايير لاختيار للشعراء تشابه المعانى بين الشعرين المقارنة بين الماضي والحاضر، شدة الحزن على طمس المعالم الدينية، شدة الحنين إلى المعالم الحضارية التي تغيرت، البكاء على فراق الأحبة والأعزاء، تعرضهم لبيان مشاكل

الهجرة والمغادرة، رسم صورة الجيش، إسناد النكبات إلى أسباب غيرحقيقية ، اليأس من الصلاح ، بيان البؤس والفقر، إحراق الأموال والأمتعة

وبيَّن الفصل الثاني مواطن الاختلاف بين الشعرين من ناحية الأسباب وأهمها: اختلاف اللغة، اختلاف البيئة البعد الزمني، البعد الجغرافي والمعاني التي ركز عليها شعراء اللغة العربية والأردية من البكاء على عهد المحبة للظاعنين ، الاعتقاد بأن جمال الديار كان بسبب أصحابها ، الاستغاثة وطلب النجدة ، شدة الحزن على فراق الأحبة إسناد النكبات إلى أسباب غير المباشرة ، الحزن على ضياع أدوات العلوم وهلاك العلما، الحسرة على زوال الرونق والجمال ، قدسية المدينة واحترامها ، المقابلة بين حاضر المدينة وماضيها، بيان عظم المصيبة وشدة النكبات، والتركيز على بيان ألوان الثقافة الحضرية والصور الفنية، وصورة الجيش، أولاً: صورة جيش العدو المهاجم، ثانياً: صورة الجيش الوطني المهزوم:

وسردت الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها البحث،والتوصيات التي يوصى بها

وبعد ذلك ختمت الرسالة بفهارس المصادروالمراجع والموضوعات.

ومن أهم النتائج التى توصلت إليها خلال الدراسة في هذه الأطروحة وهي كما يلي.

الخاتمة

بعد ما عشت فصول المآسي ومشاهدات الدمار والخراب التى أبدعتها قرائح الشعراء الذين أصيبوا بويلات الدهر فمزجوا مشاهداتهم بحرارة العاطفة وصاغوا من ذلك كله المراثى التى حفظها لهم التاريخ الأدبى ونالوا بسببها الاستحسان ومنزلة في قلوب الناس يحق لى أن أعرض عليكم أهم النتائج التى توصلت إليها خلال الدراسة في هذه الأطروحة وهي كما يلي.

- بقيت الصورة الرثائية تعتمد على المعانى والأساليب المتوارثة طيلة العصور الأدبية المختلفة مع اختلاف يسير في مظاهر الشكل والتعبير والتفكير.
- ظهرت في مراثى المسلمين نزعة جديدة تقوم على القيم الدينية والخلقية التى تتمثل في التسليم بقضاء الله وقدره والإنابة إليه عند مس الضر.
- ظهرت في العصر العباسى أنواع جديدة من الرثاء لمتكن معروفة من قبل كفن من الفنون الشعرية مثل رثاء المدن والممالك الزائلة عندما نزلت بها الكوارث من الحرق والتدمير والتخريب وما إلى ذلك.
- رثاء المدن المغربي هوامتداد للحركة الأدبية المشرقية من حيث إنه سجل متواصل مقبول شكلاً ومضموناً،ولكن رغم ذلك شعر المغاربة يكاد ينفرد بعناصر جمالية قوية جعلته يتبوأ مرتبة عالية في مجال الإبداع الفنى.
- شعر رثاء المدن المنكوبة من أشرف الأشعار لأنه صدرعنعاطفة مشبوبة ووجدان حار وشعور صادق يكاد يخلو من صناعة المتكلفين وزيف الكاذبين.

- موضوع رثاء المدن موضوع شيق رقيق يليق باهتمام كبير ممن له ارتباط مباشربدماروطنه، ويرى فساد مدينته ووقوعها في أيدى الأعداء بعين رأسه ويواجه مشاكل التشرد والتفرق.
- صورة المدينة المدمرة البائسة تمنح الشاعر فرصة تتجلى خلالها رؤية إلى المكان، وتساعده على بلورة وعيه الصحيح بمكانة المدينة المدمرة أو المملكة الزائلة في نفوس الجماهير.
- التزام الشعراءفي رثائهم لمدنهم لغة تفصح مباشرة عن أحاسيسهم وعواطفهم المحزونة كما يظهر من النماذج المدروسة في هذه الأطروحة.
- التوافق بين الشعرين العربي والأردي في الجذورالأساسية لهذا الفن (رثاء المدن) فالأسلوب والتفكير واحد، والمعاني والتعبيرات في الشكل النهائي متشابهة.
- القصائد الرثائية تشتمل على المعاني والأفكار، والصور والتعبيرات جيدة التي قل وجودها في بطون أمهات الكتب التاريخية.
- استمر شعررثاء المدن العربي في مفهوم واحد طيلة العصور المختلفة الذى بدأ بالبكاء على الأطلال والآثار الدارسة لخيام الأحبة بينما الشعر الأردي قد تطور من مفهوم إلى مفهوم حتى وصل إلى المفهوم النهائي لكلمة : شهر آشوب.
- قد أبدع شعراؤنا القصائد المختارة لهذه الأطروحة على البحورالملائمة، وهي البحر المتقارب، والرمل، والخفيف، والكامل، والمجتث، كلهامناسبة للموضوع الأساسي (الرثاء).

- وجاءت قافية القصائد ورويها متوافقة مع حالتهم الداخلية الحزينة.
- من ملاحظة النماذج المدروسة نتمكن من إدراك شدة النكبات وعظمها، والإحساس بالصعوبات والآلام التى واجهها الناس خلال أيام النكبة.
- قامت الدراسة على المقارنة الشاملة مثل المقارنة بين الصور وبين المعاني والأفكار مع بيان نقاط التلاقي والتنائى.

وللقصائد الرثائية كثير من الجوانب الإيجابية ومن أهم ما استقريته منها.

- التسليم بقضاء الله تعالى وقدره، وعجز الناس أمامه.
- الإنابة إلى الله سبحانه وتعالى في البأساء والضراء.
- الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله تعالى لإ علاء كلمته وغلبة دينه.
- الدعوة إلى توحيد الصوف والإتحاد وترك المنازعات والإختلافات فيما بينهم.
- البقاء على عهد المحبة والوفاء للأعزاء والأخلاء الهالكين والمتشردين فى تلك الحوادث والنكبات.ونظراً إلى الجوانب الإيجابية المذكورة وأمثالها يحق لنا أن نرفض الفكرة السائدة عندعامة الناس بأن المراثى عبارة عن النياحة والبكاء، والأنينات والآهات، والحسرات، وأنها مليئة بالسلبيات من اليأس والفظاعة وتمنى الموت والهلاك وما إلى ذلك من الأفكار السلبية.
- أوصى الباحثين العازفين عن دراسة شعرهذاالغرض ـــــ بزعمهم شيوع الجوانب السلبية فيه وحسب فلا فائدة لدراسته ـــــ بتركهم هذه الفكرة، والتوجه إلى جوانبه الإيجابية المذكورة وأمثالها والبحث فيها.

- أرى كثيراًمن الشعرين العربي والأردي يستحق أن يكون من بين المقررات الشعرية الدراسية للمراحل المختلفة مما يغرز من عاطفة حب الوطن في قلوب الشباب .

ومن الغريب الذي لاحظته من دراسة القصائد في هذه الأطروحة :

- خلوها من الصوت القوي الذي يرتفع صارخاًومنادياًللناس والحكام للتحضيض على الجهاد لتحريرالأرض والأرواح المسلمة من أيدي أعداءالإسلام والمسلمين.
- خلو هذه القصائد من تناولها دعوة الاستعبار والموعظة من دمار المدن وزوال الممالك وتجنب أسبابها كما تقتضيه طبيعة القصائد الرثائية.
- عدم إنهاء هذه القصائد بالدعوة إلى الاستعانة بالله وطلب العون منه لكشف الضرر ودفع الآلام، والتضرع إليه أمام الكروب كما هو الأسلوب الأنسب لهذا الموضوع من الشعراللهم إلاماوجدناه في بعض القصائد الأردية.

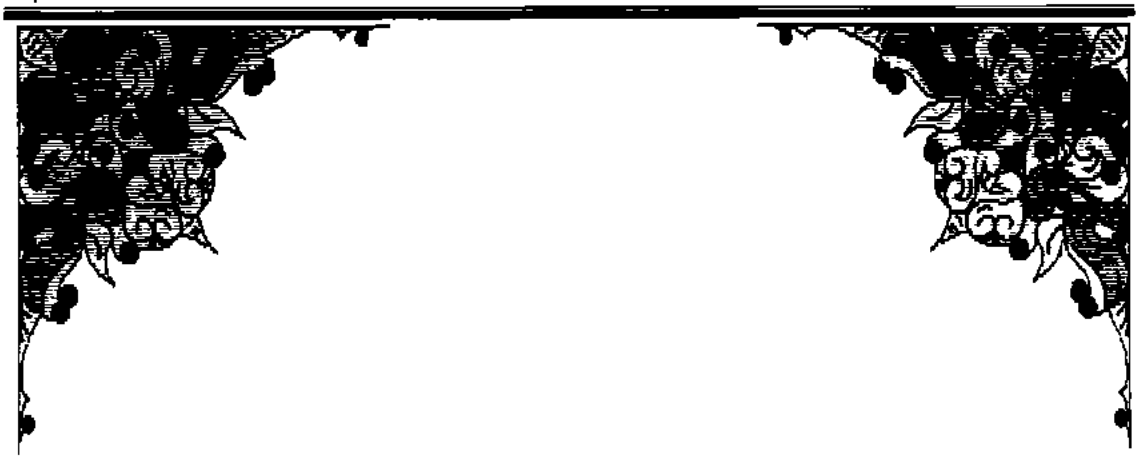

الفهارس

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

فهرس المصادر والمراجع

أولاً:المصادر والمراجع العربية

الألف

- الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر، د/ عبد القادرالقط، الطبعة الثانية 1401 هـ- 1981م دار النهضة العربية.
- الإحاطة في أخبارغرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، الطبعة الثانية 1393هـ- 1973م، مكتبة الخانجى بالقاهرة.
- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، محمد بن أحمد المقدسى، طبعة 1980م دار النشر، وزارة الثقافة والإرشاد القومى- دمشق.
- أدبالدول المتتابعة،عمرموسى باشا،عصورالزنكيين والأيوبيين والمماليك،1967م، دارالفكرالحديث، دمشق.
- أدباء العرب في الأندلس وعصرالانبعاث، بطرس البستانى، الطبعة الاولى1985م، دارعواد، بيروت.
- الأزمنة والأمكنة، أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى الأصفهانى، الطبعة الأولى بدون السنة، دار الكتب العلمية.
- أسرار البلاغة، عبد القاهرالجرجانى، تحقيق: محمد رشيد رضا،الطبعة الثانية بدون السنة، دار المعرفة، بيروت.

- أسس النقد عند العرب، د/أحمد البدوى، 1996م، دار النهضة،القاهرة، مصر.
- الأسلوب الكنائى، د/ محمود السيد شيخون، الطبعة الأولى1997م، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة،مصر.
- الإصابة فى تمييزالصحابة، أحمد بن على بن حجرالعسقلانى، تحقيق:على بن محمد البجاوى، الطبعة الأولى1412هـ،دار الجبل، بيروت
- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس،1990م مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة .
- الأعلاق النفيسة،أبو علي أحمد بن عمر ابن رستة،،الطبعة الأولى 1998م دار الكتب العلمية.
- الأعلام، خيرالدين الزركلى، الطبعة الخامسة عشر2002م، دار العلم للملايين.
- الأغانى، أبو الفرج الأصفهانى، تحقيق: سمير جابر، الطبعة الثانية،1980 م،دار الفكر، بيروت.
- الأنباء فى تاريخ الخلفاء، ابن العمرانى، الطبعة الأولى1419هـ ـــــــ 1999م، دار الآفاق العربية.
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينى1937م مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده،القاهر، مصر.
- الإيقاع فى الشعرالعربى، أبو السعود سلامه، دارالوفاء، الأسكندرية.

الباء

- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم المعانى والبيان والبديع، عيد المتعال، الطبعة السابعة عشر 1993م، مكتبة الآداب، القاهرة.

- البلاغة 2 – المعاني LARB4103 لمرحلة بكالوريوس مناهج جامعة المدينة العالمية، مطبعة جامعة المدينة المنورة.
- البلاغة العربية قراءة أخرى، محمدعبدالمطلب، الطبعة الأولى1997م، الشركة المصرية العالمية، القاهرة.
- البلاغة والأثرالنفسى، دراسة فى تراث عبد القاهر الجرجانى، عبدالله عبد الرحمن بانقيب،جامعة أم القرى،مكة المكرمة1422هـ– 2002م.
- البلاغة الواضحة،على الجازم، و مصطفى أمين، قديمى كتب خانه كراتشى

التاء

- تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون،الطبعة الرابعة بدون السنة، دار الفكر، بيروت.
- تاريخ أبى الفداء،إسماعيل بن أبى الفداء، 1965م، دارالكتاب العربى .
- تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جريرالطبرى، الطبعة الأولى 1407هـدار الكتب العلمية،بيروت.
- تاريخ الأدب الأندلسى (عصر سيادة قرطبة) إحسان عباس، الطبعة الأولى1960م، دار الثقافة، بيروت.
- تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين،يوسف إشباخ،تحيق: د/ محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية 1967 م مكتبة الخانجى للطباعة والنشر والتوزيع.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى، تحقيق: د/عمرعبد السلام تدمرى، الطبعة الأولى1407هـ - 1987م دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان.
- تاريخ مختصرالدول،أبو الفرج غريفوريوس المعروف بابن العبرى، الطبعة الثانية 1415 هـ 1994م،دار الرائد اللبنانى.
- التذكرة الفخرية ورسالة الطيف،بهاؤ الدين الأربلى،1984م،دار الجمهورية، بغداد.
- تفسير القرآن العظيم، أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامى بن محمد سلام، الطبعة الثانية 1420هـ - 1999م، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- التفسير النفسى للأديب د/عز الدين إسماعيل، الطبعة الرابعة 1988م،دار العودة،بيروت.
- التكرار فى شعر الخنساء دراسة فنية، د/عبد الرحمن الهليل،الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م،دار المؤيد،الرياض .
- التوقيف على مهمات التعاريف،محمدعبد الرؤوف المناوى، تحقيق: د/ محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر.
- تيارات النقد الأدبى فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى، د/مصطفى عليان عبد الرحيم، الطبعة الأولى 1404هـ 1984م مؤسسة الرسالة، بيروت.

الجيم

- جامع البيان فى تأويل القرآن،أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى1420هـ - 2000م، مؤسسة الرسالة .
- الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخارى، الطبعة الثالثة1407 - 1987، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت.
- الجبال والأمكنة والمياه،للزمخشرى، تحقيق: د/ إبراهيم السامرائى، الطبعة الأولى1857م، النجف، إيران.
- جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، حافظ أبو عبد الله محمد الأندلسى، 1952م دار الكتب العربية،بيروت.
- جواهرالأدب فى أدبيات وإنشاء لغة العرب، السيد أحمد الهاشمى، طبعة سنة 1425هـ 2004م، المكتبة العصرية، بيروت.

الحاء

- الحماسة: أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحىالبحترى 248 هـ، تحقيق:د/محمد إبراهيم حور،أحمد محمد عبيد،2007م المجمع الثقافى أبو ظهبى .

الخاء

- خريدة القصر وجريدة العصر، عماد الدين الأصفهانى الكاتب، تحقيق: محمد المرزوقى، محمد العروسى المطوى، طبعة سنة 1986م، الدار التونسية للنشر، المغرب والأندلس

- خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبو بكر على بن عبد الله الحموى، الطبعة الأولى سنة 1987م، دارمكتبة الهلال – بيروت.
- خطط الشام، محمد بن عبد الرزاق بن محمَّد، كُرْد علَى، الطبعة الثالثة1403 هـ – 1983 م، مكتبة النورى، دمشق.
- خواطرى حول القرآن الكريم،محمد المتولى الشعراوى،1991م، أخباراليوم.

الدال

- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، حافظ شهاب الدين أبوالفضل أحمد بن على بن محمد العسقلانى،تحقيق: محمد عبدالمعيد ضان، 1392هـ/ 1972م مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد بالهند.
- دلائل الإعجاز،عبدالقاهرالجرجانى،تحقيق، د/محمد التنجى ــ الطبعة الأولى،1995م دار الكتاب العربى، بيروت.
- دواوين الشعر العربي على مر العصور الموقع: *al-adab blogfa com*،
- ديوان ابن خفاجة،أبو إسحاق بن خفاجة الجعوارى الأندلسى، تحقيق: السيد غازي، الطبعة الثانية1960م، منشأة المعارف.
- ديوان ابن رشيق القيروانى،جمع وتحقيق: د/عبدالرحمن ياغى، 1989م،دار الثقافة، بيروت.
- ديوان ابن الرومى،على بن العباس بن جريج ابن الرومى، تحقيق أحمد حسن بسج، 1423هـ 2002م، دار الكتب العلمية.

- ديوان ابن شهيد الأندلسى، تحقيق: يعقوب زكى، دار الكتاب العربى، القاهرة .
- ديوان البحترى،أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيىالبحترى 248هـ، 1960م، القاهرة.
- ديوان الخريمى، أبو يعقوب إسحاق بن حسان الخريمى تحقيق د/على جواد الطاهر ومحمد جبار المعيبد، الطبعة الأولى 1971م، دارالكتاب الجديد، بيروت.
- ديوان لسان الدين بن الخطيب السلمانى، تحقيق:د/ محمد مفتاح، الطبعة الثانية،1429هـ 1999م، الدار البيضاء، 1409هـ 1989م،دار الثقافة.

الذال

- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة،أبو الحسن على بن بسام الشنترينى، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى1981م، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس .

الراء

- رثاء الأدباء عند شعراء الحجاز فى العصر الحديث من عام 1351هـ إلى عام 1420هـ، سلطان سعد عقيل الرقيب المسجلة 2009م،جامعة أم القرى،مكة المكرمة .
- رسالة الغفران،أبو العلاء المعرى، الطبعة السادسة بدون السنة،دار الكتب العلمية.
- الرمز والرمزية فى الشعر المعاصر، محمد فتوح أحمد، الطبعة الثانية 1978م دار المعارف القاهرة.

- الروض المعطار فى خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحِميرى، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الثانية 1980 م، مؤسسة ناصرللثقافة، بيروت.
- ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجى، موقع الوراقhttp://www alwarraq.com

الزاء

- زهر الأكم فى الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود بن محمد اليوسى، الطبعة الأولى1401هـ-1981م، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب.

السين

- السمط اللآلى، عبدالله بن عبد العزيزالأندلسى البكرى، 1931 م، دار الكتب، القاهرة.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبى، الطبعة التاسعة 1413هـ1993م، مؤسسة الرسالة، بيروت،
- السيرة النبوية،عبد الملك بن هشام الحميرى المعافرى، تحقيق: طه عبد الرؤف سعد،1411هـ، دار الجبل، بيروت .

الشين

- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، عبد الحى بن أحمد العكرى، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى 1406هـ 1986م، دار ابن كثير.

- شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوى،تحقيق: شعيبالأرناؤوط،محمد زهيرالشاويش، الطبعة الثانية، 1403هـ - 1983م،المكتب الإسلامي، دمشق.
- شرح المعلقات السبع، حسين بن أحمد الزوزنى، بدون السنة،دار الجيل.
- شعرالأسر بين أبى فراس الحمدانى والمعتمد بن عباد، دراسة موازنة،رسالة الماجستير، عبد الرحمن بن رجاء الله السلمى، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة 1423هـ.
- شعرالرثاء فى العصر الجاهلى دراسة فنية، د/ مصطفى عبد الشافى الشورى، 1983 م الدار الجامعية، بيروت.
- شعر الرثاء فى عهد النبوة والخلافة الراشدة،رسالة الماجستير، إعداد: أحمد بن على ناصر الشرفى، المسجلة 1414هـ 1994م،كلية اللغة العربية،جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- الشعرفى عهد المرابطينوالموحدين بالأندلس، د/ محمد مجيد السعيد، 2008م، المؤسسة العربية العامة للتأليف والنشر.
- الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر،1423هـ 2003م، دار الحديث القاهرة.

الصاد

- الصاحبي فى فقه اللغة،أحمد بن فارس،تحقيق: السيد أحمد صقر، الطبعة الأولى1418هـ - 1997م، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
- صفة جزيرة الأندلس، محمد بن عبد المنعم، تحقيق: لافى بروفنصال،الطبعة الثانية 1988م – 1408 هـ،دار الجيل، بيروت، لبنان.
- الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، أبوالقاسم خلف بن عبد الملك الشهير بابن بشكوال،1989م، دار الكتاب المصرى، القاهرة.
- الصورة الشعرية في شعربشر بن أبى حازم الأسدى، علي سرحان القرشى، جامعة أم القرى كلية اللغة العربية،رسالة الدكتوراه،المسجلة سنة 1998م.
- الصورة الشعرية فى الكتابة الفنية الأصول والفروع، د/ صبحى البستانى الطبعة الأولى 1976م، دار الفكر اللبنانى ــ بيروت.
- الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى، د/ جابرأحمد عصفور، الطبعة الثالثة 1992م المركز الثقافى العربى.
- الصورة فى شعر الرثاء الجاهلى،صلوح بنت مصلح السريحى،رسالة الدكتوراه المسجلة1419 هـ - 1998م كلية التربية للبنات جدة.

الضاد

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،شمس الدين أبوالخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى، الطبعة الرابعة1980م، دارالكتب العلمية بيروت.

الطاء

- طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، الطبعة الأولى بدون السنة، دار المدنى جدة .

الظاء

- ظهر الإسلام، أحمد أمين، الطبعة الأولى1430هـ 2009م، شركة نوابغ الفكر،القاهرة .

العين

- عقود الجمان فى شعراء كل زمان، مبارك بن أبى بكربن الشعار الموصلى، الطبعة الثانية 1987م، دار الكتب العلمية، بيروت
- علم العروض التطبيقى،د/نايف معروف،ود/عمرالأسعد، 1407هـ دار النفائس.
- العمدة فى محاسن الشعروآدابه ونقده، الحسن بن رشيق القيروانى، تحقيق د/عبد الحميد هندوانى، الطبعة الأولى1422هـ-2001م،المكتبة العصرية، بيروت.

الفاء

- فن الرثاء فى الشعرالعربى فى العصر المملوكى الأول، د/ رائد مصطفى حسن عبد الرحيم، 2002م،دار الرازى،عمان.
- فن الشعر، إحسان عباس، 1979م دارالثقافة،بيروت .
- فن الشعر،أرسطاطاليس، ترجمة: عبد الرحمن بدوى،1959م، مكتبة النهضة المصرية.

- الفن ومذاهبه فى الشعرالعربى، شوقى ضيف، الطبعة الحادية عشر2009م، دار المعارف.
- فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب، د/فتحى عبد القادر فريد، الطبعة الثانية1404 هـ- 1984م.
- فهرس الرسائل العلمية للماجستير والدكتوراه فى شتى الجامعات، رفيع الدين الهاشمي،الطبعة الأولى 2008م طبعة هيئة التعليم العالى (HEC).
- فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبى تحقيق: إحسان عباس،الطبعة الأولى 1973م، دار صادر،بيروت.
- فى تاريخ الأدب العباسى – الشعر والشعراء، د/ محمد أبو الأنوار، 1987م، مكتبة الشباب، المنيرة.
- فىالنقد الأدبى، د/ شوقى ضيف، الطبعة التاسعة1962م، دار المعارف، القاهرة.
- فىالنقد الأدبى، د/ عبد العزيز عتيق،1972م،دارالنهضة العربية، بيروت .

القاف

- القاموس المحيط، فيروز آبادى، الطبعة الثانية 1952م، مطبعة الحلبى وأولاده القاهرة.
- القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجرى،الظواهروالقضايا والأبنية، د/عبدالحميد عبد الله الهرامة، الطبعة الثانية1429هـ 1999م،دارالكاتب طرابلس.

- قصيدة الرثاء عند ابن الرومي، دراسة موضوعية، وفاء عمر الفوتى رسالة الماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، الطبعة الأولى 1962م، دار النهضة، بغداد.
- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د/ محمد زكي العشماوى، الطبعة الثالثة1978م، الهيئة العامة المصرية للكتاب الأسكندرية.

الكاف

- الكامل فى التاريخ، أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد الشيبانى المعروف بابن الأثير، الطبعةالأولى 1407هـ 1987م، دار الكتب العلمية، بيروت .
- الصناعتين الكتابة والشعر، أبوهلال الحسن العسكرى تحقيق: د/ مفيد قميحة الطبعة الأولى 1981 م المكتبة العنصرية، بيروت.
- كتابالقوافى، على بن عثمان الإربلى، تحقيق: د/ عبد المحسن فراج القحطانى، الطبعة الأولى 1417هـ - 1997 م، الشركة العربية للنشر والتوزيع.
- كشف الظنون،حاجى خليفة، الطبعة الثانية 1398هـ بمطبع الآستانة.
- كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال،على بن حسام الدين الهندى البرهانفورى، الطبعة الخامسة1401هـ - 1981م، مؤسسة الرسالة.

اللام

- اللباب فى تهذيب الأنساب، عز الدين ابن الأثير الجزرى،تحقيق: محمد الرجب، الطبعة الثانيةبدون السنة، مكتبة المثنى، بغداد.
- لسان العرب، ابن منظور،تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب محمد الصادق العبيدى، الطبعة الثانية 1997م، دار إحياء التراث العرب، بيروت.

الميم

- المثل السائرفى أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، تقديم: د/أحمد الحوفى،ود/بدوى طبانة الطبعة الثانية بدون السنة، دار النهضة مصر للطبع والنشر.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن على بن إسماعيل بن سيده المرسى،تحقيق:عبدالحميد هنداوى،2000م،دار الكتب العلمية،بيروت.
- المحيط فى اللغة،الصاحب إسماعيل بن عباد،تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب بيروت .
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها،عبد الله الطبيب، الطبعة الرابعة 1410هـ، دار جامع الخرطوم للنشر، دارالفكر،بيروت.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن على بن الحسين للمسعودى، الطبعة الأولى 1425هـ،2005مالمكتبة العصرية، بيروت.
- مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الثانية1420هـ- 1999م، مؤسسة الرسالة.

- المصون فى الأدب،أبو أحمد العسكرى، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية1960م، دائرة المطبوعات والنشر بالكويت.
- مطمع الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس،أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان،تحقيق: محمد على شوابكة، الطبعة الأولى1983م، دار النشر،مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الْمَعَالِمِ الْجُغرافِية الْواردة فى السيرة النبوية لابن هشام، عاتق بن غيث البلادى، الطبعة الأولى 1402هـ، دار مكة.
- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب المؤلف، عبد الواحد المراكشى،تحقيق : د/ صلاح الدين الهوارى، الطبعة الأولى1426 هـ - 2006 م، المكتبة العصرية، بيروت .
- معجم البلدان ياقوت بن عبد الله الحموى، 1995م دار الفكر – بيروت
- معجم الشعراء، أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى، الطبعة الثانية1402ه-1982م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- معجم مصطلحات العروض والقافية، د/ محمدعلىالشوابكة،د/ أنورأبوسويلم،1411هـدارالبشير، عمان.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د/أحمد مطلوب 1407هـ 1987م، المجمع العلمى العراقى.

- معجم المطبوعات العربية والمعربة، اليان سركيس، الطبعة الأولى1965م، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي،دارالنفائس، بيروت. 1407هـ.
- معجم المؤلفين،تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، الطبعة الأولى1993م-1414ه، مؤسسة الرسالة.
- المعجم الوسيط،إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، 2010م،دار النشر، بيروت.
- المطرب من أشعار أهل المغرب،أبو الخطاب عمر بن الحسن ابن دحية الكلبي، تحقيق: إبراهيمالأبياري وصاحبيه،1954م، دارالعلم للجميع،بيروت.
- مطمع الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، أبو نصرالفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان،تحقيق، محمد على شوابكة، الطبعة الأولى 1983م، دار النشر، مؤسسة الرسالة، بيروت .
- المطول شرح تلخيص المفتاح، العلامة سعدالدين مسعود بن عمر التفتازاني،الطبعة الأولى 1425م، دارإحياء التراث العربي،بيروت.
- المعلقات السبع، قديمي كتب خانه آرام باغ كراتشي، باكستان بدون السنة .
- المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد الأندلسي، الطبعة الأولى، 1987م، دارالكتب العربية، بيروت.
- المغول في التاريخ،فواد عبد المعطى الصياد ـــ الطبعة الأولى 1956م، دارالمعرفة،لبنان.

- مفاتيحالغيب، فخرالدين أبوعبد الله محمد بن عمرالرازى، الطبعة السادسة 1401هـ 1981م دار الفكر.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف السكاكى1995م دار الكتب العلمية، بيروت، لبيان.
- المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة،عبد الرحمن السخاوى، الطبعة الخامسة1965م، دار الكتاب العربى.
- المقدمة،عبدالرحمن محمد بن خلدون، تحقيق: على عبد الواحد وافى، الطبعة الثانية بدون السنة، لجنة البيان العربى.
- المنتخب من مسند عبد بن حميد،عبد بن حميد بن نصرأبى محمد الكسى، الطبعة الأولى1408هـ - 1988م، مكتبة السنة – القاهرة
- من بلاغة النظم العربى دراسة تحليلية لمسائل علم المعانى عبد العزيز بن عبد المعطى عرفة، الطبعة الثانية 1984 م، عالم الكتب، بيروت.
- من قضايا البيان وصوره، د/ عبد الحميد العيسوى، د/صلاح الدين محمد أحمد الطبعة الأولى 1431م القاهر
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجنىتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، 1966م،المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،أبو زكريا يحيى بن شرف النووى، الطبعة الثانية، 1392 هـ،دار إحياء التراث العربى، بيروت

- المواعظ والاعتبارفى ذكر الخطط والآثار،أحمد بن على المقريزى، الطبعة الأولى 1935م،دار صادر
- موسوعة الحروب الصليبية،عصر الدولة الزنكية،د/ على محمد محمد الصلّابي، الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007 م، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر
- موسوعة علم اللغة العربية، د/ أميل بديع يعقوب، 1971م، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان
- موسوعة كشاف اصلاحات الفنون والعلوم ــ محمد بن على التارونى الحنفى، تحقيق: د/ على دحروج، الطبعة الأولى 1996م،مكتبة لبنان ناشرون، بيروت
- موسيقى الشعر، د/ إبراهيم أنيس، الطبعة الثالثة1965ممكتبة الأنجلو المصرية.
- موسيقى الشعر، إليوت، ترجمة، د/ محمد النويهى،1971م مكتبة الخانجى ودار الفكر.
- موسيقى الشعر العربى، د/عيسى على العاكوب، الطبعة الأولى 1417هـ-1997م،دار الفكر المعاصر، بيروت .
- موسيقى الشعر وعلم العروض، د/ يوسف أبو العدوس، الطبعة الثانية 1998 م، المكتبة الأهلية للنشر والتوزيع.

النون

- نشأة الشعر العربى السعودى واتجاهاته الفنية، د/ مسعد محمد زياد،الموقع:www.diwanalarab com
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب:أحمد بن محمد المقرى التلمسانى، تحقيق: إحسان عباس،1388هـ، دار صادر بيروت.
- نقد الشعر،قدامة بن جعفرتحقيق: كمال مصطفى،1963م،مكتبة الخانجى، المصر.
- نهاية الأرب فى فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى، الطبعة الأولى 1424 هـ - 2004 م دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان
- النهاية فى غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزرى، تحقيق، طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحى،1399هـ - 1979م المكتبة العلمية، بيروت.

الواو

- الوافى بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى،1987م، دارالعلم للجميع، بيروت.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،أحمدبن محمد بن خلكان،تحقيق: إحسان عباس 1972م، دار صادر، بيروت.

المصادر والمراجع الأردية

- آب حیات، محمد حسن آزاد، 1987م، کاک آفیسٹ پرنٹنگ پریس۔
- اُردو ادب کی مختصر ترین تاریخ، د/ سلیم اختر، 2000م، سنگ میل پبلی کیشنز لاہور۔
- اردو تنقید، پروفیسر شارب ردولوي، 2003م، اردو اکادمی دہلی۔
- اردو زبان اور اسکے مختلف نام، حافظ محمود شیراني (المجلۃ الأسبوعیۃ) شمارہ مارچ، 1929م اورنٹیل کالج لاہور۔
- اُردو شاعري پر ایک نظر، محمد جمیل أحمد،، اشاعت اول 1985م غضنفر اکیڈمی کراچي پاکستان
- اردو شاعروں کا انسائکلوپیڈیا، عبدالرشید عصیم، 2002م یکن بکس، ملتان
- اُردو شاعري کا فني ارتقاء، ڈاکٹر فرمان فتحپوري، 2007م، الإعجاز پبلی کیشنز لاہور
- اردو کے چار بڑے شاعر، ڈاکٹر فرمان فتح پوری، 2010م، گنج شکر پریس، لاہور
- أصناف شاعری نمبر، سالنامہ نگار پاکستان شمارہ ۱۹۶۷م
- أهل قلم کي دائریکٹري، علي یاسر، اشاعت دوم، 2010م، اکادیمي أدبیات إسلام آباد
- انگریزي عہد میں ہندوستان کے تمدن کی تاریخ، علامہ عبد اللہ یوسف علی، اشاعت اول، 1967م. کریم سنز پبلیشرز کراچی.

الباء

- بکھراؤ کا حرف آخر، أدیب سہیل، تقدیم: پروفیسر خورشید بانو، 1995م، سعد پبلی کیشنز ناظم آباد کراچي.

الباء الفارسي

- پنجاب میں اُردو، حافظ محمود خان شیرازی، ترتیب وتدوین محمد أکرم چغتائی 2005م، سنگ میل پبلی کیشنز لاہور

التاء

- تاریخ اُردو اَدب، رام بابو سکسینۃ، 2000م، مطبعہ جامعہ نگر نئی دہلی الھند،
- تاریخ اِلاسلام، مرتضی اُحمد خان میکیش، 2005م مکتبہ اعلی حضرت دربار مارکیٹ لاہور
- تاریخ جلیلۃ، غلام دستگیر النامی، اشاعت اول 1937 ملاہور،

الجيم

- جدید اردو غزل، ایک مطالعہ، نظیر صدیقی، 1984م گلوب پبلیشرز، اردو بازار لاہور
- جلوہ داغ، اُحسن مارھروي، 1990م اردو اکادمی دھلي
- جہانگیر اردو لغت، جہانگیر بکس غزنی سٹریٹ اردو بازار لاہور

الحاء

- حقیقۃ اِلاسلام لاہور (ماہنامہ جون و جولائی، 1949م

الدال

- داغ الدھلوي" حیات اور کارنامے" ڈاکٹر کامل قریشی، 2003م اردو اکادمی دھلي
- دھلی کا دبستان شاعری، ڈاکٹر نور الحسن الھاشمی، 2006م، بک ٹاک لاہور.
- دیدہ تر" اُختر لکھنوي، 1986م، بزم اُرباب سخن پاکستان، کراچي
- دیوان جامی، نور الدین عبدالرحمن الجامی، 1995م، مؤسسۃ انتشارات نگاہ، تھران، ایران
- دیوان شاکر ناجي تحقیق افتخار بیگم، 1989م، انجمن ترقی اردو، نئی دھلي، الھند
- دیوان فضل الحق الخیر آبادی دراسۃ و تحقیق: سلمی سھول، رسالۃ الدکتوراہ جامعۃ پنجاب لاہور-پاکستان.

- ديوان مصحفي، غلام ہمدانی مصحفی، ترتیب و انتخاب أسیر لکھنوي، و أمیر مینائي، 1990م، خدا بخش اورینٹل پبلک لائبریري، پٹنہ، الھند
- دیوان ولی، ولی دکنی، 1998م، سنگ میل پبلی کیشنز، لاہور

الراء

- رائل ایشیاٹک سوسائٹی لندن (ماہنامہ اپریل 1939م

الشین

- شعر آشوب کا فن اور موضوع، سید مسعود حسن رضوی ادیب، سالنامہ نگار پاکستان، أصناف شعری نمبر ڈاکٹر فرمان فتحپوری 1967م۔

الفاء

- فغان دھلي، تفضل حسین کوکب، مرتب محمد اکرام چغتائی، 2007مسنگ میل پبلی کیشنز لاہور

القاف

- قومی زبان (مجلۃ اللغۃ الأردیۃ) کراچي شمارہ اپریل 2007م

الکاف

- کشاف تنقید اصطلاحات، أبوالإعجاز حفیظ صدیقی، اشاعت اول 2005ممقتدرۃ قومی زبان اسلام آباد
- کلیات داغ، بتقدیم خواجہ محمد ذکریا، 2011مالحمد پبلی کیشنز لاہور
- کلیات سودا مرزا رفیع الدین سودا، شاعت اول 1987م، مجلس ترقی ادب لاہور
- کلیات میر تقی میر اشاعت دوم 1995م، سنگ میل پبلی کیشنز لاہور

- کلیات نظیر، بدون السنة والطبعة، مکتبہ شعر وأدب سمن آباد لاہور

اللام

- لاہور کا دبستان شاعری، ڈاکٹر علي محمد خان، اشاعت دوم 1999م مقبول اکادمی لاہور

المیم

- مرزا غالب کے شاگرد آفاق احمد آفاق، 1949م، ادارہ نادرات، کراچی
- مقدمہ چمنستان شعراء، لچھمی نرائن شفیق، 1988م، کاک آفسیٹ پرنٹنگ پریس دھلي
- میر و سودا کا دور (اردو شاعری کا عہد زریں دور)، ثناء الحق صدیقی، تقدیم: توکل حسین قدوائي، اشاعت أول، 1965م، آل پاکستان ایجوکیشنل کانفرنس

النون

- نامہ مراد، مراد شاہ، اشاعت اول 1951م 1370ھ أمیر پرنٹنگ پریس لاہور
- نقوش لاہور: ملیساني، شخصیات نمبر 2، مجلة نقوش لاہور 1956م

الواو

- وفیات ناموران پاکستان، ڈاکٹر محمد منیر احمد سلیچ، بغیر سنہ اشاعت، اردو سائنس بورڈ، لاہور،

الهاء

- ہندوستان کی تحریک آزادی اور اردو شاعری، ڈاکٹر گوپي چند نارنگ، اشاعت: 2005م، سنگ میل پبلی کیشنز، لاہور۔

فهرس المحتويات

الإهداء

كلمة الشكر والتقدير 1

المقدمة..... 4

تعريف الموضوع وتحديد الدراسة:..... 5

المدن الستة المختارة :..... 6

الشعراء الذين تمت دراسة شعرهم في هذا البحث.....7

في رثاء قرطبة 8

في رثاء بغداد.....9

في رثاء دمشق 10

في رثاء دلهي..... 11

في رثاء لاهور 12

في رثاء داكا: 12

أهمية الموضوع: 13

أسباب اختيار الموضوع: 14

أسئلة البحث: 14

أهداف البحث: 15

الدراسات السابقة: 16

منهج البحث: 18

خطة البحث: 19

التمهيد 26

أ – منزلة الوطن في الشعرين العربي والأردي 27

منزلة الوطن في الشعر العربي: 33

البكاء على فراق الوطن والبُعد عنه: 35

وصف طبعية الوطن ومدح جماله.....39

إثبات أوصاف الجنة للوطن وتفضيله على كل ما سواه: 41

إرسال التحيات من البعيد إلى الوطن 43

مكانة الوطن في شعر اللغة الأردية 44

البكاء على فراق الوطن: 44

وصف طبيعة الوطن ومدح جماله في الشعر الأردي: 46

تفضيل الوطن على غيره: 48

إرسال الأحوال والتحايا إلى الوطن عن طريق الصبا 49

ب – رثاء المدن في الأدبين العربي والأردي 51

رثاء المدن فى الأدب العربي 52

الرثاء لغةواصطلاحاً.....52

رثاء المدن في البلاد المشرقية 64

رثاء المدن في العصر الجاهلى: 64

رثاء المدن في عصر صدر الإسلام 68

رثاء المدن في العصر الأموى 70

رثاء المدن في العصر العباسى 72

الحادثة الأولى.....73

الحادثة الثانية.....74

الحادثة الثالثة 75

الحادثة الرابعة 77

الحادثة الخامسة 78

الحادثة السادسة 80

رثاء المدن في البلاد الأندلسية المغربية 82

رثاء بربشتر: 82

رثاء طليطلة : 84

رثاء بلنسية : 85

رثاء إشبيلية : 87

رثاء القيروان 89

رثاء الأندلس عامة. 91

فن رثاء المدن " شهر آشوب" في الأدب الأردى 92

"شهر آشوب" لغة : 92

"شهرآشوب" اصطلاحاً: 94

بداية " شهر آشوب " 96

" شهر آشوب " باللغة الأردية : 98

موضوع "شهر آشوب " 100

أشهر شعراء (شهر آشوب) رثاء المدن الهندية 102

المجموعة الأولى..... 102

محمد شاكر ناجي 103

بير خان كمترين: 104

مرزا محمد رفيع سودا 105

مير تقي مير 105

غلام همداني مصحفي امروهي 106

شيخ قيام الدين بن محمد هاشم الملقب قائم جاند بوري 106

غلام علي راسخ عظيم آبادي 107

جعفر على حسرت عظيم آبادى 107

الشيخ ظهور الدين الملقب بـــ "حاتم " 108

رثاء دكن 109

شفيق اورنگ آبادى 109

رثاء آكره..... 110

نظير أكبر آبادى 110

رثاء لكنو..... 111

رثاء لاهور..... 112

المجوعة الثانية 112

اشهر شعراء هذا العهد..... 113

المجموعة الثالثة: 116

ومن أشهر شعراء هذا العصر: 117

تراجم الشعراء المختارين للدراسة 123

تراجم شعراء اللغة العربية 124

ابن شهيد الأندلسي 125

حياته وبيئته ونشاطه الأدبي 125

جوده وكرمه: 130

مكانته العلمية بين معاصرته..... 131

حياته السياسية..... 133

أهم موضوعات شعره 134

مؤلفاته..... 136

مرضه ووفاته..... 136

الشيخ شمس الدين الكوفي 139

ولادته ونسبه 139

مؤلفاته 139

فاته..... 141

علاؤ الدين البهائي الغزولي الدمشقي 142

اسمه ونسبه ..... 142 ...

ومن مآثره العلمية 143

وفاته..... 145

تراجم شعراء اللغة الأردية 147

مرزا داغ الدهلوي 148

اسمه و نسبه 148

ماثره الأدبية 150

تلاميذه..... 151

بيئة الشاعر التى عاش فيها 153

أهم موضوعات شعره 154

مراد شاه لاهوري..... 157

اسمه و نسبه 157

هجرته..... 158

خدماته للغة الأردية 158

أسلوبه..... 160

مؤلفاته..... 160

مرضه ووفاته 162

أديب سُهيل 164

اسمه وولادته 164

هجرته الأولى 164

هجرته الثانية 165

بعض البحوث التى كتبت حول شعره و شخصيته: 166

أسلوبه فى شعره 167

أهم موضوعات شعره: 168

الباب الأول:رثاء المدن العربية 169

المدخل: أسباب نكبات المدن العربية 170

القضاء والقدر: 172

جور الزمان: 173

صنعة الأيام: 174

ريح النوى: 175

الذنوب والمعاصي: 176

الفصل الأول: عرض تحليلي لقصائد رثاء المدن العربية 178

المبحث الأول: عرض تحليلي لقصائد رثاء " قرطبة "..... 180

القصيدة الثا نية للشاعر 185

المبحث الثانى: عرض تحليلي لقصائد رثاء بغداد 187

القصيدة الأولى : الميمية 187

القصيدة الثانية : النونية 191

المبحث الثالث: تحليل القصائد في رثاء دمشق 197

قصيدة الأوتارى 202

الفصل الثاني: البناء الفني لقصائد رثاء المدن العربية 208

المبحث الأول: دراسة شكل قصائد الرثاء 209

المطلب الأول: مطالع القصائد 210

المطلع الطللي: 212

مطلع الحزن والأنين:..... 214

المطلع المبا شر: 215

مطلع شكوى الزمان والدعوة إلى الاستعبارمنه: 216

مطلع التذكير بحتمية الفناء الشامل: 217

المطلع الغزلي: 218

المطلب الثاني: أسلوب القصائد 219

المطلب الثالث: خواتيم القصائد الرثائية 228

المبحث الثاني: دراسة الموسيقى للقصائد 234

المطلب الأول: أهمية الوزن في العمل الأدبي 235

وظائف الوزن:..... 236

المطلب الثاني: قافية القصائد 248

القافية في اللغة : 248

القافية في الاصطلاح: 249

أهمية القافية : 250

أقسام القافية 250

المطلب الثالث : روي القصائد وأهميته فى العمل الأدبى 255

الفصل الثالث: الخصائص الفنية لقصائد رثاء المدن العربية..... 260

المبحث الأول: الصور البلاغية وفيه مطلبان 261

المطلب الأول: الصور التي تتعلق بعلم المعاني وفيه نكتتان 262

النكتة الأولى: الأساليب الخبرية 263

من الأساليب الخبرية القصر..... 263

أهم طرق القصر:..... 264

القصر بـــ " إنما " 266

القصر بالنفي والاستثناء: 267

النكتة الثانية : الأساليب الإنشائية 269

الأمر: 269

الأمر للالتماس: 270

النهى..... 271

النهي للالتماس: 271

النهي للتيئيس: 272

أسلوب النداء:..... 273

أسلوب الاستفهام:..... 280

المطلب الثاني: الصور البديعية 286

النكتة الأولى: المحسنات اللفظية 287

الجناس 287

النكتة الثانية : المحسنات المعنوية 294

الطباق والمقابلة 294

المقابلة : 296

المبحث الثاني: الصور الفنية وفيه مدخل ومطلبان 299

المدخل: مفهوم الصورة وأهميتها 300

مصادر الصورة الفنية 307

الثقافة الدينية..... 307

الطبيعة..... 309

الطبيعة الصامة من العالم العلوى..... 310

الطبيعة الصامة من العالم السفلى 311

الطبيعة المتحركة..... 311

من الثقافة التاريخية 312

المطلب الأول:الصورة الجزئية وفيه مدخل وثلاث نكات 313

المدخل: مفهوم الصورة الجزئية 314

النكتة الأولى : التشبيه..... 315

التشبيه المرسل 316

التشبيه المفروق 318

التشبيه البليغ 318

التشبيه التمثيلى 324

النكتة الثانية : الاستعارة 326

الاستعارة التصريحية 327

الاستعارة المكنية 330

الاستعارة الأصلية 332

الاستعارة التبعية 333

الاستعارة الترشيحية 334

النكتة الثالثة : الكناية 336

الكناية فى اللغة 336

الكناية فى الاصطلاح 336

بلاغة الكناية 337

ومن وظائف الكناية 337

الكناية عن الصفة 343

الكناية عن النسبة : 346

المطلب الثاني:الصورة الكلية 349

المدخل: مفهوم الصورة الكلية 350

النكتة الأولى: الصورة المتقابلة 357

النكتة الثانية :الصورة النفسية 361

النكتة الثالثة :الصورة النامية 367

الباب الثاني: رثاء مدن شبه القارة الهندية – الباكستانية 370

المدخل: أهم أسباب النكبات التي تناولها هذا البحث 371

أولاً: الأسباب المباشرة : 372

التدخل الأوربى 372

هجمات الفلاحين 372

ثانيا الأسباب غير المباشرة : 374

العين الحاسدة 375

اعتداء الفلك 375

سوء الدهر 377

النحس والشؤوم 379

الطوفان 379

كثرة الذباب 381

انتشار الفئران 383

الفصل الأول: عرض تحليلي لقصائد رثاء مدن شبه القارة الهندية ـ الباكستانية385

المبحث الأول: عرض تحليلي لقصائد رثاء "لاهور" 386

القصيدة الثانية " موش نامه (حالة الجرذان) 404

المبحث الثاني: في رثاء " دلهى" 419

القصيدة الثانية: 442

المبحث الثالث: تحليل رثاء داكا 448

القصيدة الثانية "طوفان نوح" 457

الفصل الثاني: البناء الفني لقصائدرثاء مدن شبه القارة الهندية الباكستانية . 471

المبحث الأول: دراسة شكل قصائد الرثاء 472

المطلب الأول: مطالع القصائد 473

المطلع المدحي للمدينة : 473

مطلع البكاء على فناء المدينة : 479

المطلع المباشر: 480

مطلع الحزن والحيرة : 481

مطلع الوصف للطبيعة : 483

المطلب الثاني: أسلوب القصائد 486

المطلب الثالث: خواتيم القصائد باللغة الأردية 496

خاتمة القصيدة بالدعاء: 496

خاتمة القصيدة بالحزن والأسى: 501

خاتمة القصيدة بالدعوة إلى الوحدة والاتحاد. 502

المبحث الثاني: موسيقى القصائدالمختارة 504

المطلب الأول: وزن القصائد 505

النظم الحر..... 510

نشأته وتطوره: 510

مفهوم النظم الحر: 511

حقيقة النظم الحر: 512

أهم البحور التي كتب النظم الحر عليها: 513

المطلب الثاني: قافية القصائد 516

المطلب الثالث: روى القصائد الأردية 522

الفصل الثالث: الخصائص الفنية لقصائد رثاء مدن شبه القارة 527

المبحث الأول: الصور البلاغية 528

المطلب الأول: الصور البلاغية التي تتعلق بالمعاني 528

النكتة الأولى: الأساليب الخبرية 529

القصر..... 529

النكتة الثانية : الأساليب الإنشائية 531

الأمرللدعاء..... 531

الأمرللإ رشاد..... 532

النهى..... 533

الاستفهام..... 534

الاستفهام للتعجب 535

الاستفهام للتوبيخ..... 536

المطلب الثاني: صور البديع 538

النكتة الأولى: المحسنات اللفظية 539

الجناس 539

الاقتباس 540

النكتة الثانية : المحسنات المعنوية 541

الطباق..... 541

المبحث الثاني : الصور الفنية من الكلية والجزئية 543

المدخل: مصادر الصورة الفنية لشعراء اللغة الأردية 544

الطبيعة : 545

الطبيعة الصامتة : 545

الطبيعة الصائتة المتحركة : 548

عالم الحيوان: 549

الثقافة الدينية : 551

الثقافة الزراعية : 554

الثقافة التاريخية : 556

مواطن اجتماع الناس..... 559

المطلب الأول: الصور الجزئية 562

النكتة الأولى:التشبيه 562

التشبيه المرسل: 562

التشبيه البليغ 563

التشبيه التمثيلى: 564

النكتة الثانية : الاستعارة 566

الاستعارة المكنية : 566

الاستعارة المصرحة : 566

الاستعارة الترشيحية : 567

النكتة الثالثة : الكناية 568

الكناية عن الموصوف: 568

الكناية عن الصفة..... 569

الكناية عن النسبة.....570

المطلب الثاني:الصورة الكلية فى شعر رثاء المدن باللغة الأردية 572

النكتة الأولى:الصورة الممتدة 572

النكتة الثانية :الصورة النامية 577

النكتة الثالثة :الصورة المتقابلة : 580

النكتة الرابعة : الصورة الكلية النفسية 583

النكتة الخامسة :الصورة الرمزية 586

الرمزالمعجمي 586

الرمز التاريخى: 590

الباب الثالث: دراسة مقارنة بين الشعرين العربي والأردي 592

المدخل: الشعر العربى والأردى في رثاء المدن بين التأثير والتأثر 593

الفصل الأول: مواطن التشابه بين الشعرين 596

المبحث الأول: أسباب التشابه بين الشعرين 597

وحدة الموضوع 598

تشابه النكبات المختارة..... 598

تشابه الظروف..... 598

وحدة المعايير لاختيار للشعراء 599

المبحث الثاني: تشابه المعانى بين الشعرين 600

المقارنة بين الماضي والحاضر 601

شدة الحزن على طمس المعالم الدينية 601

شدة الحنين إلى المعالم الحضارية التي تغيرت 601

البكاء على فراق الأحبة والأعزاء..... 602

تعرضهم لبيان مشاكل الهجرة والمغادرة 602

رسم صورة الجيش 602

إسناد النكبات إلى أسباب غيرحقيقية 603

المبحث الثالث: تشابه الصوربين الشعرين 604

الفصل الثاني: مواطن الاختلاف بين الشعرين 606

المبحث الأول:أسباب الاختلاف بين الشعرين 607

اختلاف اللغة 607

اختلاف البيئة 607

البعد الزمنى 607

البعد الجغرافى 608

المبحث الثاني: المعاني التي ركزعليها شعراء اللغة العربية..... 609

البكاءعلى عهد المحبة للظاعنين 609

الاعتقاد بأن جمال الديار كان بسبب أصحابها 610

الاستغاثة وطلب النجدة 612

شدة الحزن على فراق الأحبة 615

إسناد النكبات إلى أسباب غير المباشرة 616

الحزن على ضياع أدوات العلوم وهلاك العلماء..... 618

الحسرة على زوال الرونق والجمال 618

قدسية المدينة واحترامها 620

المقابلة بين حاضر المدينة وماضيها 621

بيان عظم المصيبة وشدة النكبات..... 623

التركيز على بيان ألوان الثقافة الحضرية 625

صورة الجيش..... 627

أولاً: صورة جيش العدو المهاجم: 627

ثانياً: صورة الجيش الوطنى المهزوم: 628

المبحث الثالث: المعاني التي ركز عليها شعراء اللغة الأردية 630

وصف الطبيعة..... 630

شرف المكان بشرف السكان 634

عظم المصيبة وشدة النكبة 635

البكاء على فساد المدينة 639

شدة الحزن والأسى 641

اليأس من الأمن والسلام..... 644

حسن التأويل: 646

أسباب الدمار: 646

الهجرة والمغادرة وبيان مشاكلها: 647

الموازنة بين ما ضى المدينة وحاضرها: 650

الدعاء: 652

صورة الجيش الغازى الهاجم: 653

بيان البؤس والفقر: 656

إحراق الأموال والأمتعة 658

المبحث الرابع: الصور التى ركزعليها شعراء اللغة العربية 660

الصور الجزئية 661

التشبيه 661

الصور الكلية 662

المبحث الخامس: الصور التى ركز عليها شعراء اللغة الأردية 664

الصور الجزئية 665

الصور الكلية 666

خلاصة البحث..... 669

الخاتمة 672

الفهارس 676

فهرس المصادر والمراجع 677

أولاً:المصادر والمراجع العربية 677

المصادر والمراجع الأردية 696

فهرس المضامين 700